عمادة الدِّراسات العليا

جامعة القدس

المقطَّعات في ديوان ابن نباتة المصريّ (ت 768هـ)

" دراسة موضوعيَّة وفنّيَّة"

معتصم يونس محمد علي محفوظ

رسالة ماجستير

القدس– فلسطين

1441هـ - 2020م

المقطَّعات في ديوان ابن نباتة المصريّ (ت 768هـ)

" دراسة موضوعيَّة وفنّيَّة"

إعداد الطالب

معتصم يونس محمَّد علي محفوظ

بكالوريوس في اللُّغة العربيَّة وآدابها من جامعة القدس المفتوحة/ بيت لحم– فلسطين

المشرف: د. محمَّد يوسف إبراهيم بنات

قُدِّمت هذه الرِّسالة استكمالًا لِمتطلَّبات درجة الماجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابها من كُلّيَّة

عمادة الدِّراسات العُليا في جامعة القدس

1441هـ – 2020م

جامعة القدس

عمادة الدِّراسات العليا

برنامج اللّغة العربيّة وآدابها

إجازة الرِّسالة

المقطَّعات في ديوان ابن نباتة المصريّ (ت 768هـ)

"دراسة موضوعيَّة وفنّيَّة"

اسمُ الطّالب: معتصم يونس محمد علي محفوظ

الرَّقمُ الجامعيّ: 21411840

المشرف: د. محمّد يوسف إبراهيم بنات

نوقِشتْ هذه الرِّسالة وأُجيزتْ بتاريخ 07/ 06/ 2020م من أعضاء لجنةِ المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم

1. **رئيس لجنة المناقشة: د. محمّد يوسف بنات** التوقيع: .....
2. **ممتحنًا داخليًا: أ. د. مشهور حبّازي** التوقيع: .....
3. **ممتحنًا خارجيًا: د. زين العابدين عواودة** التوقيع: .....

القدس – فلسطين

1441هـ - 2020م

الإهداء

أُهدي هذا البحث لكل من كان له فضلٌ في إتمامه من أساتذتي أو عائلتي أو أصدقائي وأخص بالإهداء زوجتي وأبنائي الذين انشغلت عنهم في إعداده وأخي الذي لم تلده أُمي الذي لم يتأخر يومًا عن النصح والإرشاد.

إقرار

أقرُّ أنا معدّ الرّسـالة بأنَّها قُدِّمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجسـتير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصّـة، باسـتثناء ما تمَّ الإشـارة إليه حيثما ورد، وأنَّ هذه الرّسـالة أو أيّ جزء منها لم يُقدَّم لنيل أي درجة عليا لأيّ جامعة أو معهد آخر.

التّوقيع:.....

الاسم: معتصم يونس محمد علي محفوظ

التّاريخ: 07 / 06 /2020م

الشّكر والتّقدير

لا يســـعني في هذا المقام إلا أن أتقدَّم بخالص الشـــكر والتقدير إلى جميع أســـاتذتي ومعلميَّ الذين كان لهم الفضل بعد الله تعالى في إتمام هذا العمل.

وأخُصُّ بالشكر أستاذي القدير الدكتور محمد يوسف بنات الذي أشرف على هذه الرسالة، فقد كان لنصحه وتوجيهه وإرشاده الأثر الأكبر في إعداد هذا البحث.

ولا يفوتني أن أشـــكر الأســـتاذين الفاضـــلين: أ.د. مشـــهور حبّازي، د. زين العابدين عواودة عضوي لجنة المناقشة على تفضلهما بقبول مناقشة رسالتي وتقويمها.

الملخّص

تناولت الدِّراسّــة الحاليَّة ظاهرة المقطّعات في تجربة ابن نباتة الشّــعريَّة، وقد دار مدار البحث حول هذه الظَّاهرة الهامَّة الَّتي امتاز بها شـعراء العصـر المملوكيّ بعامَّة وابن نباتة بخاصَّـة مع أنَّ له عددًا من القصـــائد الطّوال في ثنايا الدّيوان إذ قصـــرها على المدح المناقبي وبخاصَّـــة مدح الملوك ورجالات الدَّولة وأقرانه من الشُّعراء.

وقد قامت الدّراسة على فرضّيّة ركّزت في جوهرها على السَّبب في شيوع ظاهرة المُقطّعات في العصـر المملوكي ومدى ارتباطها بموضـوعاتها، مع العلم أنَّ هذه الظَّاهرة موجودة في الشّـعر الجاهلي القديم، غير أنَّ موضوعاتها في العصر المملوكي تختلف عن سابقاتها في العصور المتقدّمة.

أمَّا المنهج الذي قامت عليه الدّراسة فهو المنهج الوصـفي التَّحليليّ بشكل رئيس مع الاستعانة بالمنهج الإحصـــائي في الكشـــف عن عنوانات الموضـــوعات الَّتي قامت عليها المقطّعات في ديوانه تمهيدًا لتبويبها والاستعانة بهذا التَّبويب في الدِّراسة الموضوعيَّة، بالإشارة إلى انتخاب الشَّواهد الكاشفة الَّتي تبيّن الموضـوعات التي قامت عليها المُقطّعات. وقد تمَّت دراسة المقطّعات دراسة فنيّة من حيث: اللُّغة والأسلوب والصُّورة الفنيَّة والموسيقا.

وقد خلصـت الدّراسـة إلى انفراد ابن نباتة بهذا اللّون من الشّـعر وتوظيف بكثرة وبخاصّـة في الشّـــعر الاجتماعي الَّذي يتّصـــل بحياة العامَّة، كما أنَّ المُقطَّعات يمكن اعتبارها قصـــائد متكاملة في بنائها الفنّي، يُضاف إلى ذلك براعة ابن نباتة في الموضوعات الّتي طرقها في ثنايا شعره.

Poetic Sparks in the Divan of Ibn Nabata Al Masri

" An objective and artistic study"

Student: Mu'tassim Mahfouz

Supervisor: Dr. Mohammad Banat

Abstract

The current study concentrated on the phenomenon of poetic sparks in the poetic life of Ibn Nabata. The research focused on the abovementioned important phenomenon that distinguished Mameluki poets' era in general and Ibn Nabata in particular. Despite the fact that he has a number of long poems in the divan, he limited those poetic sparks to praise of achievements and feats especially those of kings, statesmen and other contemporary poets.

The study was based on the core hypothesis that the reason for the popularity of poetic sparks in the Mameluki era was its close connection with its themes despite the fact that the themes of the previously existing phenomenon in ancient Jahiliyya poetry were different from those in earlier eras.

The study mainly adopted the analytical descriptive method as well as the statistical method in order to reveal titles and subtitles under which the poetic sparks appeared in his divan in preparation for classifying them in this objective study. As for the selection of examples that portrayed the themes of these poetic sparks, they were analyzed following an artistic study with regard to language, style, artistic imagery and music.

The study concluded that poetic sparks are exclusive to Ibn Nabata who excessively produced and composed them especially in social poetry that is connected with public life. The poetic sparks may be considered as integrated poems in terms of artistic structure as well as the mastery of Ibn Nabata of the themes he addressed within the layers of his poetry.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّـلاة والسَّـلام على النَّبيِّ المصـطفى الأمين، وعلى آله وصـحبه أجمعين ومن سار على هديه واستنّ بسنَّته واقتدى بصحابته إلى يوم الدين، وبعد:

فموضـوع بحثي هذا هو "المُقطَّعات في ديوان ابن نباتة المصـري، دراسـة موضـوعيَّة وفنيّة"، حيث تشـمل هذه الدراسـة مقطّعات الشـاعر المثبتة في نسـخة ديوانه التي نشـرها محمد القلقيلي حيث طُبعت طبعةً حجريةً في مطبعة التمدن بمصـــر وصـــدرت الطبعة الأولى منها عام 1905، هذا بالإضـافة إلى بعض المقطّعات التي لم تُثبت في الديوان حيث اسـتخرجتها من كتابيّ الشـعر: (سـوق الرقيق) و(ســوق الفاضــل) وهما كتابان لا يزالان مخطوطين لمّا يحققا بعد، وقد أثبتُّ مجموعة المقطعات المستخرجة من هذه الكتب في الملحق رقم (3) من هذه الرسالة وأشرت إلى مواضـعها، أمّا كتاب الشـــاعر (القطر النباتي) وهو المخطوط الذي جمع فيه الشـــاعر مقطعات أغزاله فقد حاولت الحصول على نسخته المخطوطة ولكني لم أتمكن من ذلك.

وقد آثرت اختيار هذا الموضـوع لأسـبابٍ عديدةٍ بعضـها يتعلَّق بالأدب العربي في حقبة ابن نباتة، وبعضـها الآخر يتعلَّق بالشـاعر نفسـه. أمّا ما يتعلق بالأدب العربي في تلك الحقبة فقد لاحظت ومنذ مرحلةٍ مبكرةٍ من دراستي للأدب العربي أنه قد وقع بين مذهبين من مذاهب الدارسين: مذهبٌ قدح في تلك الحقبة وركّز دراسـته على مثالبها ومواضـع الضـعف فيها حتى وقع بعضـهم في المبالغة في الحطّ من شـأن الأدب في تلك المرحلة، ومذهبٌ ظهر كردّ فعلٍ على أولئك فركّز دراسـاته على إظهار محاسن تلك الفترة ومواضع الابتكار فيها، والحق أن هؤلاء وأولئك قد وقعوا في شيءٍ من المبالغة التي حادت ببعض الدراسات عن الصواب، فإنّ الأدب في تلك المرحلة حاله حال الأدب في سائر العصور تؤثر فيه الاضطرابات السياسية والاقتصادية والأحوال الاجتماعية والثقافية، ولكن هذا التأثير قد يكون

سلبيًا في بعض الجوانب وإيجابيًا في أُخرى، فمن الإنصاف أن تُدرس المرحلة دراسةً موضوعيةً بعيدةً عن الأحكام المسبقة والآراء المنحازة والافتراضات التي لا تقوم على بينة ودليل.

أمّا عن الأسباب المتعلقة بالشاعر فترجع لخصوصيته بين شعراء زمانه، فمن ناحية شعره وأدبه، فهو يمثل نموذجًا مميزًا بين شعراء زمانه –بشهادة معاصريه ومن جاء بعده– فهو أمير شعراء المشرق كما وصفه الدكتور عمر موسى باشا، حيث بذّ أقرانه وسبق أهل زمانه، ومن ناحيةٍ أخرى فقد تقلبت أحوال الشاعر في حياته بين رخاءٍ وشدّةٍ ما دفعه إلى التنقل بين الأمصار، وعايش في حياته طبقات المجتمع كافَّة، فجالس الملوك ومدحهم، وخالط العلماء وبادلهم القصائد والكتب، وجالس العامة وعرف أحوالهم وعاداتهم، هذا بالإضافة إلى غزارة انتاجه الأدبي خاصةً في فن المقطعات –الذي هو موضوع هذا البحث– ما يجعل ديوانه ينبوعًا لا ينبض ومرتعًا خصبًا للدراسات الأدبية التي لا تزال تستخرج منه كل جديد.

أمّا عن أهمية هذا الموضوع فترجع إلى أن أحدًا من الدارسين لم يدرسه بشكلٍ خاصٍ –فيما وصل إليه علمي– وإن كان شعر ابن نباتة قد دُرس من قبل، فجُلّ الدراسات التي بحثت به قد التفتت إلى قصائده الطوال دون المقطعات التي تعتبر من الظواهر الفنية الهامة في عصره، أمّا القلة من الأبحاث التي تطرقت للمقطعات في شعر ابن نباتة فقد درستها بشكلٍ جزئيٍّ أو عالجت فيها قضيةً محددةً، أمّا في هذه الدراسة فقد حاولت أن أدرس مقطعات ابن نباتة بشكلٍ أوسع محاولًا استجلاء موضوعاتها وخصائصها الفنية، محاولًا أن أُظهر من خلالها جانبًا من الحياة الاجتماعية والسياسية العامّة وجانبًا آخر من حياة الشاعر الخاصّة وعلاقاته بغيره من أدباء زمانه وأعيان عصره.

أمّا عن المنهج المتَّبع، فقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث كان هو المنهج الغالب على البحث في تحليل أبيات المقطعات وبيان مواضع الشواهد فيها، أمّا المنهجين الإحصائي والتاريخي فقد استخدمتهما في مواضع محدودةٍ من البحث.

وقد جعلت هذه الرسالة في مقدمة وتمهيدٍ وفصلين وخاتمة: ففي التمهيد ترجمة للشاعر مبينًا أبرز المحطات التي مر بها في حياته. وتطرقت لموضوع المقطعات من حيث التعريف والنشأة.

وفي الفصل الأول وقفت على أبرز الموضوعات التي قال فيها الشاعر مقطعاته في المديح والرثاء والغزل والإخوانيات والأغراض الشعرية الجديدة كوصف أرباب الحرف والصناعات، وما يقال للنقش على الأواني، وغيرها من الموضوعات التي نظم فيها الشاعر.

وفي الفصل الثاني درست مقطعات الشاعر من الناحية الفنية من حيث: اللغة والأسلوب وبناء المقطعات وصورها وموسيقاها.

وفي الخاتمة ذكرت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، ومنها:

- أن ظاهرة المقطعات في عصر ابن نباتة قد لاقت رواجًا واسعًا بين الشعراء عامةً وعند ابن نباتة خاصةً حيث ضمّ ديوانه ما يربو على 1460 مقطعة.
- توزعت مقطعات ابن نباتة على موضوعات الشعر كافةً ولكن موضوع المديح كان له النصيب الأكبر منها حيث زاد على ثلث المقطعات الموجودة في الديوان.
- لم يقتصر ابن نباتة في موضوعات مقطعاته على الموضوعات التقليدية وإنما توسع فيها ليشمل الموضوعات المستحدثة في زمانه.
- فيما يتعلق بالظواهر الفنيّة والأسلوبية فقد غلبت على مقطعات ابن نباتة السمات الفنية للشعر في زمانه من حيث كثرة استخدام المحسنات البديعية كالجناس والتورية ومن حيث التجديد بالألفاظ السائدة في زمانه والمعاني المستلهمة من بيئته.

أمّا بالنسبة للدراسات السابقة فقد اطلعت على كثيرٍ من الدراسات التي درست حياة ابن نباتة وشعره وأفدت منها، ولعل أبرز هذه الدراسات:

- التناص في شعر ابن نباتة المصري، وهي الدراسة التي صدّر بها د. عوض الغباري طبعة ديوان الشاعر، وهي دراسةٌ رصد فيها الباحث كثيرًا من مواضع التناص وأشكاله في الديوان، وقد أفدتُ منها في موضوعات الاقتباس والتضمين، والتوجيه، مع أنني اعتمدتُ التقسيم التراثية في الأدب ولم أبحث التناص بشكل خاص.
- شعر ابن نباتة المصري (ت 768هـ)، دراسة اسلوبية، رسالة ماجستير أعدت في قسم اللغة العربية في جامعة الخليل، إعداد الباحثة إيمان يونس صدقي الأطرش، 2015-2016، وقد أفدتُ منها في الدراسة الفنية في هذا البحث خاصةً فيما يتعلق بظاهرة التكرار في مقطعات الشاعر.
- اللوم ودلالاته في شعر ابن نباتة المصري (ت 768هـ)، رسالة ماجستير أعدت في قسم اللغة العربية في جامعة الخليل، إعداد الباحثة رنا عيسى أحمد مناصرة، 2014-2015.
- ديوان ابن نباتة المصري الفارقي (ت 768هـ)، دراسة فنية، زينب عبد الكريم، بحث محكّم منشور في مجلّة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، عدد 22، آب 2015.
- الخصائص الفنية لشعر ابن نباتة الشّاكي، أحمد صدقي ورفيقه، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)، السنة الأولى، العدد الأول، 2011.
- شعر ابن نباتة المصري (ت 768هـ)، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير إعداد الباحث يوسف السيد عودة إسماعيل، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، 2017.
- الشكوى في شعر ابن نباتة، إعداد وئام محمد سيد أحمد أنس، بحث محكّم منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الأول، محرّم، 1430 هـ، يناير 2009م.

التمهيد

ترجمة الشاعر

جمال الدين بن نباتة[1]

هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن نباتة، الفارقيّ الأصل، المصريّ المولد، الحذاقيّ الشافعيّ.

يُكنّى بأبي الفضائل، وأبي الفتح، وأبي بكر، وهي أشهر كُناه، وسبب الاختلاف في كنيته يرجع إلى كثرة ما مات له من الأبناء.

ولد في مصر في زقاق القناديل سنة ستٍ وثمانين وستمائة، ونشأ بالديار المصرية وبها تأدّب، واشتغل بفنّي النّظم والنثر، فكان نثره غايةً في الفصاحة سلك فيه منهج الفاضل[2]–رحمه الله– وحذا حذوه تفرّد بلطف النظم وعذوبة اللفظ وجودة المعنى وغرابة المقصد وجزالة الكلام وانسجام التركيب، وأمّا خطّه فأغلى قيمةً من الدرّ –لو رُزق حظًا– وأغزر من الغيث، إلّا أنّ الزمان أصبح قلبه عليه فَظًّا، ولو أنصفه الدهر كان للكُتّاب إمامًا ولو رقّاه رُتبًا يستحقها لغرّد سجعه حمامًا وانسجم لفظه غمامًا وطلع بدر فضله تمامًا[3].

وقد ظهرت موهبة ابن نباتة الأدبية في مراحل عمره المبكرة كأنّما هو خليقٌ لها، كيف لا وهو الذي تربى في بيت علمٍ ونشأ في مجالس الأدب حيث سمع من أبيه ومن جدّه شرف الدين ابن نباتة ومَنْ حَضَر مجالسهما، فقد رافقهما منذ نشأته إلى مجالس العلماء ومراتع الأدباء، ومن ذلك ما يُروى

---

[1] ينظر: العسقلاني، الدرر الكامنة، 216/4 وما بعده، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 234/1 وما بعده.

[2] عبد الرحيم بن علي بن الحسن، محيي الدين أبو علي وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي، وصاحب ديوان الإنشاء، ت 596، ينظر الصفدي، الوافي للوفيات، 201/8.

[3] الصفدي، الوافي بالوفيات، الجزء الأول، ص235.

أنّ والده دخل به على ابن دقيق العيد[1] وهو شـاب فبعث أباه في حاجةٍ وتركه عنده وكان الشـيخ في بيت كتبه يقول ابن نباتة: فناولني كتابًا فإذا هو في الأدب أحسـبه الذخيرة لابن بسّـام، فنظرت فيه فاسـتغرقت، فجاء أبي ولم أشـعر بمجيئه، فتعجب من تمكين الشـيخ إيايّ لنظري في كتبه، وكأنّ ذلك كشفٌ من الشيخ، فتولعت بالنظم من ذلك الحين[2].

أمّا عن شيوخه ومن أخذ عنهم العلم بالإضافة إلى سماعه من أبيه وجدّه شرف الدين ابن نباتة فقد سـمع من كثيرٍ من علماءِ عصـره، وأخذ عن كثيرٍ من أعيان زمانه، فقد سـمع السـيرة من الأبرقوهي[3] وتفرّد بها، وسـمع عن التقيّ عبيد[4]، وبهاء الدين ابن النّحاس[5]، وعبد الرحيم الدّميري[6]، وعبد العزيز بن الحجري، وأجاز لـه العزّ الحرّاني[7]، والفخر ابن البخاريّ، وزينب بنت مكيّ[8]، وابن

---

[1] محمد بن علي بن وهب بن مطيع تقي الدين أبو الفتح المصـري الشـافعي قاضـي القضـاة، (ت: 702)، ينظر القطبي، فوات الوفيات، 442/4.

[2] العسقلاني، الدرر الكامنة، 217/4.

[3] أحمد بن اسـحق بن محمد، أبو المعالي شـهاب الدين، عالم بالحديث والقراءات، (ت: 701)، ينظر ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، 6/4.

[4] عبيد بن محمد بن عباس بن محمد بن موهوب، تقي الدين الإسـعردي، برع في الحديث وكان من العارفين، (ت: 692)، ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، 282/19.

[5] محمد إبراهيم بن أبي نصر، نحوي عرف بشيخ العربية بالديار المصرية، (ت: 698)، ينظر القطبي، فوات الوفيات، 294/4.

[6] محيي الدين عبد الرحيم بن عبد المنعم المصـري، ت 695، انظر ابن العماد، شـذرات الذهب في اخبار من ذهب، 442/5.

[7] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام بن عبد الله الحرّاني، شـيخ الإسـلام تقي الدين ابن تيمية، ت 728، ينظر القطبي، فوات الوفيات 74/1.

[8] زينب بن مكي بن علي بن كامل الحراني، ام احمد، روت الحديث نيّفًا وسـتين سـنة، كانت عابدة صـالحة صـاحبة أوراد ونوافل وأذكار، (ت: 688)، ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات 42/14.

المُجاور[1]، وابن الزّين[2] وغيرهم، وكثيرٌ من هذه الأسماء يمكن أن نراها في مقطعات الشاعر التي مدح بها هؤلاء العلماء أو تبادل معهم الرسائل الإخوانية كما سيتبين لاحقًا في البحث.

ويمكن تقسيم مراحل حياته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول منها كان في مصر منذ ولادته وإلى باكورة شبابه حتى بلغ الثلاثين من عمره، وفيها تفتحت مواهبه الشعرية مبكرًا وظهر فيها نضوجه الأدبي واشتهر بين أدباء مصر وهي المرحلة التي طبعته بطابعها الفني طوال حياته ودائمًا ما كانت تظهر آثارها في مقطعاته – كما سيظهر من البحث –. والمرحلة الثانية التي بدأت بعد انتقاله إلى الشام سنة خمسة عشر وسبعمئة حيث كانت أكثر مراحل حياته نشاطًا وانتاجًا خاصةً في كنف الملك المؤيد[3] عماد الدين إسماعيل صاحب حماه الذي أكثر الشاعر من مدحه ثم مدح ولده الملك الأفضل ناصر الدين محمد[4] وعموم الأسرة الأيوبية التي عاش في كنفها أفضل أيام حياته كما يظهر في مقطعاته، والفترة الثالثة من حياة الشاعر تبدأ من عودته إلى مصر حيث استدعاه الناصر حسن في آخر عمره وهذه الفترة من حياته لم تشهد نتاجًا أدبيًا واسعًا لكون الشاعر كان فيها شيخًا كبيرًا خاملًا.

أمّا عن تلاميذه فقد كان لبعض علماء زمانه منه نصيب فسمع منه بعضهم وأجازَ آخرين، ومن ذلك إجازته للصلاح الصفدي[5] والمراسلات الطويلة التي دارت بينهما، والتي أثبتها الصفدي في ترجمته لابن نباتة.

---

[1] يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني، ابن الوزير الصاحب ابي يوسف ابن المجاور، (ت: 690)، ينظر الوافي بالوفيات، 167/29.

[2] محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي، القاضي تاج الدين، كان من جملة كتاب الدرج بباب السلطان، (ت: 747)، ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، 32/3.

[3] عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة، (ت: 732)، ينظر القطبي، فوات الوفيات، 183/1.

[4] محمد بن إسماعيل ابن الملك المؤيد عماد الدين بن علي عمر شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، (ت: 742)، ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، 160/2.

[5] صلاح الدين أبو الصفى خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي الشافعي، الإمام العالم الأديب البليغ الأكمل، (ت: 764)، ينظر ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، 434/8.

وقد ترك لنا من الكتب والمؤلفات والتصـــانيف الرائعة ما يشـــهد على علمه وعذوبة شـــعره، فبالإضـافة إلى ديوان شـعره العامر برائع النظم، فقد جمع كتاب "القطر النباتي" الذي اقتصـر فيه على مقطعات شـــعره، وهو لا يزال مخطوطًا لمّا يحقق بعد وقد حاولت الحصـــول عليه إلا أنني لم أجده، و"سـوق الرقيق" الذي اقتصـر فيه على أغزال قصـائده وهو لا يزال مخطوطًا كذلك، و"مطلع الفوائد"، و"زهر المنثور"، و"شرح رسالة ابن زيدون"، وغير ذلك من المؤلفات.

مات سـنة ثمانٍ وسـتين وسـبعمائة بالمارسـتان وله اثنان وثمانون سـنة ودُفن بمقابر الصـوفية بالقاهرة، رحمه الله تعالى.

المقطّعات: تعريفها ونشأتها

يعتبر فنّ المقطّعات في أدبنا العربيّ من الفنون القديمة التي سبق إليها اللِّسان العربي في بواكير أشـــعاره، وبزغ نورها مع الخيوط الأولى لفجر نظمه، حتى غدا نوعًا أدبيًا فريدًا ونمطًا شـــعريًا مميزًا له قواعده وأُصـوله التي تميزه عن غيره، وللوقوف على تعريف هذا المصـطلح لابد من الإشارة إلى دلالتيه المعجمية والاصطلاحية.

- **الدلالة المعجمية:**

يقول ابن فارس في معجمه: "قَطَعَ: القاف والطاء والعين أصلٌ صـحيحٌ واحدٌ يدُلُّ على صرمٍ وإبانةٍ شـــيءٍ من شـــيء... والمقطّعات: الثياب القصـــار... وكذلك مقطّعات أبيات الشّـــعر... ومُنقطَعَ الرّمل ومقطّعهُ حيث ينقَطع"[1].

أمّا الزمخشريّ فيذكر أنّ "المقطّعات: ثيابٌ قصار، وجاءَ بمقطّعاتٍ من الشعر وبمقطوعةٍ وقطعةٍ، وما عليها مِنَ الحليّ إلّا مُقطّع: شيءٌ يسيرٌ من شَذَرٍ ونحوه"[2].

---

[1] ابي الحسين، مقاييس اللغة، مادة (ق ط ع).

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، مادّة (ق ط ع)، ج2.

ويذكر الفيروز آبادي في معجمه معنىً قريبًا مما ذُكر، حيث يقول "قطَعَهُ، قطَعًا ومقطعًا: أبانه... والمقطعة والمقطّعات: القصار من الثياب... ومن الشعر قِصاره... والقُطع: بئرٌ ينقطع ماؤها سريعًا"[1].

أمّ ابن منظور في اللّسان فيقول في مادة "قَطَعَ"، "القطعُ": إبانة بعض أجزاء الجُرم من بعضٍ فصلًا، قطعه يقطَعُهُ قطعًا وقطيعةً... ومقطعُ كُلَ شـــيءٍ ومنقطَعَهُ آخره حيث ينقطع كمقاطع الرمال والأودية... ومُقطّعات الشـيء طرائقه التي يتحلل إليها ويتركب عنها كمقطّعات الشّعر ومقاطيعه... وأقطَعَ الشاعر: انقطع شعره"[2].

وبالتدقيق في التعريفات السابقة نراها تحومُ حولَ معانٍ رئيسةٍ ثلاثةٍ، وهي: الإبانة والفصل، القصر، بلوغ الشيء آخره ومنتهاه.

وعلى ضـوء ما سـبق من المعاني اللُّغوية أنتقل إلى آراء بعض نقادنا في وضـع حدودٍ لمصـطلح "المقطّعات الشعرية" في محاولة لربط هذه التعريفات بما سبق من معانٍ لغوية محاولًا استجلاء حقيقة هذا الفن.

- **الدلالة الاصطلاحية**

يقدم الباقلاني تصـوّره الذي بناه على اسـتقراء كلام العرب حيث يقول: "والعرب تسـمي البيت الواحد يتيمًا، وكذلك يقال "الدّرة اليتيمة" لانفرادها، فإذا بلغ البيتين أو الثلاثة فهي "نتفة"، وإلى العشـرة تسـمى "قطعة"، وإذا بلغ العشـرين، اسـتحقّ أن يسـمى "قصـيدًا" وذلك مأخوذٌ من المخ القصـيد وهو المتراكم بعضه على بعض"[3].

---

[1] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (ق ط ع).

[2] ابن منظور، لسان العرب مادة قطع، 274/8.

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص257.

والرَّأي المذكور آنفًا مبنيّ على مقياس حجم القطعة وعدد الأبيات، فهي عنده ما تراوح عدد أبياتها بين ثلاثةٍ إلى عشرة.

ويوافقه في اعتماد هذا المقياس – بشـــيء من الاختلاف – ابن رشـــيق حيث يقول: "إذا بلغت الأبيات سبعةً فهي قصيدة، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة أبياتٍ غير عيبٍ عند أحدٍ من الناس، ومن الناس من لا يعُدُّ القصيدة إلّا ما بلغ العشرة أو جاوزها ولو ببيتٍ واحدٍ، ويستحبون أن تكون القصيدةُ وترًا، وأن يُتجاوز بها العقد أو توقف دونه، وكُلُّ ذلك ليدلّوا على قلّةِ الكلفة وإلقاء البال في الشـــعر"[1]. فالباقلاني وابن رشـــيق يُجمعان على أنّ المقياس الأبرز للتفريق بين المقطّعات والقصـــائد هو الحجم وعدد الأبيات، وهم إن اختلفا في تحديد عدد الأبيات ولكن ابن رشيق قد أضاف إلى الحجم مقياسًا فنيًا ولو بشكلٍ جزئيٍ حين علل بأن الإيطاء غير معيب في ما زاد عن السبعة أبياتٍ.

وكذلك القرطاجنّي فقد اعتمد مقياسًا فنيًا حيث يقول: "فأمّا من لا يقوى من الشعراء على أكثر من أن يجمع خاطره في وصف شيءٍ بعينه، ويحضر في فكره جميع ما انتهى إليه إدراكه من صفاته التي تليق بمقصـــده، ثم يرتب تلك المعاني على الوجه الأحســـن فيها، ويلاحظ تشـــكيلها في عباراتٍ منتشرة، ثم يختار لتلك العبارات من القوافي ما تجيء فيها متمكنةً، ثم ينظم تلك العبارات المنتشرة من غير أن يستطرد من تلك الأوصاف إلى أوصافٍ خارجةٍ عن موصوفها، فهذا لا يقال فيه بعيد المرامي في الشعر، وهؤلاء هم المقطعون من الشعراء"[2].

فرأي القرطاجنيّ هذا وإن كان ذكره في معرض تقســـيم الشـــعراء وبيان أحوالهم إلّا أنه قد جمع فيه الأركان التي تجعل من المقطّعةِ عملًا فنيًا تامًّا ونوعًا قائمًا بذاته لا يتداخل مع غيره، فأول ما يتطرق إليه وحدة الموضوع والإحاطة بالفكرة التي أراد أن يبثها في عمله الفني، ثم يتطرق إلى قضية المعاني

---

[1] ابن رشيق، العمدة، 302/1.

[2] القرطاجني، منهاج البلغاء، ص324.

والألفاظ من حيث انتقاء الشـاعر للمعاني وترتيبها على الوجه الأحسـن ثم تفريغها بقوالب الألفاظ التي تعبر عنها ضـمن منظومة متسقةٍ مع القوافي التي ينتقيها لتكتمل له بذلك أركان البناء الفني الذي يقيم عليه نظمه فيثمر عملًا فنيًا مكتملًا.

وبناءً على ما سبق فقد لاحظ الباحث الارتباط بين المعنى اللغوي الذي يدل على القطع بمعنى بلوغ الشـــيء آخره ومنتهاه، وبين بلوغ القطعة الشـــعرية غايتها واكتمالها الفني مع قصـــرها "فيكون الاكتمال الفني مع القصر ملمحًا" أصيلًا في تحديد المقطعة"[1].

وبالنظر إلى تجربة ابن نباتة في هذا المجال –وكما ســـيتبين في البحث– فإن جلّ مقطعاته تدخل في باب الأعمال الأدبية المكتملة فنيًا، وبناءً على ما ســـبق ولاعتباراتٍ متعلقةٍ بمنهج البحث ووحدة المصطلح فيه سأستخدم مصطلح "المقطّعات" في هذا البحث للدلالة على كافّة أشكال هذا النوع الأدبي بما يشـــمل النُتف بحيث هي جزءٌ من المقطعات على اعتبار قصـــرها وبذلك يكون مجال هذا البحث كافة مقطعات الشاعر التي تتراوح أبياتها بين بيتين وسبعة أبياتٍ.

نشأة المصطلح:

يكاد يجمع المؤرخون للأدب العربي على قِدَم هذا النوع الأدبي وأصـالته في أدبنا العربي وعلى أوليته وسبقه بين فنون الشعر المختلفة وكونه شكّل بواكير الأعمال الشعرية لأوائل شعراء العرب ومنه تطورت أعمالهم، فابن قتيبة يذكر هذه الحقيقة بشـكل عابر دون الخوض في تفاصـيلها حيث يقول "لم يكن لأوائل الشـعراء إلّا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة"[2]. أمّا ابن سـلام فإنه بعد أن يقرر أولية هذا الفن يحاول أن يضـــع تحديدًا زمنيًا لمرحلة تطور الشـــعر من المقطّعات إلى القصـــائد

---

[1] بدران عبد الحميد محمد، المقطعات الفنية أصولها وسماتها الفنية، ص53.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 104/1.

وذلك في قوله: "لم يكن لأوائل العرب من الشـــعر إلّا الأبيات يقولها الرجل في حاجته وإنما قُصّـــدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف"[1].

وبغض النظر عن الخلاف الذي يدور حول مراحل تطور الشـعر بسـبب قلة ما في أيدينا من مصـادر وروايات تحدد زمانه إلّا أنّ مسألة أولية المقطّعات بين فنون الشـعر تكاد تكون محل إجماع، ولعلّ سبب هذا الإجماع يرجع إلى خصـائص هذا الفن وسماته وإلى طبيعة الإبداع الإنساني وتطوره، فابن رشد في ترجمته لكتاب أرسطو ينقل هذا الرأي بشيءٍ من التفصيل القائم على المُحَاجَجَة والبراهين المنطقية على عادة الإغريق حيث يقول: "فإذا نشـأت الأمّة تولدت فيها صـناعة الشـعر من حيث إنّ الأول يأتي منها أولًا بجزءٍ يســـير، ثم يأتي مَن بَعده بجزءٍ آخر، وهكذا إلى أن تكتمل الصـــناعة الشعرية... والأنقص من الأشعار والأقصر هي المتقدمة بالزمن لأنّ الطباع أسهل وقوعًا عليها أولًا... والدليل على أنّ هذه الأنواع أسـبق إلى النفوس أنّ الناس عند المنازعات قد يرتجلون مصـاريعَ من هذه في مجادلاتهم وذلك عند الحرج"[2].

ولعل هذا القول بالإضـــافة إلى تقريره لحقيقة أولية فن المقطّعات يشـــير إلى بعض عوامل انتشـاره وبقائه حتى بعد تطور الشـعر إلى القصـائد الطوال، فالعامل الأول مرتبطٌ بطبيعة هذا الفن من حيث قربه للسـجية الإنسـانية وسـرعة قبول الطبع له وسـبقه بالتأثير في النفوس، أمّا العامل الثاني فهو مرتبطٌ بالغاية التي يراد له أن يؤديها وهي الإبانة عن حاجة قائله والإفصـــاح عن ما يدور في ذهنه بأقرب الطرق وأقصرها، وأوقعها في النفس أثرًا وأكثرها للعقل إقناعًا، وأسرعها بين الرواة انتشارًا وتناقلًا، وهذه العوامل كانت متصـورةً بوضـوحٍ لدى شـعراء العرب بل لدى فحول شـعرائهم، فقد علل بها بعضـهم توجهه من طوال القصـــائد إلى قصـــارها، حيث "قيل للفرزدق: ما صـــيَّرك إلى القصـــائد القصـــار بعد

---

[1] ابن سلَّام، طبقات فحول الشعراء، 26/1.

[2] ابن رشد، تلخيص كتاب الشعر، ص65.

الطِّوال؟ فقال: لأني رأيتها في الصُّـــدور أوقع وفي المحافل أجول... وقول الحطيئة لأنها في الآذان أولج وبالأفواه أعلق... وقيل لبعضـــهم مالك لا تزيد على أربعةٍ واثنين؟ قال: هُنّ بالقلوب أوقع وإلى الحفظ أسرع، وبالألسن أعلق، وللمعاني أجمع، وصاحبها أبلغ وأوجز"[1].

ولعلّ الظروف التي مرَّت بالشُّـــعراء خلال الحقبة المملوكيَّة من كثرة تقلب الأحوال وتزاحم الحاجات هو ما شــكل تربةً خصــبة لهذا النوع الأدبي ليزدهر من جديد، فيمكن أن نلاحظ من خلال تقليب صــفحات ديوان ابن نباتة أنه كان يميل في ديوانه الكبير إلى نظم المقطوعات على اعتبار أنها أكثر تصــويرًا لما في نفوس الشــعراء من إبراز المعاني اللطيفة، ولذا فإننا نجد أنه أكثر من النظم في المثاني والمثالث والخماسيات والسبعة السيارة، كما أن هناك مقطوعات من أربعةٍ أبيات أو ستةٍ وردت في ديوانه وهذا يظهر لنا من خلال العدد الكبير للمقطوعات التي نظمها والبالغة 1464 مقطعة ، وما من شــكٍّ في أن هذه الظاهرة –أي نظم المقطوعات– كانت رائجةً في عصــره بشــكلٍ كبيرٍ، وتهافت الشعراء على النظم فيها حبًا في توظيف الصبغ البديعي والعناية بالتورية والتشبيه والوصف، فكان كل واحدٍ منهم يبحث عن تشـــبيهاتٍ مبتكرةٍ وألوانٍ بديعيةٍ ينظمها على عجلٍ في عدة أبيات، وهذا ما يلاحظه القارئ في دواوين عددٍ كبيرٍ من الشعراء أمثال: سراج الدين ابن الوراق، الحسين ابن الجزار، مجير الدّين ابن تميم، زين الدين ابن الوردي وأضرابهم من الشعراء وهو ما سيتبين لنا من خلال دراسة مقطعات ابن نباتة كما سيأتي في البحث ان شاء الله.

---

[1] العسكري، الصناعتين، ص174.

الفصل الأوَّل

الدراسة الموضوعية

أولًا: المديح

ثانيًا: الإخوانيات

- **التهاني**
- **التعازي**
- **العتاب**
- **التَّهادي**
- **مجالس الأصدقاء والندماء**

ثالثًا: الغزل

رابعًا: الشكوى

خامسًا: المجون

سادسًا: الوصف

سابعًا: الأغراض الشعرية المُستحدثة

- **الألغاز**
- **الغزل بأرباب المهن والصنائع**
- **ما يُنظم للنقش على الأواني والأدوات**

ثامنًا: الشعر الاجتماعي

- **طلب الطعام**
- **وصف اللباس**
- **السخرية**
- **تقريظ الكتب**

تاسعًا: الرثاء

عاشرًا: الفخر

قبل الولوج في الدراسة الموضوعية والخوض في غمارها لا بُدّ وقفةٍ مقتضبةٍ مع فكرة التقسيم الموضوعي للشعر في الأدب العربي، وذلك لأنّ النقاد والباحثين في أدبنا العربي منذ القدم قد اعتادوا تقسيم الشعر بناءً على موضوعاته بهدف تمييزه وتيسير دراسته، وهذا التقسيم لم يكن مرتجلًا أو عشوائيًا، بل كان قائمًا على أساس استقراء النصوص الشعرية وملاحظة الغاية التي قيلت من أجلها، والحالة الفكرية والشعورية التي دفعت الشاعر لإنتاجها، وفي هذا الصدد يستعرض ابن رشيق جملةً من الأقوال وآراء العلماء في مسألة التقسيم الموضوعي للشعر حيث يقول: "وقال بعض العلماء بهذا الشأن: بُني الشعر على أربعة أركان، وهي: المدح، والهجاء، والنسب، والرثاء، وقالوا: قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب، فمع الرغبة يكون المديح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقّة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع... وقال قوم يجمع أصناف الشعر أربعةٌ: المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو ثم يتفرع من كُلّ صنفٍ من ذلك فنون..."[1].

وكذلك كان حال مقطعات ابن نباتة في ديوانه حيث شملت موضوعات الشعر العربي التقليدية كافةً بل وتعدّتها إلى موضوعاتٍ حديثةٍ استجدت في زمان الشاعر أو قبيله فكان شاعرنا من المبادرين دومًا بتلقف كل ما هو جديد والابداع فيه، كما سيظهر لاحقًا في الدّراسة. وبناءً على كثرة موضوعات مقطعات الشاعر فسوف أرتبها في هذا الفصل بحسب أعدادها مبتدئًا بالمديح الذي شكل أكثر مقطعات الشاعر بناءً على أعدادها في كل موضوعٍ.

[1] ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص194.

أولًا: المديح

يعتبر المديح من أبرز الموضــوعات الشــعرية ومن أقدمها ظهورًا بل إنّ فكرة المدح من حيث هي ظاهرةٌ إنســانية قد ســبقت الشــعر الذي هو مرحلةٌ متقدمةٌ من الفنون التي عبر بها الإنســان عمَّا يدور في وجدانه، وبالإضــافة إلى اتخاذ هذا النوع من الشــعر وسـيلةً يكتسـب بها الشـعراء أرزاقهم من خلال مدحهم للملوك وذوي الســـلطان، فقد كان للحياة القبلية عند العرب قديمًا أثرٌ في نمو هذا الموضــوع وازدهاره فكثيرٌ من شــعراء القبائل وظّفوه في إظهار الصــفات المحمودة في ممدوحيهم من قبائلهم وغيرها وإعلاء شأنهم لإظهار فضل القبيلة ممثلةً برموزها على من سواها من القبائل.

ومع بزوغ فجر الإســـلام بقي هذا النوع من الشـــعر قائمًا وقد عمدت كثير من الشـــعراء إلى توظيفه في خدمة الإســلام كمدحهم للرســول – صــلى الله عليه وســلم – وآل البيت، حيث نظمت فيه الكثير من القصائد وتنافس فيه الفحول من الشعراء، وأُفردت له الأبواب الخاصّة في كتب الأدب.

وبالنسبة لشاعرنا ابن نباتة فقد كان له من هذا الفن نصيبٌ وافر، وتبوأ فيه بين أقرانه وشعراء زمانه مكانًا عليًّا، فالناظر إلى ديوانه يرى أنّ باب المديح قد نال عند شــاعرنا حُظوة جعلته يغلب على ما ســواه من موضــوعات الديوان، حيث بلغ مجموع المقطعات التي قيلت في المديح بشـكلٍ عام 437 مقطعة أي أن أكثر من ربع المقطعات الواردة في ديوان الشـــاعر قد جاءت في هذا الباب لذلك حقّ تقديمه في الدراســـة على ســـائر الموضـــوعات الأخرى، إلا أن المديح النبوي لم يكن له في مقطعات الشـاعر نصـيبٌ كبير حيث لا يوجد سـوى مقطعتين فقط قالهما الشـاعر في المديح النبوي، وليس ذلك لقصورٍ عند الشاعر أو لعجزٍ فيه عن الإتيان بالمدائح بمقطّعاتٍ قصيرة، وإنما ذلك لعلمه بفنون الشعر وإدراكه لحقيقة المدح، وأنّ "الإجادة في صـــناعة المديح يكون بعملها في الأعاريض الطويلة لا في

القصـــيرة"[1]، ولكن مقام الممدوح يحتّم على الباحث أن يقدم ذكره على كل ما ســـواه فيبتدئ به بحث موضوع المديح.

ظهر المديح النبوي منذ بداية ظهور الإسـلام، فمع المواجهة الأولى بين المسـلمين والمشـركين كان الشـعر حاضـرًا كسـلاحٍ فاعلٍ يدفع به شـعراء المسـلمين الأذى عن الإسـلام ونبيّه ويصـدعون به بالحق الذي أُرسل به هذا النبي الذي تشرفت أشعارهم بمدحه، وقصائد حسان بن ثابت وكعب بن زهير وأضرابهما–رضـي الله عنهم جميعًا– أشـهر من أن تذكر، وأظهر من أن تُفَصّل، واستمر هذا النوع من الشعر ينمو ويتطور عبر العصور الإسلامية المختلفة وصولًا إلى عصر شاعرنا ابن نباتة حيث ازدهر هذا النوع في عصـــره وكَثُرَ بين شـــعراء زمانه، ولعل ذلك يرجع إلى عوامل عدة ســـاعدت في ذلك، "فاضـطراب الحياة السـياسـية في معظم الأحيان .... وسـوء الحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها، وتدهور الأوضـاع الاقتصـادية لأسـبابٍ كثيرةٍ، وجثوم الخطر على البلاد من قبل الأعداء الطامعين في الشــرق والغرب... هذه العوامل جعلت الناس يتشــفعون بالرســول الكريم ليدفعوا عن أنفســهم ما يحل بهم"[2]

هذا على الصعيد العام، أمّا بالنسبة لشاعرنا فقد كان له من الأسباب الخاصّة –إضافةً إلى ما سبق من الأسباب العامة– ما يدفعه إلى هذا النوع من الشعر، فقد عاش في كثيرٍ من مراحل حياته في ضـيق رزقٍ وكثرة عيالٍ وعوزٍ ظهر جليًا في كثيرٍ من أشـعاره ما دفعه إلى كثرة التنقل والاغتراب، وإذا أضفنا على ذلك موت أبنائه في حياته علمنا مدى حاجة الشاعر إلى معينٍ يفزع إليه وركنٍ شديدٍ يأوي إليه، فكان المديح النبويّ هو الحبل المتين الذي يتمسك به عند تلك النوازل.

---

[1] ابن رشد أبو الوليد، تلخيص كتاب الشعر، ص67.

[2] باشا، الأدب في بلاد الشام، عصور الزكيين والأيوبيين والمماليك، ص466.

وعلى الرغم من قلة نصـــيب الشـــاعر من المدائح النبوية في مقطعاته إلا أنه أجاد في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم، في مقطعّته حيث يقول:

مزجـت بتـذكـار العقيق بكـائي ... وطـارحـت معتـلّ النســـيم بـدائي
وإن حـدثـت العـذال عنى بســـلوةٍ ... فـإنّـي وعـذالـي من الضـــعفـاء
ولـيس دوائـي غيـر تربـة أحمـدٍ ... بطيبـة عـالٍ فوق كُـلّ ســـمـاء
تطوف بمســـراه الملائـك خُشّـــعًـا ... مســاءَ صــباحٍ أو صــباحَ مســاء
فهـل لي إلى أبيـات طيبـة مطلعٍ ... به مخلص لي من إســـار شـــقائي
أصـــوغ على الـدّر اليتيم مـدائحًـا ... أُعدُّ بهـا من صـــاغـة الشـــعراء
ببيـت زهير حيـث كعـب مبـاركٌ ... وحســـان مـدحي ثـابتٌ ورجـائي[1]

فالشاعر يفتتح أبياته بذكر ديار العقيق والأماكن التي تشرفت بمرور الرسول – صلى الله عليه وسلم – بها، ثم ذِكر دائه الذي يحتاج إلى دواء ثم ينتقل في مشهد يبرُزُ فيه حسن التخلص وسلاسة الانتقال إلى موضوع أبياته وهو مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، ليبين أنّ شفاء دائه ليس بالبكاء على الأطلال، وإنما هو بتربة طيبة مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم ومسكنه، هذه المدينة التي يمثل بلوغها بالنسبة للشّاعر الشّفاء والتحرّر من قيود الشّقاء، ويلاحظ في البيتين الأخيرين أن الشاعر استطاع أن يخرج من ضيق مساحة المقطعة إلى سعة معاني المدح من خلال استحضار قصائد فحول الشعراء من الذين مدحوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فمقام المقطّعات لا يتيح للشاعر مساحةً كافيةً لذكر صفات الممدوح وبيان مناقبه والثناء عليه ولكن هذا الاستدعاء لقصائد كعبٍ وحسان يستحضرُ كلّ ما جاء فيهما من معاني المدح فيوظفها شاعرنا في خدمة غرضه وبلوغ غايته.

[1] مقطعة رقم (1).

ومن المواضع الأخرى التي يمدح بها الشاعر النبي، صلى الله عليه وسلم، في مقطّعاته قوله:

نبيّ الهدى في موقف الحشر شافعي وهذا الأمير اليوم في العالم منجدا
فيا فوز آمالي وفوزي إذا غدا شفيعي في هذا وهذا محمدا[1]

هذان البيتان وإن كانا قد وردا في مدح الملك الأفضل "محمّد" إلّا أن الشاعر قد أجاد فيهما بدمج موضوعين من الشعر في بيتين وأبدع برسم صورتين لموقفين بعيدين يقعُ كُلٌّ منهما في عالمٍ مختلفٍ عن الآخر ثم يربط بينهما ربطًا فريدًا حين يبينُ أنّ المخلص في الحالين هو "محمد"، ففي شطر البيت الأول يرسم صورةً لموقف الحشر حيث تُنتظرُ شفاعةُ النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، نبي الهدى، وفي الشطر الثاني يرسم صورة الأمير محمد الذي ينتظر عطاءه، فإذا كانت شفاعة الرسول مأمولةً ومرجوّة بحيث لا يُحرم منها المؤمنون فكذلك عطاء الأمير مبسوطٌ للشاعر.

ويلحق بالمدائح النبوية أيضًا مدائح آل البيت عليهم السَّلام، وهذا النوع من المديح كان موجودًا كذلك قبل زمان شاعرنا بل هو قديمٌ قِدَم المديح النبوي، ثم استمر في زمان شاعرنا فكان له منه نصيب ومن ذلك قوله يمدح الحُسين رضي الله عنه:

أصبحت لم أخشَ للزمان أذىً وشافعيُّ الزمان لي شافع
حيتك قاضي القضاة من مدحٍ نجوم حمدٍ سعيدة الطالع
وجاء قبر الإمام سيدنا الحـ ـسين صوبٌ من الرضا هامع
ذاك الحسين الذي مضى فأنا لا هو ظامٍ إلى اللقا جائع
ذاك الذي كنت من عوارفه أسند عن عاصمٍ وعن المنى نافع
مباشرو الجامع الذين هم صحبي ولكن على المنى مانع
لولا نداك العميم يشملنا ما كان بيني وبينهم جامع[2]

---

[1] مقطعة رقم (2).

[2] مقطعة رقم (733).

يمكن أن نلاحظ أن الشاعر قد دمج بين أكثر من موضوعٍ في ذات القصيدة حيث يتوسل – هنا– بمدح الحسين بن علي رضي الله عنهما ليصل من خلاله لمدح قاضٍ القضاة واستدرار عطائه فكما أنّ الشاعر كان في عصمةٍ عن المسألة وفي حالةٍ من نوال المنى بفضل بركة الحسين، عليه السلام، فهو يؤمل أيضًا أن ينال المنى هو وصحبه من مباشري مسجد الحسين بفضل ندى قاضي القضاةِ وعطائه.

وفي هذا المعرض تجدر الإشارة إلى أنّ ظاهرة الاستعانة بمقامات أهل البيت والتبّرك بزيارتها قد شاعت في زمانِ الشاعر وانتشرت بين العّامة حتى امتدت لتطال الشُّعراء والأدباء أحيانًا، ولعل شيوع هذه الظاهرة في تلك المرحلة يرجع إلى أمرين: أولهما أن مصر والشام كانت قد خرجت حديثًا من حكم الدولة العبيدية ولمّا تتعافى بعد من بعض الأفكار المغالية فيما يتعلق بآل البيت ومقامات الأولياء على الرغم من تعافيها من أكثر هذه الأفكار بفضل الجهود الإصلاحية التي بذلها صلاح الدين الأيوبي. وثانيهما انتشار الفكر المتصوف الذي يميلُ إلى التبرك من مقامات الأولياء ونسبة المعجزات إلى أهلها حيث نلمح في أدبنا في تلك المرحلة "ما يشعر بطغيان هذه الموجة العارمة من التصوّف الذي شمل بعض السلاطين وكثيرٍ من العلماء الذين أيدّوه"[1]، وبالرغم من أنّ شاعرنا قد كان له منه نصيبٌ إلّا أنّه لم يقع في الغلو الذي وقع فيه بعض شعراء زمانه، ومثل ذلك يقال في حقّه فيما يتعلق بالمدائح النبوية، فإن بعض شعراء عصره قد صاروا "يصفون النبيَّ محمدًا، صلى الله عليه وسلم، بصفاتٍ تُخرجه عن صفات البشر من القول بأنّ جسده نورٌ حقيقيّ... والقول بأنّه كان يرى من ورائه كما يرى من أمامه ويرى في الظلمة كما يرى في الضوء"[2] وغيرها من الصفات التي قد ثبت بعضها في نصوصٍ شرعيةٍ كالحديث الذي يبيّن أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– يرى من خلفه

---

[1] باشا، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص155.

[2] المصدر نفسه، ص156.

في الصــلاة وبعضــها الآخر لم يثبت له أصــلٌ شــرعي ولم ينســبه النبي لنفســه ولا نســبه له أحدٌ من الشعراء الذين مدحوه في عصره.

وأما الصفات التي نسبها الشاعر للرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذه المقطعات فهي كما تبيّن صفاتٍ قد ثبتت للرسول –صلى الله عليه وسلم–.

وإذا انتقلنا في موضوع المديح إلى مدائح الشاعر في غير النبي –صلى الله عليه وسلم– وأهل بيته فيمكن أن نقرّر الحقيقة التي ثبتت لنا من خلال إحصـــاء مقطعات المدح التي زادت على ربع المقطعات في الديوان –كما بيّنت سابقًا–، وهذه الحقيقة يقرها الشَّاعر ذاته حيث يقول:

قضـــيت العمر مَـدّاحًـا وهـذا يـا أخـي الـحـال
فـقـيـر الـوجــه والـكـف فــلا جــاهٌ ولا مــال[1]

شكلت مقطعات الشاعر انعكاسًا صادقًا لمسيرة حياته، فهو قد قضى ربيع عمره وخير أيامه في كنف الملك المؤيد – كما ســبق في ترجمة حياته– فعاش في ظل الملك الذي كفاه مؤونته ورعى موهبته، فكان من الطبيعي أن يبادله بهذا الإحسان إحسانًا، وبهذا العطاء مدحًا فتكون أكثر مقطّعاته في مدح المؤيد وأسرته.

وبالنظر في مدائح الشــاعر للمؤيّد وجد الباحث أنّ صــفات الممدوح تدور حول معانٍ ثلاثة: الكرم والعلم والبأس، "فلا تخلو مقطعةٌ من وصف مكارمه، والإشادة بعلمه وأدبه، ومدحه بالشّدة والباس والبطش"[2].

---

[1] مقطّعة رقم (1073)

[2] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص241.

ففي بعض المقطّعات يرى الباحث أن الشاعر يبرز إحدى هذه الصفات ويجعلها محور أبياته، ومن مثل ذلك قوله:

يـا أيهـا الملـك المربي برؤيتـه عن كُلّ فضـلٍ سـمعناه من الأول
كم جملةٍ وصـلت لي من نداك وكم تفصـيلةٍ ألبسـتني أجمل الحلل
لقـد غـدت فِكَر الأمـداح جـائزةً بين التفاصـيل من نعماك والجمل[1]

فالشاعر لفرط ما يجده من كرم الملك وعطائه يرى أن رؤيته تزيد عن فضل كُلّ من سبقه من الأولين، فإذا كانت رؤيته هكذا فكيف يكون عطاؤه؟! هذا العطاء الذي يصـل إلى الشـاعر مجملًا ومفصلًا فتتفق معه معاني المدح وجمله.

وفي مواضع أخرى يجمع الشاعر بين صفتين من صفات ممدوحه كقوله:

يا ملكًا تقصـر عن وصـفه بـدائع الشـاعر والكـاتـب
في بابك العلم وفيض الندى فلا خلا بـابـك من طـالـب[2]

فالشـاعر لم يستهلّ بيتيه بذكر صـفات الممدوح ولم يُطل في تعدادها؛ وذلك لأن بدائع الشـعر والنثر تعجز عن ذلك، ثم ينتقل في البيت الثاني لتعليل سـبب ذلك القصـور في الوصـف وهو أنّ الممدوح قد حاز من صـفات العلم والكرم ما يجعله قبلةً للطالبين، فهم بين طالب عطاء وطالب علمٍ جاء لينهل من علم الممدوح، ولعل وصـف الشـاعر لممدوحه بالعلم ليس فيه مبالغةٌ أو خروجٌ عن صـفات الممدوح الحقيقية، فهو –كما يَظهر من سيرة حياته– كان محبًا للعلم راعيًا لأهله حريصًـا على جمع مصـادره ويشـهد له بذلك شـاعرنا حين يذكر مؤلفاته وحرص الملك على اقتنائها فيقول في بعض

---

[1] مقطّعة رقم (988).
[2] مقطّعة رقم (118).

مراسلاته "وأمّا مصنفاتي التي هي كالياسمين لا تساوي جمعها، ولولا جبر الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية لها ما استجزت نصبها ولا رفعها..."[1]

وفي موضع آخر من مدائحه للمؤيد يجمع له صفات الكرم والعلم والشجاعة معًا في مقطّعةٍ واحدةٍ كما في قوله:

وغيداء يعزى طرفها لكنانةٍ ومعطفها الميادُ يعزى إلى النضر
حمت ثغرها راشفٍ بلحاظها كذلك سيوف الهند تحمي حمى الثغر
كأن جفوني حين تسفح بالبكا على حبها كفُّ المؤيد بالتبر
رعى الله أيام المؤيد إنها ولا برحت فينا مواسم للدهر
مليكٌ تساوى علمه ونواله كأنهما بحران جاءا على بحر
مليك العلا بشراك بالعيد مقبلًا وبشرى الورى من سحب كفيك بالعشر
وهنت بالفطر الذي قام ناحرًا عداتك حتى أشكل الفطر بالنحر[2]

لعل هذه الأبيات من أروع المقطعات التي قالها الشاعر في مدح المؤيد، فجمع له بأسلوبٍ عجيب ونظمٍ فريد أجلّ ما يُمدح به من صفاتٍ في بضع أبيات، فقد استهل الشاعر أبياته بالنسيب فذكر المحبوبة حيث طرفها كنانةٌ تجمع سهام رموش عينيها، أمّا لحاظها فهي أسيافٌ تحمي ثغرها الراشف، ثم يوري بهذا الثغر لثغور الحرب لينقل السامع من النسيب لأجواء الحرب توطئةً لبيان شجاعة ممدوحه، وفي مستهل هذه الأجواء يُعرّج على كرم الممدوح فكفه يجود بالذهب كما تجود عيون الشاعر بالبكاء على حبه لمحبوبته، ومع ذلك فالممدوح ليس بحرًا في الكرم فحسب بل هو بحرٌ في العلم كذلك فعلمه يتساوى مع نواله، ثم يختم الشاعر أبياته من حيث بدأت حيث يهنئ الممدوح بعيد

---

[1] الصفدي، الوافي بالوفيات، 239/1.

[2] مقطّعة رقم (422).

الفطر هذا العيد الذي أشكل على الشاعر أهو عيد الفطر أم عيد النحر لكثرة ما نحر فيه الممدوح من الأعداء تأكيدًا على شجاعته وقوته وبأسه.

وعلى المنوال ذاته يغزل الشـــاعر مدائحه في الأســـرة المؤيدية حتى بعد وفاة الملك المؤيد، فيمدح ابنه الملك الأفضل بما مدح به سلفه من المحامد، ولعلّ هذه المدائح من أصدق ما قاله الشاعر في حياته، وبالإضافة إلى ما يظهر فيها من صدق الوصف وقوة الشعور يمكن أن نلحظ أيضًا إلحاح الشاعر في تذكر الملك المؤيد حتى بعد وفاته بسنين طوال، فعند موت الملك الأفضل نرى أن الشاعر لا يرثيه منفردًا بل يعود لرثاء الملك المؤيد، وكأنّ ذكراه لم تغب عنه طوال سنين، يقول:

يـا جفن امزج أدمعي بـدمـائي ... واشـــهد بها لملوكنا الشـــهداء
لهفي على ملكين جـاد عليهمـا ... في كُـلّ أرضٍ أفق كـل ســـمـاء
لهفي لإســـمـاعيـل قبـل محمـد ... لـم ألـق يـوم رداهـمـا لـفـداء
أمّـا ذبيـحـا مـقـلـتـي ومـدامـعي ... لهمـا فمـا وفيـا بفيض دمـاء
بحران أســـنـد عن يزيـد وواصـــل ... لهمـا وأروي عن رجـاء وعطـاء
ذهبـا فلا ذهـبٌ أنـاديـه ســـوى ... ما صـــاغ خدّي باحمرار بكائي
نم يـا محمـد مع أبيـك فـإنّـه ... مـا رثّ لا وأبيـك عهـد رثـائي[1]

فهذه الأبيات وإن كان موضـــعها في باب الرثاء إلّا أنني أوردتها –هنا– للدلالة على قضـــيةٍ متعلقةٍ بباب المدح وهي صـدق الشـاعر في مدح الأُسـرة المؤيدية، فالشـاعر يؤكد على كرم ممدوحيه وما نســبه لهما من الصــفات في مدائحه التي قالها في حياتهما مع أنّ المقام مقام انقطاع الرجاء من عطائهما ما يؤكد أن الشـاعر إنما يقول أبياته وفاءً لممدوحيه وبقاءً على عهد المحبة حتى بعد موتهما وهو ما يؤكد عليه في البيت الأخير من أنه ماضٍ في رثائهما وباقٍ على وفائه لهما.

[1] مقطّعة رقم (2).

وبالإضـافة إلى المدائح المؤيدية فإنّ للشـاعر مدائح أُخرى في غيره من السـلاطين والأمراء، ومنها مدحه للسلطان الناصـر حسـن، وذلك أنّ فضـل هذا السلطان على الشـاعر لا يقلّ عن فضـل الملك المؤيد، فالمؤيد وإن كان رعى الشـاعر في فترة عطائه وأغدق عليه إلّا أنّ الناصـر حسـن قد آواه حين تقدم به العمر وردّه من غربته إلى وطنه، وأجرى له عطاءه وهو في حالة عجزه، فشـــاعرنا الذي يعرف كيف يرد الجميل لو طال به العمر وأمهله الأجل لكان له في الناصـر حسـن مدائح كثيرة، ومع ذلك فله بعض الأبيات في الناصر حسن تُظهر جانبًا من مشاعره تجاهه ونظرته إليه حيث يقول:

يا روضة الحسن إنّ النفس خضراء — فهل يـد بيننـا للوصـــل بيضـــاء
بصـادٍ أقسـم ما للعين إن عشـقت — ســـواك نـونٌ ولا ظـاءٌ ولا راء
وإن شـــعري إذا نظمـت في غزل — ومدح ســـلطاننا للروض وشـــاء
سـلطاننا حسـن الأوصـاف أجمعها — يروي بها عن صـــحيح الملك أنباء
يا من لـه تعرب الآفاق عن ســـير — عظمى وتنطق أرض وهي خرســـاء
تشـــريف عبدك نادى بيت مدحته — لـقـد تشـــرف بـنـيـانٌ وبـنّـاء
أمـا العـدى فلهم من خلطهم خلعٌ — في الصدر سوداء أو الرأس صفراء[1]

فالممدوح في عين الشـاعر روضـةُ حُسْـنٍ أحالت خريف حياته إلى ربيع أخضـر وهو كذلك بالصاد "حصن" يأوي إليه الشاعر وهو النظر لعينيه، فهو سلطانٌ كُلّ أوصافه حسنةٌ حتى أنّ الشاعر حين يبني قصـائده في مدحه يتشـرف هو وقصـائده، فكل هذه الصـفات تعكس حقيقة شـعور شـاعرنا الذي وجد ملجأ يأوي إليه ومعينًا يعتمد عليه في آخر حياته.

وبالإضافة إلى مدح الملوك والسلاطين فإنّ لشاعرنا الكثير من المدائح التي قالها الشاعر في أعيان زمانه أو علماء عصـره ممن ربطته بهم علاقة الصـداقة والأُخوة، "ولم تكن علاقة الشـاعر بهم علاقة ضـعةٍ وذلةٍ ومسـكنة بل كانت علاقةً إخوانية لأنّ كل الذين كان يمدحهم كانوا دونه علمًا وأدبًا

[1] مقطّعة رقم (3).

وثقافةً، فهو شاعر الشرق... ولا يغرّنا ما نراه من صفات التبجيل التي ينعت بها إخوانه إنما كان ذلك تقليدًا من تقاليد العصر في آداب المجتمع"[1] فمن ذلك قوله في مدح ناصر الدين:

قسمًا ما حلت عهد الوفاء ... بعد مصر لا ولا نيل بكائي
حبها تحتي وفوقي ويميني ... وشمالي وأمامي ووراءي
فهي ستي من جهاتي ولديها ... سيدي من حيث ودي وولائي
ناصر الدين الذي أبيض ثنا ... تضرب الأمثال فيه بالثناء
شائد البيت الذي ما زال يمشي ... حال مثلي من ذويه بضياء
سادة السادات من دينٍ ودنيا ... بلغاءٌ وزراءٌ أولياء
لا عدمنا قصصًا للمدح فيهم ... داعيًا كالنمل وفد الشعراء[2]

فممدوح الشاعر لكثرة ما قيل فيه من الثناء أصبح يضرب المثل فيه فهو من بيتٍ عريقٍ قد ساد الناس دينًا ودنيًا فهم في أمر الدنيا وزراء، وفي باب العلم بلغاء، وفي منازل التقوى أولياء ففيهم من المحامد ما يجعل الشعراء يتقاطرون لمدحهم كأسراب النَّمل، ولا يخفى ما في هذه الأبيات من براعة الشاعر بالتوجيه بأسماء سور القرآن، حيث يوجه بسورة الشعراء للشعراء الذين جاؤوا لمدح الممدوح ويوجه بسورة النمل لكثرة هؤلاء الشعراء، ومثل هذا التوجيه نلحظه في موضعٍ آخر من مدائحه الإخوانية حيث يقول:

ليهن بدر الحسن في حلّةٍ ... تعذيب قلبي وهو في حلّ
وليهن سمعي عند حلو اسمه ... ما كرر العذال من عذلي
وليهن شهر الصوم أتقى الورى ... وليبق ما شاء بلا مثل
إمام أعلام الهدى والنّدى ... قاضي قضاة الفضل والفصل
أقسم في الأنفال من بره ... وكثرة الطلاب كالنمل
في العلم والنسبة ما مثله ... في ردّه الفرع إلى الأصل[3]

---

[1] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص247.

[2] مقطعة رقم (5).

[3] مقطعة رقم (978).

فالشـــاعر يهنأ بتكرار عذل العذال لأنه يســـمع فيه اســـم ممدوحه فهو ليس من أعلام الهدى والندى فحســـــب، بل هو إمامهم وهو العالم الذي لا مثل له بحيث يجتمع عنده طلاب العلم والندى كالنمل.

وبالنظر إلى هذا المديح في ديوان الشـــاعر يتبيّن أنه بالإضـــافة إلى صـــفة الكرم التي ترافق ممدوحيه تبرز فيه أيضًـا صـفات تتناسـب مع واقع الممدوحين الذين هم في الغالب قضـاةٌ أو أُدباء أو علماء، فهذه الطَّبقة من المجتمع هم أصدقاء الشاعر ونظرائه، لذلك نرى أنّ صفاتٍ مثل: العلم والتقوى والبلاغة وحسن الخلق وإمامة الدين والشاعرية والأدب تتكرر كثيرًا في هذا النوع من المديح وقد نلاحظ في بعض القصائد ذكر أدواتهم كالقلم والدواة وغيرها.

وأخيرًا تجدر الإشارة إلى فئةٍ أخرى من الممدوحين وهم بعض الأسر الكبيرة من أصحاب المال والجاه، وفي هذه المقطعات "لم يكن الشاعر هو الذي يقصد هؤلاء الممدوحين من إخوانه، بل كانوا في معظم الأحيان هم الذين يقصدونه في المديح أملًا منهم كي ينوه بهم في مدحه"[1] وهذا النوع من الشعر يمكن أن يلاحظ فيه التكلف والتصـــنع ويغيب عنه الصـــدق والإبداع في غالب الأحيان، ولولا امتلاك الشـاعر لزمام فنون الشـعر وقوة سـجيته وتمكن طبعه في النظم لما كان لتلك الأشـعار من قيمة، ومن ذلك قوله في مدح آل فضل الله:

[1] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص247.

جاء البشير بها فقلت لدرّه	لفظًا وفضلًا شنف الأسماعا
سمراء إلّا أنها حنطيةٌ	تروي عطاشًا للقا وجياعا
وكريمة الأنساب أصدقها الندى	كفؤًا إذا أمر القريض أضاعا
يا آل فضل الله دمتم في الثنا	والأجر كنزًا للعفاة مشاعا
يسقى نداكم من نباتيّ الثنا	زرعًا يغاث فيعجب الزُّرَّاعا
وتؤمرون قصائدي من بعدما	كابدت من حالي الضعيف ضياعًا
كم ضيعةٍ للحال كانت قاطعة	فغدت بصيغة غلّةٍ إقطاعا[1]

يلاحظ في الأبيات السابقة أنها تدور حول محورٍ واحدٍ وهو سوء حال الشاعر الذي استنقذه منه عطاء الممدوح، فهو قد بدأ بذكر البشير الذي جاءه بالعطاء الذي روى عطشه وجوعه، ويختم أبياته بذكر معاناته ومكابدته ضعف الحال، أمّا المديح فهو مقتصرٌ على ما في الممدوحين من صفة الكرم والدعاء لهم بأن يبقوا من أهل الثناء ويدوموا كنزًا للعفاة.

وكذلك هو الحال في أغلب أبيات المديح من هذا النوع، تغلب عليها المبالغة في وصف كرم الممدوح والاستزادة من عطائه.

ثانيًا: الإخوانيات

عُرفت الإخوانيات في الأدب العربي منذ بواكيره الأولى سواءً أكانت قصائد شعرية أم رسائل نثرية، ولكنها لم تكن في البدايات موضوعًا أدبيًا قائمًا بذاته ينفرد عن غيره بخصائصه ومقوماته، ولكنّ سنّة التطور قد جرت عليها كما جرت على غيرها من موضوعات الأدب العربي، فبدأت تستقلُّ نوعًا أدبيًا يمتاز عن غيره من أنواع الأدب، وموضوعًا شعريًا ينفرد عن غيره من موضوعات الشعر، أمّا عن زمان شاعرنا ابن نباتة فقد "شهد الشعر الإخواني في هذا العصر فترةً ذهبيةً كريمةً، فقد انتهزت

[1] مقطعة رقم (734).

الشاعرية فرصتها في العلاقات الحبيّة والموّدات الإخوانية التي استعاض بها الشعراء من مودة المجتمع وعرفانه"[1].

وكذلك شـاعرنا الذي هو صـنيعة هذه الحقبة ونتاجها فقد كان له في هذا الباب سـهمٌ وافرٌ، خاصةً أنّه كانت تربطه بكثيرٍ من وجهاء عصره وأدباء زمانه من صلاة الأخوة وأواصر المودة علاقاتٍ فرضـت نفسـها على أعماله الشـعرية حيث بلغ مجموع المقطعات التي قيلت في موضـوع الإخوانيات بعمومه 305 مقطّعة ظهرت في شعره بعدة مظاهر منها:

التهاني

لم يفوّت الشاعر فرصـة في أيّ مناسبةٍ اجتماعيةٍ إلّا وأظهر فيها إبداعه الفني ووفاءه لأصـاحبه حيث تعددت المناسبات التي هنأ فيها الشاعر إخوانه سواءً بأداء فريضـة الحج أو سكن منزلٍ جديد أو حتى ارتداء ثوبٍ جديد، ومن ذلك ما نراه في تهانيه لمن أدى فريضـة الحج منهم، فالتهنئة بالقدوم من الحج كثيرةٌ في مقطّعاته، ومنها قوله:

هنيئًـا لـك الحـج الشـريف وحبـذا ... بـك الربـع مـأهول المنـازل والـدهر
كـذا فليعـد مـن عـاد مقبـول حجـةٍ ... لـه الـذكر فـي كُـلّ المنـازل والأجـر
يحـن اشـتياقًا نحـو رؤيتـه الصـفا ... ويمـلأ دمعًـا بعـد فرقتـه الحجـر[2]

تمثل هذه المقطعة نموذجًا لمقطّعات الشـاعر التي يهنئ فيها بالحج، فيكمن أن نلاحظ فيها جميعًا تكرار ذكر أسـماء المشـاعر المقدسـة ومناسـك الحج وما تتضـمنه من وقوفٍ أو طوافٍ أو سـعي[3]، ولكن شـاعرنا وعلى عادته في المبالغة في المدح والإطراء يسـتغل فرصـة التهنئة ليمدح صـديقه، فهو وإن كان قد عاد من حجه بالأجر إلّا أنّ ذكره قد ذاع في كُلّ منازل الحجيج، وكذلك

---

[1] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، (ق: 2)، 304/4.

[2] مقطعة رقم (491).

[3] انظر المقطعات رقم (35)، (736)، (169).

المشـاعر، فقد جرت العادة أن يعبر الناس عن شـوقهم وحنينهم إليها وحزنهم على فراقها، ولكنّ الحال عند شاعرنا مختلف فإن الصفا هي التي تحن شوقًا إلى صاحبه والحجر الأسود هو الذي يبكي حزنًا على فراقه.

ومما يظهر قدرات شـاعرنا الفنية وبديهته الشـعرية في هذا الباب أنّ التهاني عنده لم تقتصـر على المناسبات الكبيرة بل تتعداها إلى التهنئة بأشياء بسيطةٍ ومواقف عادية، فمن ذلك قوله يهنئ بدارٍ جديدةٍ:

علـى حركـات الـيمن والأمـن والهنـا ... سـكنت بـدار العلـم والحلـم والقـرى
وعمرتهـا يـا عمـرك الله للعـلا ... فعـش مثلهـا عـالي المنـار معمّـرا
تبادرهـا الطـلاب علمًـا وأنعمًـا ... فتحمـد عنـد الصبح مـن بشـرك السـرى
وتـزداد بـالترخيم حينًـا خـلاف مـا ... يقـاس وترضـى الوفـد وردًا ومصـدرا[1]

يستغل الشاعر مناسبة بناء البيت الجديد لينفذ من خلالها إلى بيان شعوره تجاه صاحب البيت ومكانته عنده، فيغدو وصف البيت وصفًا لصاحبه حين يخلع عليه الشاعر صفاته، فهو بيت علمٍ وحلمٍ وقرىً، وهو بيت عليّ البنيان كعلو شأن صاحبه، لذلك كان من نافلة القول بأن هذا البيت قبلةٌ لطلاب العلم وطلاب الندى.

وهكذا نرى أنّ هذا الباب من شعر الإخوانيات يكشف لنا حقائق دقيقةً في حياة الشاعر، ويبين لنا طبيعة علاقته بإخوانه وأنداده من العلماء والشـعراء والأصـدقاء في حياتهم اليومية البسـيطة، بعيدًا عن المواقف الرسمية التي تظهر في المناسبات العامة وفي مدح الملوك وأصحاب السلطان، فنراه يتابع أصحابه حتى في هيئتهم وملابسهم[2]، ومن ذلك قوله يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعة:

---

[1] مقطعة رقم (425).

[2] ينظر المقطعات رقم: (120)، (237)، (490).

تهــنّ مــدى الأيــام بــالخلع التــي وجــدنا بهــا الأيــام واضــحة الأنــس

أضــاء بهــا وجــه الزمــان وأهلــه ولــم أرَ مــن أطواقهــا مطلــع الشــمس[1]

يبدو أنّ هذه الخلعة كانت مميزةً وفاخرةً فاستحقت من الشاعر هذا الوصف، فهو بالإضافة إلى أنه يأنس بصاحبها على مرّ أيامه، ويرى أنّ نوره أضاء وجه الزمّان، إلّا أنّ الخلعة التي طوقت بزينةٍ لامعةٍ قد أبهرت عينيه فحجبت بنورها نور الشمس، أو أنها حجبت عنه رؤية لابسها الصاحب شمس الدين إذا أعملنا التورية.

التعازي

كما كان للشاعر حضورٌ في مناسبات إخوانه السعيدة في التهاني فهو لم يغب عنهم –أيضًا– في آلامهم وأحزانهم من خلال التعازي، ومن ذلك قوله معزيًا بامرأة:

تفــدي كــرام الحمــى مــنكم كرائمــه يــا آل بيــت العــلا والفضــل والحســب

أمــا وقــد بقيــت عليــا ســمائكمُ فمــا يضــر زوال الســبعة الشــهب

جــادت ضــريحك للرضــوان غاديــةً يــا أُخــت خيــر أخٍ يــا بنــت خيــر أب

يــا نبعت الفضل مذ فاز التراب بهــا لــم تســر مــن حجــبٍ إلّا إلــى حجــب[2]

يمكن أن نلاحظ من الأبيات السابقة الفرق بين التعازي الأخوية والتعازي الرسمية التي يقولها الشاعر عند موت ملكٍ أو صاحب سلطان، فنلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر قالها مواسيًا لأصحابه معزيًا لهم بمصابهم، فنرى أنّ المرأة التي يعزي بها مجهولة الاسم بالنسبة لنا، بل مجهولة الوصف بالنسبة للشاعر، فهي مرأةٌ عاديةٌ من سواد الناس ليس لها رمزيّة يتحدث عنها الشاعر ولا مفاخر يتغنى بها أو مآثر يندبها، وفي هذه الحالة يجد الشـــاعر المخرج من ذلك بأن يندبها من خلال مآثر أهلها، فهي أخت خير أخٍ وبنت خير أبٍ، وهي المرأة العفيفة التي صانها أهلها فما خرجت إلى حجب التراب

---

[1] مقطعة رقم (646).

[2] مقطّعة رقم (34).

إلّا من حجب بيتها، وهكذا نلاحظ أنّ المقصود من القصيدة هم أصدقاء الشاعر الذين يعزيهم عن فقيدتهم ببقاء مجدهم وعليائهم.

وفي موضعٍ آخر نراه يعزي بصغيرٍ فيقول:

تصبّر فإن الأجر أسنى وأعظم ... ورأيك أهدى للّتي هي أقوم
وكم جاز فرط الحزن للمرء لم يفد ... فما بالنا لا نستفيد ونأثم
وإنّي عن ندب الأحبة ساكتٌ ... وإن كان قلبي بالأسى يتكلم
أعزيك في غصنٍ ذوى قبل ما ارتوى ... وقامت به ورق الثنا تترنم
على مثل هذا عاهد الدهر أهله ... وصالٌ وتفريقٌ يسر ويؤلم
وإن مُنع الغيّاب أن يقدموا لنا ... فإنّا على غيّابنا سوف نقدم[1]

يحشد الشاعر أدواته في هذه الأبيات ليُعزي صاحب المصاب ويخفف عنه، وأول ما يستخدمه من هذه الأدوات هو الاقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2] وهو بهذا التناص يلفت صاحبه إلى أن يتعزى بالقرآن ويستلهم الصبر من آياته، ثم يؤكد لصاحبه أنه يشاركه مشاعر الحزن وألم فقد الأحبة، كيف لا وهو الذي قد عاش تجربة صاحبه بفقد الأولاد مِرارًا[3]، فنراه في الأبيات الأخيرة وكأنه يعزي نفسه قبل أن يعزي صاحبه من خلال مقابلةٍ بديعةٍ يبين فيها حال الزمان الذي عاهد أهله على الوصل والتفريق والمسرة والألم، ويختم أبياته بأن يمنّي نفسه وصاحبه باللقاء بالأحبة في الآخرة.

ولا يقتصر الشعر الإخواني في عصر الشاعر على المجاملات أو الواجبات تجاه الإخوان من التهاني والتعازي بل يتسع ليشمل أدق التفاصيل في علاقات الأصدقاء ويصف مشاعر بعضهم تجاه

---

[1] مقطعة رقم (1591).
[2] سورة الإسراء، آية (9).
[3] انظر باب الرثاء من هذا البحث.

بعض وما يعتري علاقاتهم من تغيرات "فمن تشـوقٍ إلى غائبٍ إلى لومٍ لهاجرٍ إلى عتابٍ لمخطئٍ إلى تذكيرٍ لصـادٍّ ناسٍ"[1] كلها مواقف قد صـورها الشـعراء في قصـائدهم كشـبكة علاقاتٍ إنسـانيةٍ متداخلةٍ أُجملها بالإضافة إلى ما سبق في العتاب والتهادي، والمجالس، لضيق المقام عن التفصيل.

العتاب

عادةً ما تنشـأ بين الإنسـان وزملائه في العمل علاقاتٍ خاصّـةً يترتب عليها حقوقٌ وواجباتٍ مشـتركةٍ بينهم، وهذا ابن نباتة الذي كان أحد الكتاب يعاتبهم على تقصـيرهم في زيارته عند مرضـه فيقول:

قـل للكـرام الكـاتبين فـي الـورى ... مـالي أُجـرّب عهـدكم وأعـود
مـالي مرضـت فلـم يعـدني عائـدٌ ... مـنكم ويمـرض كلـبكم فـأعود[2]

يبدو أن هذه ليسـت المرة الأولى التي يمرض فيها الشـاعر ولا يعوده زملاؤه، ويظهر ذلك من قوله (أُجرّب عهدكم)، وكأنّه عهد منهم التقصـير في زيارته مع أنه يزورهم، بل يعرّض بهم في عتابه بأنه يزور كلبهم إن مرض.

وفي موضعٍ آخر من مقطعاته يعاتب الشاعر أحد خلانه على ضُرّ مسّه بسببه فيقول:

يـا خلـيلًا جعلتـه العـين والقلـ ... ـب وأصـفيته سـرائر حُبـيّ
لا عجـبَ إن جلبـت لـي الضّـ ... ـرّ فهـذي عـادات عينـي وقلبـي[3]

لا نعرف من الأبيات ما نوع الضرّ الذي مس الشاعر بسبب صاحبه هذا، ولكنّ ما يظهر من الأبيات بوضـوح هو أنّ الشـاعر باقٍ على مودته لصـاحبه على الرغم مما ناله منه فهو لا يزال يصـفه بأنه عينه وقلبه.

---

[1] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، (ق: 3)، 305/4.
[2] مقطعة رقم (312).
[3] مقطعة رقم (134).

ويظهر أنّ إخلاص الشاعر ووفاءه لحق الصحبة لم يقتصر على صاحبه المذكور سابقًا، بل نكاد نقول إنَّها سجيةٌ عند الشاعر حتى مع من هجره من الأصحاب، نحو قوله:

يـا قارعًـا بـاب هجرانـي ولا سـببٌ يحـلُّ مـن جهتـي أسـباب ميثـاقي
لتقـرعنّ علـيّ السـنّ مـن نـدمٍ إذا تـذكرت يومًـا بعـض أخلاقـي[1]

فالشاعر الذي يرى بأنه لم يأتِ بعملٍ يوجب هجرانه، يُذّكر صاحبه بأنه سيندم لذلك الهجران، ومع ذلك فهو لم يلجأ إلى الإساءة لذلك الهاجر أو الحطّ من مكانته وإنّما لجأ إلى بيان عظيم خُلقه هو الذي سيخسره صاحبه.

التَّهادي

منذ بدء الخليقة وعند كُلّ أمم الأرض كان التهادي يمثل تعبيرًا عن المودة بين الناس، وتوطيدًا لأواصر الأخوة أو الصداقة أو القربى بينهم، ولما جاء الإسلام أقرّ هذه العادة في غير موضعٍ من النصوص الشرعية بل حثّ عليها وأكد أنها من أسباب المحبة بين الناس، وذلك في قوله –صلى الله عليه وسلم–" تهادوا تحابّوا"[2].

فكان التهادي من العادات المألوفة في المجتمع الإسلامي فلم تخلُ منها مناسبةٌ إلّا وكان لها فيها حضور، وكذلك الحال في عصر ابن نباتة فيمكن أن نلاحظ من خلال آدابه أن عادة التهادي كانت منتشرةً بين جميع طبقات المجتمع، ولها في شعر شاعرنا نصيبٌ وافر[3] سواءً في قبول الشاعر للهدية من غيره أم في إهدائه الهدايا لغيره، فمن قبوله الهدية قوله وقد أُهدي إليه فحمًا:

---

[1] مقطعة رقم (888).
[2] الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص221.
[3] ينظر المقطعات: (286)، (303)، (318).

شـــكرًا لهـــا يـــا ســـيدي منحـــةً معهـــــودةً وانظـــــر لهـــــا أيضًـــــا

أصـــــــابعًا ســـــــودًا ولكنهـــــــا والله فـــــي حـــــالي يـــــدٌ بيضـــــا[1]

فالهدية بين الشـاعر وصـاحبة معهودةٌ ومتكررةً كما يبين الشـاعر، وهي إن كانت فحمًا أسـود لكنها في عين الشـاعر أيدي ندىً بيضـاء، وذلك أن الفحم في زمانه كان من احتياجات الحياة اليومية فهو يستخدم للشواء والتدفئة وغيرها من الأغراض فلا عجب أن يفرح الشاعر بهديته التي جاءت على حين حاجةٍ إليها.

ومن مقطعاته في التهادي كذلك قوله وقد أُهدي إليه حزام:

نشـرت لـك الإعـراب فيمـا طويتـه مـن الـودّ يـا أوفـى الأنـام دمامـا

وأمسـكت مـن ودي لعليـاك عـروةً وأهـديت للطـرف الكـريم حزامـا[2]

يوجه الشاعر بمصطلحات علم البديع ليعبر عن مودته التي نشرها لصاحبه حين طوى الحزام الذي أُهدي إليه، فأصبحت عُرى الحزام التي أمسكته عُرى مودةٍ لعليا صاحبة المُهدي.

ولعل شـيوع التهادي بين الإخوان أمرٌ معتادٌ في كُلّ عصرٍ وزمان ولكنّ ظاهرةً تبدو مستغربةً في بعض المجتمعات كانت مقبولةً في مجتمع الشاعر، ألا وهي ظاهرة طلب الهدية، فمن المعهود في شعر المديح أن يقال في أهل الجاه والسلطان، وقد يصحبه طلب الندى، أمّا بين الإخوان والأصحاب فليس الأمر كذلك، ولكنه بين شاعرنا وأصحابه وكثير من أهل زمانه كان شائعًا ومن ذلك قوله:

مـولاي مـولاي نجـم الـدين دعـوة مـن فـي قصـر جـودك لا يحتـاج للحجـج

ومـــا إذا أبصـــرت عينـــاه عبـــدكم فـي البـاب أبصـر مـا يرجـوه مـن فـرجٍ

هذا رجـا الـدجن كـم أرسـى وكـم لـك مـن عقـدٍ مـن المـنّ عنـدي واضـح الـنهج

دُرّ المقـــال وتبـــر الجـــود تبعثـــه فابعـث لكانوننـا شـيئًا مـن السـبج[3]

---

[1] مقطعة رقم (693).

[2] مقطعة رقم (1106).

[3] مقطعة رقم (226).

اعتاد الشـاعر على تبادل الأشـعار والكتب مع صـديقه فهو يبعث له بدُرّ المقال كما يبعث له بالذهب، ولكنّ حاجة الشاعر في برد الشام ليست للمراسلات أو الذهب فقط، بل حاجته الآن أمس ما تكون إلى فحمٍ يُشعله فلم يجد حرجًا في استهدائه من صديقه.

ولم يكن شـاعرنا في هذا الباب بأقلّ كَرَمًا من أصـحابه، فكثيرًا ما كان يبعث لهم بالهدايا، بل يؤثرهم على نفسه أحيانًا فيرسل إليهم من الهدايا ما هو أحوج إليه منهم كما في قوله:

هُنئـــت حجًـــا مـــن شـــذى عرفـــات قـــد عرّفتـــه
وبعثـــت مـــن فرحـــي خـــرو فًـــا لـــو قـــدرت لزدتـــه
لـــو أنّـــه ابـــن خـــروف نحـــ ويّ النحـــــاة بعثتـــــه[1]

فالشاعر إذ أهدى هذا الخروف لصاحبه بمناسبة عودته من الحج قدّ قدّم كل ما بوسعه تقديمه، وقد مرّ معنا في باب الشـكوى أنّ الشـاعر قد مرّ بأيامٍ لم يجد فيها شـيئًا من اللحم ليأكله أو يطعمه أولاده، ولكنّه مع ذلك يؤثر صـاحبه بهذا الخروف بل يتمنى أن يجد ما هو أفضـل منه ليقدمه فلا يجد أكبر في نظره من أهل العلم، فيوجه باسم ابن خروف النحوي ليعرب عن رغبته بتقديم هدية لائقة.

مجالس الأصدقاء والندماء

عرفت مجالس اللهو ودعوة الندماء إليها منذ زمن الشـعر الجاهلي ولكنّ حضـورها في الشـعر في عصـر شـاعرنا قد فاق غيره من العصـور، فالظروف الاجتماعية والتقلبات السـياسـية والاعتداءات الخـارجيـة على بلاد المســـلمين ومـا يرافقهـا من حروب كُلّهـا عوامل تؤدي طبيعيًـا إلى بروز تيـارين متناقضــين: تيار الزهد والغلو، وتيار المجون والانحلال، لذلك فقد " شـاعت هذه المجالس الصـاخبة اللاهية في عصـر المماليك وشـاعت الاسـتدعاءات إليها وشـارك الشـعراء بدورهم بتسـجيلها ورسـم صورها[2].

---

[1] مقطعة رقم (169).

[2] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، (ق: 2)، 310/2.

لذلك يمكن أن نرى الكثير من القصائد في هذا الباب عند كثيرٍ من الشعراء المعاصرين لابن نباتة، أمّا هو فقد كان من أهل العلم والتقوى لذلك لا يتصور منه الانخراط في هذه المجالس وما يدور فيها، ومع ذلك لم يفوت شاعرنا فرصةً في مجاراة شعراء زمانه في الأغراض الشعرية كافَّة حتى تلك التي لم يكن له حضورٌ في واقعها، لذلك نجد في ديوانه بعض القصائد التي نظمها من باب الرياضة الذهنية أو مداعبة الأصدقاء في هذا الباب، ومنها قوله يداعب حسن الزغاري:

يا غائبًا عن مجلسٍ قد شاتمت نـدماه واستعلت لديه الأكؤس
نبئت أنّ النار بعدك أُوقدت واستبّ بعدك يا كليب المجلس[1]

يداعب الشاعر صاحبة الذي يبدو أنّه قد غاب عن ذلك المجلس بسبب تَوَتّر العلاقة بين جلسائه، ولكنه حين غاب عنه استقر أمره، فكأن الشاعر يعرض بصاحبه أنّه كان هو السبب فيما حصل في ذلك المجلس.

وإذا كان الشاعر يحدثنا عن علاقاته بأصحابه في مجالس اللهو فهو لم ينسَ أن يحدثنا عن نوعٍ آخر من المجالس التي جمعته بأصحابه وإخوانه وهي مجالس العلم، فمن ذلك قوله وقد كان يلتقي مع قطب الدين في موضعٍ في الجامع يسمى السفينة:

وقالوا أتهجر قطب العلا حلا يوم جمعتك المستبينه
فقلت هو البحر في فضله فما التقيه سوى في السفينه[2]

فأصحاب الشاعر الذين أنكروا عليه مجالسته لقطب الدين بشكلٍ يوميٍّ لم يتوقعوا أن يجبهم الشاعر بحسن تعليلٍ يفصل القول في مسألتهم حين لفتهم على موضع لقائه به وهو السفينة؛ وذلك لأنّ صاحبهُ بحرٌ في فضله.

---

[1] مقطعة رقم (643)

[2] مقطعة رقم (1238).

وفي ختام هذا الباب يبقى موضوعٌ واحدٌ يجب الإشارة إليه لجدته وريادة ابن نباتة فيه ألا وهو الشَّتَويَّات، وهذا الفن لم ينظم فيه ابن نباتة المقطعات ولكنّ له فيه قصائد طوال تبادلها مع عددٍ من شعراء زمانه كابن فضل الله العمري[1] وغيره "فكانت هذه المطارحات الشعرية والنثرية في فن الشتويات فتحًا جديدًا في الأدب العربي تدور حول وصف الثلوج والأمطار والرعود والبروق والرياح في بلاد الشام، وهذا نمطٌ جديدٌ في الأدب الإخواني وهو ما يعكس جانبًا من حياة هؤلاء العلماء والأدباء الاجتماعية وصورةً من أخلاقهم وطباعهم والمستوى الأدبي الذي وصلوا إليه"[2].

ثالثًا: الغزل

يحتل الغزل مساحةً واسعةً من مقطعات ابن نباتة ويحل في المرتبة الثالثة بعد المديح والإخوانيات حيث بلغ مجموع مقطعات الغزل في ديوان الشاعر 229 مقطعة قيلت في موضوع الغزل خاصةً من غير الأخذ بعين الاعتبار المقطعات التي قيلت في موضوعاتٍ أخرى ولكن الشاعر افتتحها بمقدمةٍ غزلية، إلا أن هذا الإحصاء مبنيٌ على أساس الموضوع الأبرز في المقطعة بحيث اعتبرت المقطعات التي غلب عليها الغزل مع ورود شيءٍ من المدح اعتبرتها في باب الغزل. ومن أمثلة هذه المقدمات الغزلية التي قدّم بها الشاعر مقطعاته ليصل من خلالها إلى المديح قوله:

يا صاحب الحسن البديع تركتني ... يعقوب جانس ضرّه أيوبا
شعري بحسنك لا يزال مشببًا ... يصف الأسى وبناره مشبوبا
لولا امتداح محبّ دين الله ما ... فارقت أغزال المديح وثوبا
يا من أحبته العلا وأحبها ... أنت المُحبُّ والمحَبُّ وجوبا
لك راحةٌ تعب الثراء بعتبها ... ما أكرَم المعتوب والمعتوبا
نصبٌ خفضت العيش فيه حبذا ... تصريفك المخفوض والمنصوبا
عش للفضائل والهبات حبيبها الطـ ... ـائيّ أو طائيها المحبوبا[3]

---

[1] أحمد بن يحيى فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس، احمد بن يحيى بن فضل بن مجلّي القرش العمري الشافعي، القاضي الكبير، إمام أهل الأدب البارع، (ت: 649)، ينظر القطبي، فوات الوفيات، 157/1، ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، 273/8.

[2] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، (ق: 2)، 310/4.

[3] مقطّعة رقم (60).

فالشـــاعر يفتتح مقطعته ببيتين يذكر فيهما حاله وما أصـــابه من الضُّـــرّ لفراق محبوبه حتى أمسى حاله كحال يعقوب–عليه السلام– على فراق يوسف بل أشد، فحاله من الضّر كحال أيوب الذي يُضـرب به المثل في شـدة ابتلائه وصـبره، فأصـبح شـعره كلّه تشـبيبٌ يصـف الأسـى والوجد، ثم ينتقل الشاعر بحسن تخلصٍ رائعٍ ليذكر أنه لم يكن ليصرفه عن هذا الغزل شـيءٌ إلّا امتداح ممدوحه "محب الدين"، ويمضي ليرسم صورةً موازية لصورة المحب والمحبوب التي رسمها في أبيات الغزل، فالمحبوب في أبيات الغزل قد ترك مُحبَّه ولم يبادلـه المحبـة، أمّا المحبوب في أبيـات المـديح فهو يبـادل مُحبّـه المشـاعر، فهو حبٌّ طرفاه الممدوح الذي أحبّ العلا، والعلا التي أحبته وجوبًا، ثم يمضـي الشـاعر في صـــورته إلى ما هو أبعد من ذلك حتى يقلب الأدوار فيصـــبح ممدوحه هو المحبوب والفضـــائل هي العاشق المتيم بهذا الممدوح.

وبالإضـافة إلى المقدمات الغزلية فإن لشـاعرنا مقطعاتٍ قد نظمها في موضـوع الغزل خاصّـةً دون مزجه بأيَّة موضـوعٍ آخر، وقبل اسـتعراض نماذج من هذه المقطّعات لا بُدّ من وقفةٍ مع موضـوع الغزل عمومًا وعلاقته بحياة شـاعرنا، فكثيرٌ من النقاد يشـيرُ إلى أنّ موضـوع الغزل والنسـيب غالبًا ما يرتبط بتجربةٍ شـخصـيةٍ مرّ بها الشـاعر ومشـاعر حقيقيةٍ يجدها من تلك التجربة فتدفعه لأن يعبر عن ذلك الوجد، ومن ذلك قول قدامة في موضوع النسيب "أنّ المحسن من الشعراء فيه هو الذي يصف من أحوال ما يجده ما يعلم به كُلّ ذي وجدٍ حاضـــرٍ أو داثرٍ أنّه يجدُ أو قد وَجَدَ مثله حتى يكون للشـــاعر فضيلة الشعر" [1].

ومثل قول قدامة هذا ينقل ابن رشيق قول بعضهم: "وقواعد الشعر أربع: الرهبة والرغبة والطرب والغضب... ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب"[2].

---

[1] ابن جعفر، نقد الشعر، ص44.

[2] القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص 193 – 194.

فالشاعر حتى يحسن في هذا الباب لا بدّ له من "مُلهِم" –كما يسميه البعض– يحفز عنده هذه السَّجية، أمّا شاعرنا ابن نباتة فإنّه كما يظهر من حياته قد افتقد لهذه الدوافع، فما هو بزير نساءٍ يتلهَّى بهنّ، وما هو بالذي عاش حياة رفاهيةٍ وفراغٍ تثير فيه الطرب وتحرك فيه الأشـــواق، ولم يُروَ عنه من القصـــص كتلك التي رويت عن قيس وليلى أو عن ابن زيدون وولادة وأضـــرابهم، بل على عكس ذلك فإنّ كثيرًا من محطات حياته قد عانى فيها من قسـوة الحياة وضـيق الحال، ومع كُلّ ما سـبق فإنّه قد سبق شعراء عصره وفاق أقرانه في هذا الباب، وهذا إنما يعكس عمق الطبع وقوة السجية وسعة الخيال عنده بحيث يســـتطيع تصـــوير أحواله مع "ذلك الحبيب المجهول الذي ابتكره خياله فكان مختلفًا في ألوانه، فتارةً هو عربي وأخرى هو مصري، وتارةً هو تركي"[1]، ومن مقطعاته في الغزل قوله:

يـــا مولعًـــا بملامـــي حســـبك الله	**كـــم ذا تهـــيج مغـــرى القلـــب مصـــناه**
هـــذا الحبيـــب وذا فكـــري وذا جلـــدي	**فـــي راحتيـــه فقلـــي كيـــف أنســـاه**
إنّـــي لأعلـــم أنّ الرشـــد أجمعـــه	**فـــي تركـــه غيـــر أنّ الـــنفس تهـــواه**
ســـاجي اللـــواحظ خمـــريٌّ مقبلـــه	**داجـــي الـــذوائب بـــدريٌّ محيـــاه**
إن كـــان للحـــبّ شـــخصٌ فهـــو مهجتـــه	**أو كـــان للحســـن لفـــظٌ فهـــو معنـــاه**
أفديـــه بـــدرًا بقلـــب الصـــبّ غزوتـــه	**وفـــي الســـماء بـــرغم الصـــبّ لقيـــاه**
لـــو لـــم يكـــن ريقـــه خمـــرًا ومرشـــفةً	**مـــا عربـــدت عينـــه واهتـــز عطفـــاه**[2]

يظهر ابداع الشـــاعر في هذه الأبيات من خلال اتباعه نهج القدماء في الغزل ولكن بحُلّة عصـــره وذوق أهل زمانه، فهو على نهج القدماء في مخاطبة عاذله بكف الملامة عنه فهو لن ينســـى الحبيب الذي يملك فكره وجلده، كما ســـار على نهج الأقدمين في وصـــف اللواحظ والثغر والذوائب والمُحيَّا وفي تشبيه وجه المحبوب بالبدر وريقه بالخمر، فهذه الأوصاف والمعاني قد استخدمها الشعراء من قبله، ولكنه يقدمها في حلةٍ جديدة ويصـــيغها في قالبٍ من نظم زمانه المغرق في فن البديع، فمع وصـــف لون مقبل المحبوب يوري بالخمر، ومع وصـــف وجه المحبوب يوري بغزوة بدر، ويوجه

---

[1] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباته المصري، ص 266.

[2] مقطعة رقم (1379).

بمصطلحاتٍ أدبيةٍ في قضية اللفظ والمعنى، ويختم بحسن تعليلٍ لقوله بأنّ ريق المحبوب خمرٌ مدلّلًا على صحة رأيه بعربدة عيني المحبوب واهتزاز عطفيه لأنه ثملٌ من ريقه.

يضاف إلى ما سبق أنّه وبخلاف شعراء الغزل الذين عادة ما يصور الشاعر منهم نفسه بأنّه منجذبٌ إلى المحبوب بكليته، فإن شاعرنا يُثير مسألة الصراع بين القلب والعقل، فهو يعلم أنّ الرشد كُلّ الرشد بترك المحبوب، فهذا ما يمليه عليه عقله ولكنّ هواه يأبى عليك ذلك.

ومع أن الشاعر سار على نهج القدماء واستخدم معانيهم وتشبيهاتهم وألفاظهم إلّا أنه وليد عصره ونتاج بيئته لذلك يكثر أن نرى في أشعاره من الصفات والتشبيهات التي كانت تدور على ألسنة شعراء زمانه، ومن ذلك قوله:

وضعت سلاح الصبر عنه فماله يقاتل باللحاظ من لا يقاتله

وسال عذارٌ حول خديه جائرٌ على مهجتي فليتق الله سائله[1]

فتشبيه لحاظ العين بالسيف ووصف العذار وتشبيهه بالقلم تارةً وبحرف اللام تارةً أخرى كلها من التشبيهات التي شاعت في عصر شاعرنا، فكان له من الإبداع فيها نصيب.

وكذلك يُقال في صفات الجمال التي كان يوصف بها المحبوب، فكما أبدع شاعرنا في تصوير محاسن المرأة ضمن الصفات التي تعارف عليها مجتمعه فقد واكب أيضًا تطوّر هذه الصفات واختلافها، ومن أمثلة ذلك أنّ الشاعر العربي طالما وصف جمال العيون الواسعة وشبهها بعيون البقر، أمّا في عصر الشاعر "ولكثرة العنصر التركي في المجتمع بدأت محاسن الأتراك تملي صفاتها على الشعراء فأصبحوا يُعجبون بالعيون التركية الضيّقة بعد أن كان العربي يهيم بالعيون العربية الواسعة المسبلة"[2] وقد كان لشاعرنا من وصف هذه العيون نصيب حيث يقول:

---

[1] مقطعة رقم (1048).

[2] سلام محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي، 2/ 114.

وخـــاطرٌ عنـــتُ الأشـــواق تعجبـــه جـــــآذر التـــــرك لازي الأعاريـــــب

مــن كُــلّ أهيــف ضــاقت عينــه فمتــى يجــود لـــي مـــن تلاقيـــه بمطلــوبي [1]

ففي هذين البيتين يبدو الشـاعر وكأنه يثور على التقاليد العربية في مقياس الجمال، فإذا كانت العرب تفضل العيون الواسعة وتشبهها بعيون البقر، فهو يفضل "الجآذر" أي صغار البقر الوحشيَّة التي يُشبّه بها نساء الترك من حيث هي هيفاء ومن حيث ضيق عيونها، ويتمنى أن تجود عليه باللقاء.

يبقى نوع آخر من الغزل في ديوان ابن نباتة لا بُدّ من الوقوف عنده لكثرة ما قال الشـاعر فيه وهو الغزل بالغلمان، فهذا النوع وإن كانت له جذورٌ قديمةٌ في شـعرنا العربي إلّا أنه ازدهر في عصـر الشاعر حتى تكاد ترى أنه لم يخلُ منه ديوان شاعرٍ من شعراء عصره، وعلى عادة ابن نباتة في ريادة شعراء زمانه وسبقهم في كل الميادين والأغراض فقد كان له في هذا النوع من الأشعار ما لا يقلّ جودةً عن أغزاله في النســـاء، وقبل الخوض في أشـــعاره في غزل الغلمان لا بُدّ من وقفةٍ مع حقيقة نظرة الشـاعر لهذا النوع من الشـعر وصـدقه فيه، فهل حقًا أنّ شـاعرنا وهو العالم الجليل والعابد التقي يمكن أن يقع في مثل هذا الميل الشـاذ والشـعور المنحرف؟!!، وللإجابة على هذا السـؤال لا بُدّ من الوقوف على حقيقة هذا الغزل في عموم عصـــر شـــاعرنا من زاويتين: تقاليد الشـــعر في زمانه أوّلًا، والدوافع المادية وراء كثيرٍ من الأشعار التي تقال بهدف التكسب ثانيًا.

أمّا عن تقاليد الشـعر في زمانه فيمكن أن نلاحظ أنّ كثيرًا منها كان محاولةً لتقليد من سـبقهم من الشعراء أفضـت إلى الغلوّ في التقليد، تمامًا كما هو الحال في مسألة استخدام المحسنات البديعية التي غالى فيها شـعراء ذلك العصـر في التقليد حتى أصـبحت من مميزات شـعر زمانهم، فكذلك الحال في غزل الغلمان في عصـــر الشـــاعر فهي "ظاهرةٌ لا تعبر تمامًا عن الواقع، إذ إنّ الغزل المذكور لم

---

[1] مقطعة رقم (140).

يكن في معظم الأحيان إلّا تقليدًا من المحدثين للسابقين من الشعراء"[1]، فمن خلال نظرية التقليد هذه يمكن أن نفهم أنّ ابن نباتة الشاعر العفيف التقي لم يقل في هذا الباب إلّا من باب مراعاة تقاليد زمانه وعدم القصور عن شعراء عصره.

أمّا عن دوافع التكسب فقد أشار إليها أحد الشعراء القريبين من عصر شاعرنا مبينًا الدافع وراء قوله لهذا النوع من الشعر ومعتذرًا عن ذلك حيث يقول: "سألني بعض الأصحاب اللطفاء والأصدقاء الظرفاء أن أجمع شيئًا من الأشعار وإن كانت في هذا الزمان قليلة الأسعار... مقيدًا في ذلك أن تكون من المقاطيع في الحسان من الغلمان حسبما يطلبه أبناء الزمان، فكلفت طباعي الطاعة على الاستطاعة وقلة البضاعة، معتذرًا عن ذلك بما قلته ومن قديمٍ نظمته:

والله ما المرد مرادي وإن نظمت فيهم كحلي العروس
وإنما أبصرت في عصرنا أكثر ما يُنفق فيه الفلوس[2]

وبهذا يتبين أنّ الهدف في كثير من هذه الأشعار كان التكسب، أمّا بشكلٍ مباشر أو بشكلٍ غير مباشرٍ من خلال ذيوع صيت الشاعر مع تداول هذه الأشعار ما يرفع رتبته عند الممدوحين وأهل العطاء في زمانه.

أمّا في ديوان شاعرنا فيمكن أن نجد هذا الشعر على ضربين، فمنه ما يتغزل بالغلمان بوصفهم بالصفات التقليدية التي جرت في وصف النساء، ومنه ما يتغزل به بصفاتٍ خاصّةٍ بالغلمان شاعت في عصره وانتشرت بين الشعراء، فمن النوع الأول قوله:

قالوا وقد ملكت رقي غلام عاشق هذا ما عليه ملام
يا غصن يا أهيف يا طفل يا قاتل هذا الشيخ يا والسلام
يا حبة الخال على خدّه ما أنت إلا شامة في الشأم[3]

---

[1] باشا، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص583.
[2] الحجازي، جنة الولدان في الحسان من الغلمان، ص2.
[3] مقطعة رقم (1117).

يمكن أن نلاحظ في الأبيات الأوصـــاف المألوفة في الغزل مثل: وصـــف القوام بالغصـــن، ووصـف المحبوب بالأهيف والطفل، وذكر حبّه الخال على الخدّ، وكلها صـفاتٍ لو لم يخبر الشـاعر بأنه قالها في غلام لظنّ القارئ أنّه قالها بامرأة حسناء.

أمّا النوع الثاني فمنه قوله:

بروحـــي بهـــي الـــوجنتين شـــهيها مـــروعٌ لإقبـــال العـــذار صـــبور
يخـــاف حواليهـــا عـــوارض تلتقـــي ويعلـــم أن الـــدائرات تـــدور[1]

ففي هذه المقطوعة ومثلها من مقطعاتٍ كثيرةٍ نرى أوصـــافًا مثل العذار والعوارض، وهي أوصافٌ لا يوصف بها إلّا الذكور.

أما النوع الأخير من أغزال الشـاعر الذي لا يمكن أن نختم هذا الباب دون الإشـارة إليه فهو الغزل بنسـاء النصـارى وما يظهر فيه من المعاني والألفاظ التي تشـير إليهم كذكر الكنائس والصـلبان والرهبان، وهذا النوع قد شـاع في زمان الشـاعر بحكم وجود الممالك الصـليبية في بلاد المسـلمين ومخالطة المسلمين للنصارى واطّلاعهم على أحوالهم وعباداتهم، ورغم أنّ شاعرنا لم تكن له زيارةٌ إلى أيّ من المماليك الصـليبية كما تشـير سيرة حياته إلّا أنه لم يقصُر عن القول في هذا الباب، ومن ذلك قوله:

لله ظبـــي كنيســـةٍ لاحظتـــه فكأنمـــا لاحظـــت ظبـــي كنـــاس
يجلـــو محاســـنه ويتلـــو صـــحفه ناهيـك مـن شـمسٍ ومـن شـمّاس
عجبًا لـه فـي ديـن عيسـى كيـف قـد أضـــحى يعـــارض حكمـــه بقيـــاس
هـذاك أحيـا النـاس مـن مـوتٍ وذا فـي الحـبّ قـد وافـى بمـوت النـاس
مـن أجـل مبسـمه الشـهيّ تفتحـت فـــي كفّـــه أبـــدًا شـــفاه الكـــاس
وكأنمـــا مـــدّ اليـــدين صـــليبة يبغـــي عنـــاق قوامـــه الميـــاس [2]

---

[1] مقطعة رقم (617).

[2] مقطعة رقم (649).

هذه الأبيات تعكس سعة اطّلاع الشاعر ومعرفته بالديانة النصرانية، فهو إذ يتغزل بتلك المرأة العابدة التي تتلو صحفها يستحضر لها صورتين من الصور الواردة في تلك الصحف ليوظفها في بناء نظمه، فالصورة الأولى هي معجزة المسيح عليه السلام في إحياء الموتى، حيث يستحضرها الشاعر ليتساءل من خلالها عن سبب معارضة تلك الظبية لحكم المسيح وهي تدعي أنها على دينه فهو قد أحيا الناس من الموت أمّا هي فتركته يموت في حبّها.

وأمّا الصورة الثانية وهي صورة الصليب فهي صورةٌ تمثل قمّة الألم والمعاناة في اعتقاد النصارى، أمّا الشاعر فهو يراه بصورةٍ مختلفةٍ، فهذا الصليب في نظره ليس أداة قتلٍ وتعذيب بل هو فاتحٌ ذراعيه يبتغي أن يعانق قوام تلك الظبية.

رابعًا: الشكوى

لم يكن موضوع الشكوى من الموضوعات الشعرية المستقلة في الأدب العربي قديمًا، ولم يُفرد له المتقدمون من النقاد بابًا خاصًّا في كتبهم ومؤلفاتهم، وهذا لا يعني أن موضوع الشكوى لم يكن موجودًا في الشعر العربيّ قديمًا، ولكنّ المقصد أنّه كان يرد كفكرةٍ جزئيةٍ على خلفية الموضوع المركزيّ للقصيدة على شكل بيتٍ أو أبياتٍ قليلةٍ ولم تكن تفرد له القصائد التي تختص به غالبًا وذلك "بسبب رغبة العربي عنه ونفوره منه، ونزوعه إلى القوة يستخلص عن طريقها حقه، فالعربي قديمًا ذو أنفة وعنجهية وكبرياء لا يميل إلى الشكوى المذلة والإلحاف في التظلم المهين"[1].

ولكن سنة التغيّر والتطور تبقى ماضيةً ما دامت السماوات والأرض، فتغيّر المفاهيم والقيم وتغيّر النظام السياسي والاجتماعي لا بُدّ وأن يؤثرّ في الأدب فيطبعه بطابعه ويغير بُناه وموضوعاته، لذلك كان بروز موضوع الشكوى في الشعر العربي نتاجًا طبيعيًا للظروف السياسية والاقتصادية

[1] وئام السيد احمد، الشكوى في شعر ابن نباتة، ص244.

والاجتماعية التي عاشـها ابن نباتة، فهو إذ يفرد للشـكوى قصـائد من أشـعاره ويجعل لها متسـعًا من ديوانه لم يكن بذلك بِدْعًا من شـعراء زمانه، فكثيرٌ من أنداده ونظرائه وأُدباء عصـره وشـعرائه قد سـلكوا السَّبيل ذاته، واتبعوا ذلك المنهج فكان أدبهم تعبيرًا صادقًا عن حال مجتمعهم وتصويرًا صادقًا لزمنهم.

وبالنظر إلى مقطعات ابن نباتة نجد أنّ تصـــريفات الجذر (شـــكو) قد وردت في نحو اثنين وسـتين موضـعًا، هذا بالإضـافة إلى المقطعات التي وردت في معنى الشـكوى دون اسـتخدام اللفظ، ما يجعل هذا الموضوع جديرًا بأن يبحث في بابٍ مستقل.

وبالنظر في مقطعات ابن نباتة في موضـــوع الشـــكوى نراها تدور في أربعة محاور، هي: الشـــكوى من الفقر وانعدام الاحتياجات الأســـاســـية، والشـــكوى من قلّة الحظ وعدم بلوغ المكانة التي يستحقها، والشكوى من نوازل الدهر وفقد الأحبة، والشكوى من جفاء الأصحاب وهجرهم.

أمّا شكواه من الفقر وانعدام احتياجاته الأساسية فتكاد تطغى على ما سواها من الموضـوعات في هذا الباب فالشـــاعر قد بلغ به الفقر حدّ العجز عن إعالة أبنائه وإطعام أســـرته حيث يصـــور هذا الواقع المؤلم بقوله:

إن مت من جوعٍ بمصر فحسرةً إن مات أولادي بجوع الشـــام
قل للوزيرين الرفيع ســـناهما لا ترحمـاني وارحمـا أيتـامي[1]

فالشـــاعر بالإضـــافة إلى غربته وبعده عن أهله يشـــكو ما حَلّ به وبهم من جوع، فيورد لفظة "جوع" في الشـــطر الأول نكرةً لتهويل هذا الجوع وتكثيره، ويوردها في عجز البيت مضـــافة إلى الشـــام وكأن الجوع الذي أصـاب أبناءه قد شـمل الشـام كلها لشـدته، ثم يمضـي في المبالغة في وصـف الجوع

[1] مقطعة رقم (1161).

لاســتعطاف ممدوحة حيث يســتخدم لفظة "أيتامي" بدل "أبنائي" مصــورًا حالة، وكأنه قد هلك من هذا الجوع على الحقيقة حتى عاد لا يبالي بما أصابه هو بل يطلب الرحمة لبنيه من بعده.

وفي سياق شكوى الفقر يرتفع صوت الشاعر شاكيًا عجزه عن تسديد أجرة المسكن حيث يقول:

قـل للفهيم النـاصـــري صـــــائحًـا مســـتنصـــرًا
يا صـاحبي أصـبحت حتـــــ ـــــى في الخُطـا متعثرًا
مـن أُجـرة الـمســـكن فـي إعــراب هَــمٍّ أُشـــــهــرا
بـالنصـــب والكســـر معًـا فـــلا كـــرى ولا كِـــرا
نـــعـــم وهـــمـــي أُمـــمٌ وحـــالـــتـــي إلـــى ورا
نـــاظـــر بـــيـــروت أتـــى عســـــاك لـــي أن تـــنـــظـــرا
مـهـمـا تـرى مـهـمـا تـرى مـهـمـا تـرى مـهـمـا تـرى[1]

لقد وفّق الشـــاعر في أبياته بانتقاء الألفاظ أيما توفيق حيث اســـتخدم الألفاظ التي تعبر عن حقيقة مصـابه بافتقاره لأُجرة المسـكن الذي يعتبر من الحاجات الإنسـانية الملحة التي لا تسـتقيم حياة الإنســان بغيرها، فهو مع أنّه يصــف ممدوحه بالفهم إلّا أنَّه يصــيح للتعبير عن حاجته، وهذا بخلاف المعتاد، فالصـياح يكون للغافل أو لمن لا يسـمع وليس للفهيم، ولكن الشـاعر يصـيح ليعبر عن سـوء حاله لا عن غفلة ممدوحه، ثم يسـتخدم لفظة "مسـتنصـرا"، وكأنه يصـور الفقر عدوًا صـائلًا قد دهمه فألجأه إلى طلب النصـرة من ممدوحه وليس العطاء فقط، ثم يسـتخدم لفظة "المسـكن" وليس البيت مع أنه في كثير من مقطعاته قد اســتخدم لفظة "بيت"، ولكنَ لفظة "المســكن" –هنا– أبلغ في التعبير عن حال الشاعر الذي يطلب السكينة والطمأنينة والاستقرار الذين سيفقدهم إذا فقد المسكن، وبعد ذلك يوجّه بمصـطلحات علم النحو ليُعبرّ عن سـوء وضـعه وانكسـار حاله راجيًا الممدوح أن ينظر إليه من خلال

[1] مقطعة رقم (468).

اســـتخدامه لفظة "عســـاك"، ومن خلال التوكيد اللفظي لجملة "مهما ترى" التي يكررها أربع مراتٍ في البيت الأخير.

وفي معرض شكواه من الفقر أيضًا يشكو الشاعر افتقاره إلى الثوب حيث يقول:

أشـــكو إلى الله ما أُقاســـي من شـــدّة الفقر والهوان
أصـــبحـت من ذلّـةٍ وعريّ ما فيّ دافٍ ســوى لســاني[1]

الأصلُ في الثوب ستر عورة الإنسان فإذا كان الثوب أجود ستر العورة ودفّأ من البرد والأجود من ذلك ما ستر ودَفّأ وكان ذا مظهرٍ حسنٍ يزين لابسه، ولكن شاعرنا لشدة فقره ليس لديه ثوبٌ يحقق له أيًّا من هذه الاحتياجات، فهو في عِريّ مكشوفً العورة، وفي بردٍ يفتقر إلى الدفء، وليس له سبيلٌ إلى الثوب الذي يدفئ جسمه سوى لسانه الدافئ بالمدائح لعلّ ممدوحه يكرمه بثوبٍ يستر عورته ويدفئ جسمه.

ومن عجائب الفقر مع شـاعرنا أنّه لم يترك له حتى ركوبةً صـالحةً يتنقل عليها ويقضـي بها حوائجه، فها هو يصف حاله مع حماره مقارنًا إياه بخيول نظرائه من الكتاب فيقول:

يـا خيـل كتـابٍ مضـــوا لبيوتهم بأبي الشـموس الجانحات غواريا
كم من حمارٍ قد تعبت بســـوقه من خلفهم فغدوت أمشـــي راكبًا
حالٌ متى علم ابن يحيى شرحها جـاء الزمـان إليّ منهـا تـائبًـا[2]

فالكتّاب يمتطون خيولهم ويمضـــون تباعًا إلى بيوتهم، غير أنَّ الشـــاعر ليس منهم فلا يزال يحرك رجليه ليحثَّ حماره على السير حتى تعب فكان حاله كالماشي مع أنّه راكب ويبدو أن هذه حال الشاعر مع كُلّ حمارٍ اقتناه وليس فقط مع هذا الحمار ويتضح ذلك من قوله " كم من حمارٍ" فكلمة كم

---

[1] مقطعة رقم (1300).

[2] مقطعة رقم (78).

التي تفيد التكثير تبينّ أنَّه كان دائمًا متأخرًا بحميره الضـعيفة عن خيل الكتّاب، ولا يجد الشـاعر حيال هذا الوصف إلّا أن يُمنيّ نفسه بأنّ ممدوحه لو عرف حاله لكان له من العطاء ما يغير هذا الحال.

فهذه النماذج من شعر ابن نباتة في الشكوى من الفقر وانعدام الاحتياجات الأساسية ما هي إلّا غيضٌ من فيض أشعاره في هذا الباب ما دفع بعض الباحثين لأن يذهب إلى أن الشاعر لم يكن فقيرًا على الحقيقة، وإنمّا كان متقللًا، ويُفسر معنى ذلك بقوله: "والذي أفهمه من كلمة متقللًا أنّ الشاعر كان في رغدٍ من العيش، ووفرةٍ من المال، إلّا أنّه كان يرى ذلك قليلًا"[1].

وهذا القول يبدو مجانبًا للصواب من وجهين: أولهما أنّ الشاعر – كما هو واضحٌ في النماذج السابقة– إنما يشكو من نقص احتياجاتٍ أساسيةٍ لا تقوم الحياة الإنسانية السويّة بدونها وهي المأكل والملبس والمسكن والرّكوبة، فهذه الاحتياجات قد أقرّتها الشريعة الإسلامية الغراء ووافقها في ذلك العقل السـليم، كاحتياجاتٍ واجبة التحقيق، بحيث لو عجز الإنسـان عن تحقيقها بذاته فإن وجوب تحقيقها ينتقل إلى الأُمة، وقد بحث فقهاء الأُمة هذه المسألة باستفاضـة وبينوا وجوبها بالأدلة الشرعية بحيث يضـيق المقام عن ذكرها، ولكن يكفينا في هذا الباب أنّ نذكر أنّ رسـول الله –صـلى الله عليه وسـلم– كان يقول في دبر كُلّ صـلاة "اللهم إنّي أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر"[2] فقد قرن –صـلى الله عليه وسلم– في دعائه بين الكفر والفقر، وذلك لما في الفقر من تأثيرٍ سلبيٍ على قدرة الإنسان للقيام بواجب العبودية الذي خلق له، لذلك لا يُنكر على الشـاعر أن يشـكو الفقر والاحتياج إلى أسـاسـيات الحياة.

أمّا الوجه الثاني لمجانبة الباحث الصواب في قوله بأنّ الشاعر كان متقللًا، فإن الشاعر نفسه يجيبه عليه من خلال شـعره، وذلك أنَّه في أيامه التي قضـاها عند الملك المؤيد الذي كفاه عناء طلب

---

[1] وئام السيد احمد، الشكوى في شعر ابن نباتة، ص225.

[2] النسائي، سنن النسائي (1347).

الرزق ومؤونة العيال لم يكن يشكو الفقر، بل كان يُظهر الرضى والكفاية مع أنّه كما يظهرُ من سيرة حياته لم ينل في أيّام المؤيد منصبًا رفيعًا أو ثراءً واسعًا وإنما كان مستغنيًا عن سؤال احتياجات الحياة الضرورية، فكما ظهرت الشكوى من الفقر في شعره حين افتقر فقد ظهرت الكفاية في شعره أيضًا حين كُفي، ومن ذلك قوله:

كفاني المؤيد عتب الزمان وأنقذني من إسار الشقا
فكان ولائي له مخلصًا لأن الولاء لمن أعتقا[1]

فالشاعر لم يعبر عن كفايته من حيث المؤونة أو البيت أو غيرها من احتياجاته بل هو في أمنٍ من كُلّ جوائح الدهر، وهو كالأسير الذي أُعتق فغدا حُرًا طليقًا، وفي هذا من معاني الرضى ما ينفى عنه أنه كان يشتكي لمجرد الشعور بالقلة بل ما يثبت أنّ الشكوى من الفقر لم تكن الأصل في تصوّر الشاعر، وبذلك يتبين صدق العاطفة ودقّة التصوير في شعر الشكوى عند ابن نباتة.

أما شكواه من قلّة حظه وعدم بلوغه ما يستحق من المنزلةِ بين أقرانه ونظرائه فهي كثيرةٌ في شعره كذلك، حيث يذكر الشاعر هذه الحقيقة في غير موضعٍ من مقطعاته ومنها قوله:

لم أسعَ للعليا بخطوٍ قاصرٍ لكن سعيت لها بحظٍّ هابط
ألف السقوط فلو أردت كتابةً للظاء منه كتبته بالساقط[2]

فالشاعر يؤكد على الحقيقة التي تشهد بها سيرته وهي أنّه لم يقصر عن طلب المكانة السامية والمنزلة العلية لا من حيث اجتهاده ولا من حيث سجاياه وقدراته، وإنما الذي حال بينه وبين بلوغه العلياء هو حظه الهابط، فهو لم يسقط أو يتعثر في موقفٍ واحد، بل هو دائم السقوط حتى غدا هذا

---

[1] مقطعة رقم (889).

[2] مقطعة رقم (718).

السـقوط مألوفًا لديه، وفي موضــعٍ آخر نراه يشـكو سـوء حظه على الرغم من ما أوتيَ من موهبةٍ في الخطّ والكتابة فيقول:

يا ســـائلي عن حظّ خطيّ وقد أُهملت في كُتّاب هذي البقاع
معلومي الثلــث ويــا ليتــه ورسـمي النسـخ وثوبي الرقاع[1]

فالشـــاعر يشـــكو إهماله بين نظرائه من كتّاب قُطره على الرغم من ما يمتلكه من موهبةٍ في الكتابة وعلمٍ بأنواع الخطوط، ولعل هذا العلم يبرز في التوجيهات التي اســتخدمها الشــاعر في البيتين الســابقين حيث يوجه بأسـماء أنواع خطوط العربية عن حاله، فهو يكتب بخط الثلث ولكنّ راتبه لم يبلغ ثلث راتب غيره، بل يتمنى ذلك ب (ليت) ليعبر عن اسـتحالة تحقق المطلوب، كما يوجه بخطّ النسـخ عن زوال رسمه الذي نسخ وعفى، ويوجه بخط الرقعة عن حال ثوبه الذي أصبح باليًا خَلِقًا حتى غطّته الرقاع، فموهبة كهذه التي تجمع علم الخط وحسن النظم في بيتين لجديرةٌ بأن ترفع مكانةً تستحقها.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن "الشـاعر يضـع نفسـه في منزلةٍ سـاميةٍ بسـبب ملكته الأدبية التي وهبها الله إياه... ولهذا فهو يرى أنّ مكانته هذه تقتضي حياةً أرغد، وعيشًا أنعم من الذي يحياه... لذلك فإنّ شكوى الشاعر تُعدُّ ضربًا من ضروب الاحتجاج على الدهر"[2].

لعلّ هذا القول فيه بعض الحيف على شاعرٍ كابن نباتة عرف عنه العلم والتواضع، أمّا موهبته الشـعرية ومنزلته الأدبية فليس هو من أنزلها نفسـه ولا هو من شـهد بها لذاته، وإنما يشـهد له الواقع أنّه "تفرّد بالآداب بين كُلّ الأُدباء والشـــعراء، وأنّه ربّ القريض بلا منازع، تفرّد بالآداب دون شـــريك، ولا

---

[1] مقطعة رقم (778).

[2] وئام السيد احمد، لشكوى في شعر ابن نباتة، ص245.

غرابة في ذلك ما دام أبناء العصر يعترفون له بالتفوق في الشعر والنثر"[1]، ومن كانت هذه حاله بين أُدباء زمانه فحقه أن يعتلي بينهم المكانة التي يستحق لا أن يكون أرفعهم موهبةً وأدناهم مكانةً.

وأمّا مسألة احتجاج الشاعر على الدهر فهي مسألةٌ لفظيةٌ، وقد بحثها الفقهاء واللغويون باستفاضةٍ في مظانَّها، وليس المقام مقام تفصيلٍ فيها، ولكن اكتفي بإيراد مثالٍ واحدٍ لبيان حقيقة ما ينسب إلى الشاعر من شكوى الدهر والاحتجاج عليه وهو قوله:

يا ابن نباتة جار الزمان وزلت وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا حكمةٍ وانقضت فلا أوحش الله من خدمتك[1]

فاستعمال الشاعر لفظ (الزمان) ووصفه بالجور هو على سبيل المجاز، حيث ذكر الزمان وأراد أهله، وما يؤكد انصراف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز هو المناسبة التي قيل فيها البيت حيث قاله الشاعر حين "صُرف عن ديوان الإنشاء في دمشق"[1] ومعلومٌ بداهةً أن الذي يعزل الموظف عن وظيفته ليس الزمان أو القضاء الذي قدّره الله –وإن كان كُلّ شيءٍ بأمره سبحانه– وإنما الذي يباشر عزل الموظف هو صاحب الصلاحية أو ولي الأمر في زمانه، ولمّا كان في استخدام المجاز ما يرفع الحرج عن الشاعر أمام السلطان فقد ذكر الزمان مجازًا وأراد أهله، وهكذا في كثيرٍ من المواضع التي يذكر فيها الشاعر أنّ الزمان لم يُوفّه حقه ولم يُنزله منزلته التي تليق به، فإنها شكوى مجازية يقصد بها أهل الزمان أو الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تمرُّ في ذلك الزمان.

إلّا أن هذا لا يعني أنّه لم يذكر أصحاب النفوذ في زمانه بشكواه صراحةً بل قد يصرّح بشكواه من بعض أفعالهم، كما في قوله:

شغل الكبار من الرعية فكرهم في شأنهم فكبارنا كصغارنا
الرفق يا موسى الزمان بنا فقد حلقت ذقون صغارنا وكبارنا[2]

---

[1] مقطعة رقم (199).

فالشاعر يشكو حال كبراء زمانه الذين انشغلوا في شؤونهم الشخصية وتنافسهم عن شؤون العامة ويوري عن اسم الوزير عز الدين موسى بموسى الزمان التي تحلق ذقون الكبار فتجعلهم سواءً كالصغار.

وتجدر الإشارة في هذا الموضع إلى ظاهرةٍ كان لها أثرها السلبي على الشعر العربي وعلى حال الشعراء ليس في زمن الشاعر فقط بل قبل ذلك وهذه الظاهرة تتمثل في غياب العنصر العربي عن الحكم واعتلاء حكامٍ أعاجم لسدته، فالسلاطين من بني أيوب قد كانوا من الكرد، وسلاطين المماليك قد كانوا من الترك أو الشركس، وهؤلاء حتى وإن كان كثيرٌ منهم قد تعلم العربية وأجاد فيها إلّا أنّه لا يكثر بينهم من تتجلى فيه السجية العربية ويظهر عنده الذوق العربي السليم فيستطيع تذوق الشعر ويعرف قيمته، لذلك رأينا في عصر الشاعر أن الملك المؤيد يظهر وكأنّه طفرةٌ في حياة شاعرنا أو حالةً استثنائيةً بين حكام زمانه الذين ظهر منهم من يعتني بأمر العلم ويرعى العلماء، ولكن لم يحظ الشعر عندهم بالمنزلة التي يستحقها وهذه الظاهرة لم تكن وليدة زمان الشاعر بحيث يمكن أنّ نلمح لها أصولًا في الأدب الأندلسي حيث أتى الشعراء لمدح يوسف بن تاشفين وكانوا قد "ذكروه بواسطة المعتمد بن عباد، فإنّ المعتمد قال له وقد أنشدوه: أيعلم أمير المسلمين ما قالوا؟ قال: لا أعلم، ولكنهم يطلبون الخبز"[4].

فهذا يعكس حقيقة النظرة إلى الشعراء على أنهم متكسبون وليس على أنهم أُدباء وأهل فنٍّ وإبداع، فالأمير ابن تاشفين–رحمه الله– على عظم مكانته كقائدٍ مجاهدٍ وكحاكمٍ عادلٍ، إلّا أنّه لم يعرف

---

[1] مقطعة رقم (199).

[2] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة، ص179.

[3] مقطعة رقم (1365).

[4] التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 167/4.

حقيقة الشــعر ولم يقدّر قيمّة الشــعراء، وعلى مثل هذا الحال كان كثيرٌ من الحكام في حقبة شــاعرنا، فحق للشعراء أن يُظهروا الشكوى من عدم تقدير مكانتهم.

والمحور الثالث من محاور الشكوى عند ابن نباتة يدور حول شكواه من نوازل القدر ومصـائب الدهر، من مرضٍ وفقدٍ للأحبّة سـواءً بالغربة عنهم في حياتهم، أو بفقدهم وما يتركونه من ألم للشــاعر بعد مماتهم فمن شكواه من المرض قوله يشكو الزكام:

بات أنفي يشــكو زكامًا وقد كا ... ن التشــكي من الحوادث يكفي
أحــمــد الله لا أزال مــعــنّــىً ... بـأمورٍ تـأتي على رغم أنفي[1]

فالشــاعر يبدأ بيتيه بالشــكوى من الزكام، وهي شــكوى تبدو للوهلة الأولى وكأنها ضــربٌ من السخرية فالزكام مرضٌ بسيطٌ لم تجرِ العادة بين الشعراء أو حتى العامّة بالشكوى منه، ولكنّ الشاعر يوظف شكواه البسيطة هذه ليفتح بها آفاقًا من الشكوى من حوادث كثيرةٍ كانت لشدتها كافيةً للشاعر عن الشكوى من الزكام، وكأنّ الزكام على بساطته القشة التي قصمت ظهر البعير لشدة ما سبقه، ومن جهةٍ أُخرى يبين الشــاعر أنّ الزكام ليس وحده ما أرغم أنفه وآلمه، بل كُلُّ حوادث الدهر قد جاءت رغم أنفه.

ومن المواضع التي يوظف فيها الشاعر شكواه من المرض ليشكو عموم سوء حاله قوله:

رأت بناتي حَبّ جســـمي الذي ... في طرزه عنــدي أذىً مؤلم
فقلــت مــا تطريز هــذا الأذى ... فقلن هــذا الخلط والبلغم
يـا ربّ رحماك فمنك الشـــفا ... من كُلّ مـا يخفى ومـا يُعلم[2]

---

[1] مقطعة رقم (844).

[2] مقطعة رقم (1140).

ليس من الواضح ما هو ذاك المرض الجلدي الذي ألمّ بالشاعر، ولكنّ الواضح أنّه كان منتشرًا في جسمه كالتطريز في الثوب، وذلك من خلال الكناية التي وظفها الشاعر أروع توظيفٍ لتدُلّ على لازمين من لوازم التطريز وهما:

كثرة الحَبِّ في جسمه، وانتظامه كانتظام غُرزِ التطريز، وشدة الألم الذي تُحدثه الإبرة أثناء تطريز هذا الحب في جسمه، ثم يوجّهُ الشاعرُ شكواه إلى الله طالبًا منه الرحمة والشفاء سواءً من مرضه هذا الذي يظهر ويُعلم أم من غيره مما يشكوه الشاعرُ إلى الله مما لا يظهر ولا يعلمه إلّا الله تعالى.

ومن المواضع الأخرى التي يشكو فيها الشاعر آلامه وأحزانه لسوء حاله قوله يشكو فراق أهله وغربته عنهم حيث يقول:

صبٌّ بمصر حيث أولاده ... بالشام بذرى الدمع مصبوبا
ذو كبدٍ حرَّى وهم بعضها ... فالكُلّ يشكو الشوق ألهوبا
لو شاء أن يجمع شملي بهم ... غوث الورى ما بتُّ مكروبًا[1]

فالشاعر إذ يشكو شوقه إلى أهله ويبين سوء حاله وبكائه عليهم وتحرّقه إلى لقائهم يبيّن أنهم جزءٌ منه، فهم بعض كبده الحرَىّ، والبعض يشارك الكلّ الشعور طبعًا، فهم يشعرون بما يشعر به ويعانون ما يعاني من ألم الفراق ونار الأشواق، فلا يُنقذه من كربه الذي يعانيه في هذه الغربة إلّا أن يجمع ممدوحه بينه وبين أسرته.

ولعلّ من أصدق أبيات الشاعر عاطفةً في هذا الباب ما قاله في شكوى حاله لموت أحد أفراد أسرته، فإذا كان هذا حال الشاعر من الكرب والألم في الأبيات السابقة لغربته عن أُسرته وهو يرجو الاجتماع بهم ولقائهم، فكيف يكون الحال عند موت أحدهم وانقطاع الأمل من اللقاء، ولكن قبل المضي في هذا الباب لا بُدّ من الوقوف على فكرةٍ هامّةٍ، وهي التفريق بين هذا الباب وباب الرثاء،

---

[1] مقطعة رقم (57).

وذلك أنّ موضوع الشكوى من فقد الأهل والأحبة قد يلتبس بموضوع الرثاء لتقاربهما وللتفريق بينهما لا بُدّ من بيان الفكرة المركزية في كُلٍّ من الموضـــوعين، "فالمرثية مديحُ الميت والفرق بينها وبين المديح أن تقول كان كذا وكذا وتقول في المديح هو كذا وأنت كذا، فينبغي أن تتوخى في المرثية ما تتوخى في المديح"[1].

فالفكرة المركزيةُ في موضوع الرثاء تدور حول شخص المرثي وصفاته ومناقبه، أمّا موضوع الشكوى من فقد الأحبة أو الأهل فالفكرة المركزية التي تنتظمه هي ذات الشاعر وما حلّ به بعد الفقيد وما آل إليه حاله وما عاناه من آلام لفقده، ولعلّ الأمر يزداد وضوحًا إذا قرأنا قول الشاعر حيث يشكو ما حَلَّ به لفقد ولده فيقول:

قالوا فلانٌ قد جفت أفكاره نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما ســـكن التراب وليده وحبيبه[2]

فالشاعر لم يكد يذكر في بيتيه شيئًا من صفات ولده الذي فُجعّ بفقده، وإنّما يذكر حاله هو بعد هذا المصاب حيث بَعُد منه نظم الشعر وجفت أفكاره نظمَ القريض لشدة حزنه.

ومثل ذلك من الشكوى نراه في قوله:

مضت أحبّة قلبي حيث لا سكنٌ يلي المُحبّ ولا أهلٌ ولا دار
وخفّف الحزن أنّي لاحقٌ بهم وأنّ صـــرف الردى بالخلق كرار
ترمي الأهلة أعمار الأنام فلا يفوتها حذر الأحشـــــاء فرّار
كأنّ كُلّ هلالٍ في مطالعه قوسٌ له عند أهل الأرض أوتار[3]

---

[1] العسكري، كتاب الصناعتين، ص131.

[2] مقطعة رقم (51).

[3] مقطعة رقم (478).

يلاحظ الباحث في الأبيات أنّ شخصية الفقيد الذي يشكو الشاعر فراقه لا تكاد تبين إلّا من خلال قوله (مضت أحبة قلبي)، ولا نرى بعد ذلك شيئًا من ذكر صفاتهم أو مدح خلالهم، وإنما نرى صدق الشاعر في إظهار ألمه وتفجعه عليهم، فبفقدهم قد فقد الشاعر كُلّ شيءٍ، فقد السكن والأهل والدار، ثم يمضي الشاعر في الأبيات اللاحقة محاولًا أن يُعزي نفسه ويخفف مصابه حين يُذَكّر نفسه بأنه سيلحق بهم وأنّ الردى يعاود الخلق كرّةً بعد أخرى، وكأنّ الشاعر يعزي نفسه بأن يُؤمّلها بالموت الذي سَيَرِدّ عليه ما فقده بفقد الأحبة حين يجمعه إليهم ثانيةً.

وقبل أن نختم هذا المحور لا بُدّ من الإشارة إلى أن مسألة الشكوى من فقد الأحبة قد ينظر إليها البعض على أنها نوعٌ من الجزع من القضاء وشكوى القدر وعدم الرّضى بأمر الله فيأخذ بعضهم على الشعراء الذين ينظمون في هذا الباب – ومنهم شاعرنا ويتهمونهم بالانحراف عن جادّة الصواب أو مخالفة الحق، والواقع أنّ الموضوعين مختلفان تمامًا فموضوع الشكوى من فقد الأحبة ليس ضربًا من الجزع أو عدم الرضى، وإنّما هو وصفٌ لحال الشاعر نتيجةً لهذا الفقد، أو إظهارٌ لحزنه وألمه لهذا الفراق، وإظهار الحزن ووصف الألم عند موت عزيز ليس من الأعمال التي نهى الشرع عنها، ألم تر حال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين فقد ولده كيف ظهر عليه الحزن وعبّر عنه بقوله "إنّ العين تدمع والقب يحزن ولا نقول إلّا ما يرضي ربنا وإنّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون"[1].

فإظهار الحزن وشكوى الألم لا يتنافى مع الرضى بالقضاء، ولا يُنكر مثل هذا على شاعرنا العالم بل إنّ أشعاره في هذا الباب تكاد تكون من أصدق ما قال.

أمّا المحور الرابع من محاور الشكوى عند ابن نباتة فيدور حول جفاء الأصحاب وهجرهم أو عدم وفائهم بحق الصحبة، ويبدو هذا الحال طبيعيًا ومبررًا إذا علمنا أنّ شاعرنا قد مرّ في حياته بفتراتٍ من الرخاء وعلو المكانة عند الملك المؤيد، وفي هذه الحال لا بُدَّ للأصحاب أن يجتمعوا من

---

[1] صحيح البخاري، (1220).

حوله ولا بُدّ للأخلاء أن يكثروا في حياته، ولكن كثيرًا من هؤلاء الأصـــحاب إنما جمعتهم حوله المكانة مع ما يُكنّون في صـدورهم من حسـد للشـاعر، فكلّ ذي نعمةٍ محسـود "فالمؤيد كان لا يسـمح لأحدٍ أن يتكلم عن الشـــاعر في حضـــرته، وها هم اليوم ينتهزون فرصـــة ابتعاده عن بلاط سـيّده ليوجهوا إليه نقدهم"[1] لذلك نرى الشاعر في كثيرٍ من مقطعاته يشكو هؤلاء الأصحاب كما في قوله:

صحابٌ قد قصدنا عن لقاهم منافعًا فلم نرَ شـــيئًا من وجه المنافع
رجا شـــافعٌ نســـج المودة بيننا ولا خير في ودٍّ يكون بشـــافع[2]

يبين الشـاعر حال هؤلاء الأصـحاب الذين لم يسـمهم، ولعل في عدم ذكر أسـمائهم أو ما يدلّ عليهم زيادة تحقير شأنهم، فهم صـحبةٌ لا يُرجى نفعها، ويبدو أنّ هناك من حاول التوسط بين الشـاعر وهؤلاء الأصـحاب لبقاء المودة بينهم، ولكن الشـاعر يأبى أن تكون المودة من خلال الشـفاعة، فالمودة إن لم تكن صادرةً من القلب فلا خير فيها، ويؤكد الشاعر هذه الحقيقة من خلال توريته باسم (ودّ) وهو أحد أصنام قوم نوح حيث لا خير في شفاعة الصنم كما لا خير في ود هؤلاء الأصحاب.

ومن أمثلة شكواه من سوء الصحبة قوله:

يا غادرًا بي ولم أغدر بصـــبحته وكان منيّ مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسـي أخال جفا فجاء ما خلته نقشًـا على حجر[3]

يؤكد الشـاعر في بداية بيتيه على حسـن خلقه ووفائه، فهو لم يغدر ولم يكن أهلًا للغدر على الرغم من توقعه الغدر من صـاحبه، ثم نراه في البيت الثاني يوظف المثل السـائر وهو "النقش بالحجر" ليثبت لصاحبه صفتين ذميمتين: أولهما أنّ الجفاء صفةٌ ثابتةٌ فيه كثبوت النقش، وثانيهما أنّ قسوة قلبه

---

[1] باشا، أمير شعراء المشرق، ص 147.
[2] مقطعة رقم (782).
[3] مقطعة رقم (530).

كقســوة الحجر متمثلًا المعنى في الآية الكريمة ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1].

ولم تقف شكوى الشاعر في هذا الباب عند نظرائه وأقرانه من الشعراء بل نراه يشكو تلميذه صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)، ذلك التلميذ الذي تعلم على يدي شاعرنا وطلب إليه أن يجيزه، ثم لمّا استوى على سوقه واشتد عوده انقلب على معلمه واتهمه بالسرقة الأدبية، وفيه يقول الشاعر:

يئســـت من الصـــداقة منك لمّا تمــادى منــك إعراضٌ وثيق
ومن عجــب الزمــان إذا اعتبرنــا خليلًا ما يجي منه صـــديق[2]

فالشاعر قد يئس من صداقة الصفدي لتماديه في الإعراض، ثم يتعجب من خلال التورية باسمه، كيف يكون خليلٌ وهو لا يبلغ في الودّ حَدّ أن يكون صديقًا.

خامسًا: المجون

تحدثنا عن بعض مظاهر المجون في شـــعر ابن نباتة فيما ســـبق في باب الغزل، ولكنّ هذا الموضــوع يقتضـــي أن يفرد له بابٌ خاصٌّ من البحث عند بحث شــعر شــاعرٍ من شــعراء العصــر المملوكي ذلك بأن المجون، وإن كان "قديمًا في الشعر العربي من لدن شعر الجاهلية حتى يومنا هذا، إلّا أنّه قد راج في العصر المملوكي رواجًا عظيمًا ... فقد امتلأت بيئاته بأسبابه ودواعيه"[3] لذلك كان لا بُدّ من وقفةٍ فيها بعض التفصيل.

---

[1] سورة البقرة، آية (74).

[2] مقطعة رقم (930).

[3] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، ج 4، ق 2 ، ص 316.

لا يكاد بحث شعر المجون عند أيّ باحثٍ أن يتعدى موضوعاتٍ ثلاثةٍ وهي: الخمريات وغزل المذكر والغزل الفاحش، ولو اقتصر الأمر في الشعر المملوكي على هذه الأمور لكان حاله كحال غيره من العصور سواءً بسواء، وذلك أنّه لم يخلُ أدب أي عصرٍ من العصور منها، ولست في معرض إثبات براءة جُلّ شعراء هذا العصر من الوقوع بمثل هذه الموبقات وخاصّةً شاعرنا ابن نباتة، ولكني أكتفي بإيراد شهادة أحد معاصريه وهو ابن الوردي الذي برّأ نفسه وأشباهه من شعراء عصره وبيّن الدوافع وراء هذا الشعر وأسبابه نظمه بقوله في مقدمة ديوانه: "وقد يقف الناظر في مجموعي هذا على وصف عذار الحبيب وخدّه ونعت ردفه وقدّه وشكوى عشقه وصدّه... فيظنّ لذلك بي الظنون... وإنّي إنما قلت ذلك على وجه امتحان القريحة ومحبة المعاني المبتكرة واللمع المليحة... وما كُلّ من قال فعل"[1]. فهو بذلك يوضح أنّ الدافع وراء هذه القصائد التي قيلت وما فُعلت هو الرياضة الذهنية وتسابق الشعراء في ابتكار المعاني، إلا أن هذا القول وإن كان يبرّئهم من الفعل إلا أنه لا ينفي عنهم ما سبق ذكره من انتشار هذا النوع من الشعر في شعرائهم على اختلاف اتجاهاتهم.

وإذا أردنا أن نخصص القول في موضوع الغزل بالمذكر –وهو أكثر ما يؤخذ على أدب ذلك العصر– فإنّه إضافة إلى ما سبق من كون أكثره إنّما هو رياضةٌ ذهنية، فإنّه لم يقصد به المذكر دائمًا، فهم وإن كان قد "غلب عندهم تذكير المحبوب على تأنيثه، فإنّ بعضهم أراد بذلك تذكير اللفظ فحسب مع تأنيث المعنى"[2]، وذلك نحو ما نراه في قول ابن نباتة:

نسبوه حسنًا للهلال وعينه ... للظبي تنسب لا رُميت بعينه

فإذا بدا فإلى هلالٍ أصله ... وإذا رنا فهو الغزال بعينه[3]

---

[1] ديوان ابن الوردي، ص 15.

[2] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، (ق)، 330/4.

[3] مقطعة رقم (1337).

يلاحظ الباحث من البيتين السابقين أن الشاعر قد استخدم ضمائر المذكر في الإشارة إلى محبوبه، ولكنّ الأوصاف التي وصفه بها هي من الأوصاف التي درج الشعراء على استخدامها في التغزل بالنساء، فتشبيه الوجه بالبدر وتشبيه العيون بعيون الظبي كلها تشبيهاتٍ توحي بأنّ المقصود امرأة وليس ذكرًا، ومثل هذا النوع في مقطعات ابن نباتة كثير[1].

وإذا كان فيما ذُكِرَ تنزيهٌ لأكثر شعراء ذلك العصر عن الوقوع في مثل ما ذكروا من الفواحش فذلك لا يعني أنّه لم يكن لهذه الظواهر تأثيرٌ سلبيٌ على الأدب من وجهين: أولهما الإكثار من المجون، وثانيهما: الانحطاط به إلى حد السقوط من حيث الألفاظ والمعاني.

أمّا عن الإكثار من شعر المجون فقد فاق في هذا العصر حدّ المألوف "ففي كلّ مجتمع وكل عصرٍ يبقى لطبقة المجان نمطٌ خاصٌّ بهم في الحياة وتبقى الظاهرة محصورةً ضمن نطاقها، إنمّا في هذا العصر كشرت الظاهرة عن أنيابها حتى كادت تبتلعُ كُلّ طبقات المجتمع بمن فيهم المتنسكين والمتعبدين وأُلي العلم والعزم"[2] فكم تأسف حين تنظر في مقطعات ابن نباتة –وهو من هو من العلم والرشد – فترى من بينها ما يربو على المائة مقطعّةٍ في باب المجون، ألم يجد هذا الشيخ الجليل وشعراء عصره في الشعر بابًا غير هذا ليتكثروا منه في رياضة الأذهان واختراع المعاني؟! غفر الله لنا ولهم.

أمّا مسألة الانحطاط في ألفاظ المجون ومعانيه فقد وصل الشعراء فيها إلى حدٍّ لم يُسبقوا إليه، فقد عرف الأدب العربي في العصور السابقة ما سُميّ بالغزل الحسي أو الغزل الفاحش، ولكن بعض أشعار المجون في هذا العصر قد تجاوزت هذا الوصف، فمن حيث الألفاظ شاع استخدام كثير من الألفاظ النابية التي تخدش الحياء ويأنفها السامع، وسيكون لنا وقفة معها في الفصل الثاني من هذا

---

[1] ينظر المقطعات رقم: (935، 1263، 1336).

[2] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العرب أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، ص421.

البحث، وأمّا المعاني فهي أحَطُّ بكثيرٍ من أن تُدرج في باب الغزل الفاحش، وإنما هي وصـــفٌ لأحوالٍ شـــاذةٍ ونزواتٍ منحرفةٍ تأباها الفطرة الســـليمة قبل أن يُنكرها الشـــرع، وهي وإن كان يُقصـــد بها مجاراة الذوق العام للشـعر في ذلك الزمان أو التندر والتسـلية مع الأصـدقاء أو غير ذلك من الأغراض، فهي بئس البضـاعة يقدمها الشاعر لمجتمعه وبئس القرى يقدمه لضيفه أو صديقه، فلا هي بالتي تمت للفن بصـــلةٍ ولا بالتي تُدلي للأدب برحم، ومع ذلك فهذه المعاني وتلك الصـــور كثيرةٌ في مقطعات شـــاعرنا فمنها قوله:

[...] يحـــاربني وعبـــدي منشـــدٌ الـــرأي قبـــل شـــجاعة الشـــجعان
قـــدام تلـــك وخلـــف هـــذا دأبـــه هـــو أوّلٌ وهـــي المحـــل الثـــاني[1]

ما أسوأ أن ترى الشاعر يضمن في قصيدةٍ تُصورّ حالةً شاذّةً كهذه، أبياتًا من قصيدةٍ أسمى من أن تُنزل هذا المنزل لما فيها من الحكمة والشجاعة، وليت شاعرنا قبل أن يضمن هذه الأبيات في قصيدته أتم قراءة القصيدة ليقف منها على البيت القائل:

لـــولا العقـــول لكـــان أدنـــى ضـــيغمٍ أدنـــى إلـــى شَـــرَفٍ مـــن الإنســـان[2]

فما سبق من البيتين إنّما هو مثالٌ لحالاتٍ شاذّةٍ أخرى يصفها الشاعر في عّدة مواضع من مقطّعاته[3]، غفر الله له.

---

[1] مقطعة رقم (1294).

[2] المتنبي، الديوان، ص414.

[3] انظر المقطعات: (1239)، (1168)، (172).

سادسًا: الوصف

يعدّ فن الوصف في الشعر من أقدم الموضوعات وأوسعها انتشارًا، فهو مرتبطٌ بنشأة الشعر حيث كانت بواكيره تعبيرًا عفويًا عمّا يجول في نفس الشاعر من حاجاتٍ وأحاسيس، أو تصويرًا فنيًا لواقعٍ رآه الشاعر أو لحدثٍ مرّ به، حتى إنَّ كثيرًا من النقاد قد عدّ الوصف أصل الموضوعات الشعرية كلّها واعتبر أنّ "الشعر إلّا أقلّه راجعٌ إلى باب الوصف فلا سبيل إلى حصره واستقصائه"[1].

وهذا الكلام يصحّ إذا حُمِل الوصف على معناه العام، فيكون الغزل وصفًا لمحاسن المحبوب والمدح وصفًا لسجايا الممدوح والهجاء وصفٌ لعيوب المهجوّ وهكذا، ولكنّ هذا الاعتبار العامّ لمعنى الوصف يجعل الموضوعات الشعرية متداخلةً فيشقّ على الدارسين التفريق بينها وضبط خصائص كلّ منها، ولضبط المفهوم الاصطلاحي للوصف أعتمد الرأي القائل أن "ما كان موضوعه الإنسان يكون غالبًا مدحًا أو غزلًا أو هجاءً أو رثاءً وما كان موضوعه الأشياء يكون وصفًا"[2]، كما يدخل في باب الوصف وصف الأوبئة والنوازل والأحداث الطبيعية ووصف الحرف والصناعات وما شاكلها.

وعلى عادة شاعرنا ابن نباتة فلم يترك بابًا من أبواب الشعر إلّا طرقه ولا مضمارًا للتنافس مع شعراء زمانه إلّا وكان له فيه السبق والغلبة، فله في باب الوصف قصائد ومقطعاتٍ وثّق فيها أجمل صور الحضارة في عصره وجدد في وصف مظاهر العمران ورسم فيها أجمل لوحات الطبيعة في بلاده، وجسد فيها أحوال أهل زمانه وأحداثه، فكان للوصف من بين مقطعاته نصيبٌ وافرٌ حيث نجد 113 مقطعة جاءت في موضوع الوصف على اختلاف الموصوفات. فمن مقطعاته في الوصف قوله يصف نواعير حماة:

---

[1] ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص1096.

[2] حسن عبد الهادي، دراسة شعر شمس الدين النواجي، ص178

يـا حبـذا في الحســـن نـاعورةً كـأنهـا من فلـك الشـــمس
تحمي حمى الروضـــات من مائها وشـــكلها بالســـيف والترس[1]

فالشـاعر يرسـم لوحةً فنيةً للناعورة من خلال هذين البيتين بحيث يعطي السـامع تصـورًا دقيقًا لشكل الناعورة ووظيفتها كأنه يراها، فهي مستديرةٌ كقرص الشمس ينسكب الماء منها كما تنطلق الأشعة من الشمس فهي الحامي للروض من الهلاك والجفاف، تحمي الروض بمائها الذي ينسـاب من أعلاها كصورة السيف وتحميها بشكلها الذي يشبه الترس بيد المحارب.

وبعيدًا عن الوصـف العملي للناعورة فإن لها عند الشـاعر –أيضًـا– دورًا شـعوريًا فيبدو أن هذه الناعورة قد شاركت الشاعر أيامه الصعبة في حماة بعد موت الملك المؤيد، فبادلها أطراف الحديث من خلال التجسيم في قوله:

أحبـب بهـا نـاعورة كم حـدّثـت بلســـان ماءٍ والحديث شـــجون
حنّـت فـبطـانـهـا قـلـوبٌ كـلـه وبكت فظاهرها الجميع عيون[2]

من الواضـح أنّ الشـاعر يُسقط واقعه على الناعورة ويعبر عن حاله في وصفه لها، فهو يُحدِّث بلسـان الشـعر وهي تحُدِّث بلسـانِ ماء، فهي قد حنّت كالنَّاقة الَّتي فقدت فصـيلها، كما حنّ هو لسـالف أيامه، ولكنّ هذا الحنين لا يتسع له قلبٌ واحد، فتستحيل أوعية الماء في الناعورة كلها قلوب تحمل هذا الحنين لتخرجه عبراتٍ تسيل في الآفاق من عيون تلك الناعورة.

ومن مقطعات شـاعرنا التي وصـف بها فن العمارة في زمانه قوله يصـف جامع دمشـق، وقد كُسيت جدرانه رخامًا:

---

[1] مقطعة رقم (663).

[2] مقطعة رقم (1348).

لله تـرخـيـمٌ بـجـامـع جـلـق متجـانس التَّرصـــيع والتَّعظيم
نظمـت يـا كهف العفـاة عقوده فغـدا المكـان بـه كمثـل رقيم
وازداد تحســـينًـا يخـالف قول من قد قال إنّ النقص في الترخيم[1]

لا يمكن لمن يملك أدنى فكرة عن فن العمارة في العصـــر الأيوبي والمملوكي إلّا أن يقف مع هذه المقطعة التي يعبر فيها الشاعر عنه، ففن العمارة في هذين العصرين تميز بالفخامة وسمو الذوق، من حيث استخدام أنواع الحجارة الملونة لترصيع واجهات المباني بأجمل اللوحات الفنية، ولا تزال كثيرٌ من البنايات في الشام ومصر شاهدة على هذا الفن حتى يومنا هذا، وفي هذا البيت يعبر الشاعر عن هذا الفن بعبارة مختصـرة مؤدّاها أنّ ترصـيع هذا المسـجد بالرخام مجانسٌ في عظمته عظمة المسـجد وتاريخه، ثم يأتي بتوريةٍ طريفةٍ حيث يورد لفظ "الترخيم" بمعناه اللُّغويّ من حيث هو حذف حرفٍ أو أحرفٍ من أواخر بعض الكلمات بحيث تنقص بنية الكلمة، أمّا ترخيم المسـجد فقد خالف معنى النقص هذا بل زاد المسجد عظمةً وجمالًا.

ومن مقطعاته في وصف العمارة في زمانه قوله يصف مسجدًا بني بثلاث مآذن:

ثلاث مـآذنٍ في الحســـن زادت فرابعهـا لأجـل العين جـاثي
ومـا نقصـــت محاســـنها ولكن ليحلف واصـــفوهـا بـالثلاث[2]

إذا كان فن الوصـف إنما يعتمد على رسم صـورة الواقع الذي أراد الشـاعر أن يصـفه وإذا كان "أبلغ الوصـف ما قلب السـمع بصـرًا"[3] فإنّ الشـاعر قد يقع في مشـكلة عيوب الواقع الذي يريد وصـفه فيفسـد جمال الصـورة ويبرز مواطن النقص في معرض وصـف الجمال، وهنا لا بد للشـاعر من موهبةٍ متّقدة وخيالٍ خلّاقٍ يظهر جمال الموصـوف ويسـتر عيوبه ونقائصـه، وذلك على نحو ما فعل شـاعرنا

---

[1] مقطعة رقم (1142).
[2] مقطعة رقم (222).
[3] ابن رشيد، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ص1097.

في الأبيات السابقة، فقد جرت عادة فن العمارة في زمانه أن يكون للمسجد أربع مآذن بحيث تبنى على كُلّ ركنٍ من أركان المسجد مئذنة، أو أن تُبنى مئذنتان على الركنين الأماميين للمسجد، أمّا المسجد الذي يصفه شاعرنا فله ثلاث مآذن وهذا مخالفٌ للمعتاد، ولكن شاعرنا بحسن تعليلٍ يبين سبب بناء ثلاث مآذن فقط: فهي بحسب تصويره أربعة إلّا أنّ رابعتها جثت مخافة العين لفرط جمال البناء وشدة حسنه بحيث يحلف من يراه بالثلاث، وهو نوعٌ من القسم الذي كان يدور على الألسن بين العامة في زمان الشاعر ولا يزال مستخدمًا في مصر حتى أيامنا هذه.

وعلى نحو ما أبدع ابن نباتة في وصف البناء والعمارة فقد أبدع أيضًا في وصف الطبيعة وما فيها من مخلوقاتٍ تتجلى فيها قدرة الخالق وعظمته سبحانه، أنظر إلى هذه اللوحة الفنية المتقنة التي يرسمها الشاعر بألوان الطبيعة الزاهية حيث يقول:

يا منزل ابن عليّ حيتك الصبا ... وسقى مرابعك الغمام الهامع
صفت بك الأغصان صف جماعةٍ ... والغصن إمّا قائمٌ أو راكع
ورقى لديك الطير منبر أيكةٍ ... فعلمت أنك للمسرة جامع[1]

يفتتح الشاعر أبياته بدعاءٍ يظهر فيه حسن الابتداء فهو يدعو للمنزل بسقيا الغمام الهامع وهو دعاءٌ متسقٌ مع ما يليه من وصف النبات والطير الذي يحيا ويزدهر بهذه السقيا، ثم ينتقل إلى وصف الأغصان التي تظهر لكثرتها وكثافتها كأنها مصلُّون في صف الصلاة لا يتركون بينهم فرجة، ثم يذكر ثمار هذه الحديقة من خلال كنايةٍ لطيفة، فالأغصان التي لا تحمل الثمار مرتفعة قائمة بينما تلك التي أثقلتها الثمار منحنيةً كأنما هي راكعة، ثم يمضي الشاعر في تتمة لوحته، فبعد أن رسم صورةً بصريةً للأغصان يرسم صورةً سمعيةً لشدو الطيور فهي الخطيب الذي اعتلى منبر الأيك إمامًا لتلك الأغصان لتكتمل صورة الجامع، جامع السعادة والمسرة وليس جامع الصلاة.

---

[1] مقطعة رقم (742).

ومثل ذلك في وصف الطبيعة قوله يصف المطر:

قفا فاعجبا من هامل الغيث إنّه لأحسن شيء يعجب العين والفكرا
يمد على الآفاق بيض خيوطه فينسج منها للثرى حلّةً خضرا[1]

يفتتح الشاعر قصيدته باستيقاف صحبه، ولكنه بخلاف أسلافه الذين استوقفوا صحبهم على الأطلال للبكاء عليها يستوقف أصحابه على ربعٍ عامرٍ يثير العجب والإعجاب ويدعو للتفكر، فهذا المطر الذي ينسج حلّة الثرى يغزلها من خيوطه البيضاء، فإذا ما أتم نسيجها وأكمل حياكتها اكتساها الثرى حلة خضراء تزيّن وجه الأرض.

وخلال وصفه للطبيعة أيضًا لم يغفل شاعرنا عن وصف حيواناتها، وبخاصة ما اعتاد شعراء العرب وصفه منذ القدم كوصف الناقة ووصف الخيل، ومن ذلك قوله يصف حصان:

وأدهم اللَّون حِندسيّ في جريه للورى عجائب
يقصر جري الرياح عنه فكلها خلفه جنائب[2]

يجمع الشاعر في وصفه للفرس بين نوعين من الصفات الممدوحة في الخيل، وهما: الجمال والقوة، فحصانه أسود اللون وهي من الصفات الجمالية المحببة في الخيل عند العرب "فالعرب تقول: ملوك الخيل دُهمها"[3] وهي صفةٌ قد كثرت على ألسن شعراء العرب في وصف الخيل، ولكنّ شاعرنا قد أضاف إليها عمقًا في المعنى من خلال وصفه بأنه حندسيّ أي شديد السواد، وكذلك في وصفه لقوة الحصان فإن العرب قد شبهت سرعة جري الحصان بالريح، وهذا من التشبيهات المطروقة التي كثر دورانها بين شعراء العرب، لكن ابن نباتة أضاف إليها بعدًا جديدًا حين جعل الحصان أسرع من الريح

---

[1] مقطعة رقم (547).
[2] مقطعة رقم (44).
[3] ابن منظور، لسان العرب مادة (دهم).

بل إنّ الرياح لتقصــر عنه، حتى تصــبح كالجنائب أي "الدابة التي تقاد... وكُلّ طائعٍ منقادٍ جنيب"[1] فهو لم يسبق الرياح لشدة سرعته فقط بل ساقها خلفه طائعةً منقادة.

وفي معرض وصـفه للطبيعة لم يغفل شـاعرنا عن وصـف وفاء النيل جريًا على عادة الشـعراء في عصـره فقد كانت هذه الظاهرة من الظواهر الهامة التي وصـفها كثيرٌ من شـعراء عصـره لارتباطها بالواقع الاجتماعي والاقتصادي للبلاد، فوفاء النيل مؤشرٌ على الوفرة والسعة وكثرة المحصول، أمّا عدم وفائه فمؤشر قحطٍ وضيق، وفي وفاء النيل يقول ابن نباتة:

وافـت أصـــــابع نيلنـا وطمـت فـأكمـدت الأعـادي
وأتــت بـكــل جـمـيـلــةٍ ما ذي أصـابع ذي أيادي[2]

يظهر أنّ النيل في هذا العالم قد وفى أكثر من غيره من الأعوام ما دعا الشــاعر أن يبالغ في وصـفه، فأصـابع النيل أي القنوات التي تجري فيها المياه عند فيضـانه حاملةً معها التربة الخصـبة إلى الحقول قد طمت وفاضــت بالخير حتى تسـببت بالغم والكمد للأعداء، فهي في نظر الشــاعر ليسـت أصابع للنيل بل هي أيادٍ تفيض بالندى والعطاء وتمنح كل جميل.

لم يقتصـر الوصـف عند ابن نباتة على الطبيعة ومظاهر العمارة فله من القصـائد والمقطعات ما وصف فيها الأدوات التي استخدمت في عصره، فمن ذلك قوله يصف سيفًا:

وصـــــارمٍ كعبـاب الموج ملتمعٍ يكــاد يـغرق رائـيــه ويـحـتـرق
لما غدا جدولًا تسـقى المنون به أضـحى يشـف على حافاته العلق[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة (جنب).

[2] مقطعة رقم (311).

[3] مقطعة رقم (875).

يبين الشـاعر في البيت الأول أنّ هذا السـيف لسـرعته ومضـائه يكاد يقتل من يراه وليس من يُضـرب به فقط، ثم يشبهه في البيت الثاني بالجدول وهو تشبيهٌ يبدو مستغربًا بعض الشـيء بعيدًا عن صـفات السـيف، ولكنّ الشـاعر سـرعان ما يبين أوجه الشـبه بين الجدول والسـيف ويزيل الالتباس حين يقرر أنّ هذا السيف يسقي كما الجدول ولكنه يسقي المنون، ويزيد الأمر وضـوحًا حين يذكر أنّ العلق الذي يجتمع على حوافّ الجداول أضحى مجتمعًا على حواف السيف يشف منه، فالعلقة حشرة مشهورةٌ بمص الدماء لذلك كانت تستخدم في الحجامة، فهو بهذا الوصـف يكني عن أنّ هذا السيف يقطر من دماء الأعداء الذين سقاهم المنون.

ومن مقطعاته في وصف الأدوات قوله يصف دواة:

دواةٌ لها جنس الحديد وبأســـه وزادت عليـه في النـدى فهي أبهر
وكمّل معناها يراعك منشـــئًا ففولاذهـا في الحـالتين مجوهر[1]

يظهر في الأبيات أنّ الدواة التي يصـفها الشـاعر قد صـنعت من الفولاذ وهو نوعٌ من الحديد القوي الذي يبهر الأبصار حين يعكس الضوء، وقد رُصّعت بالجواهر لتزداد حسنًا، ولكن هذا الوصف لشكلها الخارجي ليس هو ما يعطيها قيمةً جماليةً فقط، بل إنّ هنالك وصفًا آخر قد زادها حسنًا وبهاءً في عين الشـــاعر فهي في نداها أبهر منها في لونها، والجواهر التي يخطها منها اليراع حين يكتب له العطاء تماثل بالجمال الجواهر التي زينت بها، فيكتمل حسنها بشكلها وأدائها.

أمّا موضـوع الخمريات ووصـف مجالس الخمر والنديم والسـاقي فإنّ لشـاعرنا فيه نصـيبًا وافرًا، حيث قال فيه كما قال جل شعراء عصره على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم، وقد يبدو أمرٌ كهذا مستغربًا على شـاعرٍ كابن نباتة وهو التقي النقي العالم الذي روى السير وحفظ المتون وفقه الأحكام ولكنّ نظرةً إلى واقع عصره قد تكشف لنا العّلة وتميط اللثام عن حقيقة كثيرٍ من الخمريات التي قالها الشعراء في

[1] مقطعة رقم (455).

ذلك الزمان، فالخمريات في زمن ابن نباتة "لم تكن لتقتصـــر على جماعةٍ معينةٍ من الشـــعراء، وإنما غدت موضـوعًا مسـتطرفًا يتسـابق فيه الشـاعر الخليع والرزين على حدٍّ سـواء، ذلك لأنّ التقليد وطرق سـائر الأبواب الشـعرية كانا أهمّ العوامل في هذا الاتجاه"[1]، ولم يكن لشـاعرٍ اعتلى عرش الشـعر في زمانه كابن نباتة أن يقصـر عن شـعراء عصـره في أيّ غرضٍ من الأغراض الشـعرية، حتى لو لم يكن خاض تجربته وعاش واقعه، بل وأكثر من ذلك أنّ الشـــاعر الذي يصـــف الخمر ومجالســـها وهو لم يعاقرها يتفوق على من عاقرها من حيث أنّه يصف تجربةً لم يعايشها وهذا لا يتقنه إلّا شاعرٌ فذ.

فمن المقطعات التي جمع فيها الشاعر بين وصف الطبيعة ووصف مجالس الخمر قوله:

وحـديقـةٌ واصـــلـت خلوتهـا مـا بين مغتبقٍ ومصـــطبح
فـإذا أخـذت بظلّهـا قـدحًـا غنّـت حمـائمهـا على قـدحي[2]

حديقة الشـاعر التي يصـفها ليست كمجالس الخمر التقليدية التي جرى الشـعراء على وصـفها، بل هي خلوة يسكن فيها الشاعر بهدوءٍ واطمئنان حتى إذا جلس لشرب الغبوق عشيًا لم يدرِ كيف طلع عليه الصبح، فوصل غبوقه بصبوحه. أمّا ندماؤه فيها فهم حمائم الحديقة الذين يغنّون معه، وكأنهم قد شاركوه ذلك الصبوح، فيكون الشعر قد مزج في البيتين بين وصف الطبيعة ووصف مجالس الخمر.

ومن مقطعاته في وصف الخمر ومجالسها وندمائها قوله:

بروحي نديمٌ تشـــهد الراح أنّه قضـــى العمر باللذات وهو خبير
تـذكر مزج الكـأس عنـد وفـاتـه فأوصـــى لها بالثلث وهو كثير[3]

هذه الأبيات تعكس دراية الشاعر ومعرفته بأحوال الخمر ومقاديرها، فبعد أن يتحدث عن النديم الذي تشهد له الخمر بخبرته وطول معاقرته يأتي بتوريةٍ طريفةٍ يبين فيها المقادير المناسبة لمزج الخمر

---

[1] باشا، الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص590 –591.
[2] مقطعة رقم (278).
[3] مقطعة رقم (504).

حين يذكر أنّ نديمه أوصـــى لها بالثلث عند وفاته فيما يظهر أنّه وصـــيةٌ متعلقةٌ بالميراث مع أنّ المقصـود المورّى عنه هو نسـبة مزج الخمر بالماء حيث إنّ الثلث فيها كثير فيبقى الخمر مُركزًا مذهبًا للعقول.

وفي ختام باب الوصـف بقي موضـوعٌ ذو أهميةٍ لم يغفل الشـاعر عن وصـفه وهو الطاعون الذي أصـاب دمشـق وهو حدثٌ قد هَزّ المجتمع لما حلّ به من كثرة الموت وفقد الأحبة، فتسـابق كثيرٌ من الشعراء لوصف عِظمَ المصيبة وشدّة النازلة، وفيه يقول ابن نباتة:

سـر بنا عن دمشـق يا طالب العيـ ش فمـا في المقـام للمرء رغبـة
رخصـــت أنفس الخلائق بـالطـا عون فيهـا فكـل نفسٍ بحبـة[1]

يوجه الشـــاعر من يطلب العيش بأن يخرج من دمشـــق، وكأنه يوحي بأنّ البقاء فيها يعني الموت حتمًا ولا سـبيل فيها إلى النجاة، ثم يصـور فيها حال الناس والطاعون يتخطفهم وكأنه يبتاعهم بثمنٍ بخس، فالنفس تُقَيّمُ بحبةٍ واحدة، وقد ترك الحبة مجهولةً إمعانًا في التعبير عن رخص أنفس الخلائق فلا يُعلم أهي بحبة قمح أو شعيرٍ أو دون ذلك من الحَب.

ولم يكتفِ الشـاعر بوصـف الطاعون، وما أحدثه في الناس بل ذهب إلى البحث عن السـبب والعلاج، ملتزمًا واجبه بتقديم النصح لمجتمعه وإرشاده إلى سبيل الخلاص حيث يقول:

عج عن العجـب فهـذي جلق أصـــبحت منـه على حـالٍ ذميم
لم تزل بالعجب حتى ضـــربت نفســـها منـه بطاعونٍ عظيم[2]

---

[1] مقطعة رقم (47).

[2] مقطعة رقم (1113).

فابن نباتة بوصفه عالم وشاعر يقدم النصح لمجتمعه، ويبين أن سبب هذا الطاعون هو العجب الذي أصاب الناس وأنّ دمشق قد ضربت نفسها بهذا الطاعون بسبب إصرارها على العُجب متمثلًا قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[1]

سابعًا: الأغراض الشعرية المُستحدثة

بالإضافة إلى موضوعات الشعر التقليدية التي نظم عليها الشعراء قديمًا فقد كان في ديوان ابن نباتة للأغراض الشعرية الجديدة نصيب، ذلك أن لكل عصر من عصور الأدب نصيبه من التقدم والإبداع، ولكل أهل زمانٍ بصمةٌ يضيفونها لآداب زمانهم يظهر صداها في أعمال شعرائهم وأدبائهم، وكذلك عصر شاعرنا ومعاصريه من الشعراء فقد "عالج شعراء هذا العصر أغراض الشعر العربي المعروفة، واستحدثوا كثيرًا من فنونه وطرقوا كثيرًا من المعاني المولدة"[2].

وقد شملت هذه الفنون والطرق المستحدثة كثيرًا من جوانب الأدب خاصةً ما يتعلق منها بالموضوعات الشعرية المستحدثة التي هي محل البحث هنا.

وبالنظر إلى الموضوعات الشعرية المستحدثة في الشعر في زمان شاعرنا نجدثها انعكاسًا طبيعيًا للحالة الاجتماعية والفكرية التي عاشها الناس في ذلك الزمان، فالنهضة العلمية وتسابق الشعراء في طرق أبواب الفنون الشعرية أدّى إلى نوع من الترف الفكريّ الذي جعل من الأدب في بعض أشكاله رياضةً ذهنيةً يتسلى بها الأصدقاء كما سيتبيّن في باب الألغاز، بالإضافة إلى الميل إلى التجديد والخروج عن المألوف الذي دفع بعض الشعراء إلى وصف كل ما تقع عليه عيونهم كوصف أرباب الحرف والصناعات، كما أنّ شيوع الفن والأدب بين الناس واقترابه من حياة العامة قد جعله

---

[1] سورة الشورة، آية (30).

[2] باشا، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ص465.

يختلط بوسائل حياتهم اليومية فيُظهر غرضًا شعريًا جديدًا يتمثل في أبياتٍ شعريةٍ قصيرةٍ تقال لتُنقش على الأواني والأدوات، فموضوعات الشعر في ذلك العصر قد تطورت وتوسعت بشكلٍ كبيرٍ، حيث بلغت المقطعات التي قيلت في الأغراض الشعرية المستحدثة في ديوان الشاعر 31 مقطعة موزعةً على عدة موضوعاتٍ منها: الألغاز، وصف أرباب المهن والصنائع، وما يكتب للنقش على الأواني.

الألغاز

كما أسلفنا فإن حالة من الترف الفكريّ عند شعراء ذلك العصر قد جعلت من الشعر في بعض المناسبات رياضةً ذهنيةً يتبارز فيها الشعراء ومتنفسًا يتسلَّى به الأصدقاء، فظهر شعر الألغاز والأحاجي، فالألغاز وإن كانت من الفنون القديمة التي عُرفت بين الناس قبل ذلك العصر ولكن الجديد –هنا– هو نظمها في أبياتٍ شعريةٍ موزونةٍ بحيث يظهر إبداع الشاعر في صياغة اللّغز، وفي نظمه لذلك فقد "كانت الألغاز رياضةً ذهنيةً وروحًا سائدةً أيام المماليك ومن عاصرهم أُغرم بها العلماء والأُدباء والمتصوفة وخضع لها الشعراء، وكاد أن يكون لها أبوابٌ في الدواوين وتراسل في أمرها الأصدقاء"[1]، ولكون الألغاز تعتمد الإضمار والتورية لذلك فقد كان من الطبيعي أن نراها تكثر في المقطعات القصيرة، فقد كان لها في مقطعات شاعرنا نصيبٌ وافر[2] فمن ذلك قوله ملغزًا في شطرنج:

وما صامتٌ يمضي ويرجع حائرًا ... ويقضي على أوصاله الوصل والصّد
كأن الأسى آلا عليه أليةً ... فما فيه إلّا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمسٌ على أنّ شطره ... ثلاثة أخماس الحروف التي تبدو[3]

يمكن أن نلاحظ من اللغز في الأبيات السابقة أن الشاعر يعتمد في الإيحاء بالإجابة على أمرين: أولهما وصف الشيء الذي ألغز به وثانيهما الإشارة إلى اسمه، فهو يصف الشطرنج وحال

---

[1] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك، ص179.
[2] انظر المقطعات رقم: (39)، (304)، (738)، (812).
[3] مقطعة رقم (305).

أحجارها أثناء اللعب من ترددها نحو الأمام والخلف، ويصـــف مكوناتها التي كانت تصـــنع منها في زمانه فأحجارها مصـــنوعةٌ من العظم وقاعدتها من الجلد، أمّا في البيت الأخير فيومئ باســمه المكون من خمسة أحرف على أنّ ثلاثة منها مجموعةٌ في كلمة "شطر".

وقد يلغز الشاعر بشيء فيذكر وظيفته التي يؤديها ليشير إليه، كما في قوله ملغزًا في قلم:

مــولاي مــا اســمٌ لناحــلٍ دنــفٍ ومـــــا بـــــه لا أذىً ولا ســـــقم

لســـان قـــومٍ فـــإن حـــذفت وإن صـحّفت بعـض الحـروف فهـو فـم[1]

فالشـاعر يشـير إلى وصـف القلم حين ينعته بالنحول، ثم يزيد الأمر توضـيحًا حين يبين الدور العملي للقلم الذي هو صِـــنو اللســـان في التعبير عما يدور في الذهن، ولكنّ الشـــاعر يرجع في نهاية الأبيات إلى اللغة لبيان حقيقة ذلك الشيء، فهو "قلم" لحقه حذف اللام وصُحّفت قافه فاءً فأصبح "فم".

وهكذا يتبيّن أنّ الألغاز من حيث هي رياضـــةٌ ذهنيةٌ قد بناها الشـــعراء على إعمال العقل في البحث عن الإجابة من خلال ما يُبثُ في اللغز من صفات الشيء أو استخداماته، ولكنّ الركيزة الأبرز التي اعتمد الشـعراء عليها في ألغازهم هي اللغة، فهي موطن الشـاعر ومرتعه وهو أدرى بشـعابها لذلك غلب على تلك الألغاز التعمية باســـتخدام التقنيات اللغوية "فجاءت بالتصـــحيف والقلب والحذف والتبديل"[2] وذلك كما في مقطعة الشـــاعر التي يجيب بها عن لغزٍ مركبٍ يتطلب الكشـــف عنه إعمال كثيرٍ من تلك التقنيات حيث يجيب قائلًا:

---

[1] مقطعة رقم (1105).

[2] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك، ص180.

يـــا أديبًـــا فـــي نظمـــه لا يجـــارى وعلـــى طـــرق لغـــزه لا يماشـــى

مـــاشِ مـــن شـــئت فـــي طرائـــق شـــتى مـــن علـــومٍ فإنّـــه لا يتلاشـــى

واهـــد مـــا شـــئت لـــي نباتًـــا ولغـــزًا قـــد هـــدى خـــاطري وإن قيـــل طاشـــا

فـــي نبـــاتٍ قلنـــا جمـــادًا فلمـــا صـــحّفوا مـــاس كالقضـــيب انتعاشـــا

كـــان طُعمًـــا فأحســـنوا حـــين زادوا فأضـــحى ذاك الطعـــام قماشـــا

ثـــم أُبـــدلت حـــين نقصـــت حرفًـــا فوجـــدت القمـــاش أصـــبح شاشـــا

بـــأبي أنـــت أطربتـــك معانيـــ ـــك فقـــال اقتضـــاب نظمـــك باشـــا[1]

من المؤكد أن لغزًا بهذا التعقيد والتسلسل لم يكن ليرسله صاحبه إلّا إلى شاعرٍ فذٍ خبيرٍ بمداخل اللغة ومخارجها كشاعرنا، حيث أدرك ما لحق بكلمة (ماس) من تصحيفٍ فأصبحت (ماش)،ثم لحق بها زيادةٌ بحرفٍ فأضحت (قماش) ثم أُبدلت الميم شينًا وحذفت القاف فكان الجواب (شاش).

يبقى أن أشير في هذا الموضوع إلى الأشياء التي ألغز بها الشعراء في أشعارهم فقد تعددت هذه الأشياء وتنوعت بحيث يصعب حصرها، ولكن من الممكن ملاحظة أن بعض الأدوات التي كانت مستخدمةً في زمانهم كالقلم والدواة والسيف بالإضافة على بعض العلوم قد كانت تتكرر في هذا النوع من الشعر عند كثيرٍ من الشعراء.

الغزل بأرباب المهن والصنائع

لا يزال شاعرنا ابن نباتة يروي لنا تفاصيل مجتمعه ويصور لنا الحياة في عصره، فلا يألو جهدًا في طرق أيّ بابٍ من أبواب موضوعات الشعر المستحدثة في زمانه التي اقترب بها الشعراء من واقع الحياة اليومي فقربوا إلينا تصورّه، وفي هذه المرة نراه يصف أرباب الحرف والصناعات بأسلوبٍ لا يخلو من الفكاهة أحيانًا أو الغزل أحيانًا أخرى، فمن ذلك قوله يصف طحّانًا:

---

[1] مقطعة رقم (672).

طحـــانكم قـــد زهـــا جمـــالًا فـــلا يطـــاق الســـلو عنـــه

ودقّ خضـــرًا فليـــت شـــعري بكـــم يبـــاع الـــدقيق منـــه[1]

فالشاعر الذي جاء ليشتري دقيق القمح أو الطحين من عند هذا الطحان وجد نفسه وقد أُعجب به حتى غدا يتساءل عن سعر الدقيق ولكنه بهذه التورية يوقع السامع في الحيرة، هل يسأل عن سعر دقيق القمح، أم دقيق خصر الطحان.

وفي مشهدٍ آخر يصور لنا الشاعر ما دار بينه وبين خياطٍ جميل الصورة:

ألا يـــا حســـنها فرجيـــةً مـــن فراجـــي الفخـــر كانـــت مـــن الطـــوال

رأى الخيـــاط صـــافيةً شـــمولًا صـــفاء بياضـــها فأدارهـــا لـــي[2]

مع أنّ الشـــاعر يعبر عن إعجابه بذلك الثوب الأبيض الطويل إلا أن إعجابه بالخياط يبدو أكبر، بحيث يحدثنا عن أنّ ذلك الخياط قد أدار له من لحاظه كأسًا من الخمر الصافية كصفاء الثوب فلا نعلم أهي خمرٌ على الحقيقة أم هي خمر حسن الخياط التي أذهبت عقل الشاعر.

وفي مشهدٍ ساخرٍ آخر يتحدث عن جنديّ طويلٍ فيقول:

ظننـــــا طولـــــه يجـــــدي بيـــــوم العـــــرض أو يرضـــــي

فـــــلا والله مـــــا أجـــــدى وراح الطـــــول فـــــي العـــــرض[3]

دائمًا ما كان طول القامة وقوّة الجسم من أول الشروط للقبول في المؤسسات العسكرية، ولكنّ الجندي الذي يصفه شاعرنا لا يملك كما يبدو غير هذه الصفة مؤهلًا للعمل العسكري، فالشاعر حين رأى طوله ظنّ به خيرًا، ولكنّ ظنّه فيه سرعان ما خاب عندما رأى العرض العسكري.

---

[1] مقطعة رقم (1330).

[2] مقطعة رقم (969).

[3] مقطعة رقم (692).

وعلى الرغم مما يبدو في هذا الباب من بساطةٍ وعفويةٍ توحي بأن الشاعر كان يتخذ من هذا الباب متنفسًا للهو والتسلية، إلا أننا يمكن أن نرى فيه توثيقًا من الشاعر لبعض الظواهر الهامة في عصره ومنها ظاهرة قلّة اعتناء الحكام بالشعراء وسوء حالهم ما دفع كثيرًا منهم للبحث عن مصدر رزقٍ آخرٍ "فاتجهوا بأنفسهم طلبًا للرزق اتجاهاتٍ مختلفةً فمنهم من صار قاضيًا، ومنهم من صار كاتبًا، ومنهم من صار محترفًا: جزارًا أو دّهانًا أو ورّاقًا أو حمّاميًا أو غير ذلك"[1] وفي هذا يقول ابن نباتة:

تتناسب الأوفاق في أفلاكها ... من قبل ما يتناسب الممتاز

يحيى ويحيى شاعري وقتيهما ... هذاك جزارٌ وذا خبّاز[2]

من الواضح أن الشاعر يعزو هذا المصير للقدر وينسبه للحظ فيرى أنّ تشابه حظي الشاعرين قد جاء قبل تشابه اسميهما فتشابهت مصائرهما، ولكن يبدو أنّ الشاعر نفسه لم يكن مقتنعًا بهذا التعليل حيث يكرر هذا الوصف في مواضع أُخرى[3] بما يوحي بأنّ هذه الظاهرة لم تكن ظاهرةً فرديةً متعلقةً بهذين الشاعرين، وأنّ كثيرًا من الأسماء التي لم نسمع عنها ولم تشتهر في عالم الشعر كان من الممكن أن يسطع نجمها ويُسمع صوتها لو لاقت من العناية والرعاية ما يكفيها عن الاشتغال بطلب الرزق عن الشعر.

ما يُنظم للنقش على الأواني والأدوات

يكاد يكون هذا الباب من المسكوت عنه في أدب تلك المرحلة فلم أجد – فيما وصل إليه علمي– بحثًا وفاه حقه أو دراسةً جلّت محاسنه على النحو الذي يستحق، ذلك بأنّ هذا النوع يدمج ما بين أصنافٍ شتى من الفنون، فتّارة يجمع الشمل بين فنّي الشعر والخط وأُخرى يأذن بالوصال بين فني الشعر والنقش، وفي كُلّ حالٍ يُنتج لنا لوحةً يزيد الخطّ أو النقش فيها جمال النّص الشعري فيبهر

---

[1] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، (ق: 2)، 216/4.

[2] مقطعة رقم (631).

[3] ينظر مقطعة رقم (620).

بضـيائه العين قبل أن يبهر بشـاعريته القلب والعقل، فلا عجب أن يتسـابق شـعراء عصـر ابن نباتة ونظراؤه إليه ولا غرابة أن نجده في دواوين الكثيرين منهم.

لم يكن ظهور هذا الغرض الشـعري مستغربًا، فهو وإن كان وليد ذلك العصـر إلّا أن له جذورًا قديمةً قد سبقته بأحقاب، ففن الكتابة والرسم على الجدران قد سبق تلك المرحلة بآلاف السنين، وكذلك فن الرسـم والنقش على الأواني، ولكن الجديد المبتكر في ذلك العصـر هو أن تنظم أبياتٌ من الشـعر خاصّـةٌ لتلك الأداة أو لذلك الإناء، فتظهر الأبيات وكأنها مديحٌ لتلك الأداة كما في قول ابن نباتة فيما ينقش على دواة:

نعـم الـدواة حكـت بـيض الظبـا فلهـا بـــين الممالـــك تمهيـــدٌ وتشـــييد
كـــأن أقلامهـــا منهـــا منصـــلةً فلـم يفتهـا إلـى الأغـراض تسـديد[1]

فالدواة التي هي من الأدوات المحببة إلى قلب الشـاعر لارتباطها بالعلم في صـغره وبما يكتب له من العطايا في كبره تستحق منه ذلك المدح، لذلك نراه يزينها بدُرر نظمه فيخلع عليها من الصفات ما يشـعر السـامع بأنّه يمدح ملكًا عظيمًا أو قائدًا مقدامًا، فهذه الدواة لها أوامر نافذةٌ في الممالك، وهي كذلك مسددة الرمي لا تخطئ هدفها.

وفي صـورةٍ أُخرى من صـور الزخارف التي زادها شـعر ابن نباتة جمالًا يقول فيما نُقش على طست مطعّم:

تشـبهت بالغـدران والـروض حولهـا فأصـبحت ملهـى النـاظر المتوسـم
وأنبـتّ بـالتطعيم أشـجار فضّـةٍ ومـن أحسـن الأشـجار كـل مطعـم[2]

---

[1] مقطعة رقم (317).

[2] مقطعة رقم (1104).

يكاد القارئ لهذه الأبيات أن يرى جمال ذلك الطست عيانًا لروعة الصورة التي يرسمها له الشاعر، فمن فاته رؤية ذلك الطست والاستمتاع بالصورة الفنية البصرية للماء فيه وقد أحاطته أشجارٌ من الفضة فما فاتته الصورة السمعية التي رسمها له الشاعر فكأن الماء الذي فيه غدران، وأشجار الفضة التي طُعم فيها رياض من حولها.

ومن ناحيةٍ أُخرى يمكن أن نرى أنّ هذا النوع من الشعر لم يكن يُقصد منه إظهار الجانب الفنيّ في كُلّ الأحوال بل يمكن أن نقول إنّه قد كان في بعض الأحيان بابًا من أبواب التكسب بالنسبة للشعراء، فانظر إلى قول الشاعر فيما يكتب على إبريق:

لي في ندىً ومحاسنٍ خبرٌ يلذّ ويستطاب
فأنا وراحة مالكي كالبحر يمطره السحاب[1]

فالناظر إلى هذه المقطوعة لا يمكن أن يخطئ الألفاظ التي اعتاد الشعراء على استخدامها في مديح التكسب كالندى والمحاسن وراحة يد الممدوح، ولكنه يرى صورة التكسب أوضح في ذلك التشبيه الرائع الذي يشبه فيه الشاعر الإبريق وهو يصب الماء على يد مالكه بالسحاب الذي يصب الماء في البحر، فتشبيه الكريم بالبحر هو من التشبيهات المكررة، ولكن الطريف في تشبيه شاعرنا توظيفه للإبريق الذي شبهه بالسحاب ليصل من خلاله إلى ممدوحة الذي هو كالبحر.

يبقى أن أذكر أن هذا النوع من الشعر لم يكن يقتصر على الأدوات الثمينة أو الأواني الفاخرة، بل انتشر في ذلك الزمان ليشمل أدواتٍ بسيطةٍ كالألعاب وغيرها من الأدوات التي تستخدم في الحياة اليومية[2].

---

[1] مقطعة رقم (52).

[2] ينظر المقطعات: (322)، (682)، (747).

ثامنًا: الشعر الاجتماعي

عند قراءة أي بحثٍ في الشـعر الاجتماعي في أيّ حقبةٍ من حقب الأدب العربي فسـرعان ما نرى أنّ البحث –غالبًا– سيتجه إلى قضايا المجتمع الكبرى وإلى المشكلات السياسية التي يعاني منها، وسـرعان ما يغوص في تحليل أسـباب المشـاكل والبحث عن دور الأُدباء في معالجتها أو آرائهم فيها، وهذا الاتجاه في البحث هو الأصـل فالمشكلات السياسـية والقضـايا الاجتماعية الكبرى كغياب العدالة الاجتماعية أو انتشـار الفسـاد وانحطاط الخُلق هي الأصـل الذي يجب أن يبني عليه الشـاعر شـعره الاجتماعي إذا كان يقصد منه الإصلاح لا مجرد وصف واقع مجتمعه، ولكنّي في هذا الموضع سأنحو منحىً مختلفًا بعض الشيء محاولًا استقراء حال مجتمع الشاعر من خلال شعره الذي يصف فيه الحياة اليومية البسـيطة لعّامة الشـعب، وما يظهر فيها من اتجاهاتٍ فكريةٍ أو دينية، وما ينتظمها من بعض العادات الاجتماعية.

وبالنظر في شـعر ابن نباتة يمكن أن نسـتخلص أنّ الشـاعر كان يعبّر عن كثيرٍ من التيارات الفكرية والمذاهب الدينية بشـكلٍ عفويّ لم يقصـد منه ترجيح أحدها على الآخر أو الانتصـار لبعضـها على بعض بل كانت تجسـيدًا حقيقيًا لما عليه مجتمعه، ومن أمثلة ذلك أنّ "الأيوبيين اعتمدوا منذ بدء عهد صـلاح الدين على المذهب الشـافعيّ" [1] لمواجهة المذاهب الشـيعية التي حاول العبيديون نشرها، ولكنّ هل نجح الأيوبيون في ذلك؟ يجيبنا ابن نباتة على هذا السـؤال من خلال شـعره، حيث يبين في عدة مواضـع أنّ المذهب الشـافعي قد نجح إلى حدّ كبيرٍ في التغلب على ما سـواه من المذاهب في المجتمع حتى غدا يتكرر في شعر شاعرنا، ومن ذلك قوله:

أفدي إمامًا حكى حسنًا ليوسف إذ للشـــافعيّ حكى أوقـات تـدريس
يقول في الحفل رائيةٍ وسـامعه هذا ابن يعقوب أم هذا ابن ادريس[2]

---

[1] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص50.

[2] مقطعة رقم (647).

يتضح من الأبيات أنّ المذهب الشافعيّ كان يدرّس في المساجد، وأنّ جموعًا من الناس كانت تحضر درس هذا العالم الذي يشبهه بالشافعي في العلم ويوسف في الحُسْن.

فقد غدا الشافعي هو الإمام الذي يضرب به المثل للتقوى والعلم، فإذا أراد الشاعر مدح أحد العلماء شبهه بالشافعي كما في قوله:

نعتوك حقًّا بالإمام لما حوت عليك من نسك وعلم بارع
وأعنت أرباب المقاصد شافعًا لهم فأهلًا بالإمام الشافعي[1]

وعلى الرغم من نجاح الأيوبيين في نشر المذهب الشافعي في دولتهم والقضاء على المذهب الشيعي الذي فرضته الدولة الفاطمية إلّا أنّ التغييرات الفكرية في المجتمعات لا تحصيل بين عشيةٍ وضحاها، فقد "بقيت الكثير من مظاهر التشييع والرواسب الدينية الأُخرى التي طبعت الحياة بطابعها"[2]وبقيت تؤثر في مجتمع الشاعر، حتى إنّ الشاعر نفسه كان متأثرًا بهذه الرواسب سواءً قصد أم لم يقصد، حيث نراه في إحدى مراثيه يقول:

سقيا للحدك يا عليّ فإنّه لحد الرئاسة والثناء العالي
مالي ونظم القول بعدك في الورى ذهب المقال فلات حين مقالي
لا زال قلبي رافضيّ تصبرٍ أسفًا عليك ومدمعي متوالي[3]

يمكن للقارئ أن يلاحظ مدى تأثر الشاعر بكثيرٍ من الألفاظ التي بقيت في المجتمع من رواسب الحقبة الفاطمية فنراه يظهر التفجع والندبة في مرثيته باستخدام أسلوب النداء "يا عليّ" حيث يذكر اسم الملك وليس لقبه كما جرت عادته، وقد استخدم هذا الأسلوب في مواضع أُخرى من قصائده

---

[1] مقطعة رقم (776).

[2] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص51.

[3] مقطعة رقم (995).

للاســـتغاثة "بعلي" في حياته وكثيرًا ما كان يورّي باســـم عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، عن ممدوحه[1] بأسلوبٍ يظهر فيه مدى تأثره بفكر بعض المذاهب التي تعظّم عليًا وتستجير به.

وفي موضـعٍ آخر يوثّق الشـاعر عادةً اجتماعية كانت موجودةً في زمانه ولا زالت موجودةً في مصر حتى أيام الناس هذه وهي عادة تعظيم قبور آل البيت وزيارتها والتبرك بها، وفي ذلك يقول:

وجـاء قبر الإمـام ســـيدنـا الحـ ـــــسين صـوبٌ من الرضـى هامع
ذاك الحســـين الذين مضـــى فأنا لا هـو ظـامٍ إلـى الـلـقـا جـائـع
ذاك الـذي كنـت من عوارفـه أسـند عن عاصـمٍ وعن المنى نافع
مبـاشـــروا الجـامع الـذين هم صـــحبي ولكن على المنى مـانع
لولا نـداك العميم يشـــملنـا مـا كـان بيني وبينهم جـامع[2]

وعلى الرغم من أنّ موضوع المقطعة هو المديح والشكر لقاضـي القضـاة على عطائه للشاعر ولمباشري مسجد الحسين إلّا أنّ الشاعر لم يجد بُدًّا من أن يُعرّج على قضية الإمام الحسين، ولم يجد حرجًا في أن يذكر أنّه يعتصـــم به ويرجو النفع منه، وهذا القول لم يكن ليذكره الشـــاعر لولا أنّه كان مقبولًا في عرف أهل زمانه وإلّا فإنّه مما يُنكر في المجتمع الإسلاميّ غالبًا.

ومن جهةٍ أخرى نرى اتجاهًا فكريًّا آخر ساد في زمان شاعرنا ومجتمعه فظهر جليًا في أشعاره وقصـائده وهو التصـوف "فالأخطار الخارجية الكبرى التي أحاقت ببلاد المسـلمين، وما انتشـر فيها من كوارث طبيعية، وما تخللها من غلاء ومجاعات، كل ذلك دفع المســتضـــعفين من فقراء ومعوزين إلى اتخاذ التصـوف سبيلًا"، وهذا التصـوف يمكن أن نراه في قصـائد ابن نباتة من خلال اتجاهين: أولهما: ظهور بعض عبارات المتصـوفة والمصـطلحات الصـوفية في أشـعاره. وثانيهما: ظهور نزعة الزهد في بعض قصائده.

---

[1] انظر مقطعة رقم (402).

[2] مقطعة رقم (733).

أمّا مصطلحات التصوف فمنها قول الشاعر يصف مسجدًا بمصر:

لقد قرّ طرف مصـــلٍّ بمصـــر بمســـجـد هـذا الكريم انجـذب
ودار الـنـحـاس بـه غـيـرّت فصـــارت لعمري دار الـذهـب[1]

فالشاعر حين أراد وصف المسجد وما به من سكينةٍ وخشوع عمد إلى وصف حال المصلي في هذا المسجد الذي قرّ طرفه فيه حتى وصل إلى حال "الانجذاب" وهو مصطلحٌ صوفيٌّ يستخدم للتعبير عن حال العابد الذي انقطع عن الدنيا ودخل عالمه الخاص الذي لا يعرف فيه سوى معبوده.

ونراه في مواضع أُخرى يذكر أسماء بعض الطرق الصوفية ويُشيد بمشايخها كما في قوله:

يا شـــيخ عَلَمٍ وشـــيخ علمٍ فمن عيـانٍ ومن ســـمـاع
رفعـت قـدري عطفًـا ولفظًـا يـا ســـيـدي أحمـد الرفـاعي[2]

فالطريقة الرفاعية هي إحدى الطرق الصـــوفية المعروفة في مصـــر والشـــام ولها مشـــيختها وأتباعها حتى يومنا هذا ويبدو أن شيوخها في زمن الشاعر لم يكونوا يقتصرون على النواحي التعبدية كما هي الحال في أيامنا، وإنما كانوا من أهل العلم والعطاء.

وبالإضافة إلى ذكر الطرق الصوفية وشيوخها يمكن كذلك أن نجد ذكرًا للمريدين وهم طلاب العلم واتباع الطرق الصوفية، ونجدُ ذِكرًا للزوايا وهي أماكن العبادة والخلوة التي استخدمها المتصوفة ولا زالت بعضها قائمةً حتى يومنا هذا[3].

وفي الاتجاه نفسه يمكن أن نلاحظ ظهور نزعةٍ من الزهد في شعر ابن نباتة، فالزهد وإن كان ظاهرةً سابقةً لعصر شاعرنا إلّا أنّه في عصره قد شاع وازدهر، ولعلّ سبب هذا الشيوع لظاهرة الزهد في عصر الشاعر يرجع إلى الأسباب نفسها التي شجعت على التصوف هذا بالإضافة إلى انتشار

---

[1] مقطعة رقم (102).
[2] مقطعة رقم (794).
[3] ينظر مقطعة رقم (361) ومقطعة رقم (654).

بعض مظاهر الفساد في المجتمع "فليست المفاسد في هذا العصر بشيءٍ جديد بل هي متفشيةٌ منذ العصـــر الفاطمي" [1]، ويمكن أن نرى بعض مظاهرها بارزةً في شـــعر ابن نباتة، لذلك كان من الطبيعي أن يظهر اتجاهٌ آخر يمثل رَدّ فعلٍ مبالغٍ فيه على هذا الفســـاد يتمثل في تيار الزهد، أمّا ابن نباتة فإنه –كما يظهر من ســـيرة حياته– لم يكن زاهدًا ولا محجمًا عن ملذات الدنيا ومتع الحياة، ولكن بوصفه ظاهرةً فنية تُصور حال المجتمع كان لا بُدّ لنزعة الزهد هذه أن تبرز في شعره ما دامت جزءًا من ثقافة مجتمعه، فمن شعره في الزهد قوله:

أُفٍ لعبد الدينار لو رضـــيت همتــه بــالشـــقــاء والـفكر
يـا عـابـد الـدرهم الخلّاص أفق فـإنمـا أنــت عـابـد الحجر[2]

ما أغرب أن نســـمع هذا الكلام في شـــعر ابن نباتة، فقد اعتدناه يمدح الملوك ويطلب الذهب والفضـــة، ويســـتهدي الأصـــدقاء والوجهاء، ثم نراه –هنا– يصـــور عبد الدينار وما يعانيه من الشـــقاء الجسدي في السعي وراءه والشقاء النفسي في تفكيره فيه، ثم يحاول أن يُنبه هذا الغافل الهائم في عبادة المال حين يساوي بينه وبين عبدة الأوثان والحجارة.

وفي موضعٍ آخر نراه يُذَكّر المتكبرين بأنّ ما هم فيه من الترف لا بُدّ إلى زوال، حيث يقول:

قـل لمن بـالغ في الفخر بمـا قـد حواه من حطـامٍ تيســـر
أنــت فـخّـارٌ بـدنـيـاك ولا بُـدّ للفخّـار أن يتكســـرّ[3]

فالشـاعر يبدأ أبياته بتحقير شـأن حطام الدنيا مما يجمع الناس ويتنافسـون عليه، ثم يؤكد بعد ذلك من خلال توريةٍ لطيفة أنّ المكثر من الفخر بالدنيا لا بُدّ زائلٌ عنها كما أنّ آنية الفخار لا بُدّ يومًا بأن تتكسر.

---

[1] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص59.
[2] مقطعة رقم (599).
[3] مقطعة رقم (604).

لا يتوقف الأمر في شعر ابن نباتة على وصف الظواهر العامّة والاتجاهات الفكرية في زمانه، بل يتعداها الشاعر ليصف لنا بعض التفاصيل الدقيقة من الحياة اليومية كوصف أنواع الأطعمة وما يُعدُّ منها في بعض المناسبات ووصف أنواع الألبسة ومن يختصّ بها من طبقات المجتمع فمن أمثلة ذلك في شعره:

طلب الطعام

دائمًا ما يكون يوم العيد يومًا استثنائيًا له تميّزه عن سائر الأيام حتى في أطباق الطعام التي تُحضّر فيه، ولم يغب عن ابن نباتة أن يذكر لنا أنواع طعام العيد في بيئته حيث يقول:

يا أيها العلم الفرد الوزير ومن أرجو نداه إذا جافاني الأمل
وعاقني عن نداك الصّاحبي وعن رسمي من العيد وحلّ ليس يحتمل
وفاتني صحن حلوٍ والشواء فلا شمسٌ لمطلع آمالي ولا حمل
عش للمفصّل من حمدٍ يقال إذا بدا على مثل هذا تنفق الجمل[1]

لسوء حظ شاعرنا يبدو أن طقوس العيد وما يتخللها من تبادل التهنئة قد أخرته عن حضور مجلس الوزير حتى فاتته مائدة الطعام التي يوري عنها بالشمس لطبق الحلو وببرج الحمل عن الشواء، ويظهر من أشعار ابن نباتة أنّ الشواء كان من طعام الخواص وليس من الطعام المتداول بين الناس بشكلٍ كبير، حيث يصل الأمر بالشاعر لأن ينظم قصائد المدح مقابل الحصول عليه، وذلك كما في قوله:

سيدي أصبحت مقروح الحشا وبشيّ اللحم في ذا اليوم عانى
زخرف الألفاظ قد أرسلته فعسى تملأ بيتي بالدخان[2]

---

[1] مقطعة رقم (982).

[2] مقطعة رقم (1310).

يوجه الشـاعر بسـور القرآن الكريم لترغيب ممدوحه في إجابة طلبه وتلبية حاجته، فقد تقرحت أحشـاؤه لطول عهده عن أكل اللحم، فقد وجه باسـم سـورة الزخرف عن زخرفة ألفاظه في شـعره ووجه باسم سورة الدخان عن دخان الشواء الذي يتمنى الشاعر من ممدوحة أن يرسله إليه.

أمّا عن القطايف الذي لا يزال يحتلُّ موقع الصـدارة في شـهر رمضـان حتى أيّامنا هذه، فهو وإن كان يرجع إلى عهد بدايات الدولة الأموية إلا أنه يبدو أنّه كان في زمن الشاعر الحلوى المفضلة، حيث يظهر في غير موضـعٍ من مقطعات الشـاعر مرافقته لطعام الإفطار في رمضـان في تلك الأيام، ومن ذلك قوله:

أقول وقد جاء الغلام بصـــحنه عقيـب طعـام الفطر يـا غـايـة المنى
بعيشـك قلّي جاء صـحن قطايفٍ وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى[1]

يظهر أنّ للقطايف مكانةً خاصّـــةً في قلب الشـــاعر ويظهر ذلك من قرائن عدّةٍ في البيتين السـابقين، فهو يسـتعجله بعد الفطر مباشـرة حيث يسـتخدم صـيغة التصـغير "عُقَيب" وليس عقب، ثم إضافةً إلى تصريحه بأنه يهواه فإنّه أيضًا يستطيب سماع اسمه فيرفض إطلاق الكنى عليه، ويظهر أنّ تبادل أطباق الطعام كان أمرًا مألوفًا في مجتمع الشـاعر حيث نرى الشـاعر في غير موضـعٍ[2] يعبر عنها بشكلٍ اعتياديّ لا حرج فيه، وأحيانًا بشكلٍ فكاهيّ كما في قوله:

جـاءت إليّ الشـــوربـا فحبـذا يـا ســـيـدي منـك طعـامٌ معجـب
أفـاد جســـمي قوةً فهـا أنـا كمـا يقـال الأســـدُ المشـــورب[3]

---

[1] مقطعة رقم (1371).
[2] ينظر المقطعات رقم: (1036)، (1058).
[3] مقطعة رقم (146).

وصف اللباس

تختلف الألبســة من زمانٍ لآخر ومن بيئةٍ إلى أخرى، وكثيرًا ما تتميز فئة من الناس في زمانٍ محدد أو مكانٍ معينٍ عن غيرها من خلال لباســـها، وتتمايز طبقات الناس في بعض المجتمعات من خلال أنواع الألبسة، وبما أنّ الشعر ديوان العرب والشاعر هو المرآة التي تعكس تفاصيل حياة مجتمعة كان طبيعيًا أن نلاحظ بعض الظواهر المتعلقة باللباس في الشعر، وقد كان لابن نباتة نصيبٌ من هذا البيان في مقطعاته، وبالنظر إلى هذه المقطعات يظهر لنا أنّ العلماء في زمانه قد كان لهم زيٌّ خاصٌ، ويظهر ذلك في قوله:

تهنّ بها بيضــاء من خلع الرّضــى تخبّر أنّ العيش يلقــاك أبيضـــا
ويا حبذا خضـــراء لمّا لمســـتها بكفٍّ رأينا الغيث في الحال روضـــا
وما الغيث إلّا الطيلســان الذي حوى بك الغيث هامي الجود والبدر قد أضــا[1]

يتضح من الأبيات أنّ الزي الذي كان يلبسه الممدوح يتكون من ثوبٍ أبيض يُلبس فوقه وشاحٌ أخضر على الأكتاف وهو الطيلسان، ويعلل الشاعر خضرة لون هذا الطيلسان بأنه روضٌ أخضر قد نبت سريعًا حين لامسه غيث يد الممدوح لشدة كرمه إلّا أنّ هذا الوصف ليس خاصًا بالممدوح بل يرى الباحث في عدة مواضع أنّ الشاعر يصف زي العلماء والخاصة بنفس هذا الوصف[2].

وكما كان للعلماء زيّهم الخاص فقد كان للجند أيضًا زيهم، ويظهر ذلك من خلال الصورة التي يرسمها الشاعر لما يبدو أنّه عرضٌ عسكريٌ حيث يقول:

مليـكٌ بـدا في أحمرٍ من ملابسٍ كـذلـك بـدت من حولـه الخيـل والجنـد
بدوا كلهم في حلّة الورد ملبسًـــا فقال الورى هذا هو الأســـد الورد[3]

---

[1] مقطعة رقم (694).
[2] ينظر المقطعات (708)، (877)، (1170).
[3] مقطعة رقم (394).

فكما كان للعلماء ثوبهم الأخضـــر الذي يوحي بالخير والعطاء، فقد كان للجند ثوبٌ أحمر يوحي بلون الدماء وأجواء القتال، لذلك لم يكن تشبيه الشاعر لثيابهم بالورد تشبيهًا موفقًا، ويظهر أنّ الخيل أيضًا كانت تغطَّى بغطاءٍ أحمر اللون في المعارك أو العروض العسكرية.

ويصف لنا الشاعر بعض ضروب تزيين الملابس حين يصف خُلعةً أُهديت إليه حيث يقول:

قاضي القضاة بعثت لي شبه السما ونجومها وأردت رفعت شـــاني
بالخلعة الزرقاء تتلو الفضة الـــ ـــبيضاء ذات الحسن والإحسان
إمّا برفع ســـهيل أمســـى طالعي قدرًا وإمّا طالع الميزان[1]

يبدو أنّ الخلعة التي أهداها قاضي القضاة للشاعر كانت مزينةً بقطعٍ من الفضة، ويظهر ذلك من خلال الصورة التي يرسمها الشاعر لها حيث يشبهها بالسماء التي تزينها النجوم، وكذلك تلك الخلعة الزرقاء كزرقة الســـماء تظهر فيها قطع الفضّـــة منتظمةً كانتظام النجوم في أبراجها ومتلألئة مثلها.

ولم يفت الشاعر في هذا الباب أن يذكر لنا بعض الخامات التي تصنع منها الثياب، ومن ذلك قوله:

دعا ابني لمولانا بقلبٍ ونيةٍ دعاء أبيه صـــالحًا وكثيرًا
وألبسته من فاخر الصوف جبّةً ســـتعاض عنها جنّةً وحريرًا[2]

فمع أنّ الصوف في زمان شاعرنا كان يوصف بأنه لباس الزهاد أو الفقراء إلّا أن الشاعر يفصل فيه القول حيث يبين أن منه أنواعًا فاخرة كانت متداولةً حتى بين الخاصّة من الناس.

---

[1] مقطعة رقم (1261).

[2] مقطعة رقم (615).

وبالإضافة إلى ما سبق من الشعر الاجتماعي الذي يرسم لنا به الشاعر صورًا من مجتمعه في أدق تفاصيله لم يفت الشاعر أن يُظهر شخصيته المصرية الشعبية التي تُصور بعض الأحداث والمواقف الاجتماعية بشكلٍ فكاهيّ ساخر كما سيتبين.

السخرية

لم تكن السخرية من الموضوعات الشعرية في الشعر العربي القديم، وقلَّ ما نجدها في شعر الجاهلية وصدر الإسلام سوى في بعض الهجاء الذي يتسم بالجدية، فإذا دخله شيءٌ من السخرية فهي للذَّم والتَّحقير أقرب منها للسخرية الفكاهية، ومع تقدم الزمن وتطور الموضوعات واختلاف الأطباع بدأت السخرية تدخل في بعض الأعمال الأدبية، وإذا بحثنا في هذه الظاهرة يمكن أن نلحظ أنّ هناك عوامل معينةً وبيئاتٍ محددةً يمكن أن تساعد في ازدهارها، فكلما ازدادت ضغوط الحياة وأعباء الواقع على المجتمع أو على الشاعر لجأ إلى السخرية للتنفيس عن تلك الضغوط، فكانت السخرية والفكاهة "طابعًا سويًّا صحيًا باعتبارها وسيلةً نافعةً للتهرب وقتيًا من بعض مشاغل الحياة وهمومها العادية"[1].

وهذا الوصف ينطبق على واقع شاعرنا ومجتمعه، فالفترة التي عاش فيها الشاعر كانت فترة صراعاتٍ سياسيةٍ وتقلباتٍ اجتماعيةٍ عانى فيها المجتمع ما عانى، هذا بالإضافة إلى ظروف حياة الشاعر الخاصّة التي مرّ فيها ببعض الفترات العصيبة والأوقات الصعبة- كما تبين من سيرة حياته- لذلك كان طبيعيًا أن يعمد الشاعر إلى بعض هذه الأحداث فيصورها تصويرًا فكاهيًا ساخرًا، ومن ذلك ما قاله في صاحبٍ له طلق امرأةً اسمها دنيا:

قل لابن نعلان الذي أصبحت كـرّتـه بـيـن الـورى خـاسـرة
ظـلـمـت دنـيـاك وطـلـقـتـهـا فـرحـت لا دنـيـا ولا آخـره[2]

---

[1] عبد العزيز شرف، الأدب الفكاهي، ص20.

[2] مقطعة رقم (459).

فعلى الرغم من أنّ حدث الطلاق هو من الأحداث المؤلمة، إلّا أنّ الشـــاعر يحاول بأســـلوبٍ ساخرٍ أن يخرجه مخرج الفكاهة، مستغلًا اسم طليقة صاحبة ليوري به عن الحياة الدنيا، فمفهوم طلاق الدنيا عند أهل الزهد والعبادة يعتبر من الفضـــائل التي ينال بها العابد صـــلاح آخرته، ولكنّ الشـــاعر يقلب المفهوم ليسخر من حال صاحبه فيبين أنّ طلاقه لدنيا جعله يخسر الدنيا والآخرة.

وإذا كان الشاعر يسخر بصاحبه الذي طلق زوجته ويراه قد خسر، فإنّ صاحبه الذي تزوج لم ينجُ هو الآخر من السخرية، حيث يقول الشاعر في صديقٍ له باع مملوكًا وتزوج امرأةً جميلةً:

لي صـــاحبٌ ترك المليح وعاد في حُـــبّ المـــليحـــة من ذوي الأقـــدار
قد كان عبد الأشهب المنسوب في حســـنٍ فأضـــحى وهو عبد الدار[1]

يظهر أنّ صـاحب الشـاعر كان يُحب مملوكه المليح الأبيض، ولكنّ حبه للمليحة ذات النسـب قد غلب عليه فباع العبد ليتزوجها، ولكنّ الشـاعر يسـخر من صـاحبه على الحالين من خلال التوجيه بأسماء قبائل العرب، فصاحبه الذي يملك ذلك المملوك الأشهب كان عبدًا له، ولكنهه حين تزوج المرأة الجميلة لزم بيته كأنّه عبدٌ لا يخرج من داره إلّا بإذن سيدته فأصبح عبد الدار.

ومن مواقف السـخرية اللطيفة في شـعر ابن نباتة ما يرويه لنا عن أحد الأدباء الذي راوده عن كتابه حيث يقول:

رُبّ أديـــبٍ رأى كـــتـــابًـــا فقـــال مـــاذا المليح عنـــدك
فقلـت في الحـال يـا كتـابي غيب وإلّا ســـلـخت جلدك[2]

لم يكن الأديب صـاحب شاعرنا أقلّ فكاهةً منه، فهو إذ أراد مراودته عن الكتاب صـوره بصـورة الغلام الحسـن الذي يسـتأثر به الشـاعر عن غيره من الناس ويظهر هذا التشـبيه من اسـتخدامه لفظ المليح ليعبر عن الكتاب، فكانت سـخرية الشـاعر موافقةً للحال حيث مضـى مع صـاحبه بهذا التشـبيه

---

[1] مقطعة رقم (444).

[2] مقطعة رقم (358).

للكتاب بالغلام حتى غدا يخاطبه وكأنّه غلامٌ يعقل، فيهدده بســـلخ جلده إن هو لم يغب عن الأنظار حتى لا يفتتن الأديب به.

ويبدو أنّ هذا الكتاب كان من الكتب المحببة للشـــاعر والمفضـــلة لديه حتى أنّه جلّده بهذا التجليد الفاخر.

ومن مواقف الســخرية اللطيفة التي وقعت بين الشــاعر وأصــحابه ما نظمه من عتابٍ مغلفٍ بسخريةٍ من هدية صاحبه الذي وعده بالعسل فأرسل له جُبنًا، فقال:

يا باعث الجبن قد سالت مطاعمه وتخلف الوعد في الشــهد الذي يصــل
بخلت بالشـــهد لا بالجبن تبعثه لبئســـت الخلتـان الجبن والبخـل[1]

فالشاعر يسخر من فعل صاحبه الذي وعد بإرسال العسل فأرسل الجبن، ويرى أنّ ذلك مردّه إلى بخل صـــاحبه بالعســـل، فيقتبس من الدعاء المأثور لفظتي الجبن والبخل ليذم جبن صـــاحبه عن إرسال العسل ويذم الجبن الذي أرسله صاحبه من خلال توظيفٍ رائعٍ للجناس.

ويجدر في هذا المقام أن نشـــير إلى أمرٍ قد يكون له أثرٌ كبيرٌ في تميّز ابن نباتة في باب السخرية والفكاهة، وهو أُصوله المصرية، فعلى الرغم من كونه قضـى فترةً طويلةً من حياته في الشام إلّا أنّ أُصوله بقيت هي الغالبة على شخصيته وانعكست على بعض أشعاره "فالمصريون يضحكون رغم كُلّ ما يمرُّ بهم من أزماتٍ وويلاتٍ ومتاعب وهم ينظرون بعين الدعابة التي لا تخلو من ســـخريةٍ إلى العالم من حولهم فهم يسخرون من أحداث الحياة، ومن أعدائهم، ومن أنفسهم أيضًا"[2].

---

[1] مقطعة رقم (1058).

[2] البادي، الفكاهة في شعر علي بن سوودون، ص288.

لذلك نراه في بعض أشعاره يسخر حتى من نفسه أو من بعض المواقف التي يتعرض لها كما في قوله:

سافرت للساحل متبضعًا حمدًا وقصدًا حسن الجملةِ
فيا له من متجرٍ رابحٍ ما نفقت سوى بغلتي[1]

فالموقف الذي تعرض له شاعرنا موقفٌ يثير الألم والغضب، فهو قد خرج للساحل وتحمل أعباء السفر على أمل رواج سوق شعره ونفوق بضاعته وعودته غانمًا، ولكنه يفاجئ القارئ حين يخبره أنّ المتجر الذي قصده لم يكن كاسدًا ولكنّ البضاعة التي نفقت فيه هي بغلة الشاعر فعاد بخفي حنين.

وقبل الانتهاء من بحث الشعر الاجتماعي يبقى موضوعٌ لا بُدّ من الوقوف عليه لكونه شكّل ظاهرةً لافتةً في الأوساط العلمية في عصر الشاعر، فكان له منه نصيبٌ وافٍ ظهر أثره في مقطّعاته إلا وهو موضوع تقريظ الكتب.

تقريظ الكتب

ظهر فن تقريظ الكتب بشكلٍ لافتٍ في عصر ابن نباتة بحيث لا يكاد يخلو كتابٌ أو ديوانٌ في زمانه من التقريظ شعرًا أو نثرًا، وقبل الخوض في باب التقاريظ في مقطعات ابن نباتة لا بُدّ من وقفةٍ مقتضبةٍ عند مفهوم التقاريظ.

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتبين أنّ أصل معنى تقريظ يرجع إلى المدح والثناء، جاء في لسان العرب: "والتقريظ: مدح الإنسان وهو حيّ... وقرظ الرجل تقريظًا: مدحه وأثنى عليه، وقولهم: فلانٌ يقرظ صاحبه تقريظًا إذا مدحه بباطلٍ أو حق"[2].

---

[1] مقطعة رقم (204).

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرظ)، 12/ 75.

وكذلك واقع التقاريظ من حيث هي نوعٌ من الفنون الأدبية، فهي مرتبطةٌ –أيضًـــا– من حيث وصفها الاصطلاحي بأصل معناها اللغوي حيث يعرّفها الدكتور محمود رزق سليم بقوله: "هي منشآتُ وصفيةٌ يتبادلها الإخوان والأصدقاء فيما بينهم، وترتكز بشكلٍ أساسيٍّ على المدح والثناء الخاصّ بما خطتّه أقلام المؤلفين من كتبٍ أو قصائد أو رسائل أو دواوين شعرية"[1].

وهذه المنشآت اللفظية قد تكون نثرًا، وقد تكون شعرًا، وقد تطول لصفحاتٍ فتكون كأنّها نوعٌ من التقديم للكتاب وقد تقصر حتى تكون ثناءً على المؤلف ومنزلته بين العلماء، وقد تكون ثناءً على الكتاب وما تضمنه من أفكارٍ وموضوعات، كما أنّها قد تتعدّد أحيانًا فنرى مجموعة من التقاريظ لعدّة أشخاص على الكتاب نفسه أو الديوان.

وأمّا عن شاعرنا الذي كان رائد عصره في كُلّ جديدٍ مبتكر فقد كان له في هذا الفنّ أيضًـا نصيبٌ وافر، فبالإضافة إلى تقاريظه النثرية له أيضًا مقطعاتٍ شعرية قرّظ بها كتبًا لمعاصريه، فمن ذلك ما كتبه على كتاب "جنان الجناس" لتلميذه الصلاح الصفدي[2] حيث قال:

لعمري لقد صنّفت ما ليس دارسًا على أنّه في العلم يتلى ويُدرس
تحيرت الأفكار دون وصفه فيا حبذا الحرّ الرقيق المجنّس[3]

يمدح شاعرنا كتاب تلميذه الذي احتار في وصفه وأُعجب برقتّه، ولكن الذي يستحق المدح أيضًا هو إبداع ابن نباتة في وصفه للكتاب في البيت الأول، فالكتاب موضوعه الجناس، فنرى الشاعر وقد وصفه من خلال استخدام أحد أنواع الجناس حيث وصفه بأنّه ليس "دارسًا" فهو لا يعفى ولا يُمحى أثره بمرور الزمن، لكنه "يدرّس" فيبقى متداولًا بين طلّاب العلم يقرأه بعضهم على بعض، فالشاعر في

---

[1] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، 287/5.

[2] صلاح الدين المصطفى خليل ابن ايبك ابن عبد الله الصفدي الشافعي، الامام العارف الأديب البليغ الأكمل، (ت: 764)، ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، 343/8.

[3] مقطعة رقم (938).

هذا التقريظ الموجز كأنّه يهيئ القارئ لموضـوع الكتاب الذي هو بصـدد الولوج إليه ويضـرب له مثالًا على بعض محتواه.

ولم يقتصـر التقريظ عند ابن نباتة على معاصـريه من العلماء والشـعراء ولكنّه امتدّ ليشـمل أسـلافه من الذين تربطه بهم أخوة العلم ورباط الفنّ حتى لو لم يجمع شـملهم الزمان ولم تلتق منهم الأبدان، فنراه يكتب على "ديوان ابن سناء الملك" قوله:

أرى الشـعراء قد مضـوا سـوقة ولابن سـنا الملـك ملـكٌ عتيـد
وقد طوبقوا باسـمه في القريض فمنهم شـقيٌّ ومنهم سـعيد[1]

فالشاعر لم يكتفِ بأن يجعل لابن سناء الملك بين من مضوا من الشعراء مُلكًا شديدًا مهيبًا، بل جعل منه المقياس الذي يقاس به الشـعراء والميزان الذي توزن به أشـعارهم، فمن قيس شـعره على قريض ابن سناء الملك فرجح فهو سعيد ومن طاش فهو الشقيّ. ويمكن أن نُثبت لابن نباتة الصدق في مدحه لابن سناء الملك وذلك لسببين: أولهما: أنه لم يعاصره فلا يتُوقع من وراء هذا المدح مجاملةً أو عطاء. وثانيهما: أن الشاعر ينتمي إلى المدرسة نفسها التي تخرّج بها ابن سناء الملك، وهي مدرسة القاضي الفاضل في النثر، وكان القاضي الفاضل قد "بدأ مرسةً خاصّةً قصرت همها على الإكثار في الشعر والنثر من التورية والجناس... وأمّا رواد هذه المدرسة فمنهم القاضي السعيد هبة الله ابن سناء الملك"[2] الذي تجمعه بشاعرنا أُخوة المنهج والأسلوب وتصله به رحم الشعر والفن.

وبالإضافة إلى تقريظ ابن نباتة لدواوين من عاصره وسبقه من الشعراء ممّن يجمعه بهم الاتجاه الشـعري فله أيضًـا تقاريظ على دواوين لشـعراء يجمعه بهم الشـعور، وذلك كأبياته التي كتب بها على ديوان "سقط الزند" للمعري حيث يقول:

---

[1] مقطعة رقم (323).

[2] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص91.

يا من يطالع ســـقط الزند دونك من ألفـاظــه مــا يبــاهي الزهر في الأفق
لا تحسب العقد في الأعناق يشبهه فــإنّ للزنــد حليًــا ليس للعنق[1]

فشــاعرنا لشــدة إعجابه بألفاظ سـقط الزند يراها تباهي الزهر في جمالها وتنوعها، ولكن الأكثر غرابةً أن الشــعراء اعتادوا على تشـبيه النظم الجيد بالعقد الذي يزين الأعناق، بينما شــاعرنا يأبى على هذا الديوان أن يشبه بالعقد بل يراه أجمل من ذلك.

يبقى أن أشير في موضوع التقاريظ إلى مسألةٍ كانت منتشرةً بين الشعراء والكتاب في زمان ابن نباتة ولم ينجُ هو الآخر منها ألا وهي مسـألة القدح والذم في التقاريظ، فالتقاريظ وإن كان الأصـل فيها مدح الكتاب أو الثناء على صـــاحبه إلّا أنها في بعض الأحيان كانت "مغلّفةً بعبارات القدح والذّم بغية النيل من الخصـم وهتك أستاره وتتبع عوراته وسقطاته"[2] ، على أن هذه العبارات التي ترد للقدح والذّم لا تعتبر جزءًا من التقاريظ وإنما كانت ترد على خلفية هذه التقاريظ كما ســيتبين، وعلى الرغم من قلّة هذه الظاهرة في شـــعر ابن نباتة إلّا أنه لم يخلُ منها فمن ذلك ما قاله في تقريظه على كتاب "شـــرح مختصر ابن الحاجب" لشمس الدين الأصفهاني، حيث قال:

أخا العلم إنّ الشـمس بادٍ ضـياؤها فســـر بســـناء حيثما أنت ســـائر
وخـلّ فتى شـــيراز عنـك فـإنمـا هو القطـب دارت عليــه الــدوائر[3]

فالشـــاعر بعد أن يؤكد على أخوة العلم التي تربطه بشـــمس الدين الأصـــفهاني ويوري عنه بالشمس التي ظهر ضيائها وعمّ نورها الذي هو نور علم الأصفهاني الذي يرافقه حيث سار، ينتقل بعد ذلك للتعريض ببعض الخصـــوم وهو "فتى شـــيراز" والذي يبدو من الأبيات بأنه العالم قطب الدين

---

[1] مقطعة رقم (867).
[2] محمد بنات وحسن عبد الهادي، التقاريظ على نزول الغيث، ص144.
[3] مقطعة رقم (451).

الشـيرازي[1]، كما يبدو أنّه قد ألمّ به مصـابُ، فيظهر الشـاعر شـماتته به حين يدعو ممدوحه لتجاهل أمره إذ دارت عليه الدوائر.

تاسعًا: الرثاء

يذهب كثيرٌ من النقاد إلى أن الرثاء هو أحد أنواع المدح، وإنما الفرق بينه وبين المدح أنّ الأخير يقال في حياة الممدوح في حين أنّ الرثاء يقال بعد موته.

وبالنظر إلى ديوان شـــاعرنا يلاحظ الباحث أن المقطعات التي قيلت في باب الرثاء تمثل انعكاسًـا لكثيرٍ من المقطعات التي قيلت في باب المدح، فالأشـخاص الذين مروا معنا في باب المدح حين كان الشاعر يلقي أشعاره بين يديهم هم نفسهم الآن الأشخاص الذين يتألم الشاعر لفقدهم ويذرف الدموع عليهم، والصفات المحمودة التي يخلعها الشاعر عليهم في حياتهم تبقى ذكراها ماثلةً في رثائهم بعد مماتهم، كما يلاحظ الباحث أن هذه المراثي التي بلغ عددها 26 مقطعة تتوزع بالتسـاوي –تقريبًا– بين فئاتٍ ثلاثٍ: الملوك والسـلاطين والأُمراء الذين مدحهم الشـاعر في حياتهم، والعلماء والشـعراء والأدباء والأصـدقاء الذين طارحهم الشـاعر الأشـعار وبادلهم العلوم والأخبار، والفئة الثالثة فئةٌ لم يكن لها في حياتها من مدح الشاعر نصيبٌ وافر إلّا أنها قد نالت أصدق المراثي وهي فئة الأهل والأبناء.

أمّا في رثاء الملوك فقد بقي الملك المؤيد متربعًا على عرش مراثي شـاعرنا بعد موته فهو وإن رثاه في قصـيدة طويلةٍ عند صـدمته الأولى بخبر وفاته إلّا أنّه ما فتئ يذكره في كُلّ مناسبه ويرثيه في كُلّ سانحة، حتى في قصائده التي مدح بها ولده الأفضل جعل لرثائه منها تصيبًا، ومن مقطعاته التي رثى بها المؤيد قوله:

---

[1] عمرو بن عوض بن عبد الرحمن الشارعي، كانت وفاته بعد السبعمائة، ينظر: القطبي، فوات الوفيات، 74/1.

سـقى قبـر إسـماعيل منـبجس الحيـا وأرسـى هضـاب المـزن حـول هضـابه

وعَـاش لنـا ملكًـا نلـوذ بظلِّـه ونغفـر ذنـب الـدهر بعـد احتقابـه

فمـا السَّـعد إلّا لمحـةً فـي جيبـه ومـا العـزّ إلّا وقفـةً عنـد بابـه[1]

فالشـاعر يدعو بالسـقيا لقبر الملك المؤيد وهي من المعاني المكررة والأدعية الدائمة في مراثيه ولكنه يزيد المعنى عمقًا والصورة بعدًا حين يدعو له بما يزيد عن السقيا، وهو إرساء هضاب السحاب حول هضـابه لتدوم السـقيا، وفيما ذاك؟! إنما ذلك لأنَّ الملك قد عاش ملاذًا للشـاعر حتى إن الشـاعر قد سـامح الدهر على كُلّ ما كان منه قبل أن يعرف الملك، وببراعةٍ شـديدةٍ في النظم يترك الشـاعر الحالات التي يلوذ فيها بظلّ الملك دون ذكرٍ في إيجازٍ يفتح أبواب المعاني مشـرعةً، فهو يلوذ بكرمه إذا افتقر أو يلوذ بعلمه إذا جهل أو يلوذ ببأسه وشدته إذا خاف، فليست السعادة إلّا في النظر إليه ولا العزُّ إلّا بالوقوف ببابه.

وكذلك نرى في رثائه للملك الأفضـل حيث كان موته آخر عهد الشـاعر بأيام العز والرفعة، فيقول:

عـدمت محمـدًا أيـام أرجـو نـداه علـى الزمـان وأسـتجير

فـإن تحجـب محاسـنه بلحـدٍ ففـي أُفـق السـماء لهـا مسـير

تقُـول لروحـه الأفـلاك أهـلًا لنـا زمـنٌ علـى هـذا نـدور[2]

فالشـاعر الذي يتألم لفقد مليكه المرتجى الذي كان له على نوائب الزّمان عونًا وجارًا يحاول أن يواسي نفسه مقنعًا إياها بأن احتجاب الملك في لحده لا يحجب أفضاله ومحاسنه التي تبقى سائرة مع الأفلاك في السماء، ثم يحاول أن يؤكد رأيه هذا في حسن تعليلٍ لطيف لدوران الأفلاك وهو أنها تدور منذ زمن منتظرة صعود روح الملك لتستقبلها.

---

[1] مقطعة رقم (38).

[2] مقطعة رقم (443).

وهكذا فإن مراثي الأسرة المؤيدية في ديوان الشاعر تحتلُّ حيزًا واسعًا في مقطّعاته، إلّا أنه لا يمكن المرور عليها دون وقفةٍ على المقطعة التي يجمل فيها الشاعر الرثاء فيرثي بها الأسرة الأيوبية كأنها شخصٌ واحد ويؤكد على الصفة التي لم تتخلف في أحدٍ من ملوكهم وهي الكرم حيث يقول:

يـــــا آل أيـــــوب ســـــقتكم ... ســحب الرضــا تحــت الضــرائح وبلهــا
لهفــي علــى أوقــات ملــكٍ أســبغت ... نعمـــــاكم فـــــوق البريـــــة ظلهـــــا
مــا كــان أقــوى مــن العــداة أشــدها ... بأســا وأعلــى فــي النجــوم محلهــا
وفــدوى لكــم متســرعٌ أنحــى علــى ... أمـــــــوالكم فأزالهـــــــا وأذلهـــــــا
كــم أنشــدت مــن بعــدها أيــديكم ... مـــا كـــان أكثرهـــا لنـــا وأقلهـــا
ناديــت ســاحتكم وقلــت لصــاحبي ... مـــا كـــان أســـرع للمنـــادى فضـــلها
فـــدنا وقـــال لعلهـــا معـــذورةٌ ... مـــن بعـــد أهليهـــا فقلـــت لعلهـــا[1]

لعلّ هذه الأبيات تلخص مسيرة الشاعر مع الأسرة الأيوبية التي يرثيها، فهو يستهل أبياته بالدعاء لهم ويختمها بالتحســـر على أيامهم، وما بين هذه وتلك تصـــويرٌ لأيامِ ملكهم التي عم فيها إنعامهم البرية وتجسيدٌ لوقائع كرمهم وفضلهم على الشاعر ووفود العفاة.

أمّا النوع الآخر من أصحاب مراثي ابن نباتة فهم العلماء والصحب والأخلاء وعند هذه المراثي يظهر مزيدٌ من صـــدق العاطفة وألم الفراق، ومن هذه المراثي قوله يرثي الشـــيخ جمال الدين النحوي رحمه الله حيث يقول:

يـــــا وليًـــــا رجوتـــــه لـــــولاه ... عنـــــد دار الـــــدنا ودار الســـــلام
حبـــذا كـــوثر الســـلام ورضـــوا ... ن أناديـــــه يـــــا مضـــــيف الكـــــرام
اســـقني شـــربة ألـــذّ عليهـــا ... واســـق بـــاسه مثلهـــا ابـــن هشـــام[2]

---

[1] مقطعة رقم (963).

[2] مقطعة رقم (1095).

فأول ما يطالعنا في هذه الأبيات هو سبب رجاء الشاعر لمرثيه فهو ليس العطاء والندى – خلافًا للمعتاد– بل هو كون المرثيّ أحد الأولياء، ثم إنّ رجاء الشاعر به ليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة، ويحاول الشاعر بعد ذلك أن يعزي نفسه بفقد صاحبه فينقلها من عالمها إلى عالم ملتقاه بهذا الصاحب من خلال صورته معه وقد اجتمعا في الجنة حيث ينادي خازنها "رضوان" بأن يسقيه وصاحبه ابن هشام من الكوثر، فهذه الصورة تُظهر لنا بجلاء صدق عاطفة الشاعر وحزنه لفراق صاحبه حتى إنّه ليستعجل الرحيل عن الدنيا ليلاقيه.

وفي موضع آخر نراه يرثي صاحبه يحيى الذي يظهر أنّه كان من الكتبة حيث يذكر في أبياتٍ أخرى بأنه من أُسرة الكتبة كما يلمح إلى ذلك في هذه الأبيات حيث يقول:

ألا في سبيل الله فرع كتابةٍ ... ثنته المنايا وهو ريانّ مائد
وكوكب فضلٍ قدره قد سما به ... إلى أن بكى حزنًا عليه عطارد
ودينار وجهٍ غاله صرف دهره ... سريعًا كأنّ الصرف للبأس ناقد
وعيشك يا يحيى لو أنك تفتدى ... لهنئت الدنيا بأنك خالد[1]

ويظهر من الأبيات أن يحيى هذا قد مات وهو في شبابه لا يزالُ فرعًا ريانَ مائد، إلّا أنه مع ذلك كان من الفضل بحيث يداني النجوم والأفلاك التي بكت حزنًا لما أفل نجمه، ثم يظهر الشاعر براعته وتفوقه في التلاعب بالمعاني حيث يأتي بإحدى صفات الجمال التي كانت دائرة على ألسن شعراء عصره وهي "دينار الوجه" ليس فقط لإبراز حسن وجه المرثى، وإنما لمعنىً أعمق وهو أنّ صيرفي الدهر الذي يميز الناس قد علم قيمة هذا الدينار فاستعجل صرفه، وليس أمام الشاعر في هذه الحال إلّا أن يهرب إلى الأماني فيتمنى أن يفتدي يحيى هذا من الموت ليصبح خالدًا، وهنا توريةٌ لطيفةٌ طريفةً لا يأتي بها على هذا الوجه إلّا شاعرٌ متمكنٌ كابن نباتة.

---

[1] مقطعة رقم (301).

أمّا النوع الثالث من مراثيه فهي المراثي التي قالها الشـاعر في أسـرته وأبنائه وهي أصـدق ما قال من مراثٍ، بل هي أصدق ما قال من شعر فهي تنبع من ألمٍ عميقٍ وحزنٍ متكرر على فاجعةٍ كلمّا تعافى الشاعر منها عاودته بطعنةٍ جديدةٍ في قلبه بفقدِ أحد أفراد أسرته وبخاصَّـة الأبناء فهو كما يروى عنه تلميذه الصفدي "لم يعش له ولد فدفن قريبًا من ستة عشر ولدًا كلهم إذا ترعرع وبلغ خمسًا أو ستًا أو سبعًا يتوفاه الله تعالى، فيجد لذلك الآلام المبرحة ويرثيهم بالأشعار الرائقة الرقيقة"[1].

ويمكن أن نلحظ من مراثي الشاعر في أبنائه أنه قد كان فيها تفاوتٌ في درجات الحزن والأسى وذلك راجعٌ لاختلاف الحالة، فليس من مات بعد زمنٍ قصـيرٍ من مولده كمن نشـأ وترعرع حتى أصـبح للشاعر معه ذكريات وبنى عليه آمالًا، فمن مراثيه في أبنائه قوله في ولدٍ مات قبل أن يبلغ عامًا:

يـــا راحـــلًا مـــن بعـــد مـــا أقبلـــت مخايـــــــلٍ للخيـــــــر مرجـــــــوه
لـــــم تكتمـــــل حـــــولًا وأورثتنـــــي ضـــــعفًا فـــــلا حـــــولٌ ولا قـــــوه[2]

فهذا الصـغير الذي أقبل على حياة الشاعر كان مرجوّ الخير بالنسبة له، لكنه لم يكن قد ظهر فيه من الصفات والسجايا ما يصفه الشاعر ويتعلق به وذلك لصغر سنّه، لذلك نرى تأثر الشاعر عليه بالمقدار نفسـه حيث أورثه ضـعفًا ولم يبق له حول ولا قوة، أو أنّه أورثه ضـعفًا دفع الشـاعر للاسـتعانة بالله ومواســـاة نفســـه ب" لا حول ولا قوة إلّا بالله"، وذلك يرجع إلى أحد المعنيين الواردين في التورية وأيهما قصـد، ولكن هذا الحزن والألم على شـدّته لم يبلغ من الشـاعر المبلغ الذي وصـل إليه عند فقده لولده عبد الرحيم "الذي أحرق قلبه بموته فرثاه بثلاث قصـــائد طوال وغيرها من المقطوعات الشـــعرية الصغيرة... فيظهرُ أنّ عبد الرحيم كان في سنٍّ تنيف على العاشرة؛ لأنه قد توسم الخير فيه؛ ولأنه كان يأمل أن يحيي مجد الأسرة النباتية بعد موته"[3].

---

[1] الصفدي، الوافي بالوفيات، 235/1.

[2] مقطعة رقم (1393).

[3] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص 250 – 251.

ومثل هذا الولد الذي عاش مع الشاعر سنواتٍ وكان له معه ذكرياتٍ حتى كاد يبلغ معه السعي فيكون له وليًا يرثه ويرث علم الأسـرة النباتية أدعى بأن يكون موته أشـد وقعًا على الشـاعر من موت سواه ممن لم يبلغ الفطام، ويظهر ذلك في رثائه حيث يقول في إحدى مقطعاته التي رثاه بها:

يـا لهـف قلبـي علـى عبـد الـرحيم ويـا شـوقي إليـه ويـا شـجوي ويـا دائـي
فـي شـهر كـانون وافـاه الحِمَـامُ لقـد أحرقـت بالنـار يـا كـانون أحشـائي[1]

فالمقام وإن لم يكن مقام دراسة أُسلوب الشاعر إلّا أنه يقتضي وقفةً سريعة مع أُسلوبه في هذه المقطوعة لنتبين منه مدى صدق الشاعر وشدة ألمه لفراق ولده عبد الرحيم، فأول ما يطالعنا في هذين البيتين هو ذلك التكرار لأُسـلوب النداء "يا" أربع مراتٍ في بيتٍ واحد وهي حرف نداءٍ ولكنه يفيد الندبة حيث " يختصُّ من حروف النداء بحرفين "وا" وهي الأصـل و "يا" ولا تسـتعمل إلا عند أمن اللبس"[2] فهذا التكرار يعكس عمق إحساس الشاعر ببعد المنادى المندوب وشدة حزنه عليه.

أمّا في البيت الثاني فيعبر الشـاعر عن شـدّة الحرقة والألم الذي لحق به لفقد ولده من خلال أسلوب التوكيد في قوله "أحرقت بالنار أحشائي" فمن أساليب التوكيد "أن تحقق باللفظ معنىً قد فُهم من لفظٍ آخر قد سبق منك"[3] فلو أنّ الشـاعر قال "أحرقت أحشـائي" لكان معناه تامًا، فلفظة الإحراق تفيد معنى وجود النار التي هي مصدر الإحراق وسببه،وفي هذه الحالة يحمل المعنى على المجاز لمقتضى السـياق الذي ورد فيه، لكنّ الشـاعر قد أضـاف جملة "بالنار" لتأكيد معنى الاحتراق في صـورةٍ توحي للسـامع كأن الشـاعر يحترق بنارٍ حقيقيةٍ لشدة ما يجد من ألم الفراق وحسرة الفقد، فشـهر كانون الذي هو من الأشـهر الباردة اسـتحال بفقد عبد الرحيم نارًا تحرق الشـاعر نسـأل الله له أن يكون ممن صـبر فأُجر.

---

[1] مقطعة رقم (17).

[2] السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 66/3.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص230.

ومن رثائه لأهل بيته قوله في جاريته التي ماتت بمرض السل:

سـقى الله جسـمًا منـك أودى بـه الضـنى فـــأودى بعينـــيّ البكـــا والسَـــهد

وقـــد كـــان مســـلولًا يهـــيج حســـرتي فكيـف بـه تحـت الثـرى وهـو مغمـد[1]

يبدو من الأبيات أنّ حسرة الشاعر قد بدأت مبكرًا قبل وفاة جاريته، ويتضح ذلك من وصفه لجسمها الذي هزل وضعف بسبب المرض حتى كأن المرض أودى به فلم يبق منه شيء، ثم يصف طول حزنه عليها وكثرة بكائه وسهره الذي أودى بعينيه ويترك للقارئ أن يفهم أنّ العينين لا يودي بهما القليل من البكاء أو بعض السهر فما ذلك إلّا لطول حزنه وحسرته عليها وهي مسلولة الجسم وبعد هذه التورية يتساءل بتجاهل عارفٍ قد عاش التجربة وخبرَ قسوتها إذ كانت هذه حسرته وجسمها "مسلول" فكيف تكون وهو مغمَدٌ في الثرى؟!

وبالإضـــافة إلى ما يظهر في هذه المقطوعة من صـــدق عاطفة الشـــاعر، فإنّ له في رثائها قصائد أُخرى تؤكد هذا الصدق وتبيّن عمق حبه لها، ومع أنّ المصادر لا تسعفنا في التعرف عليها وعن علاقتها بالشاعر في حياتها إلّا أنّ الدكتور عمر موسى باشا يرجع أنّها "كانت زوجته الأُخرى ملك اليمين بدليل ما جاء من إشاراتٍ خاصّةٍ للفراغ الذي أحدثته في حياته بعد وفاتها"[2].

عاشرًا: الفخر

يكاد يكون موضوع الفخر في ديوان ابن نباتة هو الموضوع الأقل حظًا، فليس في مقطعاته– على كثرتها– ســـوى أربع مقطعاتٍ في موضـــوع الفخر، فلو بحثنا عن الفخر وجدناه متناثرًا في ثنايا مقطعات المدح التي يسترق منها الشاعر عباراتٍ قصيرةٍ ليفخر بنفسه، أمّا سبب هذه الندرة في مقطعات الفخر عند ابن نباتة فيرجع إلى عاملين: أولهما الحالة العامة للفخر في زمانه، وثانيهما:

---

[1] مقطعة رقم (314).

[2] باشا، أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، ص253.

حالة الشاعر بشكلٍ خاص، أمّا عن الحالة العامّة فقد كان الفخر في أيّام المماليك ومن عاصرهم أقل شأنًا وأحطّ مكانةً من فخر العصور السالفة، فالعرب مغيبون عن الحكم وعن المناصب الرفيعة في الدولة، فلا محلّ للعصبية القبلية أو المنازعات بين القبائل على المكانة، وحتى الصراعات السياسية فقد كانت محصورةً بين أمراء المماليك، فلا حياة صاخبة، ولا عصبية غالبة ولا أحزاب متحاربة، ولا أهواء متضاربة[1] وبالتالي فليس لدى الشعراء من دوافع الفخر أو مقوماته ما يجعلهم يُكثرون منه.

بالنسبة لحال الشاعر بشكلٍ خاص فإنّ سيرة حياته تدلنا على أنّه لم يكن لديه كثير من مقومات الفخر، فإذا كان الفخر "هو المدح بعينه فما حَسُنَ في المدح حَسُنَ في الافتخار"[2] فإن الشاعر قد بين في مدائحه صفات ممدوحيه، من الكرم والجود والعطاء، بالإضافة إلى الشجاعة والإقدام والمهابة في قلوب الأعداء، وإغاثة الملهوف ونصرة الضعيف وإذا نظرنا في حياة شاعرنا وجدناه فقيرًا شاكيًا وكيف لمن كان هذا حاله أن يفخر بالكرم والعطاء، كما أنّ سيرته تخبرنا بأنّه لم يكن في يومٍ من الأيام من أصحاب المناصب الرفيعة التي تمكنه من قضاء حوائج الناس أو إقالة عثراتهم، بل غالبًا ما وجدناه في شعر الشكوى يستغيث ويطلب العون.

وأمّا على صعيد الشجاعة والبطولة فلم يكن شاعرنا محاربًا مهابًا ولا فارسًا مقدامًا فليست له بطولاتٍ في معارك خاضها ولا انتصاراتٍ على الأعداء يفخر بها، وليس ذلك جبنًا منه وإنّما هو حال كثيرين من الشعراء في زمانٍ " لم يكن يسمح فيه لفردٍ من أفراد الشعب من غير طبقة الأمراء ومماليكهم أن يندمج في عداد الجيش"[3].

---

[1] ينظر: خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، ص 361 وما بعده.

[2] ابن رشيق، العمدة، ص824.

[3] ينظر: عصر سلاطين المماليك، (ق: 1)، 271/1 وما بعده.

فلم يكن الفخر بالنسبة للشعراء في هذه البطولات أو المعارك فخرًا ذاتيًا كالذي كان يسجله المتنبي من أرض المعركة، وإنما كان فخرًا بانتصار الأُمة على أعدائها وغالبًا ما كان أقرب إلى مدح القائد منه إلى الفخر بالانتصار.

لكنّ ما سبق لا يعني أن شاعرنا لم يكن لديه ما يفخر به، فهو أمير شعراء عصره وسليل بيت العلم والتقوى وكفى بها من مفخرةٍ يخلدها الشاعر في شعره، لذلك نرى أنّ جميع مقطعات الفخر في شعره تدور حول هاتين النقطتين، فمن مفاخره بشعره قوله:

عندي استفاد ذوو التأدب والذكا قولًا نباتيًا رعوا روضاته
فأنا الحقيق بقول أحمد من إذا قطف الرجال القول عند نباته[1]

فشاعرنا في هذا الجانب يعرف لنفسه قدرها، فقولُهُ مرعىً خصب وروضٌ أغنّ، ولكنه ليس للسوائم بل لأهل الأدب وأهل الذكاء، فكان حرّيًا أن يقطف الرجال القول من روض كلامه.

ومن معرفة شاعرنا لمكانة شعره وافتخاره به أنّه يساويه بعطاء الممدوح بحيث يكون له الفضل بقوله كما لممدوحه الفضل بعطائه ومن ذلك قوله:

حلا ثنائي على عليٍّ كما حلا جوده المواتي
فرحت ذا سُكّرٍ بياضي وراح ذا سُكّرٍ نباتي[2]

يساوي الشاعر بين حلو ثنائه على الملك وحلو عطاء الملك له، فيجعل كلا الأمرين حلوٌ كالسكر وإنما تختلف نوعيته بين بياضيّ تورية عن بياض يد الممدوح، ونباتيّ تورية عن اسم الشاعر.

---

[1] مقطعة رقم (206).

[2] مقطعة رقم (208).

ومن المفاخر التي حُقّ للشـــاعر أن يفخر بها والتي تبقى مهما ضـــاقت عليه الخطوب أو اختلفت الظروف افتخاره بانتسابه إلى بيت علمٍ وأدب وهو أمرٌ حريٌّ أن يُفتَخَر به خاصّـةً إذا كان الشـاعر قد حفظ إرث هذا البيت كما هو حال ابن نباتة فمن مفاخره بأُسرته قوله:

ورثــت اللفــظ عــن ســلفي وأكــرم بـــــآل نباتـــــة الغـــــرّ الســـــراة

فـــلا عجبًـــا للفظـــي حـــين يحلـــو فهـــذا القطـــر مـــن هـــذا النبـــات[1]

فهو إذ يفخر بأسلافه الذين ورث عنهم لفظه يبيّن حقيقة أُسرته التي هي من أهل الشرف والسخاء حتمًا ولو لا تقلب الدهر عليه لكان له منه نصـيبٌ كما لأسـلافه، ثم يُعلل مدحه لنفسـه حين يصـف لفظه بالحلاوة بأن ذلك إنما هو إرث الأُســرة النباتية، ويبدو أنّ هذه الفكرة كانت تروق لشـــاعرنا حتى جمع بعض مختارات أشـعاره ووضـعها في كتابٍ سـماه "القطر النباتي" وهو لا يزال مخطوطًا لمّا يحقق بعد وقد حاولت جاهدًا الوصول إليه إلا أنني لم أتمكن.

[1] مقطعة رقم (197).

الفصل الثاني

الدِّراسة الفنِّيَّة

أولاً: بناء المُقطَّعات

ثانياً: اللغة

ثالثاً: الاقتباس والتضمين

رابعاً: التورية

- **التوجيه**
- **الاستخدام**

خامساً: الجناس

- **الجناس التام**
- **الجناس الناقص**
- **جناس التصحيف**
- **الجناس المذيل**
- **الجناس المطمع**
- **الجناس المركب**
- **الجناس المخالف**

سادساً: الطباق

سابعاً: التقسيم

ثامناً: مراعاة النظير

تاسعاً: اللَّفُّ والنَّشر

عاشراً: الأسلوب

- **ظاهرة التكرار**
- **الاستفهام**
- **النداء**
- **التمني والترجي**

حادي عشر: الصورة الفنية

ثاني عشر: الأوزان والقوافي

أولاً: بناء المُقطَّعات

ظلّت القصـــيدة العربية محافظةً على بنائها التقليدي الموروث منذ العصـــر الجاهلي مرورًا بالعصور الإسلامية المختلفة حتى العصر المملوكي حيث بقي الاتجاه المحافظ على عمود الشعر هو الأبرز، فقد "حافظ الشعر على طابعه المأثور لدى معظم شعراء العصر المملوكي ومعاصريهم مع ما اقتضته ظروف التطور في المعاني"[1]، وكذلك شاعرنا ابن نباتة الذي يمثل نموذجًا لشعراء عصره فقد غلب على شعره الالتزام بالبناء التقليدي للقصيدة مع مراعاة بعض مظاهر التطور في المعاني والأوزان التي سنتطرق إليها في قابل البحث –إن شاء الله– وإنما أردت أن أقف على بناء مقطعات ابن نباتة من حيث تعدد الموضـــوعات وحســـن الابتداء والتخلّص والخاتمة، وذلك أنّ كثيرًا من الأبحاث تتطرق لهذا الموضوع في القصائد الطوال، ولكنّه لا يُبحث –غالبًا– في المقطعات لكونها يغلب عليها القِصَر وتنتظمها فكرةٌ واحدة، ولكنّ ديوان شـــاعرنا يزخر بالمقطعات التي أجاد بناءها على نحوٍ يســـتحق أن يُدرس كما تُدرس القصائد الطوال، وبناء المقطعات على نحوٍ كهذا ليس بالأمر اليسير الذي يتأتى لكل شاعر، فالعلوي حين تطرق لهذه القضية في الشعر والنثر بيّن أن الكلام يجب أن يخرج مخرجًا مناسبًا في القرب والملاءمة بحيث يكون بعضُـــهُ آخذًا برقاب بعضٍ كأنّه أُفرغ في قالبٍ واحدٍ، ثم يُعقّب على ذلك بقوله: "وهو في النثر أسهل منه في النظم"[2]، فإذا كان البناء على هذا الشكل في القصائد الطوال أصعب منه في النثر، فمن باب أولى أن يكون في المقطّعات أصعب، إلّا على شاعرٍ كابن نباتة.

ومن نماذج مقطعات ابن نباتة التي أبدع في بنائها مع تعدد موضوعاتها قوله:

---

[1] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، ص 202.

[2] يُنظر: العلوي، الطراز، 330/2 وما بعده.

تعجب الناس من صمتي وقد ذكرت ... سلمى وقالوا تسلى قلب هيمان

وحار دمعي في عيني فقال فتىً ... أقسمت بالقدس يا ذي عين سلوان

إن أفقرتني من صبري المهى فندى ... قاضي القُضاة من السادات أغناني

للعلم والجود تاجٌ إن أضع مِدحًا ... فكم هداني إلى درٍّ وهاداني

وفي الولا والثنا كم قلت في مدحي ... ما بيت سلمان هذا بيت حسان

فليهنه العيد في عزٍّ وفي نعمٍ ... وللأنام به والعيد عيدان

لا فرق بين ضحايا أو عدى نحرت ... فإنّ أعداه والأنعام سيان[1]

فهذه المقطعة وإن كان موضوعها الرّئيس المديح إلّا أنّ الشاعر قد صدّرها بالنسيب سيرًا على عادة الشعراء في مقدماتهم، ثم ختمها بالتهنئة لتكون مسك الختام، ولكنّ اللافت للنَّظر –هنا– هو تسلسل الأفكار وترابطها مع اختلاف الموضوعات بحيث تظهر المقطعة كوحدةٍ واحدةٍ محكمة البناء، فالشاعر المجيد "يبدأ قصيدته إذا كانت تتضمن أفكارًا كثيرةً متعددةً بافتتاحيةٍ مقدمةٍ لما يأتي بعدها، ويحاول أن يعرض أفكاره في تسلسلٍ منطقيٍّ، كُلّ فكرةٍ تربط بسابقتها برباطٍ عقليٍّ ظاهرٍ أو خفي، كما يأتي بها مناسبةً للفكرة الأساسية في القصيدة والشعور العام الذي استولى عليه فيها"[2].

وكذلك شاعرنا في هذه المقطوعة قد سار على أثر السلف من الشعراء حيث يفتتح قصيدته بذكر هيامه في سلمى وما آل إليه حاله من ذرف الدمع والافتقار إلى الصبر، ولكنّه بهذه المقدمة التي أثار بها تعاطف السامع مع حالته وافتقاره للصبر إنما أراد الوصول للمقصد وهو ندى قاضي القضاة الذي رأى سوء حاله الماديّ وافتقاره للمال فأغناه، فيكون التسلسل المنطقي لذلك أن يمضي الشاعر في مدحه والثناء عليه، ثم يختم بخاتمةٍ يهنئ بها ممدوحه بالعيد ويهنئ الأنام بممدوحه الذي أكثر من

---

[1] مقطعة رقم (1245).

[2] الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ص 286.

النحر في يوم العيد من الأنعام والأعداء، فنلاحظ أنّ المقطعة بكل أجزائها من مقدمة وخاتمة ومديح، قد استولت عليها فكرةٌ واحدةٌ سرت في كُلّ بيت منها، وهي فكرة كرم الممدوح وعطائه.

وكذلك الأمر فقد أبدع الشـــاعر في كثيرٍ من مقطعاته في اختيار المطالع، ذلك بأنه "ينبغي لكل من تصــدّى لمقصــدٍ أن يكون مفتتح كلامه ملائمًا لذلك المقصــد دالًا عليه"[1]. وبناءً على ذلك يمكن أن نرى أن مطالع كثيرٍ من مقطعات الشـاعر وإن جاءت في النسـيب أو الغزل أو الشـكوى إلّا أنها كانت مقدماتٍ فتح بها الشاعر الطريق أمام الفكرة التي قصد لها، فمن حسن الابتداء في مقطعاته قوله:

خليلـي عـن حـال المحبـين سـل فمـا ... ينبيـــك بـــالأحوال مثـــل خبيـــر
فريقــان هــذا فــي الوصــال بجنــةٍ ... وهــذا كمثلــي فــي الجفــا بســعير
وسـل فـي التقـى مثـل كـافور مصـره ... يبشـــرك ذكـــرى وقتنـــا لبشـــير
أميــرٌ علــى الســادات أيّ مقــدّمٍ ... وفـــي واجـــب المـــدّاح أيّ كبيـــر
لــو أنــك قابلــت النجــوم بقــدره ... لألفيتـــه قـــد جازهـــا بكثيـــر
إذا بشـرّ الإنسـان فـي الحـين مـرّةً ... علــى وجــه وضّــاح الهــلال منيــر
فيـا ربّ خلـد ملـك مـن لحـظ طرفـه ... يــرى كــل يــومٍ منــه وجــه بشــير[2]

يفتتح الشـاعر مقطعته بمخاطبة خليله بأن يسـأله عن حال أهل الحب الذين ينقسـمون إلى فريقين، فيصـف أحوالهم عن علمٍ ودرايةٍ ويصـفه وصـف المجرب الخبير، ثم يطلب منه أن يسـأله عن أهل التقى ليجيبه بوصـف ممدوحه والثناء عليه، ونلاحظ أنه في الحالين قد اسـتخدم اللفظ نفسـه في خطاب خليله وهو "سل"، فهو إذ يثبت لنفسه في المقدمة الخبرة في أحوال المحبين ثم يدعوه لأن يسأل عن حال الممدوح، فهو يؤكد خبرته بحاله وصدق ما يمتدحه به.

---

[1] العلوي، الطراز، 266/2.

[2] مقطعة رقم (427).

وكما كان اختيار المقاطع مميزًا في مقطعات شـاعرنا فقد أجاد وبرع في حسـن التخلص من الموضـوع الذي افتتح به المقطعة إلى الغرض الذي قصـد إليه، وهذه من المهارات التي لا يتقنها إلا شـاعرٌ مجيد "فإذا أتى بما يصـلح من الافتتاحات الحسـنة فلا بد له من مراعاة التخلص الحسـن ... وعلى قدر براعة الشاعر يكون حسن التخلص إلى المقصود"[1]. بحيث لا يشعر السامع بهذا الانتقال من موضـوعٍ إلى آخر ولا تظهر المقطعة –على قصـرها– كأنّها أجزاءٌ متباينةٌ لا يُمتُّ بعضـها إلى الآخر بصلةٍ بل تظهر كوحدةٍ واحدةٍ كما في قوله:

إلـى كـم يخـوض الـدمع فيـك ويلعـب ... ويتعـب فيـه مـن يلـوم ويتعـب
رشـا ترفـع النـاسُ العيـون لحسـنه ... ولكـنّ عينـاه علـى النـاس تنصـب
يلـذ لسـمعي ذكـره لـذة الثنـا ... كسـمع ابـن موسـى كلمـا مـر يعـذب
وكـم مـن يـدٍ بيضـاء فـي كُـلّ سـؤددٍ ... بـدت لابـن موسـى فهـي إرثٌ ومكسـب
لحمـزة جمّـاع المحامـد أنعـمٌ ... تُشّـرق فـي طلابهـا وتُغـرّب
تمـذهب العشّـاق والعلـم والنـدى ... لأخـلاق عـز الـدين فـي الخلـق مـذهب
وطابـت لعمـر كُـلّ أرضٍ يحلهـا ... وكُـلّ مكـانٍ ينبـت العـزّ طيـب[2]

فالشاعر قد افتتح مقطعته التي أراد أن يمدح بها عز الدين موسى ببيتين في الغزل ذكر فيهما بكاءه لما يُلاقيه من المحبوب وكثرة لوم اللائمين ومعاتبة المعاتبين له على حُبّ تلك الظبية، ثم ينتقل في البيت الثالث انتقالًا سلسًا بين المقدمة الغزلية والمدح، إذ بدأ الشطر الأول من البيت ببيان لذّة ذِكر المحبوب على سمعه، ثم انتقل في الشطر الثاني ليشبه لذة سمعه تلك بلذة سمع الممدوح للثناء كلما مرّ عليه، ومن هذا الانتقال يمضي في المدح بحيث يشعر السامع بأنه امتداد لما سبق من الغزل.

---

[1] العلوي، الطراز، 179/3.

[2] مقطعة رقم (30).

أمّا عن الخواتيم فإنّ لها أهميةً خاصـةً في كُلّ ضـروب الكلام شـعرًا كان أم نثرًا، فإنّه "ينبغي لكلّ بليغٍ أن يختم كلامه في أيّ مقصـدٍ كان بأحسـن الخواتيم فإنّها آخر ما يبقى في الأسـماع ورُبّما حُفظت من بين سـائر الكلام ... فينبغي تضـمينها معنًى تامًا يؤذن السـامع بأنّه الغاية والمقصـد والنهاية"[1].

وقد أدرك ابن نباتة هذه القاعدة خير إدراك لذلك نراه في قصـائده الطوال "قد تميز بتمكنه القولي، وحسن خواتيم القصائد التي تلاءمت مع وحدة الموضوع في القصيدة"[2] وكذلك في مقطعاته، فمع أنّ المقطعات تمتاز بالقصـر وليس للشـاعر فيها مجالٌ واسـعٌ لإظهار قدراته إلّا أنّ ابن نباتة قد اسـتطاع في كثيرٍ من مقطعاته أن يظهر براعته في حسـن الخواتيم، فربما كانت ببيتٍ واحدٍ يُقفل به قصيدته بمسك الختام وربما كانت بشطر بيت[3] يبلغ به غاية مقصده ونهاية معناه، فمن ذلك قوله:

جـنّ الـدُّجى واشـتقت حسـنك ... وقرعـت يـا ذا العـذل سـنك
يـا عـاذلي فـي الحـبّ أو ... يـا ليـل سـهدي مـا أجنّـك
عشـقي كجـود ابـن العـد ... يـم فخـلّ فـي السـلوان ظنّـك
قاضـي القضـاة أخـى التقـى ... لا يعـدم الطـلّاب منّـك
أكـدت فنـي فـي الثنـا ... وفـي النـدى والعلـم فنّـك
فالنـاس تعلـم أنّنـي ... فـي الـنظم أو فـي الفضـل أنـك
فلأشـكرنك مـا حييـت ... وإن أمـت فلتشـكرنك[4]

نظم الشـاعر مقطعته في مدح قاضـي القضـاة فذكر فيها من خلال الممدوح التي تسـتوجب المدح والتقدير كالتقوى والكرم والعلم، ولم يفت الشـاعر أن يقتنص من المقطعة بعض المواضـع

---

[1] العلوي، الطراز، 183/3.

[2] زينب عبد الكريم، ديوان ابن نباتة المصري الفارقي دراسة فنية، ص 369.

[3] انظر المقطعات رقم: (166)، (256)، (330).

[4] مقطعة رقم (1250).

ليُثني بها على نفسه ويُقرن بين فضل الممدوح ونظم الشاعر، حيث انتشرت مدائحه بين الناس فعلموا فضل الممدوح وإبداع الشاعر، فخلد الشاعر بذلك شعره وممدوحه، وبذلك جعل خاتمة المقطعة مشتملة على هذا المعنى بالغةً به المنتهى، فالشاعر سيشكر الممدوح ما دام حيًا فإن مات فإن قصائده الباقية في الناس ستبقى ناطقةً بالشكر له.

ومع أن ابن نباتة قد التزم البناء التقليدي المأثور في مقطعاته –كما تبين– فإنه في بعض المواضع لم يغفل عن بعض مظاهر التطور والتجديد التي شاعت في عصره، فهو وإن غلب عليه أن يفتتح كثيرًا من مقطعاته بمقدماتٍ من الغزل أو النسيب، إلّا أننا نراه يطبع بعضها بطابع عصره فيضيف إليها لونًا جديدًا كان شائعًا في زمانه وهو الغزل بالغلمان أو الغزل بالمذكر، فيجعله بديلًا للمقدمة الغزلية التقليدية وذلك كما في قوله:

عذار خديه راق مرآها ... فحبذا مائها ومرعاها
أخضر نفس الفتى بها ألفت ... والنفس خضراء قد عرفناها
أجني بها الحسن من تفضيل محيي الد ... ين أنشا العلا وأحياها
ذو البيت عياه خير شاهدةٍ ... أفلح من بالمديح زكاها
آخر أمجاده كاوّلها ... كحلقةٍ بدؤها كعقباها
شكرًا لجدواه إنّها سحبٌ ... أحيت نبات الرّبا بسقياها
إذا وصفنا مذاق أنعمه ... حَلّته أمداحنا وحلّاها[1]

قد جرت عادةً الشعراء –غالبًا– أن يكون غزل المذكر موضوعًا قائمًا بذاته في قصائد المجون أو الغزل، وأن يكون الغزل في مقدمات القصائد غزلًا تقليديًا يصف محاسن المحبوبة أو هيام الشاعر ولوعته بها، ولكنّ ابن نباتة في هذا الموضع قد جمع بين الأمرين فجعل المقدمة الغزلية للمدح مقدمة في غزل المذكر مراعاة لما شاع في عصره، فنرى أنّ صفات الظبية الهيفاء

[1] مقطعة رقم (1380).

صـاحبة العيون الواسـعة كما يحلو للعربي وصـفها أو صـاحبة العيون التركية الضـيقة، نراها قد غابت من هذه المقدمة ليحل محلها وصف العذار وخضرة الشارب وغيرها من صفات المذكر.

ثانياً: اللغة

قبل الولوج في بحث اللغة في مقطعات ابن نباتة لا بُد من الإشـــارة إلى بعض آراء الباحثين في لغة الشـعر في العصـر المملوكي بشـكلٍ عام، ذلك أن آراء الباحثين قد انقسـمت بالنسبة لهذه الحقبة من تاريخ أدبنا إلى قسمين: قادحٌ ومادح. أمّا التيار الأول فهو يرى أنّ الشعر في العصـر المملوكي قد كثُر فيه " الخروج عن اللغة وكثرة الضـرورات الشـعرية .... ويُقصـد به اســتخدام اللفظ العاميّ المحّرف عن العربية واللفظ الدخيل غير العربي، واللحن وهو عدم رعاية قواعد النحو، وعدم التزام الإعراب، وكذلك الانحراف عن الاستعمال العربي الصـحيح، والاشـتقاق دون قاعدة صـحيحة ... وهذه ظاهرة اتضـحت في أشـعار الكثيرين ومنهم الفحول ولدينا عليها أمثلة وشواهد لا حصر لها..."[1].

ويمكن أن نلاحظ أنّ هذا الاتجاه كان هو التيار الغالب في دراسـة تلك الحقبة في زماننا المعاصر، حتى برز اتجاهٌ آخر في مضمار البحث العلمي ظهر وكأنّه ردٌّ فعلٍ على الرأي الأول وأصـحاب هذا الاتجاه يرون أنّ الشـعر المملوكي لم يكن بذلك السوء الذي وُصـف به، ويحاولون حشـد الأدلة والبراهين على أنّ لغة الشـعر في ذلك العصـر لم تشـهد انحطاطًا عن المسـتوى المطلوب، ولم يكن فيها ما يذكر من المُخالفات والعيوب، حيث يُعلّق بعضـهم على ظاهرة دخول العاميّة إلى شـعر ذلك العصـر فيقول: "أمّا ما رآه بعض الدارسـين –قديمًا وحديثًا من عاميّةٍ وافرةٍ في الألفاظ الشعرية في شعر هذا العصر، أو عند بعض شعرائه فأعتقد أنّ فيه شيئًا من التجني ... فإن كان المقصـود من العاميّة الألفاظ الملحونة ذات الأُصـول المختلفة والمتداولة على ألسـنة

[1] يُنظر: محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، 480/4 وما بعده.

عامّة الناس في حياتهم اليومية فإنني لم أجد لفظًا واحدًا منها ... وأنّ كثرة تداول اللفظ لا ينقله من معجم الفصاحة إلى معجم العاميّة"[1].

ومهما يكن من أمر الاختلاف في هذه المسألة فقد بُحثت طويلًا في غير موضع، وفصّل الباحثون في جزئياتها في تعريف الألفاظ العاميّة والتفريق بينها وبين الألفاظ الفصـــيحة، ومقاييس فصـاحة الألفاظ والتراكيب، وفي هذا الباب من البحث سأُحاول تبيّن مدى صـحة تلك الآراء ودّقة تلك النتائج وانطباقها على الواقع من خلال اســـتقراء مقطعات ابن نباتة الذي يُمثّل نموذجًا يمكن أن تُستنبط منه كثيرٌ من خصائص شعر أهل زمانه ويُقاس عليه كثيرٌ من أشعار نظرائه وأقرانه.

وبالنظر في مقطّعات ابن نباتة يمكن أن نقرّر ابتداءً أنّ كثيرًا مما ذُكر من عيوب لغة الشـــعر في ذلك العصـــر كان موجودًا فيها، فنرى ألفاظًا عاميّةً مبتذلةً وتراكيب ركيكةً ضـــعيفةً، وأمثالًا شـعبية، بل وألفاظًا سـوقيةً نابيةً في كثيرٍ من الأحيان، هذا بالإضـافة إلى القلّة القليلة من الألفاظ المخالفة للقياس اللغوي. ولكن وجود هذه الظواهر لا يعني أنها ســـمات عامّة اتســـم بها شـعر ابن نباتة أو مظاهر من الضـعف والانحطاط غلبت على نظمه، وإنّما يعني دراية الشـاعر بحقيقة الشعر، وموضوعاته، وما يصلح من الألفاظ في كُل موضوعٍ من موضوعات الشعر وفي كُلّ موضـــعٍ من مواضـــع إلقائه، فشـاعرنا يعلم أنّ "الألفاظ تنقسـم في الاسـتعمال وأنّ لكلٍّ منها موضوعٌ يَحُسُن استعماله فيه ... فالجزل من الألفاظ يستعمل في وصف مواقف الحروب وقوارع التهديد والتحويف وأمثال ذلك، وأمّا الرقيق منها فيسـتعمل في وصـف الأشـواق وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك"[2]، وكذلك الأمر في الأشعار الموجهة

---

[1] يُنظر: خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك، ص 259 وما بعده.

[2] ابن الأثير، المثل السائر، 185/1.

للعامة أو أشـــعار الفكاهة والتندر والتهكم وأمثالها فإنّ اللفظ البســـيط بل العامي هو الأفضـــل للاستخدام فيها، وعلى مثل ذلك جرت لغة ابن نباتة الشعرية في مقطعاته كما سيتبين لنا.

يمثل شــعر المديح والغزل أكثر مقطعات ابن نباتة، ويلحق به من حيث اللغة ما قيل في المناسبات العامة كالتهاني والتعازي، وكثيرٌ من مقطّعات الشكوى التي قالها في محضر الحكام وأصـــحاب الســـلطان، فالمقطعات التي قيلت في هذه الموضـــوعات غلب على لغتها الفصـــاحة واختيار الألفاظ الجزلة القوية مع ســـهولتها وقربها، كما يلاحظ على هذا القســـم من مقطّعات الشاعر أنّه اقتفى فيه من حيث اللغة أثر الأقدمين من فحول الشعراء واستخدم كثيرًا من ألفاظهم، فمن ذلك قوله:

يـا أيهـا الملـك الـذي كُـلّ الرجـا والـــرّوع بـــين يراعـــه وحســـامه
هُنئّـت شـهرًا مثـل طـرفٍ سـاكت يسـعى بـه المخـدوم نحـو مرامـه
جمـــع الثّريـــا والهـــلال وإنّمـــا وافـــى إليـــك بســـرجه ولجامـــه[1]

جمع الشـــاعر في هذه المقطعة بين المديح والتهنئة للملك، فحشـــد فيها من الألفاظ ما يعطيها قوّةً ومهابةً تناســـب المقام الذي قيلت فيه، فاختار لفظة "الرَّوع" ليعبر عن الخوف، ولفظة "اليراع" بدل القلم ولفظة "الحسـام" بدل السـيف، وهي ألفاظُ توحي بالقوة والبأس، ومن ناحيةٍ أخرى فهي ألفاظٌ سـهلةٌ قريبةٌ لا يحتاج السـامع إلى جهدٍ في تحصـيل معناها وفهم دلالتها، كما لا يخفى على السامع التآلف والانسجام بينها، كما في كلمتي (روع – ويراع).

وفي موضـعٍ آخر من مقطعات ابن نباتة في الحكمة نراه يوظف الألفاظ توظيفًا موفقًا مع أنّ فيه شـيئًا من الغرابة، فموضـوع أبياته في الحكمة والموعظة ولكنّه جيّش له كثيرًا من الألفاظ الحربية حيث يقول:

---

[1] مقطعة رقم (1135).

ألا رُبَّ ذي ظلـــمٍ كمنـــت لحربـــه فأوقعـــــه المقـــــدار أيّ وقـــــوع
ومـــا كـــان لـــي إلّا ســـلاح تهجّـــدٍ وأدعيـــــةً لا تُتقـــــى بـــــدروع
وهيهـــات أن ينجـــو الظلـــوم وخلفـــه ســـهام دعـــاءٍ مـــن قســـيّ ركـــوع
مريشـــةً بالهـــدب مـــن جفـــن ســـاهرٍ منصـــــلةً أطرافهـــــا بـــــدموع[1]

أراد الشاعر من خلال مقطعته أن يبعث رسالةً مؤداها أنّ عواقب الظلم وخيمة وأن دعاء المظلوم لا يُرّد، وعادةً ما تكون الألفاظ الســـهلة الرقيقة أبلغ تأثيرًا في هذا المقام، وقد اســـتخدم بعضـــــها كألفاظ (التهجّد، والدعاء، والركوع، والدموع) والتي توحي جميعها بأجواء روحية تعبّديّة فيها خضـــوعٌ لله تعالى وتســـليمٌ له، ولكنّه بإزاء تلك الألفاظ يوظف كمًّا من الألفاظ القوية المؤثرة التي توحي بأجواء الحرب لتردع الظّلوم عن ظلمه، فيذكر (الكمين والحرب والســـــلاح، والدروع، والسهام، والقسيّ المريشة، والنّصال). ومع أنّ الشاعر في مقطعته جمع بين نوعين من الألفاظ: ألفاظ العبادة السهلة الرقيقة، وألفاظ الحرب القوية المؤثرة إلّا أنّه استطاع أن يصوغ منها مقطعته بشكلٍ سلسلٍ يظهر فيه انسجام الألفاظ وائتلافها، فلا ترى تنافرًا بين أجزاء قصيدته أو تباعدًا بين ألفاظها.

وكذلك في باب الغزل والنسيب فقد سار شاعرنا على سُنن الأولين في استخدام الألفاظ الرائقة الرقيقة ليعبر بها عن معاني الوجد ولوعة الأشواق، ومن ذلك قوله:

شـدا شـدو الحمـام ومـاس غصـنًا غنـــيّ الحســـن يُطـــرب إن تغنّـــى
فريـــدٌ وهـــو فتّـــان التّثنـــي فيـــا لله مـــن فـــردٍ تثّنـــى
بعطـــفٍ مثـــل منطقـــه رشـــيقٍ ولفـــظٍ يعجـــب الأســـماع لحنًـــا
وشـــكلٍ معـــربٍ عـــن كُـــل حســـنٍ وخصـــرٍ مثـــل جســـمي فيـــه مضـــنى
فمـــا أشـــهى محيًـــا منـــه زاهٍ ولحظًـــا مـــا رمـــى قلبًـــا فأســـنى
ومـــا أشـــهى عـــذارًا قـــد ســـباني بحـــرفٍ جـــاء فـــي حســـنٍ لمعنـــى[2]

---

[1] مقطعة رقم (751).

[2] مقطعة رقم (1260).

نلاحظ في هذه المقطّعة بأنّ الشاعر قد وظف كثيرًا من الألفاظ التقليدية التي تستخدم في وصف المحبوب كوصفه بالغصن الميّاس حيث يتثّنى ووصف رشاقة عطفه ودقة خصره وحسن محياه ولحظه وعذاره، ونلاحظ كذلك كيف أجاد الشاعر في استخدام تلك الألفاظ من حيث تجاور الألفاظ قريبة المخارج فيظهر بينها تناغمٌ وانسجام كما في جمعه بين كلمتي (فريد وفتّان) وكلمتي (غصن وحسن) بحيث يتنقل النطق بسلاسةٍ بين المخارج دون أي تنافرٍ أو مشقة، وأجاد في توظيف كمٍ من الألفاظ التي يجمعها أصلٌ واحدٌ من خلال تكرارها كألفاظ (شدا- شدو، غنيّ- تغنّى، فريدٌ- فردٌ، تثنى- تثني)، ونلاحظ استخدام لفظة (رشيق) لما تحمله من دلالة الحسن والخفّة والعُذوبة ليعبر بها عن رشاقة قوام المحبوب ورشاقة لفظه ومنطقه. أمّا من حيث وصف حال الشاعر وما يجده من حال المحبين فنرى ألفاظ (مضنى، رمى قلبًا، سباني) التي تعبر عن شدة تعلقه بالمحبوب واستعطافه له.

أمّا في باب الرثاء فإنّ ألفاظ الشاعر جاءت متضافرةً لتخلق جوًا من الحزن والأسى، فاستمع لقوله حين يرثي ولده فيقول:

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا شوقي إليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحمام لقد أحرقت بالنار يا كانون أحشائي[1]

على الرغم من قصر هذه النُّتفة إلا أنّ الشاعر استطاع من خلالها أنّ يصور لنا سوء حاله لفقد ولده وما أصابه من ألمٍ معنويٍّ ومادّي، فجاءت جُلّ ألفاظ المقطعة لتعبر عن هذا الحال: فألفاظ (اللهف، والشوق، والشجو، والحمام) تخلق جوًا من الحزن والكآبة والغم بسبب فقد الأحبة والشوق الذي لا يرجى من بعده لقاء أمّا ألفاظ (دائي، وأحرقت، وأحشائي) فقد زادت في معنى ذلك الألم والحزن لتحيله من ألمٍ نفسيٍّ إلى عذابٍ مادّي غدا داءً ومرضًا ونارًا تحرق الشاعر.

---

[1] مقطعة رقم (17).

وعلى الرغم من أنّ السهولة وقرب المعنى كانت السمة الغالبة على ألفاظ ابن نباتة في مقطعاته، إلّا أنّ بعضها لم يخلُ من الغريب الوحشيّ من الألفاظ –على قلتها– وذلك كما في قوله:

جادت أياديك حتى اشتطّ سائلنا فلِمَ أياديك والسؤال لم تلم
كذا تكون الكفاة السائدون فلا منعٌ ولا جانبٌ للحق مهتضم
جند العساكر في جندٍ يجهزه ونعم جند الدّعا في حندس الظلم[1]

فكلمة (حندس) الواردة في البيت الأخير هي من الألفاظ الغريبة الوحشية فهي من حيث المعنى بعيدةٌ تحتاج في فهما إلى مراجعة المعاجم ليعلم السامع أنها تعني "الظلمة.. والليل الشديد الظلمة"[2] ولكنّ الشاعر مع غرابتها قد وظفها في موضعٍ يُقرّب للسامع فهمها فهو إذ يقرنها بكلمتي (الدعاء – والظُلَم) يجعلُ من السياق الذي وردت فيه سياقًا موحيًا بمعناها فيخرجها عن البعد والغرابة وذلك بخلاف توظيف الشاعر لنفس اللفظة في موضعٍ آخر حيث يقول:

وأدهم اللَّون حندسيٌّ في جريه للورى عجائب
يقصر جري الرياح عنه فكلها خلفه جنائب[3]

فالسياق العام الذي وردت فيه صفة (حندسيّ) يركز على سرعة الفرس في جريه فيصعب على السامع الاهتداء إلى معنى اللفظة من السياق إلّا أن يكون ملمًا بمعناها من قبل.

وفي موضعٍ آخر من مقطعاته يقول:

ألبستني ثوب الغرام مشهّرًا فمدامعي حُمرٌ ولوني أصفر
ونصبت للتبريح أحشائي التي فيها من الأشواق فعلٌ مضمر
يا صاحب العطف الموشج شعره قول العواذل في هواك يكفّر
إن كنت لم أسمع مقال عواذلي فوحق حسنك أنهم لم يبصروا[4]

---

[1] مقطعة رقم (1122).
[2] ابن منظور، لسان العرب مادة (حندس).
[3] مقطعة رقم (44).
[4] مقطّعة رقم (475).

وصف الشاعر شعر المحبوبة بالموشج ويعني بها "تداخل وتشابك"[1]، ولفظ الموشج غريبٌ وحشيّ هذا بالإضافة إلى ثقله في النطق ذلك بأن حرفي الشين والجيم يخرجان من مخرجٍ واحد، وما يزيد اللفظ ثِقلًا أن الكلمة التي تتبعه وهي (شعر) تبدأ بحرف الشّين أيضًا ما يعني وقوع ثلاثة حروف متماثلة المخرج على التّوالي.

أمّا بالنسبة للألفاظ العاميّة والعبارات السّوقية والتراكيب الركيكة فقد كان لها في مقطّعات الشّاعر حضورٌ واسع، فهي وإن لم تكن السمة الأبرز في شعر ابن نباتة إلّا أنّها لم تكن حالةً استثنائيةً عابرةً لا يقاس عليها. ولكنّ نظرةً فاحصةً في مقطّعاته تُرينا أن استعمال الشّاعر لتلك الألفاظ لم يكن ارتجالًا، بل نكاد نقول في بعض المواضع أنّه قد قصد إلى اللّفظ العاميّ دون الفصيح قصدًا لمناسبته لسياق الكلام ومقتضى الحال والمقام، فكما رأينا الألفاظ الفصيحة السهلة والعبارات القويّة الجزلة في المقطّعات التي قيلت في مواقف جديّةٍ ومناسباتٍ رسميّةٍ فكانت فصاحتها مناسبةً لمقتضى الحال ومقام المقال، كذلك نرى في مواضع السّخرية والتّهكم أو مداعبة الأهل والأصدقاء أو مخاطبة العامة والبسطاء عباراتٍ عاميّةً ومصطلحاتٍ شعبيةً بل وألفاظًا نابيةً، والأكثر من ذلك أن نرى ألفاظًا خارجةً عن القياس اللغوي السّليم وتراكيب خارجةً عن النّحو العربي القويم.

فمن المواضع التي تظهر فيها الألفاظ العاميّة في مقطّعات الشّاعر قوله:

مولاي نور الدّين لي نسوة ... في مالح الأكل لها محنه
يصمن عن قصدي ولكن إذا ... سألت من قصدٍ لها صحنه[2]

فلفظة "محنة" ويقصد بها شدة الرّغبة أو الحاجة، ولفظة "صحنة" ويقصد بها التّجهم والتّعبير عن الغضب هما لفظتين عاميّتين لا يزال العوام يستعملونهما حتى أيّامنا هذه، وهي من الألفاظ

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (وشج).

[2] مقطّعة رقم (1297).

السّاقطة التي يأنف النّاس استخدامها في كلامهم العامّ، ولكنّ الشّاعر يبدو كأنّه قصد إلى استخدامها في هذا الموضع، حيث إنّ شاعرًا كابن نباتة بما يملكه من معجم واسع من الألفاظ الفصيحة كان يملك أن يســـتبدلها بغيرها، فلو أنّه قال مثلًا في مالح الأكل لها فتنة أو رغبة لما اختل الوزن ولا تغيرت القافية ولكنّه يعلم كيف يتخيّر من الألفاظ ما يوافق المقام ويتقن كيفية مخاطبة العوامل انطلاقًا من قاعدةٍ مهمةٍ أشــار إليها الجاحظ من قبل حيث قال: "وكذلك إذا ســمعت بنادرةٍ من نوادر العوام ومُلحةٍ من مُلح الحشـوة والطّعام، فإيّاك وأن تسـتعمل فيها الإعراب أو تتخيّر لها لفظًا حسـنًا أو تجعل لها من فيك مخرجًا سَــريًّا، فإنّ ذلك يفســد الإمتاع بها ويخرجها من صــورتها، ومن الذي أُريدت له، ويذهب استطابتهم إيّاها واستملاحهم لها"[1]، وشاعرنا في أبياته هذه إنّما أراد مداعبة صديقه بأسلوب الشّكوى والتّهكم فكانت ألفاظه العاميّة في هذا المعرض هي الأليق للمقام.

ومثل ذلك من استخدام الألفاظ العاميّة نراه في قول الشّاعر:

يـــــا ســـــيدًا حلـــــوَةُ أمداحـــــه تجمـــــع بـــــين الحســـــن والبخـــــت
لمـــــا تحلّـــــت ســـــنه بالهنـــــا لـــــديكم فـــــي أســـــعد الوقـــــت
ناديـــــت بالاســـــم وترخيمـــــه وصـــــحت يـــــا ســـــتين يـــــا ســـــتّي[2]

إضـافةً إلى الضـعف العام في صـياغة المقطعة يمكن أن نلاحظ أيضًـا وجود الألفاظ العاميّة كلفظة (البخت) وتعني "الجدّ، وهو لفظٌ فارســـي وقد تكلمت به العرب، ورجلٌ بخيت: ذو جدّ، قال ابن دريد: ولا أحسبها فصيحة"[3]، ثم أخذتها العامّة واستخدمتها بمعنى الحظ، ولا زالت مستخدمة في بعض المجتمعات العربيّة حتى يومنا هذا. وكذلك فقد استخدم الشّاعر لفظة (ستّي) وهي من الألفاظ التي كثر اسـتخدامها على ألسـن العوام ويقصـدون بها المرأة، ولا زالت مسـتخدمة حتى يومنا هذا أيضًـا، وقد

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 146.

[2] مقطّعة رقم (171).

[3] ابن منظور، لسان العرب مادة (بخت).

استعمل الشّاعر هذه اللفظة في مواضع عدة من مقطّعاته[1]، بل يبين لنا في إحداها أصل هذه اللفظة حيث يقول:

قسمًا ما حلت عن عهد الوفاء بعد مصرَ لا ولا نيلَ بكائي
حبها تحتي وفوقي ويمني وشمالي وأمامي ووراءي
فهي ستي من جهاتي ولديها سيّدي من حيث وِدّي وولائي[2]

إذا فلفظة (ستّي) كما يبين الشّاعر معناها في أبياته هي إحاطتها بجهاتها السّتة، وفي هذا كناية عن تملكها له وتمكّن حبها في قلبه من كل اتجاه، ولفظةً تحمل هذه الكناية وإن كثر دورانها على ألسن العوام إلّا أنّها لا تستحق أن توصف بالسّقوط أو الابتذال، بل هي أقرب لأن تكون فصيحةً لولا كثرة استخدامها.

أمّا الألفاظ السّاقطة والألفاظ البذيئة فهي موجودةٌ –أيضًا– في مقطّعات الشّاعر، ومن ذلك قوله:

سائلي عن شرح حالي كيف حال الضعفاء
فرط إسهالٍ وفقرٌ إنّ ذا حالُ خراء[3]

يمكن أن نلاحظ أن هذه الأبيات كغيرها من المواضع التي وردت فيها ألفاظٌ ساقطةٌ قد وردت في إطار حوارات أخوية لم يقصد بها الشّاعر فعلًا أن ينظم شعرًا بقدر ما قصد تبادل الحديث مع الإخوان أو ممازحة الأصدقاء، إلّا أنّ قوة سجيته الشعرية دفعته لأن ينظم هذه الألفاظ ارتجالًا، خاصّةً ونحن نعلم أنّ الشّعر في ذلك العصر لم يكن صنعة الخواص بل كان كثيرٌ من أرباب الحرف وأهل الصّناعة وعامّة النّاس يقولون الشّعر، فلعل كثيرًا من أمثال هذه الأبيات قد قالها الشّاعر في معرض

---

[1] انظر المقطّعات رقم (202، 1005).
[2] مقطّعة رقم (5).
[3] مقطّعة رقم (24).

التندر والتّسلية وترويض الذّهن مع غيره من الشّعراء، ومثل ذلك يقال في المقطّعات التي وردت فيها ألفاظٌ نابيةٌ[1].

وكما نجد في مقطّعات الشّاعر الألفاظ العاميّة التّي تظهر لنا مدى قربه من مجتمعه وتأثّره به، فإننا نجد في مواضع أخرى ألفاظًا أعجميةً تُنبئ عن سعة اطلاعه على الثقافات الأخرى، وشيوع بعض المصطلحات الأعجمية في لغة أهل عصره، فمن ذلك قوله:

فديتك من كُلّ ما تختشي وعشت وصنوك كالفرقدين
عن الحال يا سيدي لا تسل ولا عن طبيبي المقلّ اليدين
بطبّ أبقراط وافى إليّ وراح ولكن بخفيّ حنين[2]

فاسم أبقراط الطبيب الإغريقي المعروف هو اسم "أعجمي" يعكس اطّلاع الشّاعر على التّاريخ وثقافة الشّعوب.

وفي مواضع أخرى نجد لفظًا أعجميًا يتكرر في مقطّعات الشّاعر وهو "الخشكنان"، ومن ذلك قوله:

مضى ابن دقيق عيد والعلايا ولكن جاءنا نجل الإمامه
كحشو الخشكنان له صفات فما وصفي دقيقًا أو علامه[3]

فلفظة (الخشكنان) هي لفظةٌ فارسيةٌ في أصلها، وهي اسمٌ "لخبزةٍ تُصنع في خالص دقيق الحنطة وتُملأ بالسّكر واللوز أو الفستق وتقلى"[4]. وقد وردت الكثير من الأسماء الأعجمية في غير موضع من مقطّعات الشّاعر[5]، وليس ذلك بالّذي يقدح بفصاحة ألفاظ الشّاعر أو يحطُّ من مقدار شعره، ألم ترَ أن القرآن الكريم قد وردت فيه بعض الأسماء الأعجمية التي جرت على لسان العرب

---

[1] انظر المقطّعات رقم (92، 584، 834).
[2] مقطّعة رقم (1266).
[3] مقطّعة رقم (1119).
[4] المعجم الوسيط، (خُشكنان).
[5] انظر المقطّعات (1103، 179، 1305).

حتى أصبحت جزءًا من لغتهم كقوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[1]، فلفظتي (سندس واستبرق) هي أسماءٌ أعجميةٌ، والسّندس ما رَقّ من الدّيباج، والإستبرق ما غلظ منه"[2]، وبغض النّظر عن الخلاف الواقع بين المفسرين في مسألة وجود ألفاظ أعجمية في القرآن، فإنهم يُجمعون على وجود أعلام أصلها أعجمي، ولا يقدح ذلك في فصاحة القرآن الكريم بشيء، وإذا نظرنا إلى جلّ الألفاظ الأعجمية في مقطّعات شاعرنا وجدناها إمّا أسماءَ أعلامٍ، أو أسماءً لأشياء وأدواتٍ استخدمها أهل ذلك الزّمان ونقلوا أسماءها كما هي ودارت على ألسنتهم حتى أصبحت ألفاظًا مألوفةً لديهم.

ومع ما سبق من توظيف الشّاعر لكثير من الألفاظ العاميّة والأعجمية في مواضع تناسبها وتبقيها في دائرة الألفاظ المقبولة، إلّا أن الشّاعر في عدة مواضع يتجاوز هذه القاعدة ويوغل في العاميّة حتى يأتي بألفاظ خارجة عن قياس اللغة العربيّة وأوزان ألفاظها، ولا تحمل أيّ أصل عربيّ يشير إلى البعد الدلالي الذي أريد لها أن تعبّر عنه، فمن ذلك قوله:

يا صاحب الأقلام والسّيف قد ... أتقن في التدبير ما قرره
نحن المساكين لأرزاقنا ... بابٌ طواه الدّهر أو عسّره
فاجعل بإحسانك مفتاحه ... وإن تعاصى فاقطع السّكره[3]

فكلمة (سكرة) الواردة في البيت الأخير هي لفظةٌ عامية تستخدم للتعبير عن قُفل الباب، وقد وظّفها الشّاعر –هنا– في هذا المعنى، ولكنّ هذه اللفظة لا تستند على أيّ جذرٍ لغويٍّ يدلُّ عليها أو

---

[1] سورة الإنسان، آية 21.

[2] الشوكاني، فتح القدير، 439/5.

[3] مقطّعة رقم (445).

على عملها بالإضافة إلى أنّها لم تُصغ على أيّ وزنٍ من الأوزان التي تناسب عملها، وقد وردت أمثال هذه اللفظة في غير موضعٍ من مقطّعات الشّاعر[1].

ومن المظاهر التي نرى فيها الشّاعر يجاري لغة العامة إكثاره من تسهيل الهمزة، فالتسهيل وإن كان لغةً من لغات العرب الفصيحة إلّا أنّ الإكثار منه يؤثر في جودة الشّعر، وخاصةً إذا كان في درج الكلام وليس في القافية وذلك كقوله:

سـعيتُ فـي حـب هيفـا تخلـو وتكـوي طفيلـة
وقيـل عـيّن لهـا اسـمًا فقلـت سـتّي بخليـة[2]

فقد سـهّل الشّـاعر همزة (هيفاء) لتصـبح (هيفا) وذلك ليسـتقيم الوزن في أبياته وهو في هذا الموضع مقبول، ولكن الشّاعر قد أكثر من تسهيل الهمزة في عدة مواضع لم تكن كلها في دائرة الشّعر الإخواني أو السّاخر القريب من العامّة بل كان بعضها في مقطّعاتٍ قيلت بين يدي أصحاب السّلطان أو في المناسبات الرّسمية[3].

ومن الضرورات التي خالف فيها الشّاعر القياس ما نراه في بعض تراكيبه من استخدام لحروف أو ألفاظٍ في غير معناها، ومن ذلك قوله يواسي كمال الدّين، وقد سقط عن حصانه:

كمـال الـدّين عشـت لنـا مـلاذًا تُصـوّغ مـن شـمائله المعـاني
وقعـت علـى الجـواد وأنـتَ غيـثٌ وقمـت مسـلّمًا خصـب الجنـان
فأيقنـت الـورى خصـبًا وقـالوا وقـوع الغيـث مـن خصـب الزّمـان[4]

فصاحب الشّاعر إنّما سقط عن جواده ولم يقع عليه، ولكنّ الشّاعر لمّا أراد أن يثبت له صفة أنه غيث، والغيث إنّما يقال إنّه وقع على الأرض أو على الزّرع ولا يقال فيه وقع عن الأرض، فلمّا

---

[1] انظر المقطعات رقم (1219، 1098، 443).
[2] مقطّعة رقم (1005).
[3] انظر المقطّعات رقم (119، 61، 226).
[4] مقطّعة رقم (1233).

أراد الشّاعر عن يصف صاحبه بأنه غيث وصفه بأنه وقع على الجواد وليس عنه، وحتى لو أخذ الشّاعر بالمذهب النحوي القائل بأنّ أحرف الجرّ ينوب بعضها عن بعض؛ فإنه في هذا الموضع تسبب باختلال المعنى، ومثل ذلك من التراكيب التي أخلّت بالمعنى أو خالفت القياس يمكن أن نراه في عدّة مواضع من مقطّعات الشّاعر[1]، إلّا أنّ هناك بعض المواضع التي تظهر وكأن فيها ضعفًا في التركيب أو صيغةً قريبةً من العاميّة، ولكنها في الواقع صيغٌ فصيحةٌ جرت على القياس مع أنها قليلة التّداول غير مشهورة بين النّاس وذلك كما في قوله:

قالت خزائن علمٍ إن شكا ألما وزيرنا فلنعم الأخوة الشركة
هذا أخوه الذي بالسّعد أنعته الله يبقي لنا في عمره البركة[2]

فصيغة الدّعاء (الله يُبقي لنا) تظهر وكأنها عاميّةٌ مخالفةٌ للصّيغة القياسيّة المشهورة (أبقى الله لنا)، ولكن الحال أنّ هذه الصّيغة على قلّة استعمالها هي صيغةٌ فصيحةٌ استخدمها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في دعائه وهو أفصح العرب لسانًا، وذلك في الحديث "عن أبي سعيدٍ الخدري، رضي الله عنه، أنّ جبريل أتى النبيّ، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أشتكيت؟ فقال: نعم، قال: باسم الله أرقيك، من كلّ شيءٍ يؤذيك، من شرّ كلّ نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك، باسم الله أرقيك"[3]، والشّاهد من الحديث ورود الدّعاء بصيغة (الله يشفيك) فهي صيغةٌ فصيحة.

ثانياً: الاقتباس والتضمين

تكثر في مقطّعات ابن نباتة ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم والتّضمين من الحديث النّبوي والشّعر العربي والأمثال السائرة، وقد نهج الشّاعر في هذا الباب منهجه في استخدام الألفاظ من حيث موافقة المقام لما يتم اقتباسه أو تضمينه، فكان الاقتباس من القرآن الكريم والتضمين من الحديث

---

[1] انظر المقطّعات رقم (443، 1438).
[2] مقطّعة رقم (944).
[3] مسلم، الصحيح (2186).

الشّـــريف وجيد الشّـــعر في المقطّعات التي قيلت في مقام مدح الملوك ومخاطبة العلماء والمناســـبة الرسميّة، أمّا تضمين الأبيات الشّعرية الركيكة فيغلب في شعره الذي قيل لأغراض التّهكم والسّخرية أو كان موجهًا للعوام من النّاس.

الاقتباس:

الاقتباس: هو "أن يضـــمّن المتكلّم كلامه كلمة من آيةٍ أو آيةً من آيات كتاب الله العزيز خاصّـةً"[1]، وهو كثير في مقطّعات ابن نباتة[2] سواءً ما كان منه اقتباسًا لآيةٍ أو لكلمةٍ أو كلماتٍ من الآية، فمن الاقتباس من أجزاء الآيات قوله:

بـي مـن بنـي التـرك سـاجي الطـرف وسـنان ... مـــا الصـــبّ منـــه معـــاذٌ وهـــو فتّـــان
بـــي ضـــيّق العـــين صـــانوه فقلـــت لهـــم ... ســـمّ الخيـــاط مـــع المحبـــوب ميـــدان[3]

وقوله (سمّ الخياط) اقتباسٌ من الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[4]، والخياط هو الإبرة "وسمّ الخياط: ثقبها"[5]، وقد اقتبس الشّاعر هذا الجزء من الآية ليكنّي به عن ضيق الميدان مع المحبوب.

كما نراه في موضعٍ آخر يقتبس جزءا من آيةٍ ليجعلها عجز بيتٍ حيث يقول:

نـــأت عـــن محبيـــه أعطافـــه ... وأمســـوا إلـــى الطيـــف يســـتطلعون
فهـــاهم قيـــامٌ لفـــرط الأســـى ... قلـــيلًا مـــن الليـــل مـــا يهجعـــون[6]

---

[1] ابن حجة، خزانة الأدب، 357/4.
[2] انظر المقطّعات رقم (1355، 1380، 1411).
[3] مقطّعة رقم (1225).
[4] سورة الأعراف، آية 40.
[5] معجم ألفاظ القرآن الكريم، 390/1.
[6] مقطّعة رقم (1309).

فقد اقتبس الشّـاعر قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[1] ليسـقط حال المؤمنين الذين يقومون ليلهم تهجدًا وتعبدًا على حال المحبين الذين يســـهرون ليلهم في أســـىً يســـتطلعون طيف المحبوب، والاقتباس من القرآن الكريم لغرضٍ مثل الغزل هو اقتباسٌ مباحٌ لا إثم فيه طالما كان الغزل بعيدًا عن الفحش[2].

وفي موضـعٍ آخر يقتبس الشـاعر آيةً من كتاب الله ليعبر بها عن مقصـوده وهو التهنئة ولكنّه يقلب الضمير لتتناسب مع سياق النظم حيث يقول:

قـــد سُـــرّت الأُمـــة والـــدين إذ قـــالوا أتـــى الســـلطان نجـــلٌ كـــريم
فبشـــــروها بمليـــــك رضًـــــا وبشـــــروه بغـــــلامٍ حلـــــيم[3]

فنص الآية الكريمة ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[4]

التضمين

التضـمين: هو "أن يودع الناظم شعره بيتًا من شعر غيره أو نصف بيتٍ أو بعض نصف بعد أن يوطئ له توطئةً تناســـبه بروابط متلائمةٍ بحيث يظن الســـامع أنّ البيت بأجمعه له ... وكذلك المضـــمن من الحديث النبوي"[5]، وقد ذهب بعضـــهم إلى أنّ الاقتباس يكون من القرآن والحديث والتضـــمين يكون من الشـــعر[6]ولكني –هنا– ســـأعتمد رأي ابن حجة بأنّ الحديث يدخل في باب التضمين.

---

[1] سورة الذاريات، آية 17.
[2] ينظر: ابن حجة، خزانة الأدب، 357/2 وما بعدها.
[3] مقطعة رقم (1212).
[4] سورة الصافات، آية 101.
[5] ابن حجة، خزانة الأدب، 106/4.
[6] ينظر المرجع السابق، 357/4.

فمن المواضع التي يُضمّن فيها الشاعر الحديث النبوي، قوله:

وقـالـعٌ مـن جـنـتـي خـدّه نبتًـا بـه العشـاق قـد هـاموا
يـقـول مُـحـتـجًـا إذا لـمـتـه لا يـدخـل الـجـنّـة نـمـام[1]

فالشـاعر قد ضـمن في أبياته الحديث الشـريف "**لا يدخل الجنة نمام**"[2] ولكنه لم يأتِ به على معناه الذي ورد به في الحديث، بل إنّ السـياق الذي جاء به الشـاعر في البيت الأول يّدلّ على أنّه قد ورّى بالمعنى الظاهر لكلمة نمّام الواردة في الحديث عن المعنى البعيد المقصـود لكلمة نمّام وهو "**نبتٌ طيّب الريح**"[3] ليكني به عن شعر المحبوب.

أمّا عن تضـمينه للشـعر في مقطعاته فهو كثير[4] فمنه تضـمينه لبعض الأشـعار الجاهلية كقوله:

خليليّ والأشـواق تروي حديثها دموع الاسى من مرسلٍ ومسلسل
على نـازلٍ بـالقلـب مرتحلٍ بـه قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل[5]

فالشـاعر قد ضـمّن في عجز بيته الثاني صـدر البيت الأول من معلقة امرئ القيس، ولكنه خالف امرأ القيس في المعنى الذي قال فيه البيت، فالأخير قال بيته هذا في الوقوف على الأطلال، أمّا ابن نباتة فإنّه لا يسـتوقف صـحبه على أطلالٍ بالية وإنما يسـتوقفهم على حال قلبه، فالحبيب نازلٌ في القلب ومرتحلٌ به فالحبيب والمنزل في قلبه، وبهذا كان تضـمين الشـاعر لشـطر البيت موفقًا بحيث أدخله في سياق معناه فكان منسجمًا مع أبياته وكأنّه جزءٌ منها.

---

[1] مقطعة رقم (1197)
[2] صحيح مسلم، حديث رقم (105).
[3] ابن منظور، لسان العرب مادة (نمم).
[4] انظر المقطعات رقم (30، 154، 235).
[5] مقطعة رقم (979).

وكما ضـمّن في مقطعاته أبياتًا من شـعر الجاهلين، فقد ضـمّن أيضًـا أبياتًا من شـعرٍ لشـعراء صدر الإسلام وذلك كقوله:

يــا ابن النبوة والفتوة والتقى عــذرًا لـمعلـوم الـولا لا يـجـهــل
كم بيت مدحٍ قلت فيك لنظمه "يــا بيــت عــاتكــة الــذي أتغزل"

فعجز البيت الثاني من المقطعة هو صــدر بيتٍ للأحوص الأنصــاري[1] وهو مطلع قصــيدته التي يقول فيها:

يــا بيــت عاتكــة الــذي أتغــزل حَــذَر العــدى وبــه الفــؤاد موكــل[2]

وفي هذا الموضـع أيضًـا نرى أنّ ابن نباتة قد أخذ شـطر البيت الذي قيل في النسـيب ليوظفه هو في باب المديح بسلاسةٍ تُظهر الشطر وكأنّه جزءٌ أصيلٌ من الأبيات.

ومع أنّ شـاعرنا كان ذا ثقافةٍ عاليةٍ واطّلاعٍ على أشـعار القدماء والمحدثين إلّا أنّ المتأمّل في شعره يجد أنّ للمتنبي حظوةً عنده ومكانةً خاصة في قلبه، ويظهر ذلك من كثرة تضمين شاعرنا لأبياتٍ من شعر المتنبي في قصائده [3]، ومن ذلك قوله:

مـولاي هنئـت فـردًا فـي الشـهور كمـا فــي النــاس فــردًا دعــاك العلــم والكــرم
أصــغ إلــى مــدح لــي فيــك ســائره قــد أســمعت كلمــاتي مــن بــه صــمم[4]

فقد أخذ ابن نباتة شطر بيت المتنبي الذي يقول فيه:

أنــا الــذي نظــر الأعمــى إلــى أدبــي وأســمعت كلمــاتي مــن بــه صــمم[5]

---

[1] هو عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت الأنصاري.
[2] الأخوص، الديوان، ص207.
[3] انظر المقطعات رقم: (172، 1178، 1294).
[4] مقطعة رقم (1189).
[5] المتنبي، الديوان، ص332.

فشــاعرنا قد اخذ شــطر بيت المتنبي وضــمنّه أبياته دون أيّ زيادةٍ في المعنى أو خروجٍ عن السياق بحيث تظهر في هذا الموضع محاكاته للمتنبي، ولا يقتصر إعجاب شاعرنا بالمتنبي على كثرة التضمين من قصائده بل نراه في إحدى مقطعاته يحاول أن يقرن نفسه به وذلك في قوله يمدح سيف الدين:

قسمت بين ظبا الملاح تغزلي ... ولمدح إنشاء الملوك ثنائي
ولسيف دين الله يعمل خيله ... غزوًا من البلقاء للشهباء
بين العشائر والعشير محاسنٌ ... غزواته به بالرأي والآراء
بالرعب طورًا والقواضب تارةً ... تزورّ منه نواظر الزوراء
فكأنني بك فاتحًا شرقيها ... للسّد يا مفتاح كُلّ هناء
وكأنني يا سيف دولة فتنةٍ ... بك وهو مفتخرٌ على القدماء
في الشعر والإنشاء بابن نباتة ... تزهو على الخطباء والشعراء[1]

قال الشاعر مقطعته في مدح سيف الدين الذي يصفه في البيت الأول بأنه ملك، ثم يصفه في آخر المقطعة بأنّه (سيف دولة) ثم يختم مقطعته بالقول بأن سيف الدولة الملك يفتخر على القدماء بأشعار شاعره ابن نباتة، فهو إذ يسمي ممدوحه سيف الدولة ويعتبر نفسه شاعره المفلق إنما يستحضر في ذهن سامعه صورة سيف الدولة الحمداني وشاعره المتنبي ليقرن نفسه به.

يقودنا الحديث عن الاقتباس والتضمين إلى أن نلج في باب المحسنات البديعية في مقطعات الشاعر، وهذا الباب يكاد يكون أهم الأبواب في دراسة مقطّعات الشاعر وأوسعها، وذلك أنّ المحسنات البديعية قد غلبت على شعر شعراء ذلك الزمن فكانت "هدف كُلّ شاعرٍ أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان حتى كاد العصر أن يوسم أدبيًا باسم عصر البديع ... حيث تنوعت أفنانه وتكاثرت

[1] مقطعة رقم (4).

ونمت حتى انتهت إلى مئةٍ وواحدٍ وخمسين محسنًا بديعيًا عند صفي الدين الحليّ"[1]، أمّا شاعرنا ابن نباتة الذي كان أمير شعراء المشرق في زمانه، فقد كان شعره انعكاسًا دقيقًا لواقع الأدب في زمانه، فأغرق في استعمال المحسنات البديعية في أشعاره بكل ألوانها، وفاق في هذا المضمار أقرانه حتى أُعتبر رائد مدرسةٍ فنيةٍ جديدةٍ اتخذت من التورية أساسًا للصنعة الشعرية ونقلت بها الشعر إلى آفاقٍ جديدةٍ من التعبير[2] وهذه المحسنات البديعية أكثر من أن يحيط بها هذا البحث –كما ذكرنا– فهي قد استغرقت مؤلفاتٍ ضخمةٍ وأبحاثٍ جمّة، وإنما سأقف في هذا البحث على بعضها مما طُبع به أسلوب الشاعر وكَثُر في مقطعاته.

رابعاً: التورية

"التورية: ويقال لها الإيهام والتخييل، وهي: أن يذكر المتكلم لفظًا مفردًا له معنيان حقيقيان، أو حقيقةٌ ومجاز، أحدهما قريبٌ ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب، فيوهم السامع أول وهلةٍ أن يريد القريب وليس كذلك"[3].

والتورية في ديوان ابن نباتة كثيرةٌ يصعب إحصائها[4] سواءً في قصائده أو مقطعاته، فمنها ما هو ظاهرٌ بيّنٌ ومنها ما هو خفيٌّ بعيدٌ يحتاج إلى إعمال عقلٍ وإمعان نظر، فمن توريات الرقيقة قوله:

لله خالٌ على خدّ الحبيب له ... في العاشقين كما شاء الهوى عبث
ورّثته حبّة القلب القتيل به ... وكان عهدي أنّ الخال لا يَرث[5]

---

[1] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، ص 300 – 301.
[2] ينظر، باشا، الأدب في بلاد الشام، ص461 وما بعده، وباشا، أمير شعراء المشرق، ص292.
[3] ابن حجة، خزانة الأدب، 184/3.
[4] انظر المقطعات رقم (356، 376، 290، 1179).
[5] مقطعة رقم (221).

فقد ذكر الشاعر (الخال) في البيت الأول بمعنى النكتة أو الشامة السوداء في الوجه، ولكنه حين ذكر (الخال) في البيت الثاني في معرض الميراث أوهم السامع أن المقصود منها الخال الذي هو أخو الأُم، فورّى بهذا المعنى عن المعنى البعيد المقصود وهو الخال بمعنى الشامة، وذلك أنّه حين ذكر توريثه حبة قلبه (للخال) إنما أرجع الضمير على اللفظ الذي ورد بمعنى الشامة في البيت الأول، فيكون المعنى المقصود المورى عنه للفظ في البيت الثاني هو المعنى المقصود نفسه في البيت الأول.

ومن توریاته قوله يهنئ بالعيد:

أيا ملكًا أيّامه الغرّ كلها مواسم تلقى الناس بالمنن الغرّ
تهنّ بعيد النحر وابق ممتعًا بأمثاله سامي العلا نافذ الأمر
تقلّدنا فيه قلائد أنعمٍ وأحسنُ ما تبدو القلائد في النحر[1]

فكلمة (نحر) كذلك وردت في القصيدة مرتين، في المرة الأولى كان المقصود منها جليًا أنها بمعنى عيد الأضحى، ولكنه في المرة الثانية حين ذكر (القلائد في النحر) أوهم السامع بأنّ المقصود هو المعنى القريب للنحر وهو موضع القلادة من العنق، مع أنّ المقصود المورى عنه هو يوم النحر أي يوم الأضحى.

ومن توریاته التي جاء بها بين معنىً حقيقيّ وآخر مجازي قوله:

قلم العذار بوجنتيك جرى وسيف لحظك صان كلّ دم
فاحكم على كُلّ الأنام فقد أصبحت ربّ السيف والقلم[2]

ففي قول الشاعر (أصبحت ربّ السيف والقلم) يتبادر إلى ذهن السامع أنّ المقصود بالسيف المعنى الحقيقي القريب وهو الحسام، وأنّ المقصود بالقلم المعنى الحقيقي القريب وهو اليراع، ولكنّ

---

[1] مقطعة رقم (480).

[2] مقطعة رقم (1166).

الشــاعر قد ورى بهذه المعاني الظاهرة عن المعنى المجازي المقصــود وهو عذار المحبوب الذي خطّ كالقلم ولحظه الذي مضى كالسيف.

التوجيه

والتوجيـه هو نوعٌ آخر من أنواع التوريـة وهو "أن يوجـه المتكلم بعض كلامـه أو جملتـه إلى أسـماءٍ متلائمةٍ اصـطلاحًا من أسـماء أعلامٍ أو قواعد علومٍ أو غير ذلك مما يتشـعب له من الفنون توجيهًا مطابقًا لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي ... والفرق بينه وبين التورية أنّ الثانية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه"[1] والتوجيه في مقطعات ابن نباتة كثيرٌ كما التورية، وهو يعكس سـعة اطّلاع الشـاعر وعمق ثقافته وإلمامه بشـتى أنواع العلوم، وأسـماء الأماكن والعلماء، ويمكن أن نلاحظ أنّ التوجيه في مقطعات ابن نباتة يتركز في عدة موضـــوعات: لعلّ أكثرها التوجيه بالمصطلحات العلمية وخاصّةً المصطلحات النحوية والأدبية[2] وذلك كما في قوله:

يـا مـن يهنـى العيـد والعلـم والـز ... مـــان والنـــاس بـــه أجمـــع
زد كُـلّ يـومٍ فـي العـلا رفعـةً ... وليصـنع الحسـاد مـا يصـنعوا
عيشـك والقـدر كمـا تشـتهي ... تخفـض هـذا وذا ترفـع[3]

فقد وجّه الشـاعر في البيت الأخير بمصـطلحات علم النحو في قوله (تخفض وترفع) فالجمع بين مصطلحي الخفض والرفع سرعان ما يصرف ذهن السامع على المعنى القريب وهو المعنى النحوي المعروف، والواقع أنّ الشاعر ورّى بهذا المعنى عن المعنى البعيد المقصود، وهو خفض مكانة البعض ورفع مكانة الآخر، أي القدرة على التصرف في سمّو الناس أو الحطّ منهم.

---

[1] ابن حجة، خزانة الأدب، 353/2.

[2] انظر المقطعات رقم (60، 475، 864، 1043).

[3] مقطعة رقم (732).

وفي موضعٍ آخر نرى توجيهًا بديعًا بمصطلحٍ لغويٍ في قوله:

رُبّ نـحـويٍّ بـدا فـي خـدّه عـارضٌ كـاللام مـا أعلى وأسـنى
قلت ما هذا السـواد المنتحي قال: حرفٌ جاء في الحُسـن لمعنى[1]

فقوله (حرفٌ جاء لمعنى) يُوهم المعنى القريب الظاهر وهي حرف المعاني المعروفة في اللغة، ولكنّه ورى به عن المعنى البعيد المقصود وهو عارض خدَّ المحبوب الذي يشبه شكل حرف اللام ليزيد معنىً في حسنه.

ومن توجيه الشاعر بالمصطلحات اللغوية في كثيرٍ من المواضع ما نراه من توجيهه بأحرف اللغة كما في قوله:

ماضـرّ إحسـانك يا سـيدي لو حاد في أمري عن الاقتصـاد
يـا عين آمـالي إذا اسـتُجمعت إنيّ إلى مورد لقيـاك صـاد[2]

فقد وجه الشاعر في البيت الثاني بحرفين من أحرف اللغة هما العين والصاد، ففي قوله (يا عين آمالي) ينصرف الذهن إلى المعنى الظاهر وهو حرف العين وإنّما ورى به الشاعر عن المعنى البعيد لكلمة عين وهو ذات الشيء أو الشيء نفسه وهو المعنى المقصود، كذلك في قوله (إلى مورد لقياك صاد) فإن ظاهرها يدُلُ على حرف الصاد، وإنما ورّى به الشاعر عن المعنى البعيد الذي هو الصدى أي العطش، فهو يتعطش إلى لقيا ممدوحه.

---

[1] مقطعة رقم (1319).

[2] مقطعة رقم (390).

ومن أبواب التوجيه التي أكثر فيها الشاعر توجيهه بأسماء العلماء والكتب[1]، وهو بابٌ يعكس سعة اطلاع الشاعر على كثيرٍ من أبواب العلوم وكثيرٍ من كتب العلم، فمن ذلك قوله يرثي جمال الدين بن هشام:

سقى ابن هشامٍ في الثرى نوء رحمةٍ تجرُّ على مثواه ذيل غمام
سأروي له من سيرة المدح سيرةً فما زلت أروي سيرة ابن هشام[2]

فالشاعر إنما قصد بروايته سيرة ابن هشام في البيت الأخير، سيرة حياة جمال الدين بن هشام الذي يرثيه، وهذا المعنى البعيد ورّى عنه الشاعر من خلال التوجيه باسم كتاب سيرة ابن هشام وهو كتاب السير المعروف لابن هشام عبد الملك الأنصاري وهو من أشهر كتب السير التي أرّخت لسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

ومن توجيهه بأسماء العلماء قوله:

أفدي صحابًا منذ عرفت ولائهم عرف الرجاء مطالع التيسير
أروي المروءة عنهم عن نافعٍ والبر أرويه عن ابن كثير[3]

فقد وجّه الشاعر في أبياته بمصطلح الرواية واسمي نافع وهو نافع المدني صاحب القراءة المعروف وابن كثير صاحب كتابي التفسير والسيرة، وإنما وجه الشاعر بمصطلح الرواية عن نافع ليوري عن معنى انتفاعه بهذه الصحبة الصالحة ووجه بالرواية عن ابن كثير ليوري عن كثرة ما يجده من النفع منهم.

---

[1] انظر المقطعات رقم (733 – 169 – 134).
[2] مقطعة رقم (1102).
[3] مقطعة رقم (614).

أمّا عن التوجيه بأسماء المدن والأماكن فقد كان له نصيبٌ وافرٌ في مقطّعات ابن نباتة[1] وقد كان للقدس وفلسطين نصيبها من هذا التوجيه، ذلك بانّ الشاعر قد عاش فيها في الفترة التي كان فيها ناظر القمامة أيام أعياد النصارى –كما جاء في ترجمة حياته– فعرف معالمها وأحب أحيائها فظهرت في شعره، ومن ذلك قوله:

تعجب الناس من صمتي وقد ذكرت سلمى وقالوا تسلى قلب هيمان
وحار دمعي في عيني فقال فتىً أقسمت بالقدس يا ذي عين سلوان[1]

فقد وجه الشاعر بعين سلوان وهي عين الماء المعروفة منذ القدم في حي سلوان وهو من أحياء مدينة القدس ويقع جنوب المسجد الأقصى، فوجه الشاعر باسمها توريةً عن معنى السلوان من (سلا، يسلو) أي ما يذهب الهمّ والحزن وهو المعنى المقصود.

وفي موضعٍ آخر يذكر مدينة ببيت لحم حيث يقول:

أمولانا الوزير تهنّ عيدًا سعيدًا وابق في عزٍّ وعزم
ولا زالت هباتك بالضحايا وبالأشعال قائمة برسمي
تبلغني قمامة كلّ يومٍ وتجعل فيه بيتي بيت لحم[2]

فقد وجه الشاعر باسم مدينة بيت لحم مهد المسيح عليه السلام ليوري بها عن المعنى المقصود وهو كثر اللحم في بيته بسبب هبات ممدوحه له.

ومن موضوعات التوجيه في شعر ابن نباتة، توجيهه بالأحداث التاريخية وذلك كقوله:

أهلتني للعتب حتى لقد لذّ لسمعي وهو صعبٌ شديد
وروحت لو زادت دموعي عسى عتابك الحلو لسمعي يزيد
هذا ولو قطعتني لذّلي وسرني أني ببدرٍ شهيد[3]

---

[1] مقطعة رقم (1245).
[2] مقطعة رقم (1096).
[3] مقطعة رقم (306).

فقد وجه الشاعر باسم معركة بدر أُولى معارك المسلمين التي نصر الله بها رسوله وأعزّ دينه، فوجه الشاعر باسم بدر عن القمر ليلة البدر الذي يشبه به محبوبه لحسنه وجماله.

الاستخدام

وهو أحد فروع التورية، واختُلف في حده على آراءَ عدّةٍ، فمنها أنّه "إطلاق لفظٍ مشتركٍ يبين معنيين ثم تأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر"[2] وذلك كما في قول ابن نباتة:

هُنئّت يا ملك السماحة والندى شهرًا يزورك بالهنا معتادا
تسدي به منًا وتكبت حاسدًا فتفطر الأفواه والأكباد[3]

فلفظة (تفطّر) تشترك في معنيين: أولهما: التفطير بمعنى تقديم الطعام للإفطار، والثاني: التفطير بمعنى التمزيق، فلفظة التفطير مع الأفواه تفيد المعنى الأول وهو الإطعام، ونفس اللفظة مع الأكباد تفيد المعنى الثاني وهو التمزيق.

خامساً: الجناس

الجناس من المحسنات البديعية التي عُرفت في الشعر منذ القدم، وهو عند السابقين من الشعراء كان بديهيًا يأتي بعفو الخاطر دون تكلف، ولكنه منذ العصر العباسي أخذ يشقُّ طريقه إلى الشعر كصنعةٍ يتنافس فيها الشعراء، حتى إذا جاء عصر شاعرنا ابن نباتة كان الجناس مذهبًا فنيًا جرت عليه قصائد الكثير من الشعراء حتى اعتُبر بعضهم من شعراء مدرسة الجناس[4]ولكنّ توظيف الشعراء في ذلك العصر للجناس في أشعارهم لم يكن سواء، فإذا طالعت الجناس في أشعار شعراء ذلك العصر "تطرب لبعضه لما فيه من تناسقٍ وإيقاع وعفويةٍ وبراعةٍ، وتمجّ بعضه لما يبدو عليه من تنافرٍ

---

[1] مقطعة رقم (306).

[2] ابن حجة، خزانة الأدب، 2/ 6.

[3] مقطعة رقم (365).

[4] انظر: باشا، الأدب في بلاد الشام، ص 462 وما بعده.

ونشازٍ وتكلّفٍ وصنعةٍ"[1]، أمّا شاعرنا فقد كثر الجناس بكل أشكاله في شعره وذلك سيرًا منه على عادة عصره ومجاراةً منه لشعراء زمانه، ولكنه لم يكن يرضى بأن يكون مقلدًا أو متبعًا، بل أبى إلّا أن يكون صاحب مذهبٍ فريدٍ يميزه عن غيره فأدرك أنّ "مما يرفع عن الجناس عقادته وثقلة مزجه بالتورية، وهذا هو مذهبه ومذهب من ســـار تحت لوائه"[2]، فهو –كما ذكرنا– رائد مدرســـة التورية لذلك كان من الطبيعي أن يزين بها غيرها من أنواع المحســـنات البديعية، وللجناس أنواعٌ عديدة وتفصـــيلاتٍ مديدة يصـــعب حصـــرها في هذا المقام، لذا أكتفي ببعض الشـــواهد من مقطعات ابن نباتة لأنواعٍ مختلفةٍ من الجناس.

الجناس التام

وهو ما كان "ركناه متفقين لفظًا مختلفين معنىً لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما"[3]، وأمثلته في مقطعات ابن نباتة كثيرة[4]منها قوله:

أفديـه بـدرًا بقلـب الصّـــــب غزوتـه وفي الســـــماء برغم الصّـــــب لقياه
لو لم يكن ريقــه خمرًا ومرشـــــفــه مــا عربـدت عينــه واهتزّ عطفـاه[5]

فكلمة (صّـــب) وردت في شـــطري البيت الأول، فكان معناها في صـــدر البيت الصّـــب أي العاشق، وكان معناها في عجز البيت الصّب بمعنى سكب الماء، ولكون ركني الجناس هنا متفقين في اللفظ دون اختلافٍ في الحركات، مختلفين في المعنى فقد كان الجناسُ تامًّا، ولكنّ الشـــاعر لم يقف عند حدّ الجناس فقط بل مزجه –كما أسلفنا– بالتورية في لفظ (صّـب) الثانية حيث يتبادر للسامع أنه

---

[1] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك، ص302.
[2] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، 400/4.
[3] الصفدي، جنان الجناس في علم البديع، ص20.
[4] انظر المقطعات رقم (22، 54، 1223)
[5] مقطعة رقم (1379).

قصد بها نفس المعنى الأول وهو العاشق، والواقع أنّه ورّى به عن المعنى البعيد المقصود وهو سكب الماء.

الجناس الناقص

"ومنهم من يسميه المغاير ومنهم من يسميه جناس التحريف، وهو: أن يتفق ركنا الجناس في الحروف المركبة دون الحركات"[1]ومثاله من مقطعات الشاعر قوله:

فريد حسنٍ تجافى هلا شفعت بحسني
يا ليت شعري لمعنى جفوت أم لا لمعنى
أسهرتني وعذولي على هواك معنى[2]

فالجناس في الأبيات واقعٌ بين كلمتي (معنى) أي دلالة، و(مُعّنّى) أي معذب، وهما كما نرى لفظين منفقين في الحروف مختلفين في الحركات والمعنى.

جناس التصحيف

"جناس التصحيف ويسميه بعضهم الجناس الخطيّ وهو:" ما وقد أحد ركنيه موافقًا للآخر في صورة الوضع لا غير دون الصيغة في الإعجام والإهمال"[3].

ومثاله من مقطّعات ابن نباتة قوله:

لي صديقٌ سيّدٌ سندٌ بيننا الآداب مشتركة
كلما قابلت طلعته قيل لي يا سعدها بركة[4]

---

[1] الصفدي، جنان الجناس، ص 22.

[2] مقطعة رقم (1261).

[3] الصفدي، جنان الجناس، ص30.

[4] مقطعة رقم (942).

فلفظتي (سيّد وسند) متفقتان في صورة الوضع بحيث تكتبان (ســـــد) دون نقطٍ ولا حركات، ومن هنا يسـمى هذا النوع من الجناس جناس التصـحيف ذلك بأنّه حين يكتب بغير نقطٍ يلتبس الأمر على القارئ فيكثر أن يقع في التصحيف بين كلمةٍ وأُختها.

الجناس المذيل

الجناس المذيل: "هو ما زاد أحد ركنيه على الآخر بحرفٍ متأخرٍ"[1] وذلك كما في قول ابن نباتة:

أمـولانـا الـوزيـر تـهـنّ عـيـدًا ســـعـيـدًا وابـق فـي عـزٍّ وعـزم
ولا زالـت هبـاتـك بـالضـحـايـا وبـالأشـعـال قـائمـة برسـمي[2]

فالجناس المذيل واقعٌ في كلمتي (عز، وعزم) حث زيدت الميم في آخر الركن الثاني من أركان الجناس فكانت كالذيل في آخرها.

ومن هذا النوع من الجناس "ما تكون فيه الزيادة في أحد الركنين متوسطةٌ ... ويسميه بعضهم الجناس المردّد أو المكرر"[3]، وذلك كما في قول ابن نباتة:

يـا سـيّـد الوزراء لا مسـتثنيًـا في فضـلـه أحـدًا ولا أفضـالـه
قـد كنـت ترحم قبلهـا حـال امرئٍ مـتـغـرّبٍ تـدري حـقـيـقـة حـالـه
حاشـا لشـمسـك أن تردّ مؤملًا عن أفقها يشـكو انقطاع حبالـه[4]

فالجناس في البيت واقعٌ بين لفظتي (حاله وحباله) حيث زاد ركنه الثاني على ركنه الأول بحرف الباء الذي جاء زائدًا في وسطه.

---

[1] الصفدي، جنان الجناس، ص28.
[2] مقطعة رقم (1096).
[3] الصفدي، جنان الجناس، ص27.
[4] مقطعة رقم (990).

الجناس المطمع

"الجناس المطمع ويسمى المضارع واللاحق، وتسميته بالمطمع أولى وذلك أنّه إذا فرغ من ركنه الأول وابتدئ في الثاني أطمع السامع أنّه موافقٌ لحروف الأول فإذا أكمل الركن الثاني خالف الأول ... وقد تكون مخالفة أحد الركنين لأخيه بحرفٍ متقدمٍ وقد تكون بحرفٍ متوسطٍ وقد تكون بحرفٍ متأخر"[1]، ومن أمثلته التي يخالف فيها أحد ركني الجناس الآخر في الحرف الأول قوله:

الّا رُبّ ليلٍ واعدت فيه بالجفا ... ويا ويح روحي إن جفتها وويلها
فبت كأنّي شعرها وهو مسبلٌ ... أُقبل رجليها وأمسك ذيلها[2]

فالجناس واقعٌ بين لفظتي (ويلها وذيلها)، حيث خالف ركنه الثاني ركنه الأول بحرفٍ وهو الذال بدل الواو.

ومن أمثلة الجناس المطمع الذي يخالف فيه أحد ركني الجناس الآخر بحرفٍ متوسطٍ قوله:

سقى صوب الغمام زمان وصلٍ ... قضينا فيه للأشواق دينا
وقابلنا بدورًا في غصونٍ ... طوالع فاجتلينا واجتنينا[3]

ففي قوله (اجتلينا واجتنينا) جناسٌ مطمعٌ خالف فيه الركن الثاني الركن الأول بحرفٍ متوسطٍ وهو حرف النون بدل اللام.

ومن شواهد هذا النوع مما خالف به أحد ركني الجناس الآخر بحرفٍ متأخّرٍ قوله:

فتورٌ على أجفانها وفتون ... تريك معاني الحسن كيف تكون
محجبةً ما خلت قبل جفونها ... على كبدي أنّ السيوف جفون[4]

ففي قوله (فتور وفتون) مخالفةٌ في الحرف الأخير من ركني الجناس.

---

[1] ينظر: الصفدي، جنان الجناس، ص28 وما بعدها.
[2] مقطعة رقم (1056).
[3] مقطعة رقم (1259).
[4] مقطعة رقم (1223).

الجناس المركب

"الجناس المركب ويســـمى الجناس المفروق، ويأتي على عدّة وجوهٍ منها أن يكون أحد ركنيه مركبًا من جزئين مستقلين، ومنها أن يكون كلا الركنين مركبًا"[1]، ومثال الأول قوله:

يا سيدي يا صلاح الدين لا صلحت إن أنس برك أفكاري ولا حالي
يا من جفاني فلفظي بعد جفوته وجيد قصـــدي لا حلوٌ ولا حالي
إن لم يعد لي فلا صـــاد الحروف ولا لامٌ معانقةٌ فيها ولا حا لي[2]

فالجناس واقعٌ بين لفظ (حالي) وتركيب (حا) إي حرف الحاء التي ســـهّل الشـــاعر حمزتها مراعاةً للوزن و(لي) بمعنى خاصّـــتي أو ما أملك فكان مجموع الكلمتين (حا–لي) يكوّن أحد أركان الجناس مع ما فيه من توريةٍ خفيةٍ زيّن بها الشاعر أبياته.

ومن مقطعات الشاعر التي وقع فيها نوعيّ الجناس المركب قوله:

وبالأهلة أمثال الشـــفاء دنت للثم كفٌّ تعم الخلق إنعامًا
تهدي الســـعود إلى بحر العلوم فما يلام زورقها في البحر إن عاما
لا زلتُ بالحال أهنأ ما أكون به وقبلها كنت للأحوال أنعى ما[3]

فالجناس واقعٌ بين كلمة (إنعامًا) وبين إن الشـــرطية وعاما بمعنى ســـبح بالماء فيكون ركن الجناس الثاني (إن – عاما)، ثم إن هذا الركن ينتقل ليلعب دور الركن الأول في آخر الأبيات حين يجانس قول الشاعر (أنعى – ما) فيكون ركني الجناس الثاني مكونٌ كُلٌّ منها من جزأين مستقلين (إن – عاما) و (أنعى – ما).

---

[1] ينظر: الصفدي، جنان الجناس، ص 23 وما بعدها.
[2] مقطعة رقم (997).
[3] مقطعة رقم (1093).

الجناس المخالف

"الجناس المخالف: وهو أن يكون الجناس بين ركنين بحروفٍ مختلفةٍ في الترتيب"[1] وذلك كما في قوله:

رجوت على الليالي منك عونًا بعيشك لا تكن غوث الليالي
ولا تسعف ولا تعسف بأمرٍ ولكن لا عليّ إذًا ولا لي[2]

فكلمتي (تسعف وتعسف) تتكونان من نفس الحروف إلّا أن ترتيبها مختلفٌ كما معناهما.

وأنواع الجناس– كما سبق– كثيرةٌ متعددةٌ ولكُلٍّ منها تفرعاتٍ يضيق المقام عن ذكرها، كما أنّ شواهدها من مقطعات الشاعر كثيرةٌ كذلك، لذا اكتفي منها بهذا القدر.

سادساً: الطباق

"الطباق: هو الجمع بين الضّدين في كلامٍ أو بيت شعر"[3] وهو كثيرٌ في شعر ابن نباتة[4] ومن ذلك قوله:

قصدت حماك أُرجيّ الغنى وأشكو من العسرة داءً دفينا
فما كان بيني وبين اليسار سوى أن مددت إليك اليمينا[5]

فالطباق في الأبيات واقعٌ بين لفظي (اليسار واليمين) اللذين هما لفظين متضادين، ولكنّ ابن نباتة على عادته لا يكتفي بالطباق في صورته البسيطة المباشرة بل يزيده حسنًا وخفاءً حين يمزجه بشيءٍ من التورية وذلك أنّ لفظة يسار التي تحمل المعنى القريب الذي هو عكس اليمين إنما ورّى بها الشاعر عن المعنى البعيد المقصود وهو اليسار بمعنى الغنى والسعة في الرزق.

---

[1] الصفدي، جنان الجناس، ص31.
[2] مقطعة رقم (986).
[3] ابن حجة، خزانة الأدب، 71/2.
[4] انظر المقطعات رقم: (1193، 1223، 920)
[5] مقطعة رقم (1354).

سابعاً: التقسيم

"التقسيم: أن يذكر المتكلم شيئًا ذا جزأين أو أكثر ثم يضيف إلى كُلّ واحدٍ من أجزائه ما هو له"[1] وهو كثيرٌ في مقطعات ابن نباتة على اختلاف أشكاله[2] ومن ذلك قوله:

البحر علمًا وجودًا جانسا صفةٍ فحبذا منه سيحانٌ وجيحان
والوارث الفضل ممنوعٌ لسؤدده مع العلو على السادات رجحان[3]

فقد ذكر الشاعر من صفات ممدوحه صفة البحر وهي من الصفات التي تدلّ على السعة والكثرة في عدّة أُمور، ثم قسّم هذه الصفة على أمرين فأضاف لكل واحدٍ منهما ما هو له، حيث ممدوحه (بحر علم) لسعة علمه، و(بحر جود) لشدّة كرمه.

ثامناً: مراعاة النظير

"مراعاة النظير: ويسمى التناسب والائتلاف والتوفيق وهو أن يجمع الناظم أو الناثر بين أمرٍ وما يناسبه سواءً كانت المناسبة لفظًا لمعنىً أو لفظًا للفظٍ أو معنىً لمعنىً"[4] ومن أمثلته في مقطعات ابن نباتة قوله:

تهنَّ بالأعياد يا عيدها في أفق فضلٍ ومقامٍ كريم
فطرًا لمن والاك نحرًا لمن عاداك ذا عدنٌ وهذا جحيم[5]

فقد جمع الشاعر بين (فطرًا لمن والاك) و(نحرًا لمن عاداك) وذلك بأن بين الفطر والنحر تناسب من حيث هما يوميّ عيدٍ عند المسلمين، وليس هذا الجمع من باب الطباق وذلك لأنّ اللفظين

---

[1] ابن حجة، خزانة الأدب، 36/4.
[2] انظر: المقطعات رقم (1137، 1230، 1265).
[3] مقطعة رقم (1225).
[4] ابن حجة، خزانة الأدب، 335/2.
[5] مقطعة رقم (116).

ليســا متضــادين بل هما متناســبين، وذلك بخلاف لفظي (عدن وجحيم) في عجز البيت الثاني فهما لفظين متضادين يدخلان في باب الطباق.

وبالإضــافة إلى مراعاة النظير في لفظي (فطر ونحر) فلا يخفى مزج الشــاعر لهذا الفن مع التورية وذلك في لفظ نحر الذي أوهم بمعنى عيد النحر وهو تورية عن النحر بمعنى الذبح.

تاسعاً: اللَّفُّ والنَّشر

اللَّفُّ والنَّشـر: وهو على عدّة أشـكاك ومنها أن تذكر شـيئين فصـاعدًا تفصـيلًا ثم يرجع إليه المذكور بعده على الترتيب فيكون الأول للأول والثاني للثاني"[1] ومن أمثلته في مقطعات ابن نباتة قوله:

غاب الوزير وكان العطف شــيمته وجئــت نعم أميرٍ بــالرجــاء ملي
فســيبـة الحمد عنـدي والولاء معًا حقــان بين أبي بكرٍ وبين علي[2]

فقد ذكر الشــاعر (الحمد) و (الولاء) ثم جاء في عجز البيت (بأبي بكر وعلي) على الترتيب، فكان الحمد لأبي بكر والولاء لعلي.

هذه بعض النماذج من الصــبغ البديعي في مقطعات ابن نباتة، وهي غيضٌ فيض إبداعه وتفننه في ألوان البديع، وإنّما أوردتها بإيجاز لضيق المقام والحقّ أن في مقطعات ابن نباتة بحرٌ عميقٌ في باطنه من الدُّر البديعي المكنون ما تضيق عنه الأبحاث.

---

[1] ابن حجة، حزانة الأدب، 58/2.

[2] مقطعة رقم (1040).

عاشراً: الأسلوب

تمثل الظواهر الأُسلوبية في شعر عصر ابن نباتة امتدادًا للظواهر الأسلوبية الشعرية في الشعر العربي القديم بشكلٍ عام، إذ يجمع أغلب الباحثين في أدب تلك المرحلة على أن "الشعر العربي أيام المماليك لم يخرج على الأساليب التي عرفها ديوان الشعر العربي في العصور السابقة"[1] باستثناء المظاهر التي كانت موجودة في السابق ولكنها برزت في ذلك العصر بشكلٍ أكبر، كالاستكثار من المحسنات البديعية، أو بعض الظواهر التي اقتضت الحالة الثقافية الفكرية للمجتمع ظهورها، مثل الميل إلى البساطة والجنوح إلى السهولة في كثير من الأشعار، وقد مثّل ديوان ابن نباتة سواءً في قصائده أو مقطّعاته نموذجًا يقاس عليه شعر عصره –كما تبين– لذلك سأكتفي ببعض الظواهر البارزة في مقطّعاته حيث يمكن أن نستقرئ منها ملامح تلك المرحلة.

ظاهرة التكرار

اختلفت نظرة الباحثين والنقاد في أسلوب التكرار بين من اعتبره عيبًا يعبر عن ضعف الشاعر وضيق معجمه اللغوي وبين من اعتبره أسلوبًا يلجأ إليه الشاعر للتركيز على فكرةٍ معينةٍ أو إبراز موقف مؤثر، والواقع أنّ "للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل فإن تكرر اللفظ والمعنى جميعًا فذلك الخذلان بعينه"[2].

وعلى ضوء هذا الرأي لابن رشيق يمكن أن نخرج الجناس من دائرة التكرار المعيب، ذلك أن الجناس فيه تكرارٌ للفظ دون المعنى، وذلك أنّ شرط كونه جناسًا أن "يكون اللفظ واحدًا والمعنى

---

[1] ينظر: خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيّام المماليك، ص 286 وما بعدها، وباشا، الأدب في بلاد الشام ص589.

[2] ابن رشيق، العمدة، ص698.

مختلف"[1] لذلك يخرج من هذا الباب التكرار الواقع في باب الجناس، ويبقى التكرار المتجانس في اللفظ والمعنى، وبالنظر في مقطعات ابن نباتة نجد أنّ جُلّ التكرار الوارد فيها هو من ما كان داخلًا في باب الجناس وهذا النوع مبحوثٌ في بابه، وإنما نقصـــر بحثنا في هذا الباب على التكرار الذي جاء لفظًا ومعنىً، وهو في مقطعات ابن نباتة قليلٌ إذا ما قيس على نتاجه الشـــعري الغزير ومع ذلك فهو لم يرد في مقطعات ابن نباته على شكل تكرارٍ معيبٍ، "فمن الواضـح أن ابن نباتة كان يلجأ إلى تكرار الكلمة عندما تســـتدعي الحاجة لتحقيق غرضٍ معينٍ فيســـتخدمه عن وعيٍ ودرايةٍ بأهميته في الرفع من قيمة العمل الشعري لا الحط من شأنه، فيأتي تكراره مناسبًا للسياق الذي يرد فيه"[2]، ومن ذلك قوله:

عود بيـــتٍ علـى الأفلاك معمـور	**ملـوك بيـــتٍ بنصـــــر الله مغمـور**
مـا بين منصـــــور ملكٍ ثم نـاصـــــره	**وبين نـــاصـــــر ملـك ثم منصـــــور**
في ظلّ ملكٍ تســـر الســـيف نضـــرته	**فهو الرشـــيد لديه الســـيف مســـرور**
بالرعب ينصـــر قبل الســـيف مطلعنا	**فاعجب لذلك أيضًـــا ســـيف مقدور**
لا زال ملك صـــلاح الدين مصـــر على	**إرثٍ من العمر ماشـــي العدل بالنور**[3]

فالتكرار إن كان في اللفظ والمعنى فهو منقصـــةٌ ولكنه في يحســـن إن كان "على ســـبيل التنويه والإشادة بالممدوح وتفخيمه في القلوب والأسماع "[4] وهذا ما نراه في هذه المقطّعة، حيث يكرر الشاعر فيها لفظة (ملك)على اختلاف تصـــــريفاتها خمس مرات، وذلك لتأكيد معنى الملك والســـــيادة لممدوحه ويبين أنّ هذا الملك هو ملكٌ أصيلٌ في هذه العائلة ورثته من عهد صلاح الدين. ومن ناحيةٍ أُخرى نراه يكرر لفظ (سيف) أربع مرات ليخلق أجواءً توحي بالقوة والهيبة لممدوحه.

---

[1] جنان الجناس، ص15.

[2] الأطرش، إيمان، شعر ابن نباتة المصري دراسة اسلوبية، ص43

[3] مقطعة رقم (431).

[4] ينظر القيرواني، العمدة، ص 699 وما بعده.

ومن المواضع الأُخرى التي يظهر فيها التكرار في مقطعات ابن نباته قوله:

قل للفهيم الناصريّ صائحًا مستنصرا
يا صاحبي أصبحت حـ ـتى في الخطا متعثرا
من أُجرة المسكن في إعراب هم أشهرا
بالنصب والكسر معنا فلا كرى ولا كرا
نعم وهمّي أممٌ وحالتي إلى ورا
ناظر بيروت أتى عساك لي أن تنظرا
مهما ترى مهما ترى مهما ترى مهما ترى[1]

كرر الشاعر جملة (مهما ترى) في البيت الأخير أربع مراتٍ بحيث استغرقت البيت كاملًا، ومع ذلك فقد كان هذا التكرار مستحسنًا في موضعه، فموضوع المقطعة هو الشكوى من الفقر وسوء الحال والاستغاثة بالملك من سوء الحال وانقطاع العطاء، والتكرار مستحسنٌ إذا كان "على سبيل الاستغاثة"[2]، فقد استخدم الشاعر كلمة (مهما) ليدل على الكثرة بعد أن رسم مشاهد لسوء حاله ليوصل رسالةً إلى الممدوح المستغاث به أنّه مهما وصف من سوء الحال فإن الواقع الذي يمكن أن يراه لو نظر إليه أسوأ بكثيرٍ من الوصف.

وكذلك في باب الرثاء فإنه لا يُذّم إذا وظّفه الشاعر لإظهار عِظَم "الفجيعة، وشدّة القرحة التي يجدها"[3] وقد وردت التكرار على هذا النحو في مقطّعات ابن نباتة في غير موضعٍ ومنها قوله:

لهفي على ملكين جاد عليهما في كُلّ أرضٍ أفق كُلّ سماء
لهفي لإسماعيل قبل محمد لم ألق يوم رداهما لنداء[4]

---

[1] مقطعة رقم (468).
[2] القيرواني، العمدة، ص 703.
[3] المصدر السابق، ص 703.
[4] مقطعة رقم (2).

فقد كرر الشـــاعر لفظ (لهفي) الذي عبرّ به عن شـــدّة ألمه وعِظَم مصـــابه بفقد ملكين كانا بالنسبة له السند والظهير والملجأ، فإن تكراره للفظٍ يعبر عن الرثاء بأعمق معانيه تكرارًا موفقًا متسقًا مع مقامه في المقطعة.

وهكذا كانت ظاهرة التكرار في مقطعات الشاعر بشكلٍ عام، ففي كُلّ المواضع التي ظهر فيها التكرار في شعره، كان عبارةً عن توظيفٍ فنيٍّ يخدم موضوع القصيدة والمعنى الذي قصده الشاعر[1].

من جهةٍ أُخرى يمكن أن نلاحظ أن الشـاعر يكثر من اسـتعمال بعض صـيغ الإنشـاء الطلبي بما يخدم الأهداف البلاغية التي يريد تحقيقها في مقطعاته ليصـــل بها إلى أعمق تعبيرٍ عن المعنى، وسأقتصر في هذا المقام على الوقوف على أبرزها إيجازا.

الاستفهام

يُكثر الشـاعر في مقطعاته من اسـتعمال أُسـلوب الاسـتفهام، ولكنه لا يأتي به –غالبًا– على وجهه البسيط من حيث هو " طلب خبرٍ ما ليس عند المستخبر" [2]بل يوظفه توظيفًا بلاغيًا يخدم فكرة المقطعة وموضوعها، فصيغ الاستفهام في مقطعاته غالبًا ما تأتي لمعانٍ غير الاستخبار، وتتعدد هذه المعاني ويختلف استخدامها عند الشاعر تبعًا لموضوع المقطعة، فمن ذلك قوله:

مـن مـنصـــفـي مـن أنـاسٍ فـيـهـم تـحـيّـر ذهـنـي
لا دِرهـــمًـــا وزنـــوه وحـاولـوا الشـــر مـنّـي
وهـل ســـمـعـتـم بشـــعـرٍ يـأتـي عـلـى غـيـر وزن[3]

فقد وقعت صـيغة الاسـتفهام في المقطعة في موضـعين أولهما في سـؤاله من منصـفي وهي صيغة "استخبارٍ في اللفظ ومعناها التعجب"[4] وظفها الشاعر في مطلع مقطعته ليمهد للسامع لموضوع

---

[1] انظر المقطعات رقم (1، 749، 936).

[2] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 151.

[3] مقطعة رقم (1271).

[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 151.

قصـــيدته وهو التعجب من أمر أولئك الناس الذين منعوا عنه خيرهم وعطائهم ولم يكُفّوا عن أذاهم، ثم يمضـي في مقطعته إلى نهايتها في سؤال آخر وهو (هل سمعتم بشـعرٍ يأتي على غير وزن؟؟)، وفي هذا البيت يبدع الشـــاعر في المزج بين الفنون المختلفة، حيث يورد اســـتفهامه هذا بصـــيغة "الإنكار الإبطالي، وهذه تقتضي أنّ ما بعدها غير واقع وأنّ مدعيه كاذب"[1] فهو يستعمل صيغة الاستفهام في هذا الموضـــع للمبالغة في النفي وإنكار وقوع مثل ذلك الأمر ولكنه لم يقف عند هذه الصـــيغة فقط بل زيّنها بتوريةٍ تزيد البيت حسنًا حين ورّى في كلمة (وزن) بين معنى وزن الذهب ومعنى وزن الشعر.

وفي موضع آخر في باب الشكوى نرى الشاعر يوظف صيغة الاستفهام ليعبر عن سوء حاله حيث يقول:

يـا ســـــائلـي فـي وظيفتـي عن ضـــيعـة حـالي وعن معـاشـــي
مـا حـال مـن لا يـزال يـطـوي مســـافة القصـــر وهو ماشـــي؟![2]

فالشاعر بعد أن يثبت للسائل سوء حاله ومعاشه في وظيفته يرد عليه سؤاله الافتراضي بسؤالٍ عن حال من يمشي مسافة القصر، كنايةً عن طول المسير مشيًا، وهذا السؤال إنما أورده الشاعر لغاية "التهكم ... والتقرير، ومعناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرّ عنده ثبوته"[3] وهو سوء حال الشاعر في وظيفته.

ومن المواضع الأُخرى التي يستخدم الشاعر فيها الجمل الاستفهامية الطويلة قوله:

أتـرى يـا ســـــادةً لـي كـلـمـا زدتم فـي الـودّ زادوا فـي الـجفـا؟!
هـل كفى من فرط هجري مـا جرى وجرى من دمع عيني مـا كفى[4]

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، 1/ 11.
[2] مقطعة رقم (677).
[3] ابن هشام، مغني اللبيب، 12/1.
[4] مقطعة رقم (851).

فالشاعر قد استفرغ بيتي مقطعته بسؤالين، فالبيت الأول سؤالٌ وجاء لمعنى "الإنكار التوبيخي، الذي يقتضي أنّ ما بعده واقعٌ وأنّ فاعله ملوم"[1]، فهو بهذه الصيغة يثبت لأصحابه صفة الجفاء ويؤكد وقوعه منهم، ويوبخهم على هذا الفعل الذي لا يليق بأن يكون الرّد على مودته لهم. ثم يأتي البيت بصيغة استفهامٍ أُخرى تفيد " التعجب والاستبطاء"[2] حين يتساءل أليس كافيًا فرط الهجر هذا وأليس كافيًا ما جرى من دمعه لفرط الهجر؟!

أما في مواضع المديح وطلب العطاء فقد وظّف شاعرنا صيغة الاستفهام أيضًا بما يوافق المقام، فمن ذلك قوله:

سيدي شكرًا لنعماك التي داركتنا حين أعيا أمرنا
كم تدللنا لمن نقصده وبنعماك تهذّب قدرنا[3]

فالشاعر في هذه المقطعة التي يشكر فيها ممدوحه على أُعطياته أراد أن يوفي الممدوح الشكر بإظهار كثرة هذه الأُعطيات وكثرة تدلل الشاعر له، ولعل في ذلك إشارةً إلى الممدوح ليُجزل قادم العطاء، فاستخدام الشاعر صيغة الاستفهام بـ (كم) التي تأتي "للاستخبار والمعنى التكثير"[4].

وعلى عادة شاعرنا في المزج بين الفنون الأدبية المختلفة فهو يستغل صيغ الاستفهام ليوظفها في بعض الأنواع البديعية، فمن ذلك توظيفه لصيغة الاستفهام للإتيان بالفن البديعي الذي يسمى (تجاهل العارف): والمقصود به "سؤال المتكلم عمّا يعلمه سؤال من لا يعلمه، وليوهم أنّ شدّة الشبه

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، 12/1.ج 1، ص 12.
[2] المصدر السابق، ج 1، ص12.
[3] مقطعة رقم (1302).
[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 153.

الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به"[1] ومن أمثلة هذا النوع في مقطعات ابن نباته قوله:

يـا بـاســـمًا قلت للاحي أمبســـمـه أبهى أم العقـد؟ قـال الكـلّ من درر
سـهرت في الوصـل غنمًا والجفا أسفًا سبحان فاطر أجفاني على السهر [2]

فالشـاعر يسأل اللاحي سؤالًا يحمل معنى التبكيت له عن مبسم المحبوب أهو أبهى أم العقد؟ في صيغةٍ توهم بأنّ الشاعر التبست عليه دُرر مبسم المحبوب بدرر العقد، على الرغم من أنه يعلم أنّ مبسـم المحبوب أبهى، لذلك يقرر الشـاعر هذا التشـابه الملبس بين مبسـم المحبوب والعقد على لسـان اللاحي الذي سـأله الشـاعر، فيؤكد أنه هو أيضًـا التبس عليه الحال، فكلى الطرفين من الدرر بحيث يصعب التفريق بينهما.

ومن بلاغة الشاعر في استعماله لصيغ الاستفهام ما نراه في بعض المواضع من حذف لهمزة الاســـتفهام، وذلك أنّ "الاختيار عند أمن اللبس حذفها"[3] فهو أبلغ في المعنى وأوجز في التعبير، ومواضع حذف همزة الاستفهام كثيرةٌ في مقطعات ابن نباته، منها قوله:

مـا يـقـول الـمـقـام أيـده الـلـ ـــــــه ولا زال للعود يجوز
فـي ولـيٍ بـابـه تُـرك الـخـ ـلق ووافى يجوز أم لا يجوز[4]

فقد حذف الشـــاعر في البيت الأخير همزة الاســـتفهام في ســـؤاله (يجوز أم لا يجوز) وهو موضـوعٌ من المواضـيع التي يؤمن فيها اللبس؛ وذلك لأنّ دلالة الاسـتفهام فيها واضـحةٌ من السـياق،

---

[1] ابن حجة، خزانة الأدب، 299/2.
[2] مقطعة رقم (438).
[3] ينظر: ابن هشام، معنى اللبيب، 7/1 وما بعدها.
[4] مقطعة رقم (621).

فكان حذفها أبلغ، ثم إنّ الشاعر في هذا الحذف قد أتى بالسؤال بصيغةٍ قريبةٍ من اللغة المحكية في عصره.

وهكذا نرى أنّ الشاعر قد أجاد في توظيف صيغ الاستفهام في كثيرٍ من المواضع[1] بما يخدم غايته الشعرية ويحقق أهدافه الفنية.

النداء

أكثر ابن نباته في مقطعاته من توظيف صيغ النداء على اختلاف أدواته للتعبير عن حقيقة الشعور الذي أراد أن يبينه في مقطّعته، وهو وإن استخدم النداء في كثيرٍ من مقطعاته بمعناه الحقيقي وهو "طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروفٍ مخصوصةٍ"[2] إلّا أنه قد استخدمه في كثيرٍ من المواضع الأُخرى بمعناه المجازي، فقد استخدمه في مدائحه للإغراء والتخصيص، واستخدمت في مراثيه للندبة والتفجع واستخدمه في شكواه للاستغاثة، ووظفه في كثير من الأحيان بخلاف أصله، فنادى القريب بأداة نداء البعيد وذلك ليحقق الغاية البلاغية على أتم وجهٍ وأحسن حال بما يتناسب مع موضوع المقطّعة، فمن ذلك قوله في باب الرثاء:

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا شوقي إليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحمام لقد أحرقت بالنار يا كانون أحشائي[3]

نلاحظ في الأبيات تكرار حرف النداء (يا) خمس مرات وذلك في معرض رثاء الشاعر لولده عبد الرحيم وإظهار تفجعه عليه، فقد استخدم الشاعر صيغة النداء (يا) بدل (وا) التي تستخدم للندبة، وهو بذلك يخدم عدّة أغراض بلاغية، فإذا حملنا الجملة على حذف المنادى كانت (يا) "في هذه

---

[1] انظر المقطعات رقم: (434، 647، 1261، 1245).
[2] السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج 1، ص 474.
[3] مقطعة رقم (17).

المواضـع حرف تنبيه لا حرف نداء"[1] والشـاعر في أبياته إذ يكررها إنّما ينبه السـامع ويلفت نظره إلى شدّة ألمه وتفجعه وشوقه لولده الذي فقده.

ومن ناحيةٍ أُخرى فإنّ اســتخدام الشــاعر لحرف (يا) الذي يســتخدم "لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا"[2] إنّما يوحي للســامع بحقيقة شــعوره تجاه ولده الذي أصــبح بعيدًا بحيث لا يُرجى لقاؤه، فكان استخدامه لصيغة ندى البعيد أبلغ.

ومن المواضيع التي يظهر فيها أسلوب النداء في مقطعات ابن نباتة قوله:

يـا ســـادةً حجبـت عنّـا غمـائمهم ... وليس غيثهم المعهود محتجبًـا
يـا خـاتم الوزراء عـدلًا ومعرفـةً ... يـا مربع الغربـا يـا منجع الأدبـا
نعم الخواتيم أعمـالٌ تصـــاغ لكم ... حلي الجنان إذا صـــاغ الورى ذهبا
حاشـــا النبات الذي أنشـــأته لكم ... يذوي وقد أنشـــأت أيديكم ســـحبا
كفوّا ابن غنـامٍ أو كفوّا أخـا شـــجرٍ ... من قبـل أن تتلقوا نـارهم حطبـا[3]

فقد كرر الشـــاعر في هذه النقطة حرف النداء (يا) وذلك لمناســـبته للمقام حيث "لا ينادى المسـتغاث إلّا به "[4] فكان هو الأنسـب لموضـوع المقطعة لذي يسـتغيث فيها الشـاعر بممدوحه لرد عطائه الذي يحجبه عنه، وليرد كيد أعدائه الذين يتربصون به، لذلك نلاحظ أن الشاعر لم يستخدم (يا) هنا لنداء الممدوح المســـتغاث وإنما اســـتخدمها نداء الصـــفة، فجاءت صـــفات الممدوح تباعًا بعد (يا)،فهو خاتم الوزراء و مربع الغرباء ومنجع الأدباء، وهو قبل كلّ ذلك السيد صاحب العطاء المعهود فنداء الشاعر لصفات الممدوح أبلغ في الاستغاثة من نداء الاسم.

---

[1] المرادي، الجنى الداني، ص 357.
[2] ابن هشام، مغنى اللبيب، 413/1.
[3] مقطعة رقم (64).
[4] ابن هشام، مغنى اللبيب، 413/1.

وكذلك في موضوع الغزل فإنّ الشاعر قد وظف صيغة النداء في غير موضعٍ ومن ذلك قوله:

يـا غصـــن يـا أهيف يـا طفـل يـا قـاتـل هـذا الشـــيخ يـا والســـلام
يـا جـنّـة الـخـال عـلـى خـدّه ما أنت إلى شـــامةٌ في الشـــآم[1]

فالشاعر إذ يعدد صفات معشوقه يكرر صيغة النداء ب (يا) ست مرات، فينادي بها الاسم وينادي بها الصفة وذلك ليثبت هذه الصفات لمحبوبه، ومع أنَّ (يا) تستخدم لنداء البعيد – كما سبق– إلا أن الشاعر يستخدمها في نداء محبوبه الذي لا يُتصور عليه البعد المعنوي، وكذلك فإنّ موضوع القصـــيدة لا يشـــير إلى البعد المادي، فكان أبلغ للتعبير أن يناديه بأداة نداء القريب، ولكنّ الواقع أنّ الشاعر أراد إثبات صفات الحسن لمحبوبه فناداها بـــ (يا) وهي أداةٌ "يُنادى بها القريب توكيدًا"[2]فكانت أبلغ في إثبات صفات المحبوب وتوكيدها.

وعلى النسق نفسه يمضي الشاعر في موضوع الغزل في استخدام حروف النداء في غير الأصل الذي وضعت له، فمن ذلك قوله:

واحَـرَبًـا مـن هـوى رشـــيـقٍ معـذّرٍ كـالقضـــيـب مـائـل
عـذاره لا يـغـيـث دمـعـي وســـائلٌ لا يجيب ســـائل[3]

فمع أنّ (وا) "حرف نداء مختصٌّ " في باب الندبة، فلا ينادي به إلّا المندوب"[4] إلا أنّ الشاعر لم يستخدمه في مقطعاته في باب الندبة قط، فلم يستخدم الشاعر الحرف (وا) سوى في ثلاث مواضع في غير باب الندبة[5]، فوظفه بصيغةٍ مجازيةٍ ليعبر عن تفجعه وألمه لعدم استجابة محبوبه له

---

[1] مقطعة رقم (1117).
[2] ابن هشام، مغني اللبيب، 413/1.
[3] مقطعة رقم (1015).
[4] المرادي، الجنى الداني، ص 351.
[5] انظر المقطعات رقم: (64، 200).

وانقطاع الوصـــال بينهما فكأن حاله في هذه القطيعة حال من ثكل عزيزًا عليه أو محبوبًا لقلبه، وهذا التوظيف لــ (وا) في غير الندبة وإن كان يظهر أنه خلاف القياس، إلّا أنّ "البعض أجاز استعماله في النداء الحقيقي والتعجب"[1]، فكان هذا الاســـتخدام المجازي موافقًا للقياس من بعض الأوجه، مؤديًا لغرضٍ بلاغيٍّ أعمق في التعبير.

وكذلك الأمر في حرف النداء (أيا) فهو "من حروف نداء البعيد"[2] فلا يخرج عن هذا المعنى إلا لغرضٍ بلاغي، ولكن الشـاعر في مقطعاته قد وظفه في ثمانية عشـر موضـعًا في المديح والغزل، كلها لنداء القريب، فمن ذلك قوله:

أيـا جنّـة الحســـن التي قد تبرجت متى أنـا بـالوصـــــل المؤمـل فـائز
ويـا شـــرعةً للحســـن قلبي واجبٌ عليهـا متى ممنوع قربـك جـائز[3]

فالشـاعر ينادي محبوبته بجنة الحسن، وهي بالنسبة للشـاعر في منزلة القريب، ولكنه يستخدم أداة النداء (أيا) التي تســـتخدم للبعيد ليوطئ لما هو مقبلٌ عليه من وصـــف جفاء المحبوب وتمني وصاله، ما ينزله منزلة البعيد.

وإلى جانب ما سـبق يمكن أن نرى في مقطّعات الشـاعر الكثير من الشـواهد التي أجاد فيها بتوظيف أسلوب النداء، سواءً بإثبات حرف النداء أو حذفه، أو بدمج أسلوب النداء مع غيره من الفنون البديعية أو الأغراض البلاغية[4].

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب، 408/1.

[2] المرادي، الجنى الداني، ص 419.

[3] مقطعة رقم (623).

[4] انظر المقطعات رقم: (330، 426، 226، 199).

التمني والترجي

أكثر الشاعر في مقطعاته من استعمال صيغ التمني والترجي على اختلاف حروفها ودلالات تلك الحروف، ولعل فهم استخدام الشاعر لتلك الصيغ يتطلب الرجوع إلى سيرة حياته وتَقَلُّب أحواله، فقد أمضى من حياته فترة في الغربة بعيدًا أُسرته وأبنائه فكان من الطبيعي أن يتمنى لقاءهم والقرب منهم، كما عانى في حياته فتراتٍ من الفقر والعوز، فترجم احتياجاته في تلك الحال إلى أمانيّ يبثها في أشعاره، فتارة في شكواه وتمني زوال ما يكره، وتارةً في مدائحه وتمني أُعطيات ممدوحه، وعلى ضوء هذا الحال يمكن أن نفهم صيغ التمني في مقطعاته واستعماله لهذه الصيغ على أصل وضعها أو خلافًا لذلك.

وبالنظر في مقطعات ابن نباته نرى أنّه قد استخدم (لعلّ) في موضعٍ واحدٍ فقط[1]، وكان استخدامه لها على أصل وضعها "لترجي وقوع أمرٍ مرغوبٍ متوقع الحدوث"[2]، وكذلك (عسى) فقد استخدمها الشاعر في أربعة عشر موضعًا من معلقاته جاءت جميعها على أصل استخدم (عسى) أي أنها جاءت "لترجي وقوع أمرٍ مرغوب، أو لقرب وقوعه"[3]، لذلك فقد غلب استخدامها في المديح حيث يقع الترجي للممدوح لبذل العطاء ويتوقع منه قرب بذله، وذلك كقوله:

يا خاتم الوزراء الأكرمين ويا ... أوفى ذوي الفخر في العلياء توكيدا
ويا مؤيد في قولٍ وفي عملٍ ... توقيع عبدك يرجو منك تأييدا
عسى تقلّده برًا ومكرمةً ... فيغتدي ذلك التوقيع تقليدا[4]

---

[1] انظر مقطعة رقم (584).

[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص 579 وما بعدها.

[3] ينظر: المصدر السابق، ص 461 وما بعدها.

[4] مقطعة رقم (336).

فالشـاعر بين يدي ملكه المؤيد لا يراوده أيّ شـكٍ في كرمه وعطائه، بل وسـرعه بذله للمكرمات، لذلك كانت صـــيغة الترجي بعســـى حيث يتوقع قرب عطاء ممدوحه، ثم زاد على هذا الترجي أمنيةً أخرى، وهي أن يصبح هذا العطاء تقليدًا دائمًا وليس عطاءً محدودًا بمرةٍ واحدة.

أمّا صيغة التمني بـــ (ليت) فقد كان لها النصيب الأوفر في مقطعات الشاعر حيث استخدمها الشاعر في كثيرٍ من المواضع على اختلاف المعاني التي تؤديها، فاستخدمها "للقريب، وللبعيد الممكن، وللبعيد غير الممكن"[1]، فمن تمنيه للقريب الممكن قوله:

ألا ليـت شـــعري هـل أفوز بحـافظٍ لـى الـود من هـذا البريـد المـردد
فيـرفـع أخبـار الســـلام لمـالـكٍ ويســـمعني في الرد مســـند أحمد[2]

فالشـاعر يتمنى أن يجد من سُـعاة البريد من يحفظ ودّه وينقل رسـالته ويأتيه بجوابٍ يسـرّه، وهذا تمنٍّ لأمرٍ قريبٍ متوقع الحدوث، وهو على الأغلب انتظار قدوم ســـاعي البريد بالراتب أو بخبرٍ عن عطاءٍ للشـاعر وهو أمرٌ قد تكرر في أشـعاره، ووصـف تحققه في بعض مقطعاته، أمّا في موضـعٍ آخر فنرى الشاعر يتمنى ما هو بعيد ممكن، كما في قوله:

آه يـا دهر صـــبوةً وصـــبًـا قـد كـان أزهـى مـن الـنـجـوم وأزهـر
ليـت ذهني يخلو ويخـدم شـــعري كُـلّ جـدٍّ وكـلّ هـزلٍ بـجـوهـر
ليت شـــعري يصـــفو كما كان قدمًا فعســـى العمر ما حيًا ما تكدّر[3]

فالشاعر بعد أنّ يحن لأيام صباه وصبوته يتمنى أن يعود له خلوّ الذهن الذي كان له في تلك الأيام، حيث كان هذا الخلو عاملًا من عوامل إبداعه الشعري، وهذا التمني ممكن الحدوث عقلًا، ولكنّه مسـتبعدٌ واقعًا، فهو حين تقد به العمر ازدادت أعبائه وكثرت انشـغالاته ولا مناص له من التفكير بها

---

[1] ينظر: السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 420/1 وما بعدها.
[2] مقطعة رقم (369).
[3] مقطعة رقم (461).

فهو أبعد ما يكون عن خلو الذهن، وإذا كان هذا هو الحال، فمثل ذلك يقال في تمنيه أن يصفو شعره كما كان، فهو بالنسبة للشاعر مستبعد بسبب انشغال ذهنه، ولكنّ واقع حياته يثبت لنا أنه حتى حين كان في أصعب لحظات حياته لم يفقد الإبداع في أشعاره، لذلك يمكن حمل التمني في الموضع الثاني على معنى تمني القريب الممكن مع أن الشاعر قد يكون قصد به خلاف ذلك.

وفي موضعٍ آخر نرى الشاعر يستخدم (ليت) لتمني الأمر البعيد غير الممكن، وذلك كما في قوله:

أشار عليّ الزين بالمرد لا النسا فخالفته حتى انقضى العمر في كدر
فيا ليت أُمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عمر[1]

فالشاعر بعد أن يثبت فوات الأوان وانقضاء العمر دون السماع لنصيحة صاحبه يتمنى أنّه لم يولد أصلًا أو لو أنّه رجع إلى قول صاحبه، والأمرين ممتنعين عقلًا، فهو قد ولد وعاش حتى انقضى العمر، فلا سبيل إلى العودة بالزمن إلى الوراء ليسمع النصيحة وينفذها.

حادي عشر: الصورة الفنية

يُمثل التصوير الفني في شعر ابن نباتة – كما في شعر جُلّ شعراء عصره– امتدادًا للتصوير الفنيّ التقليدي الذي اتبعه من سبقهم من الشعراء، حيث كان شعرهم "في كثيرٍ من صوره مادّيًا لا سيما في الموضوعات الجدية، وإنما حاول أن ينقل من البيئة المحيطة به أجمل صورها وأكثرها حيويةً وتعبيرًا عن موضوعه ... فقد كنّوا عن الطلعة بالشمس والبدر، وعن الجواد بالكرم والغيث وعن اللحاظ بالنبال وعن الذوائب بالحمائل وعن الجبين بالهلال وعن الفرع بالليل ..."[2].

---

[1] مقطعة رقم (590).

[2] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيّام المماليك، ص273.

ومثل هذه الصـــور التقليدية يمكن أن نراها بكثرةٍ في مقطعات ابن نباتة، بل هي أكثر من أن تُحصـى، وقد تبين لنا في ما سبق من هذا البحث كثرة تشبيهه لممدوحه بالبحر وبالغيث ليكنى به عن كرمه، وكذلك كثرة تشـــبيهه لوجه المحبوبة أو لوجه الممدوح بالبدر وبالشـــمس، ولكن ذلك لا يعني اقتصـــارهم على الصـــور التقليدية دون تجديدٍ ولا إبداع، بل "عمدوا كذلك إلى التجســيد والتشــخيص ليخرجوا صــورًا من حياتهم الخاصّــة"[1]، فإذا نظرنا إلى مقطعات شــاعرنا وجدنا فيها من التشــبيهات الطريفة المبتكرة المستمدة من بيئته وواقع عصره، فمنها ما ذكره الحموي في خزانته وأشار إليه بقوله: "ومن التشابيه الغريبة التي لم يسبق إليها الشيخ جمال الدين بن نباتة قوله من البسيط"[2]:

أشــكو الســقام وتشــكو مثله مرأتي فنحن في الفرش والأعضـــاء نَرتجّ
نفســـان والعظم في نطعٍ يجمعنـا كأنّما نحن في التمثيل شـــطرنج[3]

فلعبة الشطرنج كانت معروفة عند العرب قبل زمان الشاعر، ولكنه سبق إلى استخدامها في رسم هذه الصورة المعبرة من خلال تشبيه حاله وزوجه في مرضهما وارتجافهما بلعبة الشطرنج، فرسم صورةً حركيةً جعل فيها فراشه قاعدة لعبة الشطرنج، أمّا عظمه وعظم زوجته إذ يرتجفان بفعل المرض فهو كحال أحجار الشطرنج التي تتدافع وينازع بعضها بعضًا الموقع.

وعلى الشاكلة نفسها يمكن أن نرى في غير موضعٍ من مقطعات الشاعر أنّه قد سلك سبيل الأولين في توظيف أدوات علم البيان من التشبيه والكناية والاستعارة في رسم صوره الفنية التقليدية[4] فمن تلك الصور الحديثة التي تنبض بالحياة قوله:

---

[1] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيّام المماليك، ص 280.
[2] ابن حجة، خزانة الأدب: 503/2.
[3] انظر المقطعات رقم: (223، 233، 400، 583).
[4] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك، ص 285.

يـا رُبَّ نـاعورةٍ غنّـت لنـا وبكـت كحالـة الصـــبّ بين اليـأس والأمـل
قـالـت ودمع أخي العشـــاق يتبعهـا "أنـا الغريق فمـا خوفي من البلـل"[1]

فالشاعر يرسم صورةً حركيةً صوتيةً للناعورة حين يستعير لها صفاتٍ إنسانيةٍ، فيجعل صوتها غناءً وسكبها للماء بكاءً، ثم تكتمل الصورة حين يسقط حالة تلك الناعورة على الصّب العاشق الذي يتقلب بين الغناء في حالة الأمل والبكاء في حالة اليأس، فيعبر عن حقيقة شعوره ومكنون صدره من خلال هذه الصورة التي تنبض بالحياة.

ومن المظاهر المميز في بناء الصـــورة في مقطعات ابن نباتة كثرة اتكائه على الألوان في صوره، وذلك كما في قوله:

يا صـــاحبًا صـــحبت معارفه الورى هنئتهـا خلعًـا مجـددة الســـرى
زهـراء مـعـلـمـةً إذا لاقـيـتـهـا لاقيت منها العيش أبيض أخضـــر
لا غرو حين نراك لابس خلـعـةٍ فالشـمس تحت الغيم أمكن ما تُرى[2]

يوظف الشاعر الألوان في دلالاتٍ عدّةٍ ليعبر بها عن بهاء ممدوحه وكرمه، فأول ما يراودنا هو صورة خلعة الممدوح التي يكني بها الشاعر عن كرمه، "حيث ارتبط اللون الأخضر بالممدوح في سياق المدح للدلالة عن طيب العيش وهنائه... وبحال الناس وما هم فيه من الخير والنعيم والحياة الهانئة بوجود الممدوح"[3]، ثم يصّور الممدوح ذاته إذ يشبهه بالشمس ويرى أن ضياءه يزيد ونوره يصدع حين يلبس تلك الخلعة البيضاء التي تبدو كالغيم فوق الشمس.

---

[1] مقطعة رقم (1063).
[2] مقطعة رقم (490).
[3] مناصرة، رنا، اللون ودلالاته في شعر ابن نباتة المصري، ص59.

ومع أنّ الشاعر في توظيفه للألوان يُكثر من استخدامها في الكناية عن معنىً واحدٍ كاستخدام اللون الأخضر للخصب واللون الأحمر للبكاء والحزن، إلّا أنّه قد يوظف اللون ذاته في رسم صورتين متناقضتين أو التعبير عن معنيين مختلفين، وذلك كما في قوله:

ركبوا وقد ملأوا الفضـــا في أحمرٍ كالشمس تشرق في العجاج الأكدر
فزمانهم يقضـــي بعيشٍ أبيضٍ وجيوشـــهم تســـري بموتٍ أحمر[1]

ففي البيت الأول يشبه الشاعر لون ثوب الجند الأحمر بالشمس التي تشرق بالعجاج فكأنهم الضـــياء في الظلمة، ولكنه في البيت الثاني يكني بالموت الأحمر عن شـــدّة بأس هذا الجيش وقوته فيرســم بذلك صـــورتين مختلفتين من خلال توظيف لونٍ واحد، فهو الشـــمس والضـــياء، وهو الموت والحمام.

ومن مظاهر التجديد في بناء الصورة في عصر ابن نباتة أنّ الشعراء لم يقفوا في بناء صورهم عند حدود أدوات علم البيان من التشبيه والاستعارة والكناية وإنّما طوروا أساليب بناء الصورة الشعرية من خلال توظيف أدوات علم البديع الذي ازدهر في زمانهم وانتشر بين الشعراء في شتى الأغراض، فأخرجوا "صورًا تلونت بزخارف الصنعة وعلم البديع"[2] وقد كان لشاعرنا في مقطعاته نصيبٌ وافرٌ في هذا الباب، فقد أكثر من استعمال الفنون البديعية في بناء صوره وإعطائها بعدًا معنويًا أعمق، وخاصّةً حين يستخدم التورية التي أبدع فيها وكان من روادها والسابقين إليها، فمن ذلك قوله:

شـــكرًا تقي الـدين للمنن التي رفعت على حامي حماك ظلالها
لله أنت فقد وصـــلت إلى مدى في الفضـــل أعيا الســـائدين مثالها
وغدوت وجهًا مثل خالك في الورى يا حبذا وجه الأنام وخالها[3]

---

[1] مقطعة رقم (509).

[2] خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك، ص 285.

[3] مقطعة رقم (989).

فالشـــاعر بعد أنّ بيّن أن ممدوحه قد وصـــل إلى قمة الفضـــل بحيث أعجز أهل الســـيادة عن مجاراته أراد أن يرسم له صورةً تجسد هذا التميّز فجعله وجه الأنام وخالها وإنما أراد من ذلك أن يصور ممدوحه كالشامة التي تزين الوجه وتتميز عنه، فشبهه بالشامة ولكنه مزج هذا التشبيه بتوريةٍ بين معنى الخال الذي هو أخ الأُم وبين المعنى المقصـود للخال وهو الشـامة فأخرج صـورةً مميزةً لرجلٌ من وجوه القوم ولكنه يتميز عنهم بل يزينهم.

ثاني عشر: الأوزان والقوافي

إذا نظرنا إلى الشـــعر في زمن ابن نباتة من حيث الأوزان والقوافي وجدناه لم يخرج في إطاره العام عن الطابع التقليدي القديم، فقد كانت "الأوزان القديمة المعروفة قوالب الشـعر وموسـيقاه الملتزمة سواءً أكان ذلك في المطولات أو المقطّعات على نمط ما ورثوه عن أسلافهم"[1].

وعلى نهج شـــعراء زمانه ســـار ابن نباتة –ســـواءً في مطولاته أو مقطعاته– ملتزمًا الأوزان القديمة، ولكنه لم يحصـر نفسـه في أوزانٍ دون أُخرى بل "نظم شعره على أغلب الأوزان التي عرفت في الشعر العربي، فقد نظم في الطويل والبسيط والوافر، فضلًا عن أوزانٍ أُخرى، وكان اختياره للوزن يكون بحسب ما تقتضـيه الحالة الشعورية التي تكون عليها نفسيته وقت نظمه للشعر"[2]، وشواهد هذا الأمر مبثوثةٌ في ديوانه ومقطعاته، فهي أكثر من أن تحصـى فحيث جال البصـر في الديوان وجدنا وزنًا من الأوزان الخليلية متســقًا مع موضـــوع القصـــيدة أو المقطعة، معبرًا عمَّا في نفس الشـــاعر وذهنه من المشاعر والأفكار.

أمّا من حيث القوافي فيقال فيها ما قيل في الأوزان أيضًـــــا، حيث لم تخرج غالبًا عن نمط القوافي التي عرفت في الشعر العربي القديم، ومع ذلك فهي – غالبًا – لا تقلّ في مستواها عن أسلافها

---

[1] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، 494/4.

[2] ديوان ابن نباتة المصري الفاروقي، دراسة فنية، ص 382.

من القصائد والمقطعات، فشعراء ذلك الزمان "لم يقتصروا في قوافيهن على الحروف السهلة الميسورة والكثيرة الدوران في أواخر الكلمات كالباء والراء والدال واللام ... بل أقدموا على غيرها من الحروف الصعبة النادرة والشاقة مثل: الضاد والظاء والخاء والغين والثاء والزاي ... وممن نظم في القوافي الصعبة جمال الدين بن نباتة"[1] شاعرنا المتميز، فمن ذلك قوله على قافية الخاء:

ما زلت أقلع شيبةً نخت بها سوداء عقد شبابها مفسوخ
حتى غدت صفحات وجهي آيةً لا ناسخٌ فيها ولا منسوخ[2]

ومن مقطعاته التي نظمها على قافية الضاد قوله:

حاشا الوزير من الشكوى ولا برحت قلوب أعدائه تشكو من المضض
حاشا الزمان الوزيري الذي جمعت ذكراه اسمًا وفعلًا غير منتقض
يا سيدًا من حدّ العزم مفترضًا شرع الثنى نعم مسنونٌ ومفترض[3]

أمّا عن مظاهر التجديد في الأوزان والقوافي فقد كان لها بعض الحضور في قصائد ابن نباتة، حيث "تجاوز الأوزان المعروفة لينظم في الأوزان المستحدثة، مثل: الدوبيت والموشحات"[4] ولكنّ هذا التجديد إنما كان في قصائده الطوال وليس في مقطعاته التي هي موضوع هذا البحث، وكذلك في القوافي فلا نكاد نرى في مقطعاته أثرًا للخروج عن المألوف الموروث، وبذلك يمكن أن نقرر أن ابن نباتة من حيث الأوزان والقوافي في مقطعاته كان ملتزمًا للتقاليد الشعرية العربية الموروثة بحيث لم يخرج عنها ولم يخالفها، بل تكاد مظاهر التجديد فيها تكون غائبةً باستثناء إبداعه في توظيف بعض القوافي وبعض الأوزان بما يناسب سياق قصيدته.

---

[1] محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، 497/4.
[2] مقطعة رقم (291).
[3] مقطعة رقم (695).

الخاتمة

وقد توصلت في نهاية هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها:

- برزت المقطعات في زمان الشـاعر بشـكلٍ كبيرٍ حتى كادت تزاحم القصـائد الطوال في بعض دواوين الشـعراء، وكان كثيرًا ما يمزج فيها بين غرضـين أو أكثر من أغراض الشـعر كالغزل والمديح.
- غلب موضـوع المديح على مقطعات ابن نباتة حتى زاد على الثلث إلّا أننا في كثيرٍ من مواضـع المديح يمكن أن نرى صدق العاطفة تجاه الممدوح فلم يكن التكسب هو الغاية الوحيدة لمدائحه.
- بالإضـافة إلى نظمه في موضـوعات الشـعر المعروفة فقد كان لابن نباتة من موضـوعات الشـعر الجديدة في زمانه نصـيبٌ وذلك كالألغاز والغزل بأرباب الحرف وما يقال للنقش على الأواني وغيرها.
- حافظ ابن نباتة في مقطعاته على البناء التقليدي للقصـيدة العربية وأحسـن اختيار افتتاحيات قصائده وخواتيمها كما أحسن التخلص إلى غرضه من القصيدة.
- كانت لغته في مقطعاته متسقةً مع موضـوع المقطعة ومقامها، فاسـتخدم الألفاظ الجزلة والعبارات القوية في مقام مدح الملوك ومراسلة العلماء واستخدم الألفاظ السهلة في الإخوانيات وحتى الألفاظ العامية والسوقية في بعض المواضع.
- سـار ابن نباتة في بناء الصـورة الفنية على مذهب القدماء ولكنه أضـاف إليها طابع زمانه، كما وظف آليات علم البيان في بناء صوره ولكنه أكثر فيها من استخدام المحسنات البديعية وبخاصّةً التورية.
- نظم ابن نباتة على جميع البحور الشعرية فكان اختياره للبحر منسـجمًا مع موضـوع المقطعة كما أنّه لم يقف عند حدود القوافي السهلة بل نظم على بعض القوافي النادرة.

وختامًا أوصي الباحثين بالمضي في بحث أدب ابن نباتة وأدب زمانه لما فيه من الأبواب التي لم تطرق بعد أو الأبواب التي طرقت ولكنها بحاجةٍ إلى تصـــحيح مســـارٍ وذلك كالربط الخاطئ الذي يحصل بين مدرسة التورية والمدرسة الرمزية الحديثة.

ملحق رقم (1)

جدول موضوعات المقطعة

موضوع المقطعة	عدد المقطعات
المديح النبوي	2
المديح الإنساني	435
الرثاء	26
الغزل	229
الإخوانيات	168
الشكوى	163
التهاني	65
الوصف	69
المجون	113
الحنين	12
العتاب	25
التهادي	39
السخرية	27
التعازي	3
الاعتذار	5
الألغاز	20
الهجاء	9
ما يكتب على الآنية	8
وصف الطعام	3
الزهد	9
الفخر	4
المجموع	**1464**

ملحق رقم (2)

في هذا الملحق جمعت مقطعات ابن نباتة المثبتة في ديوانه وأضفت إليها المقطعات الغير مثبتة في ديوانه حيث جمعتها من مصادرها وأشرت إليها في التوثيق.

مقطعات ابن نباتة المصري

[1] وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم

مزجتُ بتذكار العقيق بكائي ... وطارحتُ معتلّ النسيم بدائي
وإن حدَّث العذال عني بسلوة ... فإني وعُذَّالي من الضعفاء
وليس دوائي غير تربة أحمد ... بطيبة عال فوق كل سماء
تطوف بمسراه الملائك خشَّعًا ... مساءَ صباحٍ أو صباح مساء
فهل لي إلى أبيات طيبة مطلع ... به مخلص لي من إسار شقائي
أصوغُ على الدُّرِ اليتيم مدائحا ... أُعدُّ بها من صاغة الشُّعراء
ببيت زهير حيث كعب مبارك ... وحسان مدحي ثابت ورجائي

[2] وقال يرثي الملك المؤيَّد والأفضل

يا جفنُ امزج أدمعي بدمائي ... واشهدْ بها لملوكنا الشهداء
لهفي على ملكين جاد عليهما ... في كل أرض أفق كل سماء
لهفي لإسماعيل قبل محمد ... لم ألق يوم رداهما لفداء
أما ذبيحا مقلتي ومدامعي ... لهما فما وفيا بفيض دماء
بحران أسند عن يزيد وواصل ... لهما أروي عن رجا وعطاء
ذهبا فلا ذهبٌ أناديه سوى ... ما صاغ خدِّي باحمرار بكائي
نم يا محمد مع أبيك فإنَّه ... ما ربَّ لا وأبيكَ عهد رثائي

[3] وقال في النَّاصر حسن

يـا روضـــــة الحســـن إنَّ النفس خضـــراء ... فهـل يـدٌ بيننـا للوصـــل بيضـــاء
بصـــاد أقســم مـا للعين إن عشـــقـت ... ســـواك نـــون ولا ظـــاء ولا راء
وإنَّ شـــعـري إذا نـظـمـت فـي غـزل ... ومـدحِ ســـلـطـاننـا لـلـروض وشـــاء
ســلـطـاننـا حســن الأوصـــاف أجمعهـا ... يروي بهـا عن صـــحيح الملـك أبنـاء
يـا مـن لـه تـعـرب الآفـاق عـن ســـيـر ... عظـمـى وتـنـطـق أرض وهـي خـرســـاء
تشـــريـف عـبـدك نـادى بـيـت مـدحتـه ... لـقـد تشـــرَّف بـنـيـان وبـنـاءُ
أم الـعـدى فـلـهـم مـن خـلـطـهـم خـلـعٌ ... في الصـــدر ســـوداء أو في الرأس صـــفراء

[4] وقال في سيف الدين:

قســـمـتُ بـيـن ظـبـا الـمـلاح تـغـزّلـي ... ولـمـدح إنشـــاء الـمـلـوك ثـنـائـي
ولســـيـف ديـن الله يـعـمـل خـيـلـهُ ... غـزوا مـن الـبـلـقـاء لـلشـــهـبـاء
بين العشـــائر والعشـــير محـاســـنٌ ... غـــزواتـــه بـــالـــرأي والآراء
بـالـرُّعـب طـورًا والـقـواضـــب تـارة ... تـزورُّ مـنـه نـواظـر الـزَّوراء
فـكـأنَّـنـي بـك فـاتـحـا شـــرقـيـهـا ... لـلسـدِّ يـا مـفـتـاح كـلّ هـنـاء
وكـأنَّـنـي يـا ســـيـفَ دولـة فـتـنـةُ ... بـك وهـو مـفـتـخـر عـلـى الـقـدمـاء
وفي الشـــعر والإنشـــاء بـابن نبـاتـة ... تـزهـو عـلـى الـخـطـبـاء والشـــعـراء

[5] وقال في ناصر الدين:

قســـمـا مـا حـلـت عـهـد الـوفـاء ... بـعـد مصـــرَ لا ولا نـيـلَ بـكـائـي
حـبُّـهـا تـحـتـي وفـوقـي ويـمـيـنـي ... وشـــمـــالـــي وأمـــامـــي ووورائـــي
فـهـي ســـتـة من جـهـاتـي ولـديـهـا ... ســـيِّـدي مـن حـيـث وِدّي وولائـي
نـاصـــر الـدِّيـن الـذي ابـيـضّ ثـنـا ... تُضـــربُ الأمـثـال فـيـه بـالـثَّـنـاء
شـــائـد البيـت الـذي مـا زال يمشـــي ... حـالُ مـثـلـي مـن ذويـه بضـــيـاء
ســـادة الســـادات مـن ديـن ودنـيـا ... بـــلـــغـــاء وزراء أولـــيـــاء
لا عـدمـنـا قصـــصـــا للمـدح فيهم ... داعـيـا كـالـنـمـل وفـد الشـــعـراء

[6] واقل جوابًا للشيخ برهان الدين القيراطي:

صـــفـاءُ ودّي مشـــهور لـديـك فمـا ... للنفس أشـــيـاء أخفيـهـا وأشـــيـاء
حـاشـــا الـدليـل على البرهـان يشـــهـده ... فـي مـحضـــريـن أحـبـاء وأعـداء
يـا ليـت صـــبحـا على ضـــعفي وقوَّتهم ... ولـي مـن الشـــكـر أشـــواق وإمـلاء
وحســـبي قلبي إن كان الصـــدود رضـــى ... فـداونـي بـالـتـي كـانـت هـي الـداء
وهـاك يـا ســـاكنًـا قلبي كؤوس طـلا ... لـو مســـهـا حجر مســـتـه ســـراء
وقـل لمن قلبـه أيضـــا قســـا حجرا ... هـلَّا تـفـجـر مـنـه كـالصـــفـا مـاء
آهًـا لشـــرخ شـــبـابٍ كـان لي ومضـــى ... واعتضـــت شـــرخًـا ولكن مـا لـه خـاء

[7] وقال:

يـــا واحـــد الـــمـــدحِ والـــثـــنـــاء ... ومـــوجـــب الأجـــر والـــدُّعـــاءِ
تـهـنَّ بـالـعشـــر فـي ســـرور ... وفـــي حـــبـــور وفـــي ارتـــقـــاء
فـلـثـمُ يـمـنـاك فـيـه لـثـمٌ ... بـــخـــمســـهـــا لازم الأداء
فـأنـت بـالـعشـــر فـي ســـرور ... ونـحـن بـالـخـمـس فـي ثـنـاء

[8] وقال:

أهـلا بـمـنـداك الســـعـيـد وحـبـذا ... فـي مـطـلـع الـعـلـيـاء مـنـك بـهـاء
في الأرض في أثر الســـرى قول بـه ... يـملـي الـهـنـا ولشـــهـرنـا إصـــغـاء
نـهـدي الـذي بـهـبـاتـه وثـنـائـه ... ســـمع الأصـــمِّ وقـالـت الخرســـاء

[9] وكتب إلى الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة:

غاب ذو الفضـــل في حمى مصـــر عنا ... فـهـنـيـئًـا لـه حـمـى الـنـعـمـاء
تســـقط الطير حيث تلتلقط الحـ ... ـبّ وتـغشـــى مـنـازل الـكـرمـاء
حـجـلـيّ إذا انـتســـبـت ولـكـن ... ألـف عـرفٍ لـه وألـف ثـنـاء

[10] وقال:

أيُّـــهـــا الـــكـــامـــل قصـــــرًا ووَلاءً وثـــــــنـــــــاء
أحـــمـــدُ الله الـــذي قـــد جـعـل الشـــمـــس ضـــيـاء
ســـيـــدٌ حـــلَّ فـــي الـــمـــجـــ ـــــد الـمـعـلـى حـيـث شـــاء
ودنـــــا وردُ أيـــــاديـــــ ـــــه فـقصـــــرت الـرِّشـــاء

[11] وقال:

شـــكـــرًا لـنـعـمـاك يـا مـن عـلـيـه ســـرّ ثـنـائـي
كـم نـعـمـة لـك مـهـمـا نـظـرتُ كـانـت إزائـي
يـمـنـاي يسـراي فـوقـي تـحـتـي أمـامـي ورائـي

[12] وقال:

وهـائـم بـالـجـواري الـخـودِ قـلـبـي مـن ســحـر الـقـدود فسـمـراء ولـمـيـاء
من الســراري التي من بعـد موت أب لـو مســها حـجـر مســتـه ســرَّاء

[14] وقال مهنِّئًا بشهر رجب[1]:

هنـئـتَ شـــهـرًا بـالســعـادة مقبـلًا يـا مـن أفـاض عـلـى الـورى نـعـمـاءَه
أســمـعـتـه فـيـه الـثـنـاء مـخـبـرًا فـانـظـر لـمـن ســمـع الأصـــمّ ثـنـاءه

[15] وقال[2]:

أكـتـمُ أخـبـارَ الـهـوى عـن عـواذلـي ولـلـطَّـرفِ مـنّـي بـالـمـدامـع أنـبـاء
فـيـا عـجـبًـا مـنّـي لإنســان مقلـتـي يـحـدّث أخـبـاري وفـي فـمـه مـاء

ديوان ابن نباتة 18.

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق.

[16] وقال:

أمولاي فخر الدّين شكرًا لأنعم ... لنا بشذاها غبطة وهناء
سقيت بماء الورد غرسَ مكارمٍ ... فلا عجب إن فاح منه ثناء

[17] وقال يرثي ولده عبد الرحيم:

يا لهفَ قلبي على عبد الرحيم ويا ... شوقي إليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحمام لقد ... أحرقت بالنار يا كانون إحشائي

[18] وقال:

صحبت ركابك حيث سرت مسرة ... موصولة بسعادة وهناء
وجرت على الوادي وطيب بلاده ... فزها الصعيدُ على طهور الماء

[20] وقال:

ربَّ سوداء مقلةٍ هيجت لي ... داءَ وجدٍ أعظمْ به من داء
ليتَ رمان صدرها كان يجنى ... فهو بعض الدَّوا من السَّوداء

[21] وقال:

يا سراةَ الشآم أشكو إليكم ... أرضَ قُلٍّ فلاحها للرجاء
وإذا قلَّتِ الفلاحة في الأر ... ض فعتب الفتى على الرُّؤساء

[22] وقال:

ربّ إن ابن عامر هائم الف ... كر معنى في صبحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه ... واجعل الموت سابقًا للقضاء

[23] وقال:

مشـــــروط خـــدٍّ مصـــــحـــف كـــم جـــاء رقـــيـــبٌ لـــه إزائـــي
إن قلـــتُ ذا الشَّـــرطُ منـــك شـــرطـي قـــال وهـــذا الـــجـــزا جـــزائـــي

[24] وقال[1]:

ســـــائـــلـــي عـــن شـــــرحِ حـــالـــي كـــيـــفَ حـــالُ الضُّـــــعـــفـــاء
فـــــرط إســـــهـــــالٍ وفـــقـــرٍ إنَّ ذا حـــــالُ خـــــراء

ديوان ابن نباتة 19.

[25] وقال:

مـــــولاي رفـــقًـــا بصـــــبٍّ صـــــدعـــتـــه بـــجـــفـــائـــك
لا تـــــكســـــرنَّ إنـــــاءً مـــــلآنـــــة بـــــولائـــــك

[26] وقال:

لا ونـعـمـاك لـم يـكـن ســـبـبٌ الـتـأ خـيـر قصـــــدي ولـم يـكـن عـن رجـائـي
إنـمـا كـان هـيـضـــــة حـقـقـت لـي أنَّ حـالـي فـي الـبـعـد حـالُ خـراءِ

[27] وقال:

هـنـأت مـنـزلـك الـذي قـد زخـرفـت جـنـبـاتـه وعـلا بـه اســـتـعـلاء
أحســـــن بـــهـــا فـــوارة وجـــوانـــبـــا ســـــال الـنـضـــــار بـهـا وقـام الـمـاء

[28] وقال يمدحه ويذكر أبياتًا نظمها علاء الدين على هذا الروي:

أبـث صـــــريـح الـدح أخـرج فـيـه مـن قشـــــوري فـيـأتـي الـمـدحُ فـهـو لـبـاب
تـجـوب أمـاديـحـي بـذكـرك فـي الـعـلا وأدعـيـــة تـحـت الـظـلام تـجـاب

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق .

[29] وقال في السَّبعة السَّيَّارة:

إن هـرب الـعـبـد ولا طـالـب ... فسـيـد الـعـبـد هـو الـهـارب
أحسـن بـه مـن مـثـل سـائـر ... يـرويـه عـن حـالـتـه السـائـب
أقسـم مـا أهـرب إلا حـيـا ... من سـحـب نعمى ذيلها سـاحـب
خـفـيـفـة عـن عـبـدكـم خـدمـة ... وإنـمـا ثـقـيـلـة راتـب
فـحـبـكـم فـرضٌ عـلـى قـلـبـه ... وقـلـبُـه مـن خـجـل واجـب
قـاضـي قضـاة الـدين لم يبق لي ... مـن قـربـكـم لـي أمـل خـائـب
يـعـظـم مـن كـان لـديـكـم شـاعـرًا ... فـكـيـف وهـو الشـاعـرُ الـكـاتـبُ

[30] وقال في عز الدين موسى

إلى كم يخوض الـدمع فيـك ويلعـب ... ويـتـعـب فـيـه مـن يـلـوم ويـعـتـب
رشـا ترفع النـاس العيون لحسـنـه ... ولكنَّ عينـاه على النـاس تنصـب
يـلـذّ لسـمـعـي ذكـره لـذَّة الـثـنـا ... كسـمع ابن موسـى كلمـا مرَّ يعـذب
وكم من يـد بيضـاء في كـلّ سـؤددٍ ... بـدت لابن موسـى فهي إرث ومكسـب
لـحـمـزة جـمـاع الـمـحـامـد أنـعـم ... تشـرّق فـي طـلابـهـا وتـغـرب
تـمـذهـبـت الـعشـاق والـعلـم والـنـدى ... لأخلاق عز الـدين في الـخق مـذهـب
وطـابـت لـعـمـر كـل أرض يـحـلـهـا ... وكـل مـكـان يـنـبـت الـعـز طـيـب

[31] وقال فيه أيضًا:

سـقى عهـد ليلى مـدمعٌ وسـحـائـب ... تجرُّ صـبًـا من خلفهـا وسـحـائـب
وحييّ زمـان الوصـل إذ أوجـه الـدمى ... قنـاديـل حسـن والشـعور محـارب
لـيـالـي وفـا لـيـل صـديـق مـلازم ... كما للتقى والبر في الشـام صـاحـب
مـرجـيـة أقـوالـه وفـعـالـه ... ولا غـرو أن تـرجـى لـديـه الـرغـائـب
تـنـبـه فـي الأمـر الـمـهـم يـراعـه ... فـأغنى ونـامـت في الجفون القواضـب
وقـال الـورى مـن ذا الـذي أنـت مـادح ... بـراعـتـه حـيـث الـتـقـى والـمـواهـب
فـقـلـت لـلـهـم مـوسـى الـزمـان وهـذه ... عصـاه التـي لـلـمـلـك فـيـهـا مـآرب

[32] وقال عند وفاء النيل:

يـوم الـوفـا يـا سـيـد الأحـبـاب فـأدر كـؤوس الـفضـل والآداب
وإذا ذكرت الصـاحـب الـنـائـي فقـل عقبى اللقـا يـا سـيـد الأصـحـاب
يـا سـعـد ديـن الله عـش مـمـتـعـا أمـا بـكسـب ثـنـا وكسـب ثـواب
يـا جـابرًا قلبي بنجح مقـاصـدي حـتـى إذا كـاتـبـنـه بـجـواب
شـعـر بشـعـر فـائـق مـعـه نـدى وافٍ فـيـا فـوزي بـكسـب مـرابـي
نـعـم عـلـى نـعـم تـكـاد تـغـيـظـنـي بـالـمـطـل فـيـهـا مـازح الـكـتـاب
قـالـوا الـحسـاب فقلـت عـادة قومـه أعطى على يـدهم بـغـيـر حسـاب

[33] وقال في الصاحب فخر الدين بن خصيب

أحـمـر الـخـد زاد مـنـه لـهـيـبـي لـيـت ورد الـخـدود كـان نصـيـبـي
يـا دم الـوجـنـتـيـن لا حـالـك الـ ـه دم الـخـد مـن دمـاء الـقـلـوب
أخصـب الـدمـع كـل حـي كـمـا أخـ ـصـب جود الوزير كـل جـديـب
الـوزيـر الـذي لـه الـفـخـر حـقـا فـي بـعـيـد مـن الـورى وقـريـب
سـابغ الـجود والـثـنـا قسـمـت نـعـ ـمى سـدسـه قس كل عانٍ غريب
قيـل مـا بلـدة لـهـا في الثَّنـا الشَّـا ئـع وصـف مـحـاسـن الـترتـيـب
فـمـنـاهـا ذكـر جـمـيـلٌ وأجـرٌ قلـت هـاتيـك منيـة ابن خصـيـب

[34] وقال يعزّي بامرأة:

تـفـدي كـرام الـحـمـى مـنـكـم كـرائـمـه يـا آل بيت العلا والفضـل والحسـب
أمـا وقـد بقيـت عـليـا سـمـائكمو فما يضـر زوال السـبعـة الشـهـب
جـادت ضـريحـك للرضـوان غـاديـة يـا أخـت خير أخ يـا بنـت خير أب
يـا نبعـة الفضـل مذ فـاز التراب بهـا لم تسـر من حجـب إلا إلى حجـب
أجـلّ ذكـرك عـن سـعـد وأعـلـم مـا تـلـقـى الـعـلا بـك مـن هـم ومـن حـرب
فـإن عـذلـت أبـا ذرّ الـثـنـاء فـقـد عـذرت من خـاطر العليـا أبـا لهـب

[35] وقال يهنئ أولاد السبكي بالقدوم من الحج:

على اليمن والإقدام مقدم ما نأوا ... وآبوا وقد فازوا نوىً وإيابا
وطافوا على الأركان أركان سؤدد ... وعلم وفاضوا بالحجاز سحابا
فإن ملأوا كُمَّ المقيم مكارما ... فقد ملأوا حجر المقام ثوابا
ميامين حفوا الجانبين من العلا ... وتاجًا علا فوق الرؤوس جنابا
فلا تركوا أعلام علم تراهمو ... بأفق عليٍّ للنجوم صحابا

[36] وقال في العزيز بن يعقوب:

أهلا وسهلا بوافي الفضل كم شهدت ... آثاره بفخارٍ غير محجوب
واستأمنته على أسرارها دول ... قرَّت بها عينها في كل مطلوب
لِمْ لا يكون أمينًا في ممالكها ... وهو العزيز عليها وابن يعقوب

[37] وقال رثاء في خطيب:

بروحي خطيبًا جاور الترب فاغتدى ... عليه حِدادًا لبس كل خطيب
وولى فأضحت للمنابر وحشة ... وللورق نوح فوق كل قضيب
يذكرني مغنى حماه جماله ... فلله ذكرى منزل وحبيب

[38] وقال يرثي:

سقى قبر إسماعيل منبجس الحيا ... وأرسى هضاب المزن حول هضابه
وعاش لنا ملك نلوذ بظله ... ونغفر ذنب الدهر بعد احتقابه
فما السعد إلا لمحة في جبينه ... وما العزُّ إلا وقفة عند بابه

[39] وقال ملغزا:

ما اسم شيء فرغت منه فلا ... أقول فيه ولا أقول به
مشتبه لأمر كاد أكثره ... يخفى على الفكر في تقلبه
لكن إذا ما جعلت دأبك في الـ ... ـقلب فما أمره بمشتبه

[40] وقال في سوق الرقيق:

سلام على عهد الصبابة والصبا ... سلام بعيد الدار ولا غَرْوَ إن صبا
مفارق أوطان له وشبيبة ... إذا شرَّقت أهل التواصل غرَّبا
يعاوِدُ أحشاهُ من الشوق فاطرٌ ... ويتلو عليه آخر الآيِ من سبا
وما زال صبًّا بالأحبَّة والها ... إلى أن حكاهُ دمعه فتصبَّبا

[41] وقال في المثاني[1]:

أبواب سلطاننا خصَّت بأربعة ... تفرَّدُوا في صفات وفق مذهبه
من مثل كاتبه أو مثل حاجبه ... أو مثل شاعره أو مثل مطرِبه
ديوان ابن نباتة 49.

[42] وقال[2]:

رُبَّ مليحٍ بأسه فاتك ... في الصَّحبِ حتَّى كلهم قد عجب
يرهبَ قلب اللَّيث يوم الوغى ... وهو غزالٌ قلبه ما رَهَب
ديوان ابن نباتة 49.

[43] وقال يداعب بعض أصحابه:

لفلان في الديوان صورة خاسر ... وكأنَّه من جملة الغياب
لم يدرِ ما محزومة وجريده ... سبحان رازقه بغير حساب

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق.

[44] وقال في جواد[1]:

وأدهـــم الـــلَّـــونِ جِـــنـــدســـــيّ فـــي جـــريـــه لـــلـــورى عـــجـــائـــب
يـــقصـــــر جـــري الـــرِّيـــاح عـــنـــه فـــكـــلّـــهـــا خـــلـــفـــه جـــنـــائـــب

ديوان ابن نباتة 50.

[45] وقال وأرسل ولده لقاضي القضاة أبي البقاء وكتب معه:

أرســـــلـــتُ نـــجـــلـــي واثـــقًـــا بـــمـــكـــارم أورثـــتـــهـــا عـــن ســـــادةٍ أنـــجـــاب
لا غَـرْوَ أن أعـربـت عـن أحســـــابـهـم فـــأبـــو الـــبـــقـــاء أحـــق بـــالإعـــراب

[46] وقال في حبشي اسمه صواب[2]:

أرى لصـــــوابِ يـــا أيـــري صـــــفـــات تـحـــثّ عـلـى الـخـلاعـة والـتَّـصـــــابـي
فـــبـــادره فـــأنـــت بـــه خـــبـــيـــر فـمـثـلـك لا يُـدلّ عـلـى صـــــواب

ديوان ابن نباتة 50.

[47] وقال في طاعون وقع بدمشق:

ســـر بنـا عن دمشـــق يـا طـالـب العيـ ـشِ فـمـا لـلـمـقـام لـلـمـرءِ رغـبـه
رخصـــــت أنـفـس الـخـلائـق بـالـطَّـا ـعـونِ فـيـهـا فـكـل نـفـس بـحـبـه

[48] قال وأرسل إليه بعضهم مصلوقة وهو ضعيف فكتب:

يـا مـذكري بيـت الســـعـد بـأنـعم أتـت الســـيـادةُ والـعـلا من بـابـاهـا
شـــكرتـك نفس أنـت أصـــل حياتها وبـقـائـهـا وطـعـامـهـا وشـــرابـهـا

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق

[49] قال وكتب إلى فتح الدِّين:

أهـلا وسـهـلا بـك مـن قـادم أطـلـع أنسـي بـعـد طـول الـمـغـيـب
وكـنـت مـخـذولا فـقـال الـهـنـا نصـر مـن الله وفـتـح قـريـب

[50] قال وكتب مع خشكنان أهداه شهاب الدين:

فـلان الـديـن قـد أعـلـيـت قـدري وصـح إلـى مـودتـك انـتسـابـي
ألـم تـرنـي بـلـغـت الأفـق حـتـى بـعـثـت لـك الـهـلال مـع الشـهـاب

[51] وقال رثاء في ولده:

قـالـوا فـلان قـد جـفـت أفـكـاره نـظـم الـقـريـض فـلا يـكـادُ يـجـيـبـه
هيهـات نظم الشـعر منـه بعـدمـا سـكـن الـتـراب ولـيـده وحـبـيـبـه

[52] وقال فيما يكتب على إبريق:

لـي فـي نـدى ومـحـاسـن خـبـرٌ يـلـذُّ ويسـتـطـاب
فـأنـا وراحـة مـالـكـي كـالـبـحـر يـمـطـره السَّـحـابُ

[53] وقال في قطائف:

وقطـايف رقـت جسـومًـا مثـل مـا غـلـظـت قـلـوبًـا فـهـي لـي أحسـاب
تحلو فمـا تغلو ويشـهـد قطرهـا الـ ـفيـاض أن نـدى عليّ سـحـاب

[54] ومن مقطعاته قوله[1]:

عُدْ مدنفَ القلبِ صبَّه ... يا محوجَ الدَّمعِ صَبَّهُ
أخذت جملة قلبي ... فلم تدع منه حبّه
أخذ الإمام مديحي ... في كُلِّ صاحب رتبه
قاضي القضاة المبى ... تاج السراة الألبهْ
مولاي هنئت صوما ... جليل قربٍ وقربه
يا نعمة للمرجَّى ... وللمعاند نشبه
هذا يفطِّر فاه ... وذا يفطرُ قلبه

ديوان ابن نباتة 51.

[55]

يا ساكني مصر تبَّت للفراق يدٌ ... قد صيرت بعدكم حزني أبا لهب
ومهجتي في ضلوعي من جوى وضنا ... حمالة الهمِّ أو حمالة الحطب
عن مدمعي وندى كفل الأمير إلا ... حدث عن البحر يا رائيه بالعجب
أمير حاجب ملك غير أن له ... نور المهابة يغنيه عن الحجب
يا منعشي حيث شخصي في دمشق وفي ... تفليس مالي ودمع العين في حلب
كتب التواريخ تملينا وتخبرنا ... عن سادةٍ من ذوي العلياء والرتب
وأنت بالفضل تملينا معانية ... والسيف أصدق أنباء من الكتب

[56]

حمائم وادي السفح إنَّ بلابلًا ... تثير أسى المضنى وإن قيل تطرب
أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مغرب
وإني لطلاب الغنى من غير باب من ... يقول الرجا هذا الصَّحيح المجرّب
فتى الفضل يحيى خالد بك ذكره ... فيا حبَّذا من فضله الابن والأب
لك النفح من مسك الثنا فابق لي رجا ... وأهلي وأولادي الذين تغيبوا
وإن لم يكن إلا أبو المسك أوهموا ... وبرّك موصول فلم لا أشبِّب

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق

[57] وقال:

صـــبّ بـمصـــر حـيـث أولاده ... بـالشـــام بـذري الـدمع مصـــبوبـا
ذو كـبـد حـرَّ وهـم بـعضـــهـا ... فـالـكـلُّ يشـــكـو الشـــوق ألـهـوبـا
لـو شـــاء أن يـجـمـع شـــمـلي بـهـم ... غـوث الـورى مـا بـتُّ مـكـروبـا
كـافـل ديـن الله ســـيـفٌ لـه ... لا زالَ لـــلأمـــة مـــحـــبـــوبـا
لو شـــقّ صـــدر الليـث عن قلبـه ... رأيـت فـيـه اســـمـك مـكـتـوبـا
بـالـقـلـم الـرعـبـيّ مـن أجـلـه ... فـظـلَّ قـلـب الـلَّـيـث مـرعـوبـا
لا زلـت ذا عـمـرٍ بـه لا تـرى ... إلا صـــنـيـع الـخـيـر مـحســـوبـا

[58] وقال:

طـربـتُ بـعـهـد الصـــبـا بـعـدمـا ... ســـقـيـت بـنـار الأســـى والـحـرب
وحـمَّـر ذهـنـي بـيـاضُ الـمشـــيـب ... فـهـا أنـا فـيـه الشـــفـا والـطـرب
ولـولا الـهـنـا بـزمـان الـرئـيـس ... أمـيـن الـعـلا هـدَّ حـالـي الـعـطـب
ومـقـدمـه مـن حـمـى الـمَـرْجِ قـد ... شـــفـانـي مـن هـرج مـرج الـكـرب
يـــوقـــرنـــي ودّه لا جـــفـــا ... ويـروي الصـــدى بـره لا نضـــب
دعـانـي شـــيـخًـا رضـــا ســـيِّـدي ... فـهـذَّبـنـي غـيـظـه الـمـقـتضـــب
فـأحســـن لـي فـي الـوفـا والـجـفـا ... وشـــيَّخني في الرِّضـــا والغضـــب

[59] وقال:

كـم عـاذلٍ يـغـري وواش يـتـعـب ... ومـراقـب بـل خـائـف يـتـرقـب
في كـل معنى في صـــدودك مهلـك ... يحمـي بـه من تبر خـدك مطلـب
أهواك مثـل هوى ابن يعقوب الثنـا ... فـكـأنَّ مـرهـب كـلّ عـدلٍ مـرغـب
يـا قـادمًـا والـجـودُ تـلـو ركـابـه ... والعـدل يعشـــب مـا يشـــاء ويعجـب
يـا مـن حـمـدت مـن الـكـتـابـة إنـني ... تـمـلـى مـعـالـيـهـا عـلـيَّـة وأكـتـب
لا زلـت ذا السِّـــرَّيـن فـي ألـقـابـه ... هـذا عـطـا يـخـفـى وهـذا منصـــب

[60] وقال:

يا صاحب الحسن البديع تركتني ... يعقوبَ جانس ضرّه أيوبا
شعري بحسنك لا يزالُ مشبِّبًا ... يصف الأسى وبناره مشبوبا
لولا امتداح محبّ دين الله ما ... فارقت أغزال المديح وثوبا
يا من أحبَّته العلا وأحبَّها ... أنت المحبّ أو المُحَبّ وجوبا
لك راحةٌ تعب الثراء بعتبها ... ما أكرم المعتُوبَ والمعتوبا
نصبٌ خفضت العيش فيه حبذا ... تصريفك المخفوض والمنصوبا
عش للفضائل والهبات حبيبها الطَّـ ... ـائي أو طائيِّها المحبوبا

[61] وقال:

تخيَّلتُ في إنشاء لفظي نجعة ... فما نشأت لي لمعةٌ بسحاب
وكم خلتُ في فن الحساب إفادة ... فكان حساب الدَّهر غير حسابي
إلى أن دعا باب التقى رائد الرجا ... فكان النوال الغمر رجع جوابي
فيا لوزير عن تقاهُ وبرِّه ... رويتُ حديث المكرمات صحابي
ويا لكريم لستُ أحتاجُ عنده ... إلى دفترٍ آتي به وكتاب
فتحت به باب المدائح والرَّجا ... وأغلقت عن قصد المكارم بابي
فإن قصرت منه صحيفة مدحتي ... فما قصرت والله صحف ثوابي

[62] وقال:

يا سائلي عن أموري ... يكفيك حالي جوابا
شيبت موارد عيسى ... والشعر والشَّعر شابا
لكن نداءُ عليٍّ ... أنشا لشعري سحابا
أعاده لي نعمى ... كادت تعيد شبابا
يا من أدار ثنائي ... على علاهُ شرابا
يا أجلب الناس حمدا ... لبابه وثوابا
شراب دار مديحي ... وافاك يخدم بابا

[63] وقال:

حمى ملة الإسلام خير سيوفها ... وزاد على فضل السيوف فأخصبا
هو البحرُ من أيّ المعاني قصدته ... رأيت اتِّفاق الاسم والفعل معجبا
يغيب فيا واهًا علينا وحسرةً ... ويأتي فيا أهلًا وسهلًا ومرحبا
ويسفرُ وجه العيش عند قدومه ... ويفترُّ حتى مبسم الزَّهر في الرُّبا
وما الشام إلا شامةٌ تحت ظلِّه ... فلله ما أشهى وأزهى وأطيبا
بأبوابه عذ حيث حاذرت مهلكا ... وبين يديه قف إذا رمتَ مطلبا
فلا زال ذا بابٍ إذا رامه الورى ... رأوا للهنا بابًا صحيحًا مجرَّبا

[64] وقال:

عجزتُ عن راتبي الأدنى فوا حربا ... واهًا لأشهر عامٍ عجَّزت طلبا
وإن أتوني وقالوا إنها نصفٌ ... فإنَّ أطيب نصفيها الذي ذهبا
يا سادةً حجبت عنا غمائمهم ... وليس غيثهم المعهود محتجبا
يا خاتم الوزراء عدلا ومعرفة ... يا مربع الغُربا يا منجع الأدبا
نعم الخواتيم أعمالٌ تصاغ لكم ... حلي الجنان إذا صاغ الورى ذهبا
حاشا النبات الذي أنشأته لكمُ ... يذوي وقد أنشأت أيديكم سحبا
كفوا ابن غنام أو كفوا أخا شجر ... من قبل أن تتلقوا نارهم حطبا

[65] وقال:

أحبَّتي في دمشق ما ترك النـ ... وى لقلبي من بعدكم حبَّه
وكنت أرجو اللقا بمصر عسى ... تسرّكم من جوارنا طربه
جوار قوم بنورهم فرجت ... عني وعن كلِّ وافدٍ كربه
شهادة الناس فيهم قبلت ... بالعدل حتى شهادة الحسبه
يا سيِّدًا ما وجدت غير قرى ... نعماه في محضرٍ ولا غربه
ليالي الصوم ما قطعت لها ... فطرا وأيام العام بالنسبه
فليهنأ القرب من حماك به ... صومًا وفطرًا ولتهنك القربه

[66] وقال:

أيـهـا الـبـحـر الـذي عـنـه ... ـه روى الـنـاس الـعـجـائـب
مـن عـلـوم طـالـعـاتٍ ... فـي سـمـا الـفضـل كـواكـب
وأيـادٍ لـيـس يـخـلـو ... حـاضـرٌ مـنـهـا وغـائـب
هـي لـلـدانـي بـحـارٌ ... وهـي لـلـنـائـي سـحـاب
أنـا مـالـي الـيـوم إلَّا ... بـثّ حـمـدي لـك راتـب
أنـا لـلشُّـكـر الـمـهـنـى ... وابـن شـكـر لـلـمـواهـب

[67] وقال:

يـا صـاحبًـا لي إن يغـب فعهوده ... لم تنس حيـث تنـاسـت الغيـاب
أرسـلـت تـمـرًا بـل نـوى فـقـبـلـتـه ... بـيـد الـودادِ فـمـا عـلـيـك عـتـاب
وإذا تـبـاعـدت الـجسـوم فـودُّنـا ... بـاق ونـحـنُ عـلـى الـنـوى أحـبـاب

[68] وقال:

بـروحـي هـيـفـاء الـمـعـاطـف حـلـوة ... تـكـاد بـألـحـاظ الـمـحـبـيـن تشـرب
لقـد عـذبـت ألفـاظـهـا وصـفـاتـهـا ... عـلـى أنَّ قـلـبـي فـي هـواهـا مـعـذّب
تجـاسـر عود اللَّهوِ يشـبـه صـوتهـا ... فمن أجـل هـذا أصـبح العود يضـرب
وأجـرت دمـوع الـعـاشـقـيـن بـلـعـبـهـا ... فقـال الأسـى دعـهـا تخوض وتلعـب

[69] وقال:

قـدمـت كمـا ترضـى السـيـادة والعلا ... على الشـام من نعمى يـديك سـحـاب
ولا برحـت خـدام وصـفـك مـا على ... مـحـاسـنـهـا لـلـواصـفـيـن حـجـاب
لـعـزمـك يمنٌ والمقـاصـدُ مرشـدٌ ... ورأيـك نـجـح والـمـقـالُ صـواب

[70] وقال:

أبا الحسن الإمام عليك منا ... سلامُ اللهِ نفَّاح العياب
رويـنا من نداك الغمر لما ... علوتَ إلى السحاب بلا ارتياب
فكلّ بني الولا إن غبت يومًا ... تقول لنا عليَّ في السحاب

[71] وقال:

يا كاتب الملك تهنأ به ... هلال عيد سعده واجب
كحاجبٍ مقترنٍ بالبها ... فحبذا الكاتب والحاجب
نحن رعاياك فلا مغضب ... منا على الدهر ولا عاتب
تجمعت فيه مزايا الهنا ... فكلنا في دهره راغب

[72] وقال:

يا من رأى نسبي بيت المديح له ... لو لم يكن لي لا بيتٌ ولا نسبُ
لا تأمرني بمدح الحاضرين فما ... أراه بل لا أرى قلبي له يجب
بيني وبين مديح القوم فاصلة ... ما دام لي في معاني مدحكم سبب

[73] وقال:

باللهِ عج بالحمى البدريّ مذَّكرا ... بيتًا نظيمًا وقل يا بيتَ مطلوبي
أنت الحبيب ولكني أعوذ به ... من أن أكون محبًّا غير محبوب
وحقّ تربة يحيى يا محمده ... لا غير الصدق مني صبر أيوب

[74] وقال:

غدا فيك قلبي أحمديّ صبابة ... فإحراقه بالنار منك عجيب
ولحظك سهمٌ لا يردّ فحبَّذا ... للحظك سهمٌ في الحشا ونصيب
ويا عاذلي إني لنقلك صابر ... وإني مقيمٌ ما أقام عسيب
غريب غرام في غريب محاسن ... وكلٌّ غريب للغريب نسيب

[75] وقال:

جاء هلالُ العامِ عام الهنا ... مبشِّرًا إذ قدم الصاحب
فقلت إذ شبهته حاجبًا ... في حالتيه هكذا الواجب
وزيرنا الأول لكنه ... جاء وفي خدمته حاجبُ

[76] وقال:

في أمان الله أنِّي سرت يا ... أجزل الناس ثناءً وثوابا
ورعاك الله فينا ملكا ... ملك الأنفس ملكا لا يخابا
لمواطِي طرقه كم مؤمن ... قائل يا ليتني كنتُ ترابا

[77] وقال:

مضى بالصبا إيري الذي كنتُ داعيا ... وكان لما تهواه أيّ مجيب
وكنتُ إذا أبصرته لك قائمًا ... نظرتُ إلى ذي لبدتين أريب
وأفلست مع هذا المصاب فيا لها ... رزية مالٍ أو فراق حبيب

[78] وقال:

يا خيل كتَّابٍ مضوا لبيوتهم ... بأبي الشموس الجانحات غواربا
كم من حمار قد تعبت بسوقه ... من خلفهم فغدوت أمشي راكبا
حالٌ متى علم ابن يحيى شرحها ... جاء الزمان إليَّ منها تائبا

[79] وقال:

حمى الله شمس المكرمات من الأذى ... ولا نظرتْ عيناىَ يوم مغيبه
لقد أبقت الأيامُ منه لأهلها ... بقية صافي المزنِ غير مشوبه
كأنَّ سجاياهُ اللَّطيفة قهوةٌ ... حبابُ حميَّاها بياضُ مشيبه

[80] وقال:

يا سيدي يا ملاذ الطالبين ومن ... بعلمه ونداه أنجحَ الطلبا
مباشرُ والجامع المعمور قد منعوا ... وافي الحوالة عن قصدي فوا حربا
فإن أترك وقالوا إنها نصف ... فإنَّ أطيبَ نصفيه الذي ذهبا
خمسون قالت لفكر كان ذا أدبٍ ... أبعد خمسين مني تبتغي الأدبا

[81] وقال:

أهلًا بمقدمك السَّعيد فإنه ... يا بحرُ أهدى للشآم عجابا
فإذا أراد والجود كنتَ غمامةً ... وإذا أرادوا الرأي كنت شهابا
وإذا دنا من لثم نعلك تربه ... ودَّ الموحدُ لو يكون ترابا

[82] وقال:

صرفت إلى الباب الشهابيّ مقصدي ... وحمدي حتى لي في الناس مذهب
فلا منزل للقوم يرصد أفقه ... بفكري ولا والله بابٌ مجرَّب
وحسبي أن أدعى نباتيَّ غرسه ... فلا طرس إلا وهو بالحمد معشب

[83] وقال[1]:

أرجُو اللّقاء الصَّاحبيّ كما ... أفلت من دمشقَ وهوَ غائب
حتَّى لقد صحَّ مقالُ قائل ... دمشقُ لا يوجدُ فيها صاحب

ديوان ابن نباتة 57.

[84] وقال:

قالوا أمن عرض بجسمك مؤلمٍ ... أمسيت في صعدٍ تئنّ وفي صبب
فأجبتهم روحي الفداءُ لمالكٍ ... قد كان في هذه العروضِ هو السبب

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق

[85] وقال:

عـيـنُ الـبـرايـا جـمّـلـت مـمـلـكـةً قـامـت فـروضُ الـهـنـا بـواجـبـهـا
فـحـبـذا فـي الـبـلاد مـا جـمـعـت في الحســـن من عينهـا وحـاجبهـا

[86] وقال:

صـــنـاعـةُ الـنَّـظـم تـجـنَّـبـتـهـا وذاك يـا مـنـيـتـي الـواجـبُ
بـحـر الـعـطـايـا قـد نـحـا غـيـرنـا فـأنـت بـورى وأنـا هـارب

[87] وقال[1]:

أيُّـهـا الـعـاذلُ الـغـبـيُّ تـأمَّـلْ من غـدا في صـفـاتـه القلـب ذائـب
وتـعـجّـب لـطـرَّةٍ وجـبـيـنٍ إنَّ فـي الـلَّـيـل والـنَّـهـار عـجـائـب
ديوان ابن نباتة 58.

[88] وقال:

لأيَّـام مـولانـا الـعـزيـز عـواطـفٌ على قـاصـديـه من نـدًى وثواب
فمـا مصـرُ إلَّا مثـل جنّـة سـاكنٍ نـدى رزقِـهِ ويـأتـي بـغـيـر حسـاب
ديوان ابن نباتة 58.

[89] وقال[2]:

صـبٌّ إلـى أحـبـابـه مـا سـلا بـالله فـي بـعـد ولا قـرب
صـبَّ عـلـيـه الـدَّمـعُ هـتـانـهُ فـيـا صـبٌّ عـلـى صـبِّ
ديوان ابن نباتة 58.

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق، وتذكرة النبيه 309/1.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق .

[90] وقال:

أحســـن بـهـا يـا ســـيِّـدي أنـعـمًـا ... لـم أرهـا إلا لـكـم تُـنْسَـبُ
فـلـم أقـلْ حـيـن فشـا عـرفـهـا ... مـن أيـنَ هـذا الـنَّـفـس الـطَّـيِّـب

[91] وقال:

قـالـوا عـن الـفـتـح قـد بـعـدت فـهـل ... ذكرك عنـد الصـحـاب بـالنسـب
أفـي حـواشـي الـغـلـمـان قـلـت ألا ... يـا لـيـتـنـي فـي حـواشـي الـكـتـب

[92] وقال:

بـعـث الـرئـيـس لـرزقـه الـبـابـا ... خـابـت ورمـت الـرّازق الـوَّهـابـا
فـأتـى إلـيَّ الـرِّزق يسـعـى منشـدًا ... كـسّ أخـت رزق لا يـدقّ الـبـابـا

[93] وقال:

دم يـا أخـيّ الـدِّيـن والـدُّنـيـا مـعًـا ... تملى بيوت الفضـل منـك وتكتـب
مـدح ومـنـتسـبٌ ومسـكـن نـزهـة ... كـلّ الـثـلاثـة عـنـك بـاب طـيـب

[94] وقال:

لـك الله مـا أزكـى وأشـرف هـمـة ... وأكـرم نـفسًـا فـي الـمـكـارم راغـبـه
تُسـمَّى عطـايـا الشـعر جـائزة لـه ... وأنـت تسـمـيهـا بفضـلـك واجبـه

[95] وقال:

بـهـاء ديـن الله حـكّـمـت فـي ... ولاء قـلـبـي والـثـنـا الـواجـب
أعـتـقـتـنـي الـهـمَّ فـكـان الـولا ... لابـن عـقـيـل بـن أبـي طـالـب

[96] وقال:

بـدا كرم الوجـه الخصـــيبيّ بعـدمـا تـقضـــى كـريـم الـديـن وهـو مـنـيـب
ومـا كـان ذا خصـــب لعبســـة وجهـه ولـكـنـمـا وجـه الـكـريـم خصـــيـب

[97] وقال:

هـلال عـيـن الـعـبـد يـا ســـيـدي كـحـاجـب وصـــلـي لـه واجـب
لا عجـب قـاضـــي قضـــاة الورى وافـى وفـي خـدمـتـه حـاجـب

[98] وقال:

بخـدَّيـك ذا اســـمٌ وفـعـل مصـــاب وخـادم حســـن لســـتُ فـيـه أعـاب
ومـا شـــئـتُ إلا أن أذلّ عـواذلـي عـلـى أنَّ رأيـي فـي هـواك صـــواب

[99] وقال[1]:

شـــكرًا لأقلامـك الـلاتـي جرت لمـدى في الفضـــل أضـــحى لباغي شـــأوه التَّعبا
حلـت واطربـت المصـــغي وحزت بهـا فضـــل الســـباق فســـماها الورى قصـــبا

[100] وقال:

يـا عـجـبًـا مـن طـوق طـاقـيَّـتـي عـن لـبـس يـوم واحـدٍ قـد غـلـب
وشـــاش رأســـي انـقـلـبـت حـالـهُ عـنـدي وقـالـوا الشـــاش لا ينـقـلـب

[101] وقال:

شـــيـخَ إســـلام الـورى دُم لـلـورى وابنـك المحبوب في الوصـــف نبي
شـــيـخ آقـراء حـديـث السّـــن يـا حـــبـــذا الآن نـــبـــيٌّ وأبـــي

---

[1] ابن حبيب، تذكرة النبيه 317/3.

[102] وقال:

لـقـد قـرَّ طـرف مصـــــلّ بـمصـــــر بـمســـــجـد هـذا الـكـريـم انـجـذب
ودار الـــنـــحـــاس بـــه غـــيـــرت فصـــــارت لـعـمـري دار الـذهـب

[103] وقال:

لـــقـــد أســـــعـــد اللهُ رأي الـــذي بنـى مســـجـدًا وصـــفـه قـد وجـب
لـدار الـنـحـاس بـه حـلـيـة فـدار الـنـحـاس كـدار الـذهـب

[104] وقال:

لا أظـلـم الشـــيـب فـمـن قـبـلـه مـا كـان لي في طيـب عيش نصـــيـب
كـلاَّ ولا قـبـل ســـواد الصـــبـا كـأنَّـمـا أبـيـضُ خـدِّي مشـــيـب

[105] وقال:

عـافـيـة بشـــرت بـعـافـيـة الســـلـ طـان أكـرم بـيـمـنـهـا الصـــاحـب
حـجـبـة هـذي لـهـذه خـدمـت يـا حســـن هـذا الـوزيـر والـحـاجـب

[106] وقال[1]:

خـلـيـلـيَّ لا نـومٌ لـنـا عـنـدَ مَنْ لـه فُسِّـــا زاد حتَّى شـــاع خطـبُ مهبّـه
فـلا تـقـربـا هـذا الـنَّســـيـمَ فـإنَّـه إذا هـبَّ كـان الموتُ أيســـر خطبـه

ديوان ابن نباتة 60.

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[107] وقال[1]:

إذا ســـــألوني عن هوًى قـد كتمتُـه ســـــكـتُّ أراعـي واشـــــيًـا ورقـيـبـا
وجـاوب عنِّي ســـــائـلٌ من مـدامعي فللهِ دمـعًـا ســـــائـلًا ومـجـيـبـا
ديوان ابن نباتة 60.

[108] وقال[2]:

فـديتـك مـن ملـك يكـاتـب عبـدَهُ بـأحرفـه الـلَّاتـي حكتـهـا الـكـواكـب
ملكـتَ بـهـا رقِّي وأنحلني الأســـى فـهـا أنـا عـبـدٌ رقـيـقٌ مـكـاتـب
ديوان ابن نباتة 60.

[109] وقال:

لـحـــاك الله يـــا مـــولاي كـــم ذا تصـــــبّ من الأذى قبلي وصـــــوبي
خطفـت عمـامتي فســـكـتّ عنهـا وزدت لـجـاجـة فـخـطـفـت ثـوبـي

[110] وقال:

وذي عـذل لـمـا رآنـي عـاشـــــقًـا كـواعـبَ غـزلانٍ تـدلُّ وتـطـرِب
لـحـانـي فـأجـريـت الـمـدامـع أنـهـرا فقلـت لـه دعهم يخوضـــوا ويلعبوا[3]

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق.

[3] اقتباس بالإشارة من قوله تعالى: **فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**" سورة المعارج، الآية 42.

[111] وقال[1]:

شـــكرًا لنعمـاك يـا غوثَ العفـاةِ ولا ... زالـت مـدائحـك الـعـلـيـاء تـنـتـحـب
قـد جـدت بـالقطر حتى ودتّ في طمع ... وأوَّلُ الـغـيـث قـطـرٌ ثـم يـنســكـب

ديوان ابن نباتة 60.

[112] وقال:

فتحـت للنـاس أبواب المقـاصـــد لا ... تـعـطـلـت مـن حـمـاك الـرَّحـب أبـواب
هـذا لـه ســبـب فـيـمـا يـحـاولـه ... وذا لـهُ في مقـال الشِّـــعر أســبـاب

[113] وقال[2]: [السريع]

مـبـقّـل الـوجـهِ أدارَ الـطَّـلا ... فـقـال لـي فـي حـبِّـهـا عـاتـبِـي
عـن أحـمـر الـمشـــروب مـا تـلـتـهـي ... قـلـت ولا عـن أخضـــر الشَّـــاربِ

ديوان ابن نباتة 60.

[114] وقال:

وأغيـد يشـــكو خصـــره جور ردفـه ... ويُمســـي بليـل الشـــعر وهو يعـاتبـه
يشـــبّع ذا لـحـمًـا وذا بـات جـائـعًـا ... وســـبع الفتى لؤم إذا جـاع صـــاحبـه

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق

[2] **التخريج:** سوق الرقيق (ق14)+ (ق84)، والغيث المسجم 265/1–266، ونفحات الأزهار 294 +120 دون نسبة، وقطر الغيث 120، وكشف اللثام 80، وروضة المجالسة 659، ومراتع الغزلان ق121، ومطالع البدور 268/1، ومعاهد التنصيص 184/3+256/2، والهول المعجب 144، والغيث المسجم 265/1–266، ونفحات الأزهار 294. البيت1:" ومقبل الوجه"، "حبه"، وروض الآداب 230، ومجموع ظريف (ق21/أ)، ومراتع الغزلان (ق121)، وحلبة الكميت 156، والنجوم الزاهرة 96/11 ونسبت المقطوعة لابن نباتة، والتقنيع في البديع 287، ومطالع البدور 162/1+248، وخلع العذار 65 رقم (28). البيت1: "مبقل الخد أدار الطلا"، البيت2: "ما تنتهي"، وسوق الفاضل ق.

[115] وقال:

يـا حبَّـذا بـدلٌ أتـى عـمـن مضـــى ... من قومـه في الفضـــل والأحســـاب
بـدلٌ مـن الأبـدال فـي أوصـــافـه ... يـعـزى إلـى قـطـب مـن الأقـطـاب

[116] وقال:

أمـولاي صـــبـرًا عـلـى مـبـرمٍ ... لـه كـلّ يـوم لـديـك اكـتسـاب
تـقـول لـجـودك حـاجـاتـه ... ســيـفـتـح بـابٌ إذا ســدّ بـاب

[117] وقال:

يـا ســيِّـد الـوزرا إهنـأ بـهـا خِـلـعًـا ... يقومُ من قـالـهـا الأوفى بمـا يجـب
فـي بـابـك الـعـلـم وفـيـض الـنَّـدى ... فـلا خـلا بـابـك مـن طـالـب

[118] وقال[1]:

يـا ملـكًـا تقصـــر عن وصـــفـه ... بـدائـع الشـــاعـر والـكـاتـب
فـي بـابـك الـعـلـم وفـيـض الـنـدى ... فـلا خـلا بـابـك مـن طـالـب

[119] وقال:

أيـا دار دارَ اليمنُ من كلـه وجهـة ... عـلـيـك ولا زال الـهـنـا لـك يـجـلـب
ولا عـدم الـقصَّـــادُ بـابـك إنَّـه ... لنجح الرَّجـا بـابٌ صـــحيحٌ مجرَّب

[120] وقال:

هُـنِّـئـتـهـا خـلـعـةً مـجـددة ... بـكـلِّ ســعـدٍ وكـلِّ مـرغـوب
بـهـرت حســنًـا بـهـا فـحـيـث تـرى ... يـقـالُ ذا يـوســف بـن يـعـقـوب

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق

[121] وقال[1]:

ديوان ابن نباتة 61.

وراهــن قــلــبــي خــفــوقَ الــبــروقِ وكــان لــدمــعــي عــلــيــه الــغَــلَــب
جَــرَتْ مــع دمــعــي غــوادي الــحــيــا فــقــال الــغــرامُ لــقــلــبــي وجــب

[122] وقال:

أقــول لــقــلــبــي الــعــانــي تصــــبــر وإن بــعُــدَ الــمســــاعــدُ والــحــبــيــب
عســــى الــهــمّ الــذي أمســــيــت فــيــه يــكــون وراءه فــرجٌ قــريــب

ديوان ابن نباتة 61.

[123] وقال:

نــاعــورةٌ بــمــنــازِلِ الــبــحــر اقــتــضــــت في حــالــة التَّشــبــيــهِ بــثَّ عجــائــب
فــلــكٌ يــدورُ عــلــى الــمــجــرَّة مــطــلــقًــا أســــنــى الــكــواكــب وهــي ذاتُ ذوائــب

[124] وقال:

اعــجــب لــهــا نــاعــورة قــلــبــهــا لــلــمــاء منشــــي الــعيش والــعشــــب
تــعــبــانــة الــجســــم ولــكــنــهــا كــمــا تــرى طــيــبــة الــقــلــب

[125] وقال:

حــجــبــتــنــي فــازددت عــنــدي عــلًا بــرغــم مــن أقــبــل كــالــعــاتــب
وقــلــت لا أعــدم مــن ســــيــدي مــن كــان عــيــنــي فــغــدا حــاجــبــي

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق

[126] وقال:

أمـــولاي إنَّ عـــدوّي الـــزَّمـــان ... يـعـوّق عـن قصـــدك الـواجـب
مـخـافـةَ أشـــكـــو إلـيـك أذاه ... فـأشـــكـو الـعـدوّ إلـى صـــاحـب

[127] وقال:

أنـكـروا حـالـي الـتـي قـد صـــلـحـت ... بـعـد دهـر صـــمَّ عـن عـاتـبـه
ثـم قـالـوا لـم هـذا قـلـت ذي ... صـــدقـات الســـر مـن كـاتـبـه

[128] وقال:

تزوَّج ســيف الـدين حســناء نـاســبـت ... إلـيـه وأقصـــت مـعشـــرا وأقـاربـا
ولم تســتشـــر في أمرهـا غير نفســها ... ولم ترضَ إلا قـائم السَّـــيف صـــاحبا

[129] وقال:

وافـى لـي الـبـابـا بـمشـــط لـم أجـد ... إلا الـذي قـدمـت عـلـيـه ثـوابـا
وأتـى إلـيَّ الـيـوم يـفـتـح حـلـقـه ... فـامـنـن عـلـيَّ وســدَّ هـذا الـبـابـا

[130] وقال[1]:

أقـولُ لـدبَّـابٍ عـلـى الـمُـردِ فـي الـدُّجـى ... تـأخر عن الظَّبي الـذي عزَّ جـانبـه
فـقـد بـثَّ عـبـدُ الله جـنـدَ انـتـقـامـه ... على اللَّيلِ حتَّى مـا تـدِبُّ عليـه عقاربـه

ديوان ابن نباتة 62.

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[131] وقال:

مسألة الدار غدت بيني وبين من أحب
لولا مشيبي ما جفت لولا جفاها لم أشب

[132] وقال[1]:

حلا دمعي لخدِّي في هواكم فما أحلى بصحن الخدِّ سكبا
وناسب حالتي لما دعوتم كلانا قد جرى للحبِّ صبَّا

ديوان ابن نباتة 62.

[133] وقال:

ولاعبٍ يعرب شطرنجه عن فهمه المتَّقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاضرٌ يا حبَّذا من حاضر غائب

[134] وقال:

يا خليلًا جعلته العين والقلـ ب وأصفيته سرائر حبّي
لا عجيبٌ إذا جلبت لي الضـ رَّ فهذي عادات عيني وقلبي

[135] وقال:

تأمَّلت في الحمَّام تحت مآزر روادفَ غيدٍ ما سناها بغائب
كأنِّي من هذي وهاتيك ناظرٌ بياض العطايا في سواد المطالب[2]

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق.

[136] وقال[1]:

أحاولُ صبرًا عن هوًى قد ألفته ... ولا أجد الصبر المحاول يعذب
وألقى به ثوب المشيب مطبقا ... فأغسله بالدمع والطبع أغلب

[137] وقال[2]:

أسعد بها يا قمري برزة ... سعيدة الطَّالعِ والغارب
صرعت طيرًا وسكنت الحشا ... فما تعدَّيتَ عن الواجب

ديوان ابن نباتة 63.

[138] وقال:

يا نصار الدين والدنيا بقيت لنا ... وللسطا والعطا والحلم والأدب
تخطَّ أحسن خطّ أنت واضعه ... في الحرب والسلم بالهندي والعرب

[139] وقال[3]:

فديتك غصنًا ليس يبرح مثمرا ... في الحُسنِ في الدُّنيا بكلِّ غريبِ
تفتَّح في وجناته الوردُ أحمرا ... فيا ليتَ ذاك الورد كان نصيبي

ديوان ابن نباتة 63.

[140] وقال:

وخاطر عنتُ الأشواق تعجبه ... جآذر التُّرك لا زيّ الأعاريب
من كلّ أهيف ضاقت عينه فمتى ... يجود لي من تلاقيه بمطلوبي

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق.

[3] التخريج: سوق الفاضل ق.

[141] وقال:

يـا زائـري قـاضـــي الـقضـــاة لـيـهـنـكـم ... مـا حـقـق الـتـجـريـب مـن أبـوابـه
أقســـمـت مـا الـحـجـر الـمـكـرم لـلـغـنـى ... إلا الـذي تـغشـــون مـن أعـتـابـه

[142] وقال:

لـئـن غـدر الصـــاحـب الـمـرتـجـى ... لـتـأخـيـر مـعـلـومـي الـواجـب
فـقـد رمَّ حـالـي تـاج الـعـلا ... ونـاب الصـــديـق عـن الصـــاحـب

[143] وقال:

شـــكـرًا لـهـا مـن أنـعـم قـد شـــادهـا ... نـعـم الـعـمـاد فـمـكّـنـت أســـبـابـي
قـالـوا الـحسـاب فـقـلـت إن عـوائـدي ... أعـطـى عـلـى يـده بـغـيـر حســـاب

[144] وقال:

بشـــر أمـيـر الـمـعـالـي بـاتـصـــال هـنًـا ... يحفُّـه السَّـــعـدُ من أقصـــى جوانبـه
واكـتـب عـلـى بـيـتِ ســـكـنـاه الـعـزيـز بـه ... عـزًّا يـدوم وإقـبـالا لـصـــاحـبـه

[145] وقال:

يـا ســـادة قـد ظـفـرت عـنـدهـم ... بـيـمـن قصـــدٍ ونـجـح مـطـلـوب
حـاشـــاكـمُ أن يـبـيـت جـاركـمُ ... يشـــكـو إلـى الـنَّـاس ضـــرّ أيـوب

[146] وقال:

جـاءت إلـيَّ الشـــوربـا فـحـبـذا ... يـا ســـيـدي منـك طـعـامٌ مـعـجـب
أفـاد جسـمـي قـوة فـهـا أنـا ... كـمـا يـقـال الأســـدُ الـمشـــورب

[147] وقال[1]:

وغـــائـــب تُـــذكـــرنِـــي كـــتـــبـــه ... لـيـالـيًـا دمـعـي لـهـا فـي انســـكـاب
فـهـاك بـالـمـرســـلِ مـن أدمـعـي ... حـديـث شـــجوي من كتـاب الشّـــهـاب

ديوان ابن نباتة 64.

[148] وقال:

عـذيـري مـنـه مـعـرضًـــا مـنـجـنـيًـا ... كـأنـي لـه نـحـو الـوداد أجـاذب
قســـا فوق مـا تقســو الجبـال فلم يجـب ... نـدائـي وأصـــداء الـجـبـال تـجـاوب

[149] وقال:

مـولاي قـد جـئـنـا لـنـحـمـل قصـــة ... نـحـو الـوزيـر فـقـم مـع الأصـــحـاب
فـالـيـوم حـاجـتـنـا إلـيـك وإنـمـا ... يُـدعى الطبيـب لشـــدة الأوصـــاب

[150] وقال[2]:

يـغـيـب الـذي أهـواهُ عـنِّـي ســـاعـة ... فـأســـأمُ مـن لـيـلٍ طـويـلٍ أراقـبـه
وكـيـف يـطـيـب الـلَّـيـلُ عـنـدي والـكـرى ... ولـيـس إلـى جـنـبـي خـلـيـلٌ ألاعـبـه

ديوان ابن نباتة 64.

[151] وقال[3]:

عـلـقـتـهـا غـيـداءَ حـالـيـةَ الـطـلا ... تـجـنـي عـلـى عـقـل الـمُـحـبّ ولـبّـه
بـخـلـت بـلـؤلـؤ ثـغـرهـا عـن لاثـمٍ ... فـتـطـوَّقـت بـمـثـال مـا بـخـلـت بـه

ديوان ابن نباتة 64.

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق.

[3] التخريج: سوق الفاضل ق.

[152] وقال:

يا حسن كتَّاب الحساب وخلفهم ... غلمانهم بدفاتر وتعابي
كم قد رجوت وفي حساب مثلهم ... فلقيته لكن بغير حساب

[153] وقال[1]:

يا غائبين تعلَّلنا لغيبتهم ... بطيب لهوٍ ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم ... فالكأس في راحة والقلب في تعب

[154] وقال:

أمولاي شكرًا للياراع الذي أرى ... بياض العطايا في سواد المطالب
لقد قمتُ بالمسنون والفرض في الندى ... تضيَّع هذا المال في غير واجب

[155] وقال:

دامت بسعدك للعداة مهالكٌ ... يا مطلب الجود الذي لا يحجب
والله ما ندري إذا ما فاتنا ... طلبٌ إليك من الذي نتطلَّب

[156] وقال:

يا حبذا ملكٌ حثَّ الجيوش إلى ... خوض الوغى بشريق اللَّون محبوب
تعجلوا الفال في نحر العدا فغدوا ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب

[157] وقال:

أهنيك بالعيد السعيد قدومه ... وأشكر برًّا أنت من قبل واهبه
لعمري لقد أصبحت عينَ زماننا ... فيا حبَّذا عينُ الزمان وحاجبه

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 307/3.

[158] وقال:

لـيـهـنـك يـا عـيـن الـزمـان وأهـلـه ... ويـهـنـي الـورى عـامٌ بسـعـدك آيـب
بـه لـلـبـرايـا حـاجـبٌ مـن هـلالـه ... ولـحـتَ فـيـا لله عـيـنٌ وحـاجـب

[159] وقال:

للصـاحب بن الصـاحب النـاصـر من ... دعـاه رأي فـي الصـلاة الـراتـبـه
يـمـنـح مـن قـبـل امـتـداح مـجـده ... جـائـزة ثـم يـراهـا واجـبـه

[160] وقال:

لا غـروَ إن جـئـتُ الـنسـيـب بـمـدحـةٍ ... مـن غـيـر مـا غـزلٍ وغـيـر نسـيـب
هـزَّت رؤوس السـامـعـيـن بـوصـفـه ... طـربًـا فـلـم تـحـتـج إلـى تشـبـيـب

[161] وقال:

يـا سـيِّـدي شـكـرًا لـهـا مـن أنـعـمٍ ... وقتي بهـا من بعـد مصـر خصـيـب
قسـمًـا لـقـد أفـردت فـي نـظـم وفـي ... ودٍّ فـفـي الـحـالـيـن أنـت حـبـيـب

[162] وقال:

لا تـنـكـروا حـمـرة الأظـافـر مـن ... فـلان والـقـمـل مـنـه مـنسـرب
حـمـرتـهـا مـن دمـاء مـا قـتـلـت ... والـدم في النصـل شـاهـد عجـب

[163] وقال:

إنَّ الأمـيـر سـلـيـمـا اعـتـلـى رُتـبًـا ... في الخبر والخبر اسـتعلت على الرتـب
مجـانس الحسـن بـالإحسـان في صـفحة ... وفـارس الـخـيـل وجـه الـترك والـعـرب

[164] وقال:

يا ملاذي الغوث من عائلة ... ليس من تكليفهم لي مهرب
طلبوا في أرجلي شيئا وقد ... نقبوا رأسًا بما قد طلبوا

[165] وقال:

أشكو لأنعمك التي ... هي للعفاة سحائب
حالتي التي يرثي العدوّ ... لها فكيف الصاحب

[166] وقال في السبعيات:

بالنصر والإقبال والبركات ... سكنى القصور ومنزه الحركات
في ظل ملك بالسعود تمنحت ... في سائر الحركات والسكنات
وعمائر موصولة بعمائر ... طيارة في الذكر والغرفات
والناس إما مادح أو مطرب ... بثنائه الموصول بالنغمات
والكل بين يديك خادم صنعة ... ينشي وينشد والزمان مؤاتي
يا جود سلطان العباد ومدحنا ... طاب الصبوح لنا فهاك وهات
وأرى صبوحك كاس أجر أو نثًى ... فاشرب هنيئا يا أخا اللّذات

[167] وقال في قاضي القضاة نور الدين بن حجر:

بثَّ المشيب على الشَّجيّ بزاته ... وبدا فنفَّر ظبيه ومهاته
لا مت يا لاحي الشجي على الأسى ... وحييت بعد الظاعنين حياته
أو عشت عيشي عند جفوة سيد ... عودت منه ميله ولهاته
هذاك قد خصف الحيا أوراقه ... وأنا الذي هشم الجفاء نباته
وأتى إلى حجر الكرام فطاف بي ... حجّ الرجاء معاوذا ميقاته
سادوا الزمان كما ترى عباده ... وسراته وهداته وكماته
لا زال سارٍ نور بيتهم ولا ... عدم التنزيل وسامع أبياته

[168] وقال في البرهان القيراطي يسأله الوساطة بينه وبين ابن حجر:

فاز الذي شغل الأسى أوقاته ... لو كان أشبعه الأسى أوقاته
يا ليت لو كان المنام معاشه ... طيفًا ولا كان النهار سباته
قيراط وصل كنت أجعله على ... قنطار هجران يُغير ذاته
يا سيد الأدباء لا شكا لقد ... جازاك من لم يدر منك شكاته
أنظر لخليك اللذين تحاربا ... أدبًا وهب لكليهما ما فاته
من كان من قش ترعرع نبته ... أو كان من حجر ألنت صفاته
عذرًا لمن هزت هباتك طوده ... ولمن أطاش ندًى يديك نباته

[169] وقال وأهدى خروفًا لقادمٍ من الحجّ:

أهلا بركب القادمين ... زهًا وأزهر وقته
لبني علي إنه ... نعم الولي علمته
يا قادمًا ما زلت في ... نعماه منذ عرفته
ومُدحت حين قصدته ... وقصدت حين مدحته
هنئت حجًا من شذا ... عرفات قد عرفته
وبعثت من فرحي خرو ... فًا ولو قدرت لزدته
لو أنَّه ابن خروف نحـ ... ـويّ النحاة بعثته

[170] وقال مجيبًا لابن الزملكاني من الخمسيات:

شكرًا لنعماك وإن أفحمت ... لسان الشاكر عما نويت
وعجَّزت مدحي لهاكَ التي ... مدحتها بالعجز ثم اكتنيت
يفديك من رمت حماه فلو ... هجوت ما زدت على أن حكيت
والله ما أنت وأهل العلا ... إذا تأمَّلتهم وانتقيت
إلا كبيت الله في فضله ... على بيوت الله والكل بيت

[171] وقال في المثالث:

يـــا ســـــيِّـــدًا حـــلـــوةُ أمـــداحـــه تـجـمـع بـيـن الـحســـن والـبـخـث
لـمـا تـحـلـت ســـنـه بـالـهـنـا لـديـكـم فـي أســـعـد الـوقـت
نـاديـت بـالاســـم وتـرخـيـمـه وصـــحـت يـا ســتين يـا ســتي

[172] وقال في المثاني إلى القاضي شمس الدين البهنسي:

شـــكـــر الله أيـاديـك الـتـي عـاجلـت قصـــدي بـأنواع الـهبـات
أنـت بـالـمـعـروف قـد أحـيـيـتـنـي وكـذا الشـــمـس حـيـاة الـنـبـات

[172] وقال في المجون:

يـقـولُ مـلـيـحٌ مسـلـم بـعـد كـافـر طـعـنـت بـأير فـائق ســيف دولـة
فعـاداتُ ســيف الـدولـة الطعن في العـدا وعـادات ذا طـعـن الـعـدا والأحـبـة

[173] وقال مع سكر أهداه:

جـدت وأفـحـمـتـنـي بـمـا قـد ســمـعـت مـن لـفـظـك الـمـواتـي
فـاقـبـلـه ذا ســكـر بـيـاض إن عـجـز الســكـر الـنـبـاتـي

[174] وقال مع خروف أهداه:

أرســـلـت نضـــوا حـقـيـرا ولـــو قـــدرت لـــزدتـــه
لـــو أنـــه ابـــن خـــروف نـحـوَّ مصـــر بـعـثـتـه

[175] وقال وكتب به لضعيف:

كـتـبـت وقـد وجـدت مـن الـتشـــكـي ومـسَّ الســـقـم أكـثـر مـا وجـدتـا
ألـم تـعـلـم بـأنـك ضـــمـن قـلـبـي فـمـا يصـــل الســـقـام إليـك حتَّى

[176] ومن مقطعاته قوله:

لم يبق شيبي لذة لحياتي ... والشيب صبحٌ قاطعُ اللذات
فارقت أيمنَ زوجةً وعدمت من ... مغنى حماه عوائدي وصلاتي
حيّي الحيا أوقات تلك وهذه ... وسقى معاهد زوجتي وحماتي
ولقد محا قاضي القضاة وتاجهم ... عني مصاب الحسن والحسنات
فاضت مواهبه عليَّ ولم أسل ... وسقت مواطره الغزار نباتي
وسجعت مدحًا حين طوَّقني ندًى ... إنَّ المطوَّق ساجع النغمات
ولئن أقل للعجز دعوى مدحتي ... فلتكثرنَّ بصالحٍ دعواتي

[177] وقال:

هب أنها الظبي لكن غير منفلت ... فعطفها اللين هلا غير ذي عنت
وقبلة بثعتها في الكرى شفقة ... بالليل منك فهلا عاودت شفتي
كما تعاهدني فضل المواهب من ... عليّ أهل العلا والاسم والسمة
من ابن فضل الإله المعتلي رتبا ... لم يعتل مثلها نجم على الكرة
من ليس ينسى نداه حال أشعث إن ... أضحى على قلة أمسى على قلت
لحمي وعظمي على نعماه قد نبتا ... كلّ النبات ولا كلت ولا نبت
لأشكرنَّ أياديه بذاك وذا ... إن أحيا في هذا الدنيا وإن أمت

[178] وقال:

شكت من شيبتي عينُ الفتاة ... فيا لك ثم يا لك من فتاة
وعفت الظبي أيضا لا لفكر ... يطالبنا الوداد بلا التفات
وكفَّر ذنب أعزال تقضت ... ختام المدح في قاضي القضاة
فما أسرى معالي المدح دُرًّا ... أنظّمه على تاج السراة
إمام خزرجي البيت طافت ... على أركانه فرق العفاة
لهم همم بها في الفضل تروي ... عواليه الثقاتُ عن الثقاتِ
حلاوة مدحه في الطيب شاعت ... ولا سيما بشكريّ النبات

[179] وقال:

لاعب شطرنجٍ بفصل الشتا ... عشقته ويلاه من بهته
قلبي بكانون على ناره ... وسيدي يلعب في دسته
دع غزلا وامدح وزير التقى ... في فضله الأوفى وفي نعته
وليهن مغنى الشام من حظه ... قدوم مولانا ومن تختته
أوحشه الغيث الذي قد نأى ... وجاءه والله في وقته
وليهن مولانا بحيث انتحى ... قدر سما الكوكب في سمته
من فوقه أنت بمقدار ما ... تطيفك الأبصار من تحته

[180] وقال:

ربَّ ليلٍ زار فيه قمرٌ ... خدّه المحمرّ بالأقمار شامت
ذو نطاق وسوارٍ لم يدع ... ناطقًا غيرهما عندي وصامت
فاح نشرًا وبدا فالبدر من ... حسدٍ خافٍ ونشر الروض خافت
مثلما أقبلت من مصرها ... أنجم العلمِ فنجم الشام شامت
يا بني الأنصار طابت وزكت ... في العلا منكم فروعٌ ومنابت
لو سكتنا عن ثناءٍ لغدا ... فضلكم بين البرايا غير ساكت
سؤدد حسَّنَ بيتًا ثابتًا ... فكفاكم منه حسَّان بن ثابت

[181] وقال:

حبَّذا يوم وصالٍ ... يصل السعد وقيته
آه من رخص محبٍّ ... باعه الصبر وليته
بعت في العشاق روحي ... يا حبيبي بستيته

[182] وقال:

مـولادي أدركـنـي بـفضـل الـدعـا ... والـجـاه تـنـقـع بـعـمـا غُـلَّـتـي
جـرايـتـي ضـاعـت فـآهًـا لـهـا ... وبـعـد هـذا رمـدت مـقـلـتـي
فـفـي صـبـاحـي ومسـائـي مـعًـا ... أصـيـح يـا عـيـنـيـن ويـا غَـلَّـتـي

[183] وقال:

رعـاك الله كـم تـرى أمـوري ... وتـجـمـع فـكـرتـي بـعـد الشـتـات
أمـا وسـيـادة لـك فـي الـبـرايـا ... لـهـا فـخـرٌ عـلـى مـاضٍ وآتِ
لـقـد أحـيـا نـدى كـفـيـك حـالـي ... كـذاك الـغـيـث يـحـيـي لـلـنـبـات

[184] وقال:

يـا شـمسَ فضـلٍ واضـحٍ لي حُسَّـدٌ ... بولايـة المُجـدي كـانوا كـالشُّـمـت
شـكـرًا لأنـعـمـك الـتـي قـد أفصـحـت ... عن شـكـرهـا حتى جوارحي الصُّـمـت
مـزجـت بـنـطـقـي فـي الـورى وجـوارحـي ... فـلأشـكـرنـك مـا حـيـيـتُ وإن أمـت

[185] وقال:

كـان لـمـولانـا كـمـا قـد درى ... جـدّ يـرى لـلـودّ إثـبـاتـا
وكـان لـي جـدّ سـعـيـد فـيـا ... لـهـفـي عـلـى جـدَّيـن قـد مـاتـا

[186] وقال:

سـائلي اليوم كيف حـالي في القسـ ... ـمِ ونـظـارة الـقضـاة السـراة
كـل قـاضٍ يـرى أسـيـر شـهـودٍ ... وأنـا شـاهـدٌ أسـيـر الـقضـاةِ

[187] وقال:

يا عجبًا لي بعد عصر الصِّبا ... مخالف في كلّ حالاتي
أصبو وقد أصبحت من نسوتي ... ما بين عماتي وخالاتي

[188] وقال:

قالوا عهدناك ذا شعر نلذُ به ... ما باله قد تولى حسنه الآتي
فقلتُ من كثر ما أشكو به ضررًا ... والشعر يفسده كثرُ الضرورات

[189] وقال:

إن أساء الحبيب قامت بعذرٍ ... وجنةٌ من فوقها شامات
يا لها وجنةٌ أقابل منها ... حسناتٍ تمحى بها السيِّئات

[190] وقال:

مولاي إنَّ الحال قد وصلت إلى ... سطرين من بيتين قد ضمنتها
لم يبق عندي ما يباع بدرهم ... إلا بقية ماء وجهٍ صُنتها

[191] وقال:

يقول رجائي لما دعا ... نداك لهبَّات تلك الهِباتِ
تناسب حال الندى والرجا ... فهذا الغمام لهذا النبات

[192] وقال:

لا عيب في بعض الكرام سوى ندًى ... متعمِّق للمرء عند صلاته
يُعطيه من إحسانه ولربّما ... آذاه كي يعطيه من حسناته

[193] وقال[1]:

إســـــقـــنـــي صـــــرفًـــا مـــن الـــرَّا ح تـــحـــتّ الـــهـــمَّ حـــتَّـــا
ودع الـــــعُـــــذَّال فـــيـــهـــا يضـــــربـــون الـــمـــاءَ حـــتَّـــى

[194] وقال:

أرى جلســـــتي عنـد الكمـال تميتنـي غـبـونًـا ونـفـعـي بـالـعـلـوم يـفـوت
ومـا تـنـفـع الآداب والـعـلـم والـحـجـا وصـــــاحبـهـا عنـد الكمـال يموت

[195] وقال:

جـنـيـنـــة الـتـيـــن وجـيـرانـهـا قـد طـيّـبـت لـذَّاتـهـا وقـتـي
وكـثـرت عـنـدي مـا أشـــتـــهـي فـالـتـيـن مـن فـوقـي ومـن تـحـتـي

[196] قوال:

يـقـولُ الـذي قـد درى غـربـتـي وعســـــري وجـودك حصـــــلـتـه
قـبضـــــت بـأنـعـامـه الـبـنـدقـي فـقـلـت نـعـم ثـمَّ فصَّـــــلـتـه

[197] وقال:

ورثـت الـلـفـظ عـن ســـــلـفـي وأكـرم بـآل نـبـاتـة الـغـزّ الســـــراة
فـلا عـجـب لـلـفـظـي حـيـن يـحـلـو فـهـذا الـقـطـر مـن ذاك الـنـبـات

[198] وقال:

لم أنســـى مخضـــوبـة الأطراف في يـدهـا كـأس لـطـرفـي وروحـي مـنـهـا قـوت
شـــبـيـه جـمـرٍ عـلـى يـاقـوت أنـمـلـهـا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

[1] التخريج: السيوطي، جنى الجناس 118. البيت1: "اسقني الخمرة صرفا كي تحتّ".

[199] وقال:

يـا ابـن نـبـاتـة جـار الـزمـان وزلـت وزالـت قـوى هـمَّـتـك
وقـد كـنـت ذا حـكـمـة وانـقضـت فـلا أوحـش الله مـن خـدمـتـك

[200] وقال:

لـقـد أصـبـحـتُ ذا عـمـرٍ عـجـيـبٍ أقضِّـي فـيـه بـالأنـكـادِ وقـتـي
مـن الأولاد خـمـسٌ حـولَ أمٍّ فـوا حـربـاه مـن خـمـس وسـتِّ

[201] وقال:

يـا سـيِّـدي عـطـفًـا فـإنِّـي مـيـتٌ وفـي دمشـق الـيـوم بـردٌ قـد عـتـا
زرقـة جسـمـي وبـيـاض ثـلـجـهـا سـنـجـابـي الأبـلـق أيـام الشـتـا

[202] وقال:

قـالـت أريـد مـن طـبـيـخٍ قـدرةً وكـثـرت حـاجـاتـهـا وأوغـلـت
فـقـلـت هـذي قـدرةٌ يـا سـتّـنـا من قبـل أن تمسَّـهـا النـار غلـت

[203] وقال:

مضـى الأفضـل المرجو للبـأس والنـدى وصـحـت علـى رغم العـداة وفـاتـه
ومـا مـات أو مـاتـت بـحـزنٍ نسـاؤه ومـاتـت بـأحـزان الـبـلاد حـمـاتـه

[204] وقال:

سـافرتُ للسّـاحـل مسـتبضـعًـا حـمـدًا وقصـدًا حسـن الـجـمـلـة
فـيـا لـه مـن مـتـجـرٍ رابـحٍ مـا نـفـقـت فـيـه سـوى بـغـلـتـي

[205] وقال:

يـــا شـــــهـــدُ لا والله أقـــ ـــــــنـــةٌ أن أعـــاودَ قـــبـــلـــتـــك
مـــا أنـــت عـــنـــدي شـــــهـــدة حـــتـــى أذوق عســـــيـــلـــتـــك

[206] وقال:

عـنـدي اســـتـفـاد ذوو الـتـأدب والـذكـا قـولا نـبـاتـيـا رعـوا روضـــاتـه
فـأنـا الـحـقـيـق بـقـول أحـمـد مـن إذا قـطـف الـرجـال الـقول عـنـد نـبـاتـه

[207] وقال:

أفـديـه لاعـب شـــطرنـجٍ قـد اجتمعـت في شـــكله من معاني الحســـن أشـــتات
عـيـنـاه مـنصـــوبـة لـلـقـلـب غـالـبـة والـخـدُّ فيـه لقتـل النفس شـــامـات

[208] وقال:

حـــلا ثـــنـــائـــي عـــلـــى عـــلـــيٍّ كـــمـــا حـــلا جـــوده الـــمـــواتـــي
فـــرحـــت ذا ســـــكـــر بـــيـــاضـــــي وراح ذا ســـــكَّـــرٍ نـــبـــاتـــي

[209] وقال:

طـلـقـت أبـكـار الـقـوافـي الـتـي كم معهـا في بيـت شـــعر أويـت
فـــلا ووقـــتٍ كـــان لـــلـشـــــعـــر لا يجمعنـا من بعـد ذا ســـقف بيـت

[210] وقال:

ومـطـالـع الســـــعـديّ فـي أفـق الـعـلا والملـك نـعم الـمقصـــــد والحركـات
مـن حـيـث يـرقـم اســـــمـه فـعـالـه فـالـعـزُّ والإقـبـال والـبـركـات

[211] وقال:

كانت للفظي رقّة ضنَّ الزَّمان بما استحقَّت
فصرفتها عن قدرتي وقطعتها من حيث رقَّت

[212] وقال:

وبديع الجمالِ زين بخالٍ ساكنٍ فوق أشرف الوجنات
إن تشكى بها الحريق فما فتن المؤمنين والمؤمنات

[213] وقال:

قوَّيت قوتي وقوت عائلتي في زمن للضعيف ممقوت
فكيف أثني عنان قصدي عن بابك يا قوَّتي ويا قوتي

[214] وقال:

فديت بليغًا أهَّلتني سطوره لأجنحة تسمو سموَّ الأهلة
فأقطف من أوراقه الأدب الذي وأسمع من ألفاظه اللغة التي

[215] وقال:

في شعر مولانا السنا العالي وفي إنشائه الأشهى مزاج القهوة
فمتى تقل بيتًا فقل إن الذي ومتى يدر سجعًا فقل إنَّ التي

[216] وقال:

كنت في ظلمةٍ من الحال لكن بين شمسين قد أضاءت حياتي
وغمامين ينشآن نباتًا يثمر الأجر من جميع الجهات

[217] وقال:

نـبـاتـي الـمـنـاســـب كـيـف تـلـقـى ... شـــتـا ســـام بـه انهشـــم النبـات
وبـرقًـا ضـــاربًـا مـن فـوق بشـــتٍ ... فضـــربـتـه لـعـمـري والـعـبـاة

[218] وقال:

يـا ســـيـدي هـنـئـت عـيـدًا أتـى ... بـالســـعـد يجلى من جميع الجهـات
لا غـرو إن أحـيـيـتـنـي بـالـنَّـدى ... إنَّ النَّـدى والشـــمس محيي النبـات

[219] وقال:

أوى الصـــغـار فـإن لاح الـعـذار فـقـل ... في لوعـة خمـدت من بعـد مـا حميـت
وقـل لـمـن قـال فـي خـدِّي زمـرَّدة ... لـذاك حيَّـةُ أيري عنـك مـا عميـت

[220] وقال:

قـديـمـة راحٍ فـي يـمـيـن حـديـثـةٍ ... من السِّـــنِّ عن شـــيخ التَّصـــابي محدِّثه
تـثـنـت عـلـى رغـم الـقـلـى وتـربـعـت ... لو صـــلـي بحمى العـاذلات مثلثـه
فـدا لـوزيـر الـمـلـك مـلـبـس صـــحـة ... لـنـار الأعـادي والـجـنـاة مـؤرَّثـه
ويمنًـا على مصـــر وشـــامٍ أفـاضـــه ... وزير زمـان ســـاعـد الســـعـد مبعثـه
وزيـر لـديـه الـعـقـد والـحـل راقـنـا ... فمـا عقـدة في الحـاســـدين منفَّثـه
أخـو الســـعـد فـي كـل الأمـور أرادهـا ... يهـذّب مـا كـان الزمـان قـد أحـدثـه
نـهـنـي بـلـقـيـاه حـمـى مصـــر إنـهـا ... بـغـيـبـتـه حـاشـــا الـمـزاج مـغـلّـثـه

[221] وقال[1]:

لله خـال عـلـى خـدِّ الـحـبـيـب لـه ... في العاشـقين كما شـاء الهوى عبث
أورثـتـه حـبَّـة الـقـلـب الـقـتـيـل بـه ... وكـان عـهـدي أنَّ الـخـال لا يـرث

[222] وقال:

ثـلاث مـآذن فـي الـحسـن زادت ... فـرابـعـهـا لأجـل الـعـيـن جـاثـي
ومـا نـقصـت مـحـاسـنـهـا ولـكـن ... لـيـحـلـف واصـفـوهـا بـالـثـلاث

[223] وقال:

ووارثـة الألـحـاظ مـن حـدق الـمـهـا ... غـدت نـار قـلـبـي مـن هـواهـا مـؤرَّثـه
مـذكَّـرة الأسـيـاف مـن لـحـظـاتـهـا ... وقـالـت عـلامـاتُ الـفـتـور مـؤنـثـه
تـغـزلـت فـيـهـا وامـتـدحـت أخـا الـعـلا ... إمـام الـتـقـى والـنـفس غـيـر مـغـلَّـثـه
ولـم لا ومـن نـعـمـاه لـلـفـكـر بـاعـث ... عـلـى أدبٍ مـا مـات إلا لـيـبـعـثـه
إمـامٌ لـهـأُ بـالـمـعـالـي فـقـيـهـةٌ ... وأمـداحـه بـالـمـكـرمـاتِ مـحـدِّثـه
أمـولاي شـهـرًا جـامـع الشـام أزمـعـا ... على موتـه من فكرة العبـد محـدثـه
وقـد بـنـيـت حـمـامـهـا فـي أضـالـعـي ... وعـزم أنـاسٍ أن تـكـون مـثـلَّـثـه

[224] وقال:

أشـرق الشـام فـمـا أيـ ... ـمـن يـا طـالـع نـهـجـك
ثـمَّ لـمَّـا فـاح مسـ ... ـكًـا قـيـل مـن جـا قـلـتُ مـنـجـك
كـم هـلالٍ كـاد يـا قـا ... دم أن يـحسـد سـرجـك
وابـنـه الـكـاتـب قـد و ... دّ إذا يـكـتـب درجـك
واسـتـرق الـجـودُ أحـرا ... رًا أتـوك الـكـل تـنـجـك
صـيـدك الأجـر ودار الـ ... ـعـدل لا تـبـرح مـرجـك
حـجّ فـي هـذي الـرعـايـا ... قـبـل الـرحـمـن حـجـك

([1]) التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 306/3 البيت1: "بالعاشقين"، البيت2: "ورثته"

[225] وقال علائية:

أســـرت في الحـب يـا نيجو فمن ينجي ... يـا طفلـة الترك من هجرانـك الكرجي
هـل ثمـةٌ منـك مثـل الراح عنـد فمي ... وعـنـد عـاذلـي الـغـيـرانِ كـالـبـنـج
كـالشـــهـد لـفـظ عـلاء الـديـن نـرقـبـه ... والســمّ عنـد عـداة الـدين نســترجي
أهـلًا بـمـقـدم مـن ودّ الـهـلال بـأن ... يمســي لمركوبـه المســعود كـالســرج
مـلـك الـكـتـابـة أي الأرض واصـــلـهـا ... مســعاه كان ســعيد الوصـــل والدَّرج
إن بـتّ فـي مـرج ذكـراه فـإنـي مـن ... هـمِّ الـتـبـاعـد فـي هـزج وفـي مـرج
قـد فقعـت بـالتنـائي مـهجـة نســبـت ... في الخـاص قدمًا وقد عـادت من الجرج

[226] وقال يستهدي فحمًا:

مـولاي مـولاي نـجـم الـديـن دعـوة مـن ... في قصـــد جودك لا يحتـاج للحجج
ومـن إذا أبصـــرت عـيـنـاه عـبـدكـم ... في البـاب أبصـــر مـا يرجوه من فرج
هـذا رجـا الـدجن كم أرســى وكم لـك من ... عقـد من المنّ عنـدي واضـــح النهج
درّ الـمـقـال وتـبـر الـجـود تـبـعـثـه ... فـابعـث لكـانوننـا شـيئـا من الســبج

[227] وقال في الثلاثيات:

يـا قـادمًـا بـالـيـمـن لـلـمـهـتـاج فـي ... أحـوالـه والـمـنّ لـلـمـحـتـاج
قســمًـا بســؤددك الـجـلـيّ فـإنـه ... مـنـهـاجُ فضـــلٍ مـا لـه مـن هـاج
مـا تـرفـع الأيَّـام رأس ريـاســةٍ ... إلا إذا وســمـت بـهـذا الـتـاج

[228] وقال وقد ذكر ابن دقيق العيد وابن بنت الأعزّ وتقي الدين السبكي:

حـلـلـت بـمصـــر عـن الـحـاكـمـيـن ... كـأنَّـا ذوي نســب مـبـهـج
إمـام الـتـقـى دم لـنـا مـرتـجًـى ... ومـا بـاب فضـــلـك بـالـمـرتـج
فـلـيـس الـدَّقـيـق كـمـثـل الـجـلـيـل ... ولـيـس الـعـلـلـي كـالـخـزرجـي

[229] وقال في شويعر:

وافـــى إلـــيَّ بـــمـــدحـــةٍ قـــد أخـــبـــرت ... عـن كُـلِّ بـيـتٍ جـيِّـدٍ مـن أيـن جـا
فســـكـتُّ عـنـه فـجـاءنـي بـهـجـائـه ... لأجـيـبـه هـيـهـات أخـلـفـه الـدُّجـى
مـن كـان فـي حـال الـمـدائـح ســـاقـطًـا ... عنـدي فكيف يكون في حـال الهجـا

[230] وقال في المثاني:

أشـــكو الســـقـا وتشـــكو مثلـه امرأتي ... فنـحـن فـي الـفرش والأعضـــاء نرتـجُّ
نـفســـان والـعـظـم فـي نـطـعٍ يـجـمـعـنـا ... كـأنَّـمـا نـحن في التَّمثيـل شـطرنج

[231] وقال في اقعة وقعت له بغزَّة:

إلـهـي ســـلـمـت مـن الضَّـــرب فـي ... بـلادٍ لـعـيشـــي فـيـهـا حـرج
وأرجـــو الـــخـــلاص فـــقـــرِّب بـــه ... لـبـاب الســـلامـة بـاب الـفـرج

[232] ومن مقطعاته قوله:

عـذولـي مـنـك فـي أمـر مـريـج ... وســـمـعـي مـنـك فـي ذكـر أريـج
بـذكـرك طـاب مـنـطـقـه وأغـرت ... مـلامـتـه هـوى قـلـبـي الـلـجـوج
كـمـا أغـرى الـمـلامُ نـوالَ كـفِّـي ... ولـي الـديـن ذي الـمـدح الـبـهـيـج
كـريـم لـو تـفـاخـره كـرام ... مضـــوا يعـدُّوا بغيظٍ في ضـــجيج
لـو أن ابـن الـفـرات الـنـيـل داجـى ... تـفـرجـنـا عـلـى ذاك الـخـلـيـج
مـلـيـجـيٌّ لـه فـي الـجـود بـاب ... يـكـاد زحـامـه يـنـهـى ولـوجـي
بـدا جـودًا فـإن أحـجـب لـعـذر ... أتـيـت بـطـوخ فـيـه عـلـى مـلـيـج

[233] وقال:

يـا واعـظ الشـام والـثـنـاء لـه ... فـي سـائـر الأرض سـائـر الأرج
مـن يـر كـرسـيـك السـنـي فـقـد ... رأى ابـن جـوزيـهـا عـلـى درج
يـا نـور أفـكـارنـا وأعـيـنـنـا ... أغـنـيـت أوقـاتـنـا عـن السـرج
فـرَّجـت بـالـوعـظ عـن خـواطـرنـا ... فـنـحـن نـفـديـك يـا أبـا الـفـرج

[234] وقال:

أخـبـرت قـلـبـي الـذي صـيـرتـه وطـنًـا ... أيـام لـم تـكُ ذا زيـغٍ ولا عـوج
فـكـدت بـالـرغـم أخـلـي مـنـك جـانـبـه ... خوفًـا عليـك من المسـتوطن الحرج

[235] وقال:

جـاء الـطـواشـيّ بـهـا نصـفـيـة ... كـأنَّـهـا الصـبـح إذا تـبـلَّـجـا
مسـتـورة بـذيـلـه فـحـبَّـذا ... طـرَّةُ صـبـحٍ تـحـت أذيـال الـدُّجـى

[236] وقال:

بـنـفـسـج الـخـدِّ داع ... مشـيـب خـدِّ الـمـثـلـج
عـنـدي هـوى مـعـرض لا ... يـرضـى بشـم الـبـنـفـسـج

[237] وقال:

خـلـعـة قـاضـي الـقضـاة لا بـرحـت ... بـك الـتـهـانـي أوفـى رجـا الـرَّاجـي
لـلـحـكـم كـالـمـلـك أنـت صـالـحـة ... يـا خـلـعـةَ الـطـيـلسـان والـتـاج

[238] وقال:

الحمد لله كم عطاء له ... في كُلِّ قصدٍ وكلِّ منهاج
ملك العلا والعلوم جدَّده ... وخلعة الطَّليسان والتّاج

[239] وقال[1]:

عجبت لأنكاد الزَّمان وإن طمت ... ولا عجبٌ في فكرة تتولج
أجاورُ مَنْ أهوى ولا وَصْلَ بيننَا ... كأنِّي ومن أهواهُ ثَغْرٌ مُفَلَّجُ

[240] وقال:

أفدي الذي جبينه في شعره ... طرَّةُ صبحٍ تحت أذيال الدُّجى
ما لي به مع قرب داري ملتقًى ... فهل رأيث ثغره المفلَّجا

[241] وقال:

كلفت بشائب لا عذل يثنني ... جماحي في هواه ولا لجاجي
أقبلُ من عذاري وجنيته ... سياج الورد أوورد السياج

[242] وقال:

وأهيف القدِّ فتَّان العيون قضى ... على الجوانح واستولى على المهج
لثغره ولخدَّيه وطرَّته ... شبهٌ من الدُّرِّ والياقوت والسَّبج

[243] وقال:

يا لائمي في رشيق القدِّ معتدل ... أقصر فإنَّ غرامي غيرُ ذي عوج
أشكو الشَّدائد من وجدٍ أكابده ... ولست أيأسُ في شكواي من فرج

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 323 وأورد البيت الثاني.

[244] وقال في الناصر:

عجبتُ من طرفي وخدّ المليح ... كلاهما هذا بهذا جريح
هذا دم الراح به واقفٌ ... وذا دمُ الأدمع فيه يسيح
تغزّلي المنظومُ فيه وفي ... سلطاننا الناصر نظم المديح
في دعة الله وفي حفظه ... مسراك والعود بعزمٍ نجيح
يا موعدًا منه بقرب اللقا ... قابلتنا اليوم بصبحٍ صبيح
لو جاز أن تسلك أجفاننا ... إذا فرشنا كلّ جفن قريح
لكنها بالبعد معتلّة ... وأنت لا تسلك غير الصَّحيح

[245] وقال وقد رأى تضمينه للملحة في جزء من الصحاح:

يا إمامًا في مدح علياه صدقٌ ... قد محا كذب غير مدحك ماح
إنَّ أرجوزتي بدار حديث ال ... شام تملي عوالي الأمداحِ
وكتاب الصحاح أوتي فما ينـ ... ـفك يروي عنكم كتاب الصحاح
لم يضع غير نشرها إنما غا ... بت وعادت للباب ذا مفتاح
كلما أذبل الزمان ننا ... تي جاءني منكمُ بسحبٍ سحاح

[246] وقال يهني صلاح الدين بعقد نكاح:

بأيمن طالعٍ عقدٌ سنيّ ... جليّ اليمنِ متصل النجاح
ظفرت على قران السعد فيه ... بشمس الحسن في شمس السماح
فنعم الأهل قد أضحت وماذا ... يقولُ المدحُ في أهل الصَّلاحِ

[247] وقال وقد خلا بعض أصحابه بمليح:

أحاشيك يا نجلَ الوزارة من أذًى ... تمكَّن من أسرارنا والجوانح
دفنت النوى والتمر فيمن تحبه ... ودفن الهوى يا ميّ إحدى الفضائح

[248] وقال يتقاضى من شريف مفتاح بيت:

يـا سـيـدى وابن سـاداتي الـذي على ... أبوابهم صـحَّ عنـدي بـاب أفراحي
قـد كنـت في البـاب مع يـاقوت متحـدًا ... فـعـوِّضـوا عـبـدَ أبـواب بـمـفـتـاح

[249] وقال وقد سأل من تاج الدين السبكي منزلًا فقال له اسكن:

طلبـت سـكنى مكـانٍ أو كراه عسـى ... يسـكّن الحـالُ قلبًـا ظـلَّ مجتـاحـا
فـقـال اسـكـنْ إمـامٌ قـد درى طـلـبـي ... وكيف يسـكن من لم يلق مفتـاحـا

[250] وقال في الجامع الأموي بدمشق:

أرى الـحسـن مـجـمـوعًـا بـجـامـع جلَّق ... وفي صـدره معنى الملاحـة مشـروح
فـإن يـتـغـالـى فـي الـجـوامـع مـعشـرٌ ... فـقـل لـهـم بـاب الـزِّيـادة مـفـتـوح

[251] وقال وقد أثنى رئيس على شعر صالح الحمصي:

بصـالحِ حمصٍ نسـتعين على الثنـا ... لـديـك ونـرجـوه لـنـظـم الـمـدائـح
ووالله مـا نـوفـي أيـاديـك حـقَّـهـا ... إذا نـحـن أثـنـيـنـا عـلـيـك بصـالـح

[252] وقال بعد خادم اسمه منجح:

مضـى منجح ثم اقتضـى الحـال بعـده ... سـواه قريـب المثـل للقصـد ينتحي
لـه عـاذرٌ مـن نـفسـه بـاجـتـهـاده ... ومبـلـغ نـفسٍ عـذرهـا مـثـل مـنـجـح

[253] ومن مقطعاته قوله[1]:

سـقـيًـا لأيَّـامـي الـتـي سَـلَـفَـتْ ... مـا بـيـن ذاكَ الـنَّـعـيـم والـمـرَحِ
لا يُـنْـزِلُ الـدَّهْـرُ عَـنْ يَـدِي قَـدمًـا ... كـأنَّـنـي صـورةٌ عـلـى قَـدَحِ

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 280. البيت2: "قدحًا".

[254] وقال:

وراهبةٍ طرقناها بليل ودونَ مزارها أرجٌ يفوحُ
فهبت في الظلام إلى المدام كأن شعاعها قبسٌ يلوحُ
وحيَّتنا بعافيةٍ شمول كما يترقرق الدَّمع السَّفوحُ
كأنَّا قد سلبنا الديك عينًا فقام من الكرى فزعًا يصيحُ

[255] وقال:

وظيفتي المدحُ الذي أنا ناظم عليك وحسبي في الأنام به مدحا
إذا عدَّلت أقلامُ خطي لضبطه ملأت قلوب الحاسدين بها جرحا
ألا فابقَ طول الدَّهر للملك حافظًا إذا حملت يدَّاك من قلمٍ رمحا

[256] وقال:

شغل القرائح بالدعاء صالح إشغال وقتك عن قريض المادح
شغلًا وتدبيرًا بمملكة رأت منك الجميلَ فأعرضت عن طامح
لا طعن في قلم شرعت بدولةٍ إن كان يطعن في السماك الرَّامح
يا صاحب الدعوات والبركات آي مدائح تولي وأي قرائح
يا مؤثرًا كتم الهبات وكتمها كالمسك لا يزدادُ غير نوافح
اللهُ يعلمُ ما تكنُّ من الدعا والحمد عجز أو مخافة كاشح
أقسمت يا موسى الزمان لقد وفا بالصدق من أثنى عليك بصالح

[257] وقال:

كن كيف شئت بلا براح أنت المنى والاقتراح
أنت الذي لا بأس في تلفي عليك ولا جناح
لك وجنةٌ خسرانُ قلـ ـبي في محبتها رباح
من صدَّ عن نيرانها فأنا ابن قيسٍ لا براح

[258] وقال:

سـرت لـك آمـالي وإن عـاقني الضَّـنى ... علـى ثقـة أن يسـتنير نجـاحهـا
ألـم تـر أنـي مـن قـديـمٍ ووالـدي ... وجـدّي أنـاس فـي ربـاكـم ربـاحـهـا
فـإن أجـدبـت كـفـي فـأنـت غـيـاثـهـا ... وإن فسـدت حـالي فـأنـت صـلاحها

[259] وقال:

أتـرضـى يـا وزيـر الشـام أنـي ... بـدهـرك أشـتـكـي حـالا قـبـيحـه
وأنَّ الـنـاس تـذبـح فـي الضـحـايـا ... ومـا لـي غـيـر أجـفـان ذبـيـحـه
ويـمضـي الـعـيـد فـي أكـل ومشـروب ... ومـا لـي فـي الشـريحـة منـه ريحـه

[260] وقال:

حـيـى الـحـيـا قـبـرًا بـررت نـزيـلـه ... بـمـنـائـحٍ مـبـرورة ومـنـاح
وعـزّا كـبـت بـه الـعـدا لـمـا رأوا ... مـن رفـع مـنـزلـة وفـيـض سـمـاح
مـن كـان يـكـبـت بـالـعـزاء عـداتـه ... والـحـاسـديـن فـكـيـف بـالأفـراح

[261] وقال:

لـعـمـري لـقـد حـفـت بـأمـن وصـحـة ... لـيـالـي وصـالٍ لـلـهـنـاء مـبـيـح
أحـاشـيـك عن تعريض سـقم وأرتجي ... عـوائـد عـيـش لـلـهـنـاء مـنـيـح
فـلا سـقـمٌ إلا بـجـفـن مـلـيـحـة ... ولا عـارض إلا بـخـدّ مـلـيـح

[262] وقال:

يـا سـيـد الـعـلـمـاء راق شـعـاره ... وكـلامـه كـأبـيـه لـمـا يـمـدح
مـا أحسـن الـعـذبـات لائـقـة بـكـم ... أمـا شـعـارًا أو لسـانًـا يـفـتـح

[263] وقال:

يا من غدت ألفاظه حلوة ... قد أبدعت معنى وإيضاحا
تفتح آمالي فأحسن بها ... سكرةً تصحب مفتاحا

[264] وقال:

لحا الله ألافًا بما يصنعونه ... من الماء صرفًا فعل من لا يناصح
أغني له والمال ضاع بشربه ... أمـاويَّ إن المال غادٍ ورائح

[265] وقال:

أستودع الله أحبابي الذين نأوا ... وخلفوني في نيران تبريح
أستنشق الريح من تلقاء أرضهم ... لقد قنعت من الأحباب بالريح

[266] وقال:

عشت للآداب تحمي سرحها ... ببيانٍ خطّ أو خطو فسيح
ليت شعري أنت يا باعثها ... بعدما ماتت خليل أو مسيح

[267] وقال:

قلت إذ حدَّثني الفتـ ... ـح ووفاني بمنح
كيف أثمار حديثي ... قال فضي وفتحي

[268] وقال:

أقاضي قضاة الدين فضلك مسفرٌ ... وشانيك مكبوتٌ وراجيك فارح
وقد طاب ديوان المصالح نفحةً ... فضاعت وما ضاعت عليه المصالح

[269] وقال:

بشـــرنـــا الـفـتـح بـعـادانـنـا ... لـديـك وهـي الـمـنّ والـمـنـح
فـقـلـت تـبـت يـد خـذلانـنـا ... وجـاء نصـــر الله والـفـتـح

[270] وقال:

دعـوتـك يـا مـولاي لـلـحـال عـالـمًـا ... بـأنَّـك مـاحي عسـرة الحـال بـالمنح
إذا أغـلـقـت أبـواب رزقـي عشـيـرةٌ ... فـأنـت أبـو تسـهيلـهـا وأبـو الفتح

[271] وقال:

بـأبـي نـائـمٌ عـلـى الـطـرق راحـت ... فـي هـواه ولـيـس يـعـلـم روحـي
فـاتـح فـي الـكـرى فـمًـا سـكَّـريًّـا ... يـا لـه مـن مسـكَّـر مـفـتـوح

[272] وقال:

ضـيـعـتـكـم قـد أشـبـهـت لـيـلـتـي ... مـخـوفـة مسـودَّة كـالـحـه
كـلاهـمـا فـي وصـفـه واحـدٌ ... مـا أشـبـه الـلـيـلـة بـالـبـارحـه

[273] وقال:

نسـيـت ولسـتُ أنسـى حسـن بكر ... وحسـن عشـيـة معهـا وصـبحـه
ضـمـمـتُ الـخصـر ثـم نـحـوت أمـرًا ... فـيـا لـك ضـمـة كـانـت وفـتـحـه

[274] وقال:

لـيـت شـعـري كـم ذا يـكـابـد حـالـي ... فـي حـمـى الشـام ذلَّـةً وإجـاحـه
لـيـتـنـي رحـت فـي الـمـنـيـة عـنـه ... إنَّ فـي قـول راح لـلـمـرء راحـه

[275] وقال:

ملك الزمان وجيشه في أحمرٍ ... يبدو وللإسلام نصرٌ واضح
فكأنَّ بحرًا قد جرى بدم العدا ... والقوم فيه والجياد سوابح

[276] وقال:

صبرًا وإن جلَّ الأسى وانتضى ... لكل قلب حدّه الجارح
كلٌّ إلى هذا الثرى صائرٌ ... لا صالحٌ يبقى ولا طالح

[277] وقال:

ما لي نديمٌ سوى ورقاء ساجعة ... من بعد مغتبقي فيكم ومصطبحي
إذا أدار ادكار الوصل لي قدحًا ... من أحمر الدمع غناني على قدحي

[278] وقال:

وحديقة وصالت خلوتها ... ما بين مغتبق ومصطبح
فإذا أخذت بظلها قدحًا ... غنت حمائمها على قدحي

[279] وقال:

بشرني الدهر بقصدٍ به ... بدا على أصحابي النجح
وقال إن تستفتحوا في رجا ... خير فقد جاءكم الفتح

[280] وقال:

قم هاتها في الليل راحًا كما ... توقدت شعلةُ مصباح
ودافع الهمّ فإنّي امرؤ ... أدفع صدرَ الهمّ بالرَّاح

[281] وقال:

مولاي قاضي القضاة ما فعلت ... عوارفٌ منك كنت أمتاح
أغلق بابي في وجه مطلبي ... وصدَّ مع من يصدّ مفتاح

[282] وقال:

يا صاحبًا لي بل يا سيدا يده ... يد الخلائف في بري وإصلاحي
إن كان جاهك مهديّ المصير إلى ... قصدي فإنَّ ندى كفيك إصلاحي

[283] وقال:

لمولودكم يا آل يحيى مزية ... من الفضل لا تخفى على كُلِّ لامح
إذا ما شرعتم في علاه عقيقة ... شرعنا له في درَّةٍ من مدائح

[284] وقال:

ترك الأسى إنسانُ عيني بعدكم ... أبدًا يغادي لوعةً ويراوح
تعبان ذا سهرٍ وسحّ مدامعٍ ... يا أيها الإنسان إنك كادح

[285] وقال:

أقول لمعشرٍ جلدوا ولاطوا ... وباتوا عاكفين على الملاح
لأنتم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

[286] وقال وقد أهدي ببطيخ أخضر:

شكرًا لها نعمى يدٍ من سيِّدٍ ... أغنى عن التطفيل والتشريخ
ولقد وثقت بجوده متبصرًا ... من قبل شمّ روائح البطيخ

[287] وقال:

أخطُّ سؤالي بالرقاع ولا أرى ... جفاءك يا هذا بوصلك ينسخ
ويذبح جفني بالدموع وما له ... سوى الشهر بعد الشهر في البعد يسلخ
ترى هل لعامي من جبينك غرة ... بها لا بدمعي المستهلّ يؤرَّخ
لئن أشبهت منك الغصون معاطفًا ... لقد أصبحت أيضًا تتيه وتشمخ

[288] وقال:

أفدي جمالًا مذ عرفت جميله ... ما احتجتُ للتطفيل والتشريخ
قال الرَّجا إن كنت عن إحسانه ... أعمى فشمَّ روائح البطيخ

[289] وقال:

طمعت بالعدل والإحسان منك معًا ... فكنت عندي بالإحسان غير سخي
وقلت يكفي فقام العدلُ ينشدني ... حاشاه يفرقُ ما بيني وبين أخي

[290] وقال:

سألته عن قومه فانثنى ... يعجب من إفراط دمعي السَّخيّ
وأبصر المسك وبدرَ الدُّجى ... فقال ذا خالي وهذا أخي

[291] وقال:

ما زلتُ أقلعُ شيبةً نسخت بها ... سوداءُ عقد شبابها مفسوخ
حتى غدت صفحات وجهي آيةً ... لا ناسخ فيها ولا منسوخ

[292] وقال:

مولاي محيي الدين دعوة مسمع ... نعمى يديك وللجواب مصيخ
أصبحت من هجرانكم وبلادتي ... أعمى يشمُّ روائح البطيخ

[293] وقال في السبعة السيارة في علاء الدين بن فضل الله والواقعة تعرف منها:

حيت سفرتي من نداك المديد ... وخيل البريد مني المستزيد
فيا لك خانية بابها ... إلى الشام يفضي لباب البريد
يقول بنيّ إذا ما منحت ... أسيدنا دمُ لهذي البعيد
بوالدنا غيبة يا له ... حبيبًا لهم غائبًا عن وليد
ويشتاق أبناؤه والبنات ... وصاحبة البيت بيت القصيد
نأى بيتها ونأى ذهنه ... كما قد نأى عن بيته النشيد
فغث وأغث مغرمًا وابقَ ذا ... نوالٍ بسيطٍ وفضل مديد

[294] وقال يتقاضى كنافة من القاضي نور الدين بن حجر:

تركت التغزل من أول ... وصيرته بعد مدح مرادي
وقالت لي العين ذاك الطعام ... ما كان أبهجه في سوادي
أيا من أياديه مشهورةٌ ... لدى كل وادٍ وفي كلِّ ناد
وما سرق القول فيه الثنا ... فحاشاه من قطع تلك الأيادي
أذكّر مولاي ما قلت في ... مقاطيع شعرٍ تجوب البوادي
عهدت فؤادي ملآن من ... شجونٍ لا موضعٌ لازدياد
إلى أن تعشقت حلو الكنافا ... ت للحلو زاوية في فؤادي

[295] وقال تاجية:

خير عيدٍ بكلِّ خيرٍ يعود ... لك يا من لقاه للعيد عيد
قم لنحرِ العدا ونحر العطايا ... وابق تسعى إلى حماك الوفود

وعدى الفضل ناقصون ولكن نحرهم جائز الضحايا مفيد
يا إمامًا له علومٌ وجذوى كاملٌ بجرها سريعٌ مديد
وجوادًا لا عيب فيه سوى نعـ ـمى تعيد الأحرار وهي عبيد
لا عدمنا أطواق نعماك فيها كلّ وقت بمدحك التغريد
كلنا في محبَّة ابن عليّ يتوالى والجود منه يزيد

[296] وقال بهائية سبكية:

جميعنا في عشقك البادي سواءً العاكف والبادي
يا قمرًا قد سام عشاقه خسفًا بهجرانٍ وإبعاد
أضلَّنا الحبُّ ولكن لنا نعم الإمام الراشد الهادي
بهاء دين الله نجل الأُلى سموا بأنصارٍ وأنجاد
ذو العلم ألقوه إلى نجلهم لا نجل صبَّاغٍ وحدَّاد
في الدين والدنيا لنا برّه من قبل إنشاء وإنشاد
أنجدنا جودًا فأمداحنا ما بين إتهامٍ وإنجادِ

[297] وقال جوابًا عن لغز وهي تاجيَّة:

دانت لك الدنيا وملت لأرغد دارين في يوم تزفّ وفي غد
يا تاج دين الله والدنيا الذي لاقت مكانته بفرق الفرقد
لله ما لغزٌ به غزلية سجدت لها الدَّالات نوع تعبّد
شهد اللسان بها لفاتحةٍ فمًا عذبًا إذا ما ذقته قلت ازدد
من كل قافية تقوم لكل ذي ديوانِ نظمٍ قبلنا بمجلد
هل دافع همي فأنشد بحرها يا نيل مصر قد أتيت بمفرد
هل غير قولي قائمٌ بصفات ما قد قلت يا ابن عليّ لا ومحمد

[298] وقال خالدية:

تنهدت لما أذكرتني النواهدُ ... زمان الصبا والعيش ريان مائد
وغيداء أما عيبها فهو ردفها ... ثقيلٌ وأما ثغرها فهو بارد
بأغزال شعري في بديع صفاتها ... ومدح رئيس الشام تسري القصائد
رئيسٌ وفي حقّ المعالي فحبذا ... مهيبٌ وهوبٌ شاملُ الجود زاهد
له قلمٌ في صدر محراب درجه ... لباريه في كلّ المقاصد ماجد
كريم الورى يا بن الكرام إذا انتمى ... لهينك عيدٌ للسعود معاود
كذا ألف عيدٍ شرف اسمك زينه ... وهنئت الدنيا بأنك خالد

[299] وقال رثاء:

قف بالحمى بعد البدور وناد ... أرأيت كيف خبا ضياء النادي
ومحامل ظعنت بمهجة ناحل ... أرأيت من حملوا على الأعواد
لو رمت أن أفدي الحبيب بمهجتي ... وهو الأصحُّ وفاد كنت الفادي
هيهات يعدل ما ضيا ما قرَّ لي ... طرف وجنة مهجتي بسواد
أما سواد الليل فهو كما ترى ... طرف المنام على الدوام سهادي
بكرت على مثواك أدمع نائح ... كالنيل ذات وفا وذات منادي
سخنت كحمام عليك مدامعي ... لما رزئت بكوكبٍ وقَّادِ

[300] وقال جلاليَّة:

حاشاك يا عارض المكارم من ... عارض بأس بضني وتنكيد
قم للعلا والعلوم مشتملًا ... ثياب سراء ذات تجديد
يعتلُّ عنك النسيم سائره ... وتحمل السقم أعين الغيد
أنت الذي خبره ومنظره ... آذن أمداحنا بتسديد
سرت لمغناك من مآربنا ... نجائبٌ فاستوت على الجودي

[301] وقال يرثي:

ألا في سبيل الله فرع كتابةٍ ... ثنته المنايا وهو ريان مائد
وكوكب فضل قدره قد سما به ... إلى أن بكى حزنًا عليه عطارد
ودينار وجهٍ غاله صرف دهره ... سريعًا كأنَّ الصرف للباس ناقد
وعيشك يا يحيى لو انك تفتدي ... لهنئت الدُّنيا بأنَّك خالدُ

[302] وقال في والي البقاع مضمنًا:

رحلت إليك ركائبٌ ومدائحٌ ... فإليك يقصد راغبٌ ويقصّد
سعدت بك الأرض التي وليتها ... من بعد ما أمست بغيرك تكمد
وإذا نظرت إلى البقاع وجدتها ... تشقى كما تشقى الرِّجال وتسعد

[303] وقال وقد أهدي إليه مشمش:

ألا لله ما أزكى فعالًا ... وأقوالًا وما اجدى وأندى
رقيت إلى النجوم فجئت منها ... بأحسن صورةٍ تهدي وتهدى
ولما أن بعثت بها نثارًا ... نظمنا من حلاها الملاح عقدا

[304] وقال ملغزًا:

يا سيدي قل لي ما طائفة ... يثني عليها غائبٌ وشاهد
لله ما أيمنها في غربة ... ترجى وما أبركها يا قاصد
تنوَّع القول فقيل أربعٌ ... حروفها وقيل حرفٌ واحد

[305] وقال ملغزًا أيضًا في شطرنج:

وما صامتٌ يمضي ويرجع حائرًا ... ويقضي على أوصاله الوصل والصدُّ
كأنَّ الأسى آلى عليه ألية ... فما فيه إلا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمسٌ على أنَّ شطره ... ثلاثة أخماسِ الحروف التي تبدو

[306] وقال وقد عتب عليه القاضي بدر الدين لأمر:

أهَّلتني للعتب حتى لقد ... لذّ لسمعي وهو صعبٌ شديد
ورحت لو زادت دموعي عسى ... عتابك الحلو لسمعي يزيد
هذا ولو قطعتني لذَّ لي ... وسرَّني أن ببدرٍ شهيد

[307] وكتب لشمس الدين بن أبي جعفر رحمه الله تعالى:

أمولاي شمس الدين دمت مهنئًا ... ودمت كريمًا شاهدَ الذكر سائدا
نرى الفضل يفنى عن أناسٍ وإنَّما ... لك الفضل يحيى يا ابن جعفر خالدا

[308] وقال في النشو:

شكرًا لمولانا الذي قال في ... ثنائه الواصف قولًا سديد
أقسم أنَّ الوقت وقتٌ صفا ... وأنّ هذا النشو نشوٌ سعيد

[309] وقال يهنِّئ بالعشر بعد تعزية بميت:

أتيتك يا أزكى البرية جامعًا ... لأمرين في يوم من الدهر وافد
هنًى وعزًا لا عتب فيه لأنني ... أهني بعشرٍ إذ أعزِّي بواحد

[310] وقال في أعمى:

أفديه أعمًى مغمدًا لحظه ... ليرتعي في خده الوردي
تمكنت عيناي من وجهه ... فقلت هذي جنة الخلد

[311] وقال في زيادة النيل[1]:

وافت أصابع نيلنا وطمت فاكمدت الأعادي
وأتت بكل جميلة ما ذي أصابعُ ذي أياد

[312] وقال وقد ضعف فلم يعده أحد:

قل للكرام الكاتبين في الورى ما لي أجرّب عهدكم وأعود
مالي مرضت فلم يعدني عائدٌ منكم ويمرض كلبكم فأعود

[313] وقال في سليمان:

عذلوني في هو أغيد قد زاد أشجاني وفي تركي لغاده
ثم قالوا عن سليمى لا تحل قلت محبوبي سليمى وزياده

[314] وقال يرثي جاريته وقد ماتت بمرض السل:

سقى الله جسمًا منك أودى به الضنى فأودى بعينيَّ البكى والتسهد
وقد كان مسلولًا يهيّج حسرتي فكيف به تحت الثرى وهو مغمد

[315] وقال وقد أهدى إليه بعض أصحابه ديوكًا:

وصلتنا ديوك برك تزهو بوجوهٍ جميلة مستجاده
كلُّ عرفٍ يروق حسنًا وإني أرتجي أن تكون عرفًا وعاده

[316] وقال وكان تأخر مرتبه في بيروت لغيبته في السيد:

أهلا بأوفى الورى وأقوى أياديًا في الندى وأندى
نحبُّ بيروتَ إذ نراه وإن يغب لا نحبّ صيدا

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 306/3 البيت2: "زادت"

[317] وقال فيما ينقش على دواه:

نعم الدواة حكت بيض الظبا فلها ... بين الممالك تمهيدٌ وتشييدُ
كأنَّ أقلامها منها منضلةٌ ... فلم يفتها إلى الأغراض تسديد

[318] وقال وقد أهدي حزامًا:

بلد بعد الذكاء ذهني ... تشتت الرِّزق في البلاد
فغير مستنكرٍ حمارٌ ... أهدى حزامًا إلى جوادِ

[319] وقال في رثاء أوحد الدين:

برغم العدا إنا فقدناك أوحدًا ... إذا اجتمعت أرباب فضلٍ وسؤدد
دعتك المنايا فاقتفيت سبيلها ... وتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد

[320] وقال وقد وعُدِدَ بإرسال راتبه مع وفود العرب:

تركتني بالوعود أسعى ... وما على حالني سعاده
وكلّ قود سألت منه ... يقول لي رح بلا قياده

[321] وقال يعزّي بحمار:

مضيت وقد كانت لمن أنت عنده ... مصائدُ نرجو نفعها ونطارد
فأصبح يبكي والمجرّ الذي خلا ... ومثلك من تبكي عليه المقاود

[322] وقال فيما ينقش على دواة:

معنى الفضائل والندى والبأس لي ... والسيف مشتهرٌ بمعنًى واحد
بالنفس أضرب في نضار ذائبٍ ... والسيف يضرب في حديد بارد

[323] وقال وكتب بها على ديوان ابن سناء الملك:

أرى الشعراء مضوا سوقة ... ولابن سنا الملك ملكٌ عتيد
وقد طوبقوا باسمه في القريض ... فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيد

[324] وقال:

روت عيني التسهد عن قتاده ... ومن لوني وسقمي عن جراده
ومن عذل العذول عن انتقاص ... ولكن من هواكم في زياده
حماه لحيكم وثنا ابن يحيى ... كلا السندين يروى عن حماده
بليغ مع وزارته وقاض ... بأعناق الأنام له شهاده
حمى العليا بفضل فاضليّ ... زكا وذكا وأوغل في السياده
يسابق كل يوم قاصديه ... بعادي خيره والخير عاده
دعونا بره شامًا ومصرا ... فواصل في الإفاءة والإفاده

[325] وقال:

أعد لنا السمر الأشهى نجدده ... دار النحاس ونادي الشط والنادي
ترى سفائنه كالعيس سائرة ... والضب والنون والملاح والحادي
وروضة العيش في العلياء آنفة ... ما واصلت بين إتهام وإنجاد
ثلاثة تعطف الدنيا عليّ بها ... أوطان أنسي وأحبابي وأعيادي
ليهنك العيد يا عيدا ويا سندا ... للعالمين رووا في الحمد إسنادي
مفطرًا فم وفد أو كبود عدى ... يا بعد ما بين أفواه وأكبادِ
نعم بدا فضل مولانا وعارضه ... جهد الثناء وكان الفضل للبادي

[326] وقال:

كـذ أبـدًا بسـعـدٍ كـل عـيـد ... بسـعـد جـديـد وجـد سـعـيـد
لـك الله مـن وافـر بـحـره ... بـفضـل بسـيـط وظـل مـديـد
وخـيـر عـمـادٍ أعـادت أعـلاه ... وأعـلـت قـواعـد بـيـت مشـيـد
لـو أن بـيـوت الـعـلا نـظـمـت ... لأصـبـح بيتك بيت القصـيـد
يـقـول الـثـنـا فـيـه إمـا سـجـعـت ... فـإنـك طـوقـت بـالـجـود جـيـدي
فـيـا لـك مـن عـيـد نـحـر هـنـاه ... يـقـول لأبـيـات مـدح أعـيـدي
تـنـظـم فـيـه عـقـود الـثـنـاء ... وفـي الـبـحـر يحسـن نظم العقود

[327] وقال:

رُبَّ عـيـش واصـلـتـنـا فـيـه غـيـد ... أنـا عـبـدٌ عـربـي فـيـهـا سـعـيـد
تـعـمـر الأبـيـات حسـنًـا إذ بـه ... وثنـا الممـدوح قـد شـيـد القصـيـد
يـا أمـيـنًـا بـالـتـقـى مـعـتضـدًا ... فـهـو مـهـديّ وهـادٍ ورشـيـد
هـكـذا كـلّ الـلـيـالـي مـوسـمٌ ... فـي حـمـاك الـرَّحـب والأيـام عـيـد
مـن نـداك الـجـم والـعـلـم مـعـا ... لـك بـحـران بسـيـط ومـديـد
ولـقـد أشـكـو لـبـعـض الـنـاس فـي ... ليلـة النصـف كمـا يشـكو الوحيـد
قـاسـمـونـي خـطّـيـتـهـا عـنـتًـا ... فـيـهـم الـحـلـوى وفـي قـلـبـي الـوقـود

[328] وقال:

جـرى دمـعـي إلـى ولـدي وأهـلـي ... فـقـالـت مصـرُ نـيـلـي فـي الـزيـاده
فـكـفَّ دمـوع عـيـنـك عـن بـلادي ... إلا كـن فـتًـى يـمضـي بـلاده
فـقـلـت أريـد تسـفـيـرًا وزادًا ... فـقـالـت لـي بـزائـدهـا وزاده
ألـيـس عـلاء ديـن الله أعـطـى ... فـقـلـت وصـحـبـه يـعـطـي وعـاده
وجـاهًـا فـاتـحًـا بـأبـي مـزيـد ... سـرى ومـجـاورًا بـاب السـعـاده
بـفضـلـك يـا ابـن فضـل الله عـادت ... وعـاد حـديـثـهـا أهـل السـيـاده
روت عـن قـرَّةٍ عـيـنٌ تـراكـم ... وعـيـن الضـد تـروي عـن قـتـاده

[329] وقال:

تـذكـر أهـلـه وبـنـيـه صـبٌّ ... نـوى سـفـرًا ولله الإراده
وصـوَّر فـكـره لـلـبـيـن ركـبًـا ... فـبـادرَ جـفـن عـيـنـيـه الـمـزاده
ومـثـلـي مـن بـكـى لـفـراق بـابٍ ... عـلائـي الـفـعـال الـمـسـتـجـاده
جـواري الأفـق تـخـدم زائـريـه ... بـتـوفـيـقٍ وتـتـبـعـهـم سـعـاده
فـيـا مـن لـم أزل أحـظـى لـديـه ... بـفـضـلٍ جـامـعٍ بـابَ الـزِّيـاده
بـقـيـت مـمـدَّحًـا فـي كُـلِّ نـادٍ ... مـدائـح كـلُّـهـا وسـطـى الـقـلاده
فـمـا ذكـري حـبـيـب لـهـا بـبـاك ... ولا عـبـث الـولـيـد أبـا عـبـاده

[330] وقال:

وزيـر الـمـلـك دمـت لـنـا مـلاذًا ... مـديـد الـظـلِّ مـبسـوط السـعـاده
عـوائـد جـاهـه وعـطـاه تـأتـي ... فـيـا لـك صـبـحـةً تـأتـي وعـاده
ويـا لـك عـادة مـن بـيـت جـود ... ومـنـا فـي مـدائـحـهـم شـهـاده
إذا سـفـرًا قصـدنـا أو مـقـامًـا ... فـإنَّ قـرى الـفـتـى مـنـه وزاده
فـيـا فـخـر الـوزارة يـا خـتـامًـا ... لـهـا يـا ذا الـمـحـاسـن والإفـاده
فـهـذا الـبـيـت جـامـعُ عـيـن بـرٍّ ... وبـاب صـلاتـه بـاب الـزيـاده
بـقـيـت لـعـادة فـي الـجـود مـنـكـم ... ومـنـا فـي مـدائـحـكـم شـهـاده

[331] وقال:

عسـى لـعـلـيـل الـجـسـم طـيـفـك عـائـد ... كـريـم الـلـقـا والـمـكـرمـات عـوائـد
لـقـد حـجَّ فـيَّ الـطـيـف بـالـوصـل مـرة ... فـهـل هو في حجّ الوصـال معـاودُ
ألا إنَّـنـي فـي الـحـبّ يـا ظـبـيـة الـنَّـقـا ... كـمـا في العلا بن القيس إني واحـد
شـريـف مسـمـاه الـمـدَّح واسـمـه ... وشـائـد بيت المدح والمنح سـائـد
تـهـنَّ بـه حـجّ الـقـبـول ودعـوة ... عـلـيـهـا لأنـوار الـقـبـول شـواهـد
تـقـول لـهـاتـيـك الـمـنـاسـك مـرحـبًـا ... بكم يـا بني مخزوم حين تشـاهـد
لـقـد شـرَّفـت نـاسٌ وبـادت وإنـمـا ... لكم شـرفٌ في سـائر الناس خـالـد

[332] وقال:

روحي فداء مهفهف ميَّاد ... حلو قد استعذبت فيه سهادي
قالت محاسنه لكلِّ متيَّم ... للحلو زاوية بكلِّ فؤاد
هنئت بالعيد الرضى يا عيده ... يا واحد العلماء والزُّهَّاد
في ريّ صادٍ بالندى لك فكرة ... وسرى لا فصح ناطق بالضاد
والعبدُ قد وافى الشتاء وجسمه ... قد سابق الإبراق بالإرعاد
إن أخرت بيروت عود جوادها ... فنداك يدعونا لخير جواد

[333] وقال:

بقيت بقا الأيام للفضل خالدًا ... وهنَّ الورى في العلم والجودِ واحدا
ولا عدم الحال الضعيف موافيًا ... لديك بأنواع اللها وعوائدا
ولا زلت بالأقلام والحلم زائدا ... تظلّ بها عن حوزة الدين ذائدا
وحقك لو جاء الغمام بشامةٍ ... يساجل كفيك الندى جاء واردا
ولو أنَّ فيض النيل بارك في العطا ... بمصر لما استحلت له الناس زائدا

[334] وقال:

عاد الرِّكاب لراجيه وقد خطرت ... ذكرى الغمام وذكرى النيل في الجود
فقلت يا نيل حمل غير مطرد ... ويا غمامُ تفضَّل غير مطرود
هذا ابن إسحق تنجينا براحته ... أقلامه الحمر في أحوالنا السود
تفَّاحة العرف نجنيها وتطربنا ... في أثيلاتها بوركت من عود

[335] وقال:

أشكو إلى الله لا إلى أحد ... فما عدا قتل لوعتي أحدا
أغيد لو مزَّق الضنى جسدي ... ما حال بي عن غرامه أبدا
منفرد الحسن لا نظير له ... صيرني في الغرام منفردا
يا ليته بالصدود يوعدني ... لأنَّه لا يفي بما وعدا

[336] وقال:

يا خاتم الوزراء الأكرمين ويا ... أوفى ذوي الفخر في العلياء توكيدا
ويا مؤيّد في القول وفي عمل ... توقيع عبدك يرجو منك تأييدا
عسى تقلده برًّا ومكرمة ... فيغتدي ذلك التوقيع تقليدا

[337] وقال:

هناء بالصيام وما يليه ... من الأعياد في رتب السعاده
تزاوج بين أجر أو ثناء ... بوارد ما تشاء من السياده
وأرجو أن يعاد سقيم حظي ... لدرجي فهو محتاج العياده

[338] وقال:

برغمي بنات الروم حزنًا رقابها ... وحالُ الهوى بالشيب والهمّ فاسد
تبكّي عليهن البطاريق في الدجى ... وهنَّ لدينا ملقيات كواسد
أما والصبا إني أعفّ بفقده ... وإنَّ ضجيع الجود مني لماجد

[339] وقال:

تهنَّ بشهرٍ مضيء الليال ... بلغك اللهُ إسعادها
ترود بمغناك فيه العفاة ... وتلقى الهدى منك أنكادها
فهذي تفطّر أفواهها ... وهذي تفطّر أكبادها

[340] وقال:

سر على اليمن والهنا حيثما سر ... ت ليلقاك فيه وجهٌ سعيد
أنت نعم المأمون للملك تحمي ... سرجه كاتبًا ونعم الرَّشيد
إن يكن بيتك الطويل فخارًا ... إنَّ بيت الثنا عليك مديد

[341] وقال:

إليك أخا العلياء دعوة لائذ ... بمعروفك المعروف قد راح واغتدى
نباتيّ حمد ذا بنينٌ وذا أب ... جميعا يرجّي من أياديك موعدا
فقل في نباتٍ أصله وفروعه ... مواثل ترجو من سحائبك النَّدى

[342] وقال:

قد آثر القوم في بيروت همهمُ ... وضاعفت سكراتي وقفة النقد
لي سكرتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من دونهم وحدي
الغوث يا من إليه مددت يدي ... ثم اقتدحت فأورى بالثنا زندي

[343] وقال:

هنئت بالصوم السَّعيـ ... ـد وألف صوم بعده
في نعمة وسيادة ... تسع الوليَّ وضده
هذا يفطر فاه أو ... هذا يفطر كبده

[344] وقال:

شكرَ اللهُ أياديكَ التي ... كل يوم أتلقى رفدها
سرَّ أولادي حتى أمهم ... مثلما سرّ أبوهم بعدها
وأقيمت عندها الحرمة بل ... قام مني كل شيء عندها

[345] وقال:

صديقي بل سيدي لا برحت ... مفيد الصداقة وافي السياده
لا زلت للجامع المجتبى ... تفتح للخير باب الزياده
فمنك العمالةُ مشهودة ... بفعل الجميل ومنا الشهاده

[346] وقال:

تكفل لي جود أندى الورى ... وشاع به الذكر في كل واد
ووالله ما خفت تغيير ما ... تعوَّدت من برّه المستفاد
إذا غير الدهر حسن الذوات ... فحاشا محاسن ذات العماد

[347] وقال:

لك الله ما أزكى وأشرف همة ... وأحمد صنعًا حيث تتلى المحامد
لعمري لقد خلدتها شرفية ... تضيء وتبقى حين تبلى الفراقد
وأنت الذي قرت برؤيته العلا ... وهنئت الدنيا بأنَّك خالد

[348] وقال:

لي في الأصادق خائن ... في المال مني والوداد
فمتى أراه وخلفه ... عاتٍ من الأقوام عاد
ونداؤه هذا جزًا ... فأقول قد صدق المنادي

[349] وقال:

أيا ملكًا من بعض أوصاف مجده ... كريم السجايا عادل الحكم زاهد
تهنَّ بعيد النَّحر وابق ممتعًا ... بأمثاله ما طاف بالبيت وافد
تقلدنا فيه قلائد أنعمٍ ... وفي النَّحر أولى ما تكون القلائد

[350] وقال:

وأدهم رهوال بقرية أربد ... شلت له الأحمال بالرجل واليد
وفارقته أبكي عليه حقيقةً ... بكاءَ لبيد يوم فرقة أربد

[351] وقال:

شـــكـت وقـد ســـارقـتـهـا قـبـلـة ... يـا بـردهـا فـي كـبـدي الـواقـده
وقـال قـومٌ رشـــفـــة أغضـــبـت ... فـقـلـت هـذي غضـــبـةٌ بـارده

[351] وقال:

نبي الهـدى في موقف الحشـــر شـــافعي ... وهـذا الأمير اليومَ في العـالم منجـد
فـيـا فـوز آمـالـي وفـوزي إذا غـدا ... شـــفـيـعـيَ فـي هـذا وهـذا مـحـمـد

[352] وقال:

يـا ذا الـنـدى الســـعـديّ دمـت مـهـنـئًـا ... بـبســـيـط مـدح كـامـل ومـديـد
جمع اهتمـامـك في صـــحـابـة مصـــرنـا ... تـذكـار ســـعـد صـــحـابـة وســـعـيـد

[353] وقال:

يـا دولـة الـحســـن كـم بـدا بشـــرٌ ... مـنـعـم الـقـلـب فـيـك والـجســـد
وعـادل الـقـدِّ فـي تـعـانـقـنـا ... يـجـمـع بـيـن الـغـزال والأســـد

[354] وقال[1]:

واللهِ مـا عَـجَـبِـي لِـقَـدْرِكَ إنَّـهُ ... قَـدَرٌ عـلـى بـاغـي مَـداهُ بـعـيـدُ
إلا لـكـونِـكَ لَسْـــتَ تَشْـــكُـو وحشَـــةً ... فـي هـذِهِ الـدُّنْـيَـا وأنـتَ وحِـيْـدُ

[355] وقال:

رعـى الله مـن جـاورت فـي مصـــر بـابـه ... فـقـابـلـنـي بـالـمـال والـجـاه والـود
هـو الـعـلـم الـفـرد الـذي شـــاع فضـــلـه ... فـبشـــراكـم يـا جـيـرة الـعـلـم الـفـرد

([1]) التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 224.

[356] وقال:

فديتك سيفيّ اللَّواحظ كاتبًا ... ومثلك من يفدى ومثلي من يفدي
بنانك بالقبطيّ في اللوح كاتب ... ولحظك في الأكباد يكتب بالهندي

[357] وقال:

قالوا ذقون الملاح باردة ... منكرات قلت اهدروا نكدي
يا حرّ قلبي إلا لا يقبلها ... فمي ويا بردها على كبدي

[358] وقال:

ربّ أديب رأى كتابًا ... فقال ماذا المليح عندك
فقلت في الحال يا كتابي ... غيب وإلا سلخت جلدك

[359] وقال:

يقول الإمام الفاضل ابن دريهم ... عدمنا على المعلوم خلًّا مساعدا
بديوان عشر الشام هل بالتقى أخ ... فقلت ولا نلقى في العشر واحدا

[360] وقال:

عش تهنَّا بك أعيادٌ لها ... بحمى السعد العماديّ اعتماد
يا رئيسًا يقسم الساري له ... ما يرى أرفع من ذات العماد

[361] وقال:

شيخ النقا والهنا بهاه ... رونقه دائما جديد
العلم والزهد والعطايا ... فكلنا طالب مريد

[362] وقال:

أنســـــانـــي الـــهـــمّ حـــتـــى عـــادات بـــر الـــرَّشـــيـــد
لا زال بـــيـــن عـــتـــيـــق مـــن عـــيـــده وجـــديـــد

[363] وقال:

رويـت بـالمنـهـل الســـعـدي بعـد ظمـا أضـــنى من الحـال معـدومي وموجودي
حـتـى يـغـنـي الـرَّجـا بشـــراك يـا ظـمـئـي ســـعـد الســـعود ومجري الماء في العود

[364] وقال:

هـيـهـات بـيـن ذوي الـهـوى لا يســـتـوي دمـعـي ودمـعـك أيـهـا الـمـتـواجـد
فـحـديـث دمـعـي عـن تـلـهـب مـهـجـتـي ذاكـي الـلَّـظـى وحـديـث دمـعـك بـارد

[365] وقال:

هـنـئـت يـا مـلـك الســـمـاحـة والـنـدى شـــهـــرًا يـزورك بـالـهـنـا مـعـتـادا
تســـدي بـه مـنـنًـا وتـكـبـت حســـدا فـتـفـطـر الأفـواه والأكـبـادا

[366] وقال:

يـفـديـك مـن لـك فـي حشـــاه مـودةٌ فـإذنْ أجـلَّ الـعـالـمـيـن لـك الـفـدى
وعـداك أرضـــى أن تـعـيـش فـإنـهـا بـبـقـاك فـي عـيـش أمـر مـن الـرَّدى

[367] وقال:

فـديـت مـن آل أيـوب لـنـا مـلـكًـا ســـار عن الشـيم العليـا على جـدد
حـدثـت عن فضـــلـه ثم اســـتـنـدت لـه فلا عـدمـت أســـانيـدي ولا ســـنـدي

[368] وقال:

رعى الله بحرًا فوق أرجا بحيرةٍ ... تكادُ تحاكي بسط يمناه بالندى
وتبدو إذ هبَّ النسيم كمبرد ... فلا غروَ أن تجلي عن المهج الصَّدا

[369] وقال:

ألا ليت شعري هل أفوز بحافظٍ ... لي الود من هذا البريد المردد
فيرفع أخبار السلام لمالكٍ ... ويسمعني في الردِّ مسند أحمد

[370] وقال:

ولله تصنيف له رونق ... كرونق الحبات في عقدها
كادت تصانيف الورى عنده ... تموت للهيبة في جلدها

[371] وقال:

تداينتُ من عمرو فلما صرفته ... بنعماك أضحى عمروُ نحوي راصدا
وما ضرَّني دينٌ وفعلك سالمٌ ... يصرِّف لي زيدًا وعمرًا وخالدا

[372] وقال:

لم أنس موقفًا بكاظمةٍ ... والعيشُ مثل الدَّار مسودُّ
والدَّمع ينشد في مسائله ... هل بالطلول لسائل ردُّ

[374] وقال:

قد لقبوا الراح بالعجوز وما ... تخرجُ ألقابهم عن العاده
ألانت الغادة التي امتنعت ... فصحَّ أن العجوز قواده

[375] وقال:

وردت على الباب الجماليِّ قاصدًا ... فجادَ ولاقى مقصدي بأياد
ولي فرسٌ قد بات ضيفًا لطرفه ... فبات كلانا وهو بيتُ جواد

[376] وقال:

مرضت فعادني أزكى البرايا ... وأغنى عن مراض الودِّ حادوا
رأوا أنِّي إلى الأجداث ماضٍ ... فقالوا كل ماضٍ لا يعاد

[377] وقال:

يا سيدي ذكر بحالي صاحبًا ... تدري كما يدرى طريق السؤدد
فما أظنّ حال عبدٍ مخلص ... يضيع بين صاحبٍ وسيِّد

[378] وقال:

نجومُ حسنٍ أكراد أرضكم ... قد مات فيها المحبُّ أو كادا
فيا لها عشقة دهيتُ بها ... حتى رأيت النجوم أكرادا

[379] وقال:

يا ابن الأئمة كابرًا عن كابر ... دارك بيت الظاهريَّة فاقدا
لي ألفُ بيتٍ في مدائح بيتكم ... فاردد على المملوك بيتًا واحدا

[380] وقال:

لا تذكروا معن بن زائدة لدى ... قاضي القضاة ولا لهاهُ الجائده
كم قد رأينا من معاني فضله ... جدوى يديه في معانٍ زائده

[381] وقال[1]:

ولـمـا بـعـثـت الـمـال عـفـوًا مـهـنـأ تزيـد هـذا الشـعر حسـنًـا مجـددا
ومـا الشِّـعرُ إلَّا روضـةٌ راقَ حُسْـنُهَـا ولا سِـيَّمَـا إنْ كـانَ قَـدْ وقَعَ النَّـدَى

[382] وقال:

سـألـت النقـا والبـان أن يحكيـا لنـا روادف أو أعطـاف من زاد صـدهـا
فـقـال كـثـيـب الـرمـل مـا أنـا حـمـلـهـا وقـال قضـيـب البـاب مـا أنـا قـدهـا

[384] وقال:

نـظـرت وقـد قـام الـخـطـيـب وراقـنـي على درج بـدر العلا وهو صـاعـد
ولـم رأيـت الـنـاس دون مـحـلـه تـيـقـنـت أن الـدهـر لـلـنـاس نـاقـد

[385] وقال:

يـا رب أسـألـك الـغـنـى عـم مـعشـر غضـبـوا وكـافـوا بـالـجـفـاء تـرددي
قـالـوا كـرهـنـا مـنـه مـدَّ لسـانـه والله مـا كـرهـوا سـوى مـدَّ الـيـد

[386] وقال:

رعـى الله لـلـعـلـيـاء قـطـبَ سـيـادةٍ يـدورُ عـلـيـه كـل عـلـمٍ وسـؤدد
متى جئـت موسـى شـائمـا نـار ذهنـه تجـد خير نـارٍ عنـدهـا خير موقـد

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 382 ورد البيت الثاني.

[387] وقال:

أولاد مولانا بهم تزهو المحافلُ والمشاهدُ
مثل السيوف مهيبة لكن لسيف الله خالد

[388] وقال:

رشا بالصالحية سفح عيني سريعٌ في محبته مديد
له قلبٌ ولي دمعٌ عليه فهذا قاسيون وذا يزيد

[389] وقال:

يا أميرًا زادت يداه لعافٍ وأجادت يوم الحروب جهادا
صدق القائلون في كل وقت لا يكون الجوادُ إلا جوادا

[390] وقال:

ما ضرَّ إحسانك يا سيدي لو حاد في أمري عن الاقتصاد
يا عين آمالي إذا استجمعت إني إلى مورد لقياك صاد

[391] وقال:

صديقي من قديمٍ إنَّ فكري بما أبديت لي فكرٌ جديد
وعدت بيسرتي فازددت عسرا فلا أدري أوعد أو وعيد

[392] وقال:

قل لوزير الشآم يا من مد يد الجود للعباد
ما سرق المادحون وصفًا فيك فلا تقطع الأيادي

[394] وقال:

مـلـيـك بـدا فـي أحـمـر مـن مـلابـس ... كـذاك بـدت من حولـه الخيـل والجنـد
بـدوا كـلـهـم فـي حـلـة الـورد مـلـبسًـا ... فقـال الورى هـذا هو الأسـد الورد

[395] وقال:

قـالوا أضـاءت سـمـاء الشـام قلت لهم ... بـدر الـتـقـى والـعـلا والـجـود مـوجـود
ولـلسـعـادة مـعـنـى شـاهـد أبـدًا ... بـأنَّ طـالـع أفق الشـام مسـعود

[396] وقال:

عـلـيـك بسـاحـة الـمـلـك الـمـرجَّـى ... إذا خـفـت الـجـوائـح والأعـادي
تـجـد أنـدى يـدٍ وخـيـول حـربٍ ... فـمـا يـنـفـكّ يـروي عـن جـواد

[397] وقال:

وشـاهـد أعـجـبـنـي حسـنـه ... وكـنـت فـي آخـر كـالـواحـد
فـحـار فـي هـذا وذا خـاطـري ... وقـلـت بـالـغـائـب والشـاهـد

[398] وقال:

مـولاي لا هـدت الـلـيـالـي ... كـثـيـب عـلـيـاكـم عـمـادا
ولا طـلـبـنـا ربـيـع بـر ... وكـان جـودكـم جـمـادى

[399] وقال:

روت عنـك أخبـار المعـالي محـاسـن ... كفت بلسـان الحال عن ألسـن الحمد
فـوجـهـك عـن بشـر وكـفـك عـن عـطـا ... وخلقـك عن سـعـدٍ ورأيـك عن سـعـد

[400] وقال:

كم قلت باللثم وبرد اللمى ... إيه برغم العاذل الحاسد
روِّ صدى قلبي ودع عذَّلي ... في الحبِّ تغتاظ على البارد

[401] وقال:

قال لي إذ رأى انكساري حبيبي ... ما الذي قد دعا لهذي العياده
قلتُ زادوا رفاق شغلي دوني ... قال أخشى عليك من ذي الزياده

[402] وقال:

أيا سائلي عن مذهب العتب والولا ... لأهل زمانٍ إنه لشديد
أوالي عليًا خلد الله وجهه ... وأشكو أذى عثمان وهو يزيد

[403] وقال:

لمَّا رأيت نهودها قد أقبلت ... ورأت لوجهي عشقة تتجدَّد
قالت وقد رأت اصفراري من به ... وتنهدت فأجبتها المتنهد

[404] وقال:

جنيت بالتقبيل من خدِّه ... وردًا وعاتبت على الصد
فافترَّ من عجب وقال انظروا ... لعاشقٍ يجني ويستعدي

[405] وقال:

أهدي إلى القرم الشريف هدية ... عبد يرد مكانها من خده
ما عدّ مذ ملكت يمينك رقه ... عيبًا عليه فلا سبيل لردّه

[406] وقال:

قال لي النفس إذ أهديت نحوكم جديًا حكى القطعة العلياء من كبدي
أرسله مع تاجر الكتب الفلاني وقل هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

[407] وقال:

أهيف ذو خصرٍ وردف فكم في غوره أصبو وفي نجده
يا ليته لي بالجفا موعدا فإنه يكذب في وعده

[408] وقال:

يا لهف قلبي على لقار شاء شيب مني الفؤاد والفودا
لي مقلة منه قد جننت بها وهكذا حال من به سودا

[409] وقال:

يا مجزل الرَّفد للنزيل به جائزة جمة وزوَّاده
منحتني المال صحبة فعسى تكون يا أكرم الورى عاده

[410] وقال:

قاضي القضاة المرتجى دمت ذا نعماه للصادر والوارد
بعض الورى يطلبني شاهدًا مع أنه ذو ورع زائد
فاعجب له من ورع ناسكٍ من مثلي بالشاهد

[411] وقال يداعب رفقة ساروا معه:

لي رفقة تعجب إقبالهم حوارنا يصقل أفخاذا
عادوا ببطيخٍ وقرعٍ لهم وعدت لا هذا ولا هذا

[412] وقال وقد أهدى حلاوة مَنٍّ:

بعثت لكم يا سادةً انا عبدهم ... قليلًا من المنِّ الذي طاب مأخذا
فلا تقرنوه بالخليليّ آكلًا ... فحاشكم أن تقرنوا المنَّ بالأذى

[413] وقال ووجدته في مسوداته على هذه الصورة:

لما رأى الظبي طرف حبي ... شكا إلى الحسن واستعاذا
وقال جفنٌ له سقيمٌ ... يا ليتني مت قبل هذا

[414] وقال يشير إلى ابن عنين:

مولاي دعوة معجبٍ ... يدعى به متلذِّذ
أنا كالذي هو قائلٌ ... في شعره أنا كالذي

[415] ومن مقطعاته قوله:

أفدي غزالًا من الأتراك مقلته ... في صنعة السحر أعيت كل أستاذ
نبَّاذ عهدٍ بذاك اللحظ يسحرني ... يا حسرتي بين سحَّارٍ ونبَّاذ
كأنَّ ألفاظ فخر الدين منه حوت ... مدام ساق عليها سحر نفَّاذ
ذو النظم والنثر كم قالت حلاوة ذا ... وذا لعمرك ما ذي حاجة الماذي
والفضل في الناس كم لذَّت له شيمٌ ... وكم عطفت على لهفان لوَّاذ
يا كاتبًا خلت أقلامًا بمهرقه ... عقائلًا رقمت طرزًا على لاذ
تهنَّها نعم الوهاب قائلة ... يا عيده اهنأ بهذي واقمع الهاذي

[416] وقال:

قالت إشارة فاتك لمروّع ... قل لي لم يستنجد المنبوذ
ما أنت إلا في الحصار معي فلا ... تتعب فكل محاصر مأخوذ
فأجابها بالله ثم رسوله ... يستنجد المنبوذ حين يلوذ
هي نقطة تروى فعند نفوذها ... تحتالُ إذ عند الرجاء نفوذ

[417] وقال:

كـذا أبـدًا تـلـقـى الأهـلَّـة طـالـعًـا عـلـيـك بـأنـوارِ الســـعـود فـحـبـذا
ويصـــنـع فـينـا الـجـودُ صـــفـوًا مـهـنـئـأ ولا حـظـرًا فـيـه عـلـيـك ولا قـذى
ومـهـمـا وضـــعـت المـنّ في مســـتـحـقـه فـوالله مـا مـدت إلـيـك يـد الأذى

[418] وقال:

بـروحـي مـعســـول الـلـمـى مـتـحـجـب إذا لـم يـزر لـم يـهـن عـيشـــي ولا إذا
وإن ذقـت مـنًّـا مـن حـلاوة ريـقـه أتـانـا رقـيـب يـتـبـع الـمـنَّ بـالأذى

[419] وقال:

أفـدي بـديـع الـجـمـال مـحـتـكـمًـا بـنـاظـرٍ فـي الـقـلـوب نـفـاذ
إذا تـبـيـنـت مـا صـــنـاعـتـه رنـا بـلـحـظٍ وقـال فـولاذي

[420] وقال:

لســـقـيـا لـمشـــمـش بســـتـانـكـم فـنـعـم الشـــراب ونـعـم الـغـذا
وأعـــجـــب كـــل فـــتـــى حـــبـــه فـقـال الـفـتـى حـبـذا حـب ذا

[421] وقال:

يـا ســـيـدا مـا زال لـي مـن مـنـه نـعـم الـحـلاوة والـعشـــا ثـم الـغـذا
مـنًّـا بـعـثـت إلـيـك إلا أنَّـه مـن مَـنَّ بـالـتـقـبـيـل يـتـبـعـه أذى

[422] وقال وكان جد الملك المنصور اقترح على مداحه أن لا تكون القصيدة أكثر من سبعة أبيات:

وغيداء يعزى طرفها لكنانةٍ ... ومعطفها الميادُ يعزى إلى النضر
حمت ثغرها راشفٍ بلحاظها ... كذاك سيوف الهند تحمي حمى الثغر
كأنَّ جفوني حين تسفح بالبكى ... على حبها كفّ المؤيد بالتبر
رعى الله أيام المؤيد إنها ... ولا برحت فينا مواسم للدهر
مليك تساوى علمه ونواله ... كأنَّهما بحران جاءا على بحر
مليك العلا بشراك بالعيد مقبلا ... وبشرى الورى من سحب كفيك بالعشر
وهنئت بالفطر الذي قام ناحرًا ... عداتك حتى أشكل الفطر بالنحر

[423] وقال تاجيَّة:

لقد نفَّر الحسناء شيبي فأصبحت ... على كبري بعد الوداد تكبر
وقد كنت بالغيد الحسان مشببًا ... فها أنا للغيد الحسان منفَّر
وقد نفرت حتى عن الشعر صبوتي ... ولولا الثنا التاجيّ ما كنت أشعر
أيا من ذكرنا الشافعيّ وحاتمًا ... بآلائه والشيء بالشيء يذكر[1]
وتاجًا على رأس السيادة يجتلى ... فينظم درّ المدح فيه وينثر
مزجنا بحور الفضل والشعر بيننا ... فها نحنُ في هذا وذا نتبختر
لعمري لقد قلت الرقيق لمدحه ... وإنّ رقيقًا قلته لمحرَّر

[424] وقال في ابن أبي حجلة:

أوَّاه من جائرة جاره ... فتانة الألحاظ سحَّاره
إن أصبحت للعهد نبَّاذه ... فعينها للعقل خمَّاره
كأنَّها في السِّحر باللَّحظ من ... لفظ شهاب الدين ممتاره
والفضل واللفظ الرفيع الذي ... من دارة البدر انثنى داره
منظرة ما بين زهر الدُّجى ... أخبارها في الفضل طياره
يا نائيًا أسطره قد نأت ... فوحشة المشتاق كرَّاره
باب البريد افتح بكتب فلي ... عين بدمع الشوق فوَّاره

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 239/3. البيت3: "تقي الدين". البيت4: "ابتنى". البيت6: "أمطره".

[425] وقال يهنئ بدار جديدة:

على حركات اليمن والأمن والهنا ... سكنت بدار العلم والحلم والقرى
وعمّرتها يا عمرك الله للعلا ... فعش مثلها عالي المنار معمَّرا
تبادرها الطلاب علمًا وأنعمًا ... فتحمد عند الصبح من بشرك السرى
وتزداد بالترخيم حينًا خلاف ما ... يقاس وترضي الوفد وردًا ومصدرا
وتذكرك الجنات بالنسك والتقى ... بشيران الإحسان والعدل في الورى
لقد زادها في الحمد يوسف فاغتدت ... تبتاع بمرآها القلوب وتشترى
وما هي إلا جنة بدليل ما ... وصفت وقلبي عاشق قبل أن يرى

[426] وقال علائية وقد ورد بعض أولاده من الشام:

يا طرس قبِّل ثرى الباب العليّ وقل ... مولاي لا زلت تولي الخير مستورا
جاهًا ومالًا كما عوَّدت من قدمٍ ... إنسان من لم يكن من قبل مذكورا
جاء العيال وذات البين قالبة ... بالبعد تجعل بيت القلب مكسورا
وكل من شئت أو من لم أشأ بعثت ... لهم صلاتكم مخفيًا ومشهورا
حتى الأجانب زادوا ضعف عائلتي ... وربة البيت أضحت بينهم بورى
وكنت أرجو صواب القصد يحضرها ... لا هم فبالي قلب ليس مسرورا
وآخر البعد إنهاء الشكاة حيًّا ... وربما زاد سوءُ الحظِّ تأخيرا

[427] وقال بشرية في الجمدار:

خليلي عن حال المحبين سل فما ... ينبيك بالأحوال مثل خبير
فريقان هذا في الوصال بجنةٍ ... وهذا كمثلي في الجفا بسعير
وسل في التقى مثل كافور مصره ... يبشرك ذكرى وقتنا لبشير
أمير على السادات أي مقدم ... وفي واجب المدَّاح أيّ كبير
لو أنك قابلت النجوم بقدره ... لألفيته قد جازها بكثير
إذا بشر الإنسان في الحين مرة ... على وجه وضَّاح الهلال منير
فيا رب خلد ملك من لحظ طرفه ... يرى كلّ يومٍ منه وجه بشير

[428] وقال يهي القاضي نور الدين بن حجر بقدومه من السفر:

قدم الطبيب من السفر ... أرأيت بدرًا قد سفر
بدر يقر العين لـ ... ـكن ما على وجهٍ أثر
كسناء نور الدين ذي الإ ... فضال والفضل الأغرّ
دمتم بني حجر الكرا ... م لكم فخارٌ معتبر
أهل المعالي والعلو ... م لمن وعى ولمن نظر
والنسبة العلياء قد ... شيدت بأنباء أخر
شيمٌ زكت من أولٍ ... وسعادة لحظت حجر

[429] وقال فيه:

تهنَّ به عيدًا أجلّ كبيرا ... غدوت به للسائدين أميرا
وعش بين عيدٍ بالحجاز مهنئا ... وعيدٍ على أوطانِ مصر قريرا
لقد عشت نور الدين في أفق العلا ... وفي العلم والفضل البهي شهيرا
ووفيتني حقّ الجوار يكاد أن ... يكون من الحظّ الحرون مجيرا
لغلمان مولانا علي مودَّةٌ ... ينقصها بعض الأمور يسيرا
لئن خدموني خدمة مستجادةً ... لقد بخلت بخلًا عليَّ كثيرا
ينفّر من قد عطَّفته كأنَّما ... تصحف لي معنى السرور شرورا

[430] وقال في علاء الدين وقد طلب منه ابن حجر مفتاح البيت الذي أعاره له:

في دعة الله سر وعد في ... بشارة تجتلي بشاره
واحيى كما شئت يا ابن يحيى ... في رتب البر والإشاره
مكان عبد الرحيم قدمًا ... لا ترتضي النعت بالوزاره
لي قصة والسؤال سكني ... بيتٍ ويحتاج للعباره
سكنت دارا لصاحب لي ... وقصده يستعير داره
ذو حجر نسبة وغيظًا ... أنا وقومي نخاف ناره
فيا لها في الصفات نارًا ... وقودها الناس والحجاره

[431] وقال عند عود الملك المنصور من الشام:

عـود بـيـتٍ عـلـى الأفـلاك مـعـمـور ... مـلـوك بـيـتٍ بـنصـر الله مـغـمـور
مـا بـيـن مـنصـور مـلـكٍ ثـم نـاصـره ... وبـيـن نـاصـر مـلـك ثـم مـنصـور
يسـري من السـعـد حتى حـلّ أشـرفـه ... وزال مـا كـان لا حـلّ ولا سـيـر
تغنى عسـاكر مصـر الشـام طـالعـة ... طـلابـهـا بـوجـوهٍ كـالـدنـانـيـر
في ظـل ملـك تسـرّ السـيف نضـرتـه ... فهو الرشـيـد لـديـه سـيف مسـرور
بـالرعـب ينصـر قبـل السـيف مطلعـا ... فـاعجب لـذلـك أيضـا سـيف مقدور
لا زال ملـك صـلاح الـدين مصـر على ... إرث من العمر مـاشـي العـدل بـالنور

[432] وقال علائية:

خـلـفـت بـالـقـلـب بـيـتًـا مـنـك مـعـمـورا ... لـقـد هـجـرت وقـلـبـي لـيـس مـهـجـورا
لا تـحـمـلـن بـيـتَ قـلـب الـمـسـتـهـام ولا ... بـيـت الـتـغـزل بـالـلـمـيـاء مـكـسـورا
ليبجر الحسـن لي قلبًـا مضـى عمرٌ ... لـه بحسـن ابن فضـل الله معمورا
يـا سـيـد الـبـلـغـاء الأقـدمـيـن بـلا ... خـلـف وأبـدع تـحـبـيـرًا وتـحـريـرا
دسـتـور كـتـاب مـولانـا بـمصـر طـوى ... عـنـي وأعـمـده بـالشـام مـنشـورا
فـإن رسـمـت بمصـر أو دمشـق حمى ... فـأعطِ عبـدك في الحـالين دسـتورا
سـترت بـالشـام تقصـيري وتسـتره ... بمصـر لا زلـت تولي الجود مسـتورا

[433] وقال وقد أرسل إليه نور الدين صحن كنافة وتذكر ابنته بدمشق:

ذكـرتـك والأسـمـاء تـذكـر بـالـكـنـى ... فلله يـا أسـمـا الـكـنـافـة والـذكـر
يـذكـر صـحـن الوجـه صـحـن كنـافـة ... هما الحلو ممـا تشـهـد العين والفكر
لـيـالـي فـطـر الصـوم إذ كـل لـيـلـة ... بـإحسـان نور الـدين عيـدٌ هو الفطر
وإنـعـامـه عـنـدي وشـكـري عـنـده ... ولكن متى يوفي بـإنـعـامـه الشـكـر
إذا كـان جـود وشـعـر مـجـيـبـنـي ... وأحسـن من شـعري لـه ذلك الشـعر
ولـم أنـس لـيـلات الـكـنـافـة قـطـرهـا ... هو الحلو إلا أنـه السـحـب الغرز
يـجـود عـلـى ضـعـفـي فـأهـتـزُّ فـرحـةً ... كمـا انتفض العصـفور بلـه القطر

[434] وقال مجيبًا:

لآل في سلوك جلاها ... بنانك أم معان في سطور
وألفاظٌ بأفضالٍ توالت ... علينا أم قلائد في نحور
رعاك الله من بحر أجادت ... بديهة فكره نظم البحور
وصدر تقبل الكلمات منه ... فتجلسها المسامع في الصدور
لقد رقت وقد راقت لسمعي ... نظائر منه كالروض النَّضير
وشيَّد لي بيوتًا من جمان ... إذا شيدت بيوتٌ من صخور
مشى الأدباء في طرق المعاني ... به وبلفظه فمشوا بنور

[435] وقال علائية لزومية:

اسم حبي فيه قد أمسى سمر ... للحسن شمسٌ وهو للعقل قمر
قامرت بالعقل في لعب به ... وصار أمري فيه جدا واستمر
نعم وأعطيت مليحًا مثل ما ... أعطيت ممدوحًا هو الغيث همر
ومرَّ شخصي قائلا في مثل ... ماضٍ من الأمثال مجنيّ الثمر
لو كان أعطى الله أعطى عمرًا ... قلت نعم أعطى وأعطى ابن عمر
ذو الفضل وابن الفضل ما أحلى اللقا ... وإن يكن بعض الجفا فما أمرّ
دم يا علاء الدين وضاح السنا ... في أفق العليا وهل يخفى القمر

[436] وقال مدحًا في الدواداري الأمير:

إلى مقرِّك تسري همة الساري ... معزَّزًا بين أوطان وأوطار
نادت سعود الحمى العذري تنشده ... عزٌّ يدوم لقصادي وزواري
يا صاحب السيف والأقلام قد جمعت ... لطاعة الملك جمعًا طاعة الباري
يا معمل الرأي مخدومًا بأربعةٍ ... يمن ونصر وإقبال ومختار
ليهنك الفضل في دنيا وآخرة ... والذكر والأجر من جاريهما جاري
فقل لمن دار أقطار البلاد على ... دوائه من ضنى ذُلٍّ وإقتار
سر للأمير فما خابت خطى رحل ... على الدوادار في باب الدواداري

[437] وقال وكتبته من خطه مما كتب به إلى ابن صقر الحلبي:

أما والله قد شرَّفت شعري ... فأصبح كلّ بيت مثل قصر
وقد لاقيت من علياك بحرًا ... يلذّ مديحه في كلِّ بحر
وصدرًا فيه للرحمن سرٌّ ... كذاك الصَّدر موطن كلِّ سر
ولم أر فيك عيبًا غير نعمى ... بها استعبدت منا كل حرّ
وبرًّا إن تقاصر عنه شكري ... فأقسم ما تقاصر عنه أجري
أقول لساكني حلب جميعًا ... مقالة مجتلي خبر وخُبر
دعوا صيد المحامد والمعالي ... فقد صادتهما همُ ابن صقرِ

التخريج: تذكرة النبيه 163/2. وأورد البيتين 6+7. البيت6: "نعم وبنى دمشق وأهل مصر"، البيت7: "فقد صاد الجميع ندى ابن صقر".

[438] وقال ونقلته من خطِّه أيضًا:

حجبت بالدَّمع أجفاني عن النظر ... إلى سواك وقلبي الصبَّ بالفكر
وزاد دمعي عما كنت أطلبه ... فلا تسل ما جرى منه على بصري
يا باسمًا قلت للاحي أمبسمه ... أبهى أم العقد قال الكل من دُرر
سهرت في الوصل غنمًا والجفا أسفًا ... سبحان فاطر أجفاني على السهر

[439] قال ونقلت من خطه مما كتب به إلى الجناب البدري وهو ضعيف:

ألا ليتني حمَّلت ما بك من ضنا ... على أن لي منه الأذى ولك الأجر
فأقسم لولا أنت ما أعتب الرجا ... لمستعتبٍ منَّا ولا سكت الدهر
أحاشيك من ضرٍّ ألمَّ وإنما ... بطلعتك الغرَّاء يستدفع الضّر
فلا تخش مما يوجب الصبر مرة ... كأنَّك بالنعمى وقد وجب الشكر
وحقك لا خاب الدعاء ولا دجى ... سنا النصف إلا زنت ما يشرق البدر

[440] وقال مجيبًا للصَّلفيّ الحليّ:

سـلام كـنشـر الـروض لـف بـمـدرج ... يريـك بـديع الحـب في اللف والنشـر
عـليـك أخـا الـعـليـاء والـعـلـم والـحـجـى ... وفضـل النـدى والبـأس والنظم والنثر
لـعـمري لـقـد حـمـلـت بـيـنـك فـي الـورى ... من الشـهب العالي السـنا ومن الشـعر
ولـو شـفـعـتـك الـمـكـرمـات بـآخـر ... لمـا بـات شـاكي الـدهر منـه على وتر

[441] وقال لزومية:

يـا خـيـر مـن تـبسـط الـمسـاعـي ... لـه ومـن تـعـقـد الـخـنـاصـر
ويـا أمـيـرًا عـلـى قـديـم ... سـمـا وأربـى عـلـى الـمـعـاصـر
أوصـل بـخـيـر الـبـدور مـدحًـا ... يـبـقـى إذا بـادت الـعـنـاصـر
وحسـبـه أنـه قـريـضٌ ... أنـت لـه قـوة ونـاصـر

[442] وقال وقد جرى لزوم ما لا يلزم والتضمين والاهتدام مع قلب المعنى بديهًا بين يدي الملك المنصور:

يـا أقـرب الـنـاس مـن مـدح ومـن كـرم ... وأبـعـد الـنـاس مـن عـاب ومـن عـار
أقسـمـت لـولا أيـاديـك الـتـي اشـتـهرت ... نـادانـي الـزمـن الـمـودي بـأشـعـاري
دع الـمـكـارم لا تـرحـل لـبـغـيـتـهـا ... واقـعـد فـإنـك أنـت الـجـامـع الـعـاري

[443] وقال يرثي:

عـدمـت مـحـمـدًا أيـام أرجـو ... نـداه عـلـى الـزمـان وأسـتـجـيـر
فـإن تـحـجـب مـحـاسـنـه بـلـحـدٍ ... ففـي أفـق السـمـاء لـهـا مسـيـر
تـقـول لـروحـه الأفـلاك أهـلًا ... لـنـا زمـنٌ عـلـى هـذا نـدور

[444] وقال في صديق باع مملوكًا وتزوج امرأة جميلة:

لي صاحب ترك المليح وعاد في ... حب المليحة من ذوي الأقدار
قد كان عبد الأشهب المنسوب في ... حسن فأضحى وهو عبد الدار

[445] وقال يستنجد علي بن سكر:

يا صاحب الأقلام والسيف قد ... أتقن في التدبير ما قرَّره
نحن المساكين لأرزاقنا ... بابٌ طواه الدَّهر أو عسره
فاجعل بإحسانك مفتاحه ... وإن تعاصى فاقطع السكّره

[446] وقال وقد ظهر على جسد قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشرى:

يفديك يا قاضي القضاة عليهم ... من كل شيء تشتكي كل الورى
شهد الشرى لك حين زارك بالتقى ... والبر مختبر العلا ومخبرا
لا تعدم المدح السوائر سيدا ... هذه خلائقه بتخيير الشرى

[447] وقال لزومية:

وأغيد كلما تجنى ... ورَّث بين القلوب جمرا
يميل تيهًا كأنَّما قد ... سقته تلك العيون خمرا
تالله لا فاتني لقاه ... وعين كيسي عليه حمرا

[448] وقال يهنئ قادمًا من الحجاز:

قالوا سررت زائرًا بقادم ... حجَّ شهابًا ثم عاد بدرا
تطلب منه وده ورقده ... قلت نعم كلاهما وتمرا

[449] وقال في صاحبنا جمال الدين بن مختار:

قل للصديق جمال الدين لا برحت ... نعماه حلية إنشاء وأشعار
لئن تخيرت في السادات مثلك لي ... لقد تخيرت مختار بن مختار

[450] وقال يهنئ ولد الأمير ناصر الدين بن فضل الله العمري بإمرة عشرة:

هنئتها إمرة مجددة ... يا ابن السراة الأكابر البرره
أقسم من ذا وذا بأنكم ... وجدتم من أكابر العشره

[451] وقال وكتب على شرح المختصر لشمس الدين الأصفهاني:

أخا العلم إن الشمس بادٍ ضياؤها ... فسر بسناءٍ حيثما أنت سائر
وخلِّ فتى شيراز عنك فإنَّما ... هو القطب قد دارت عليه الدوائر

[452] وقال في معنى حكاية أبي حية النمري:

وبديع الجمال لم ير طرفي ... مثل أعطافه ولا طرف غيري
كلما حدت عن هواه أتاني ... سهمُ ألحاظه كسهم النميري

[453] وقال فيه أيضًا:

بروحي غزيِّل أنسى رمى ... حشايَ بلحظٍ وأحشاء غيري
أحيد عن السهم من لحظه ... وسهم الغزال كسهم النميري

[454] وقال في قادم من الصيد:

لقد خفقت منا القلوب تشوقًا ... وعدت فكادت أن تطير سرورا
يمينك تصطاد الوحوش مطيعة ... وحبك يصطاد القلوب طيورا

[455] وقال في دواة فولاذ:

دواة لـهـا جـنـس الـحـديـد وبـأسـه ... وزادت عـلـيـه فـي الـنـدى فـهـي أبـهـر
وكـمَّـل مـعـنـاهـا يـراعـك مـنشـئًـا ... فـفـولاذهـا فـي الـحـالـتـيـن مـجـوهـر

[456] وقال في كاتب:

مـلـيـحٌ جـلا مـن خـطـه لـي رقـعـة ... تـدلّ عـلـى تـحـريـره واعـتـبـاره
فـلـم أر فـي خـط وشـكـل كـحسـنـهـا ... سـوى شـكـل خـديـه وخط عـذاره

[457] وقال يداعب كبير أنف:

أقـبـل عـنـد الـقـوم يسـألـنـي ... مـن أيِّ أرضـيـك نـلـت إيـثـارا
قـلـت مـن الـنـيـك مـا رأى بصـري ... خـيـرًا ولـكـن رأيـت مـنـقـارا

[458] وقال في شمعة اليهودي وقد أسلم:

آنسـتـنـا يـا أخـانـا ... فـي ديـنـنـا الـمـبـرور
قـد كـنـت شـمـعـة نـار ... فصـرت شـمـعـة نـور

[459] وقال وقد طلق صاحب له امرأة اسمها دنيا:

قـل لابـن نـعـلان الـذي أصـبـحـت ... كـرتـه بـيـن الـورى خـاسـره
ظـلـمـت دنـيـاك وطـلـقـتـهـا ... فـرحـتَ لا دنـيـا ولا آخـره

[460] وقال:

وحقكم لا مرَّ بي الصبر عنكم ... ولو ذقت هجرانًا أمرّ من الصبر
ولا أشتكيتكم ما حييت وإنما ... إلى فضلكم أشكو إذا مسني ضري
على حبكم أنفقت عمري جاهدًا ... فإن رمتُ سلوانًا فيا ضيعة العمر
أمين التقى يكفي من الشكر أنه ... يقصر عما أنت مانحه شكري
أمين التقى قلبي أمينٌ على الولا ... إن ارتبتمُ فاستشهدوه على أمري
فلولاك بادت عند بيروت حالتي ... وسوفت في أمر المواريث والحشر
فيا من له في السر والعلم رتبة ... يجازيك عني عالم السر والجهر

[461] وقال:

غازلتني سمراء في حلية المر ... د بدبوقة غزت بمظفر
ثم قالت تحبني قلت في حلـ ... ـية سمرا واليم حلية أسمر
إن كلي يحب كلك إلا ... أن قلبي يحب من فيك أكثر
آه يا دهر صبوة وصبًا قد ... كان أزهى من النجوم وأزهر
ليت ذهني يخلو فيخدم شعري ... كلّ جدّ وكل هزل بجوهر
ليت شعري يصفو كما كان قدمًا ... فعسى العمر ماحيًا ما تكدر
إن أكن صرت بالبلادة فزعًا ... إن لفظي كما يقال مسير

[462] وقال:

يا سعد دين الله أين الذي ... عوَّدت من بر وتيسير
العبد ما حلي في عهدة ... والأهل لا حلي ولا سيري
واللحم كالخبز ولم أدر من ... قالت به حداتها طيري
سيان في أول ضري وفي الآ ... خر تفطيري وتفطيري
وبعد ذا والله لا أنسيت ... محامدي الحلوة تكديري
وحق إحسانك لا حلت عن ... ظني بك الحسنى وتقديري

[463] وقال:

جلّ الإمام عن الأشعار يعرضها ... فكلنا بالدعا مشغول أفكار
وفضله يقتضينا أن نقول فما ... نعني سواه إذ فهنا بأشعار
ذو النفس تاقت لعليا دارها فجرت ... ومن جنان غدٍ تاقت إلى دار
واهنأ بعيدك في نعماء معرفة ... عن حزم أمر يليه رفع مقدار
ودم غياث الورى يا غيث رائدهم ... ونصر محوجهم يا نجل أنصار

[467] وقال:

ثوبٌ من الحب أودى بي مشهره ... فالجسم أصفره والدَّمع أحمره
يا من يغير جسم الصب من سقم ... كن كيف شئت فهذا لا يغيره
طوى هواك بقلبٍ تلك عادته ... وإنما علميّ المدح ينشره
من لا خلا من نداه نسكنه ... ولا خلا من ثناه البيت نشعره
يا صاحبًا لم يضع قصد الوفود له ... وضاع نشر الغوالي حين نذكره
تهنَّ بالعيد إما المرتجى نبدي ... أو الحسود بأنكادِ تفطره

[468] وقال:

قل للفهيم الناصريّ ... صائحًا مستنصرا
يا صاحبي أصبحت حـ ... ـتى في الخطاء معثرا
من أجرة المسكن في ... إعراب همٍّ أشهرا
بالنصف والكسر معًا ... فلا كرى ولا كِرَا
نعم وهمي أمٌّ ... وحالتي إلى ورا
ناظر بيروت أتى ... عساك لي أن تنظرا
مهما ترى مهما ترى ... مهما ترى مهما ترى

[469] وقال:

تعشقتها في الحلي غصناء منثورا ... وفي البرد بدرًا في السماء منيرا
أشاهد من وجه التأمل جنة ... وألبس من جنس العناق حريرا
وألثم معسولا نظيما كأنما ... تنظم في لفظ العلاء نثيرا
سريّ تجعلنا بيوم قدومه ... على الصوم أعيادًا لنا وسرورا
بعشر نهنيه ويمناه في الندى ... بخمس يهنينا الغمام مطيرا
أفاد فما نشطو فتور قريحة ... ترى فضل هاتيك الصفات فتورا
وفطر أفواهًا ولولاه لم نجد ... سوى في سماوات القلوب فتورا

[470] وقال:

ثغر عليه من الملاحة سكَّر ... يحلو الحديث عليه وهو مكرر
عرف الذي قد رام عنه تصبري ... أني قتيلٌ في هواه مصبر
ويحق لي فيه التغزل باهرا ... وثنا تقي الدين عندي أبهر
ذو العلم والفضل الذين هما هما ... شهبٌ بأفاق السيادة تزهر
نظروا فكان أحق بالنظر الذي ... كتقيه وأمينه لم ينظروا
ولئن شكوت لماله ولجاهه ... حصري فإنَّ ثناهما لا يحصر
طير الثناء محلقٌ في أفقه ... أبد الزمان وأنني لمقصر

[471] وقال:

غصنٌ بأوراق الغلائل يخطر ... وسوى هواه بمهجتي لا يخطر
يسقى بماء شبابه ومدامعي ... فبحسنه وبحزن قلبي يثمر
في حسن يوسف في شمائله وفي ... مدح ابن يعقوب القرلائح تشعر
علَّامة الدنيا وكافي ملكها ... فالسر يحفظ والفضائل تشهر
لا عيب فيه سوى ندى مستعبدٍ ... رقّ المديح وأنه لمحرر
لي من نداه عادةٌ قد أخرت ... عني وتأخير الندى لا يؤثر
فترافدت عندي الهموم وربما ... يرجى لها فرجٌ لديه وأكثر

[472] وقال:

غصـــون الـحـمـى إن الـفـؤاد لـطـائـر ... إلـيـكـم وإنـي كـامـل الـحـب وافـر
وُصـــفـت بـأوصـــاف القريض لشـــقوتي ... فـلا غـرو إن دارت عـلـيَّ الـدوائـر
أهـيـم بـكـم فـي كـلِّ وادٍ مـن الأســـى ... عـلـى أنَّـني لابـن الـخـيـفـة شـــاعـر
أمـيـر بـنـي فضـــل الإلـه وكـلـهـم ... بـأقـلامـه والســـف نـاهٍ وآمـر
مـقـيـمٌ عـلـى مـغـنـى دمشـــق وظـلـه ... لآمـالنـا في الشـــرق والغرب ســـاتر
كـذا أبـدًا يـا ابـن الســـيادة والـتـقـى ... لـنـا قـوة مـهـمـا نـراك ونـاصـــر
ويـروي أحـاديـث الـثـنـاء نصـــيـحـة ... عـطـاء لـنـا مـن راحـتـيـك وجـابـر

[473] وقال:

قـــل لـــلأمـــيـــر الـــذي فـــي ... ذكـــراه حـــمـــدٌ وشـــكـــر
يـــا غـــيـــث جـــودٍ نـــداه ... والـــبـــر بـــر وبـــحـــر
مـــولاي هـــنـــئـــت صـــومًـــا ... عـــقـــبـــاه مـــدحٌ وأجـــر
فـــيـــه لـــقـــومٍ وقـــوم ... تـــفـــطـــيـــر قـــلـــب وفـــطـــر
فـــلـــلـــمـــوالـــيـــن نـــفـــعٌ ... ولـــلـــمـــعـــاديـــن ضـــرّ
ولـــي مـــن الـــحـــلـــو حـــالا ... قصـــــدٍ فـــقـــلٌّ وكـــثـــر
وغـــيَّـــب الـــقـــطـــرُ فـــهـــمـــي ... وأوَّل الـــغـــيـــث قـــطـــر

[474] وقال:

صـــبٌّ تـغـنَّـى وجـنـح الـلـيـل مـعـتـكـر ... فضـــاء قبل ضـــياء الصـــبح ينتشـــر
يـا ســـاكن البيـت من شـــعري وقلبي إذ ... هـذا صـــحيح وهـذا منـه منكســـر
إن كـان إفراطُ حبي فيـك أصـــبح لي ... ذنبًـا فـأهـلًا بـذنـب لـيس يـغـتـفـر
يـا مـن أهـنـيـه بـالأعـيـاد مـقـبـلـة ... فـطـرًا ونـحـرًا وقـلـبـي فـيـه مـنـفـطـر
وغـاب ذهـنـي فـي الأضـــحـى فـهـأنـذا ... كـأنَّـني الـتـيسُ من شـــكواه منتحر
هـذا وقـلـبـي كشـــعـري أنـت ســـاكـنـه ... والـبـيـت بـيـتـك والـمـعـروف يـنـتـظـر
يبكي اشـــتـيـاقًـا إليكم صـــائغٌ مـدحًـا ... فـالـدُّرُّ مـنـتـظـمٌ مـنـه ومـنـتـثـر

[475] وقال:

لـك عـارضٌ لـدمـوع عـيـنـي مـمـطـر ... فـدعِ الجفـاءَ فلســـت ممن يصـــبر
هـيـهـات مـا الـقـلـب الـذي أحـرقـتـه ... يـا فـاتـرَ الأجـفـانِ مـمـن يـفـتـر
حســـبـي وحســـبـك أنَّ جـفـنـك نـاعسٌ ... أبـد الـزمـان وأن جـفـنـي يســـهـر
ألـبســـتـنـي ثـوب الـغـرام مشـــهـرًا ... فـمـدامـعـي حـمـرٌ ولـونـي أصـــفـر
ونصـــبـت لـلـتـبـريـح أحشـــائـي الـتـي ... فيهـا من الأشـــواق فعـل مضـــمـر
يـا صـــاحـب العطف الموشـــج شـــعره ... قـول الـعـواذل فـي هـواك يـكـفَّـر
إن كـنـتُ لـم أســـمـعْ مـقـال عـواذلـي ... فوحقّ حســـنـك أنَّـهم لـم يـبصـــروا

[476] وقال:

ســـيـدي والـذي لـه صـــدقـات ... ســـابقـات لســـبق قلبي الكســـير
أعـف بـالله عـن تـواقـيـع قـوم ... أجحفوا عنـدهـا بحـالـي الســـعـير
يـطـلـبـون الـثـنـا طـويـلا وأخشـــى ... مـن مـعـاداتـهـم عـلـى الـتـقصـــيـر
وأقضـــي الـدُّجـى ســـهـادًا ويـمضـــي ... في حـديـث الـغـنـى حـديـث الـفـقـيـر

[478] وقال:

مضـــت أحبـة قلبي حيث لا ســـكن ... يســـلـي الـمـحـبّ ولا أهـل ولا دار
وخـفـف الـحـزن أنـي لاحـق بـهـم ... وأن صـــرف الـردى بـالـخـلـق كـرار
تـرمـي الأهـلـة أعـمـار الأنـام فـلا ... يـفـوتـهـا حـذر الأحشـــاء فـرَّار
كـأنَّ كـل هـلال فـي مـطـالـعـه ... قـوس لـه عـنـد أهـل الأرض أوتـار

[479] وقال:

أنح جناب الوزير منتصرًا ... فإنَّه جابر لما كسرا
ناديه بالأغنياء محتفل ... وسرّه حائم على الفقرا
سوف يرى رأيه الجميل إذا ... أتى حماه الرحيب سوف يرى
نعم وزير لا وزر يتبعه ... فينا وأما سواه لا وزرا
حلى ثناه لأحرفي قعدت ... كالنمل تسعى له مع الشعرا

[480] وقال:

أيا ملكًا أيامه الغر كلها ... مواسم تلقى الناس بالمنن الغر
تهنَّ بعيد النَّحر وابق ممتعًا ... بأمثاله سامي العلا نافذ الأمر
تقلدنا فيه قلائد أنعمٍ ... وأحسن ما تبدو القلائد في النحر

[481] وقال:

يا مليكًا تنظر الشهب له ... مثلما تنظر للشهب الورى
دُم كذا في كل وقت سامعًا ... مدحًا يعيي مداها الفكرا
كلما أوردت منها قصصًا ... حرجت منها صدور الشعرا

[482] وقال:

بموسى أستجر سليمان عذ ... فنعم الوزير ونعم الأمير
ولا تخش بينهما عسرة ... بديوان حشر دمشق العسير
فلله لطف لديهم يقو ... ل ذلك حشر لدينا يسير

[483] وقال:

يا سيد الوزراء الأكرمين ومن ... قد وافق الخبر في عليائه الخبرُ
الغيث والوحل عذري إن قعدت فمن ... ذنب السماء وذنب الأرض وأعتذر
والجبر من خلقك الوضاح أجعله ... لما على ذمتي في القصد ينكسر

[484] وقال:

أحبّ ديار ساداتي ولم لا ... أحبّ لأل فاطمة الديارا
فمن لي أن أطوف عليه بابًا ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وأدخل جنة قد عجلت لي ... لأني بالولاء أمنت نارا

[485] وقال:

تهنَّ تشاريف السعود تواصلت ... وتدبير ملك الشام والنهي والأمر
لئن بيضت عين المحبين بالهنا ... لقد بيضت عين المعادين بالقهر
دُم وابق للسر الشريف أمينُهُ ... على السر في كل المقادير والجهر

[486] وقال:

قلتُ إذ جاءني ندى ناظر الثغـ ... ـر على البعد حبَّذا الغيث يذكر
فخر دين الإله أخبرني عنـ ... ـه سراج به المحامد تزهر
رب عمره في رواة المعالي ... فهو فيهم نعم السراجُ المعمَّرُ

[487] وقال:

بأبي غزالٌ كاسرٌ ... قلبي بناظر الكسير
ذو وجنةٍ قد زان شعـ ... ـر الصدغ منظرها النضير
خيلانها في جنَّةٍ ... ولباسهم فيها حرير

[488] وقال:

أمـا ابـن يـعـقـوب فـأنـدى الـورى ... وأعـلـمُ الـقـوم ولا أمـتـري
يـجـود مـن مـالٍ ومـن مـنـطـق ... بـالـعـرض الأوفـى وبـالـجـوهـر
لا زال كـالـزهـرة مـن بشـره ... وبـالـنـدى لـلـحـر كـالـمشـتـري

[489] وقال:

قـدرت على الإحسـان سـرا وكيف لي ... بنوح نسـيم الشـكر أصـنعـه سـرا
فـيـا حـبـذا الـبـر الـذي لـيـس عـيـبـه ... سـوى أنَّني لا أسـتطيع لـه شـكرا
سـأجعل شـكري مثل ميت كما تشـا ... لـيـعـظـم رب الـعـلـمـيـن لـي الأجـرا

[490] وقال:

يـا صـاحبًا صـحبت معـارفـه الورى ... هـنـئـتـهـا خـلـعًـا مـجـددة السـرى
زهـراء مـعـلـمـة إذا لاقـيـتـهـا ... لاقيت منهـا العيش أبيض أخضـرا
لا غـرو حـيـن نـراك لابـس خـلـعـة ... فـالشـمس تحـت الغيم أمكن مـا ترى

[491] وقال:

هـنـيـئـا لـك الـحـجّ الشـريـف وحـبـذا ... بـك الربـع مـأهول المـنـازل والـدهـر
كـذا فـلـيـعـد مـن عـاد مـقـبـول حـجـة ... لـه الـذكـر كـل الـمـنـازل والأجـر
يـحنّ اشـتـيـاقًـا نـحو رؤيـتـه الصـفـا ... ويـمـلأ دمـعًـا بـعـد فـرقـتـه الـحـجـر

[492] وقال:

وكـاتـبـة فـي خـدِّهـا بـدمـوعـهـا ... لبعدي من شـرح الأسـى أسـطرًا حمرا
تـقـول وظـهـر الـعـود يـخـدج لـلسـرى ... متـى تشـتفي بـالعود مقلتي العبرى
فـقـلـت امـلـئـي خـدَّيـك تـبـر مـدامـع ... إلـى أن أرى كـفـيّ قـد مُـلآ تـبـرا
فقـالـت إلى بـدر العـلا فـاركـب الـدُّجى ... فقلـت نعم فـاسـتيقنـت بلج المسـرى
فـطـاف عـلـى يـمـنـى يـديـه رجـاؤنـا ... وأقسـم أن لا بـد أن يبلـغ اليسـرى

[493] وقال:

قاضي القضاة أعزَّ الله جانبه ... أولى بقصدي وتأميلي وأشعاري
إني وصحبي وشمس الدين أولهم ... إلى الدعاء له سباق مضمار
إذا ذكرناه فاح العطر أجمعه ... فكلنا فيه عطار ابن عطار

[494] وقال:

فديتك للندى والعلم بحرًا ... إذا جارى نداه المزن غرَّر
كسوت العبد بردًا من فخارٍ ... حريريّ على العليا تحرَّر
تحرَّر نظمه معنًى ولفظًا ... فيا لله من بردٍ محرَّر

[495] وقال:

تهنَّ بهاج لغة قدّمت ... بأمثالها موجبات البشاره
ومرتبة نبَّأت بالسعود ... فكانت كما قيل نعم الأماره
سعودك عندي زهر الربيع ... وعند عدوك شقّ المراره

[496] وقال:

جادت ضريحك يا خطيب غمامةٌ ... زكياءُ يخطب رعدها فيكرر
إما ليسعى نحو قبرك دانيًا ... شوق يحث ولوعة لا تتعثر
ولو أنَّ مشتاقًا تكلَّف فوق ما ... في وسعه لسعى إليك المنبر

[497] وقال:

تهنَّ بشهر الصوم يا خير صاحبٍ ... صحبنا به الأيام واجبة الشكر
وعش ذا زمانٍ كله من تنسك ... ومن كرم مستقبل الصوم والفطر
مناقب شاعت في الورى علويةً ... فكلهم فيها يشيّع من عذر

[498] وقال:

تشـــرَّف يـا رســـول الله نـظـمـي بـمـدحـك واســـتـجـاش بـكـلِّ خـيـرِ
فـمـا أعـلـى وأبـرك مـنـه كـعـبـي ومـا أعـلـى نـبـاتـي عـن زهـيـر

[499] وقال:

عـش يـا وزيـرًا شـــمســـه قـد زهـت ويـا أمـيـرًا حســـنـه قـد زهـر
ســـبـحـان مـن دبـر أحـوالـنـا وســـخـر الشـــمـس لـنـا والـقـمـر

[500] وقال:

وكـنـتُ أظـنُّ فـي كـبـري صـــلاحًـا يـكـفِّـر زلـة الســـنَّ الصـــغـيـر
فـلـمـا أن كـبـرت ازددت نـجسًـا فقـل مـا شـئـت في النحس الكبير

[501] وقال:

تـقوى الـورى إذ يـبـيـت شـــعري مـخيَّـب وفي بيـت غيري من نـداك يســـار
ألـم تـرى الـفـقـر يـجـفـى ويـجـتـوى وبـيـت الـغـنـى يـهـدى لـه ويـزار

[502] وقال:

ألا رب يـوم والـظـبـا حـول دارهـا تصـــف علـى أيـدي الـكـمـاة وتـزهـر
وقـفـت كـأنـي مـن وراء زجـاجـة إلى الـدار من فرط الصـبـابـة أنظر

[503] وقال:

أمـا حـمـاة فـعـيـش ســاكـنـهـا صـــفـو وكـل زمـانـه ســـحـر
اســـكـنـدر الأيـام مـالـكـهـا بـدلـيـل أن زمـانـه الـخضـــر

[504] وقال:

بـروحـي نـديـم تشـــهـد الـراح أنَّـه ... قضـــى العمر بـاللـذات وهو خبير
تـذكـر مـزج الـكـأس عـنـد وفـاتـه ... فـأوصـــى لـهـا بـالثلـث وهو كثير

[505] وقال:

أصـــبحـت يـا مـالـكـي بـغـيـض نـدى ... ديـنـــاره مـنـــجـــح لأوطـــاري
إذا رويـــت الـــثـــنـــاء مـــتصـــــلا ... أرويـــه عـــن مـــالـــك ابـــن ديـنـــار

[506] وقال:

جـادت صـــفـات عـلـي فـي الـورى رتبًـا ... تظلمـت من ســـنـاهـا الأنجم الزهر
امـا تـرى مـا تشـــكـــى مـن أنـامـلـه ... عـطـارد وادَّعـى فـي وجـهـه الـقـمـر

[507] وقال:

أهـم بـتســـطـيـر الـذي أنـا واجـد ... إليـك فيمحو دمع عيني أســـطـاري
فـيـا عـجـبًـا لـلـدمـع بـثَّ ســـرائـرًا ... لغيري ودمعي مـانعي بـث أســـراري

[508] وقال:

بـروحـي مـكـفـوف الـلـواحـظ لـم يـدع ... ســـبيـلا إلـى صـــبـر يـفوز بـخـيره
ســـوالـفـه تـغـنـي الـورى خـتـل طـرفـه ... ومن لم يمـت بـالســـيف مـات بغيره

[509] وقال:

ركـبـوا وقـد مـلأوا الـفضـــا فـي أحـمـر ... كـالشـــمس تشـــرق في العجـاج الأكـدر
فـزمـانـهـم يـقضـــي بـعـيـش أبـيـض ... وجـيـوشـــهـم تســـري بـمـوت أحـمـر

[510] وقال:

أمولاي شمس الدين شكرا لأنعمٍ ... همى قطرها حتى استوى ناهضًا شكري
وكان نباتي قد ذوى عنه معشرٌ ... فأحياه محيي النبت بالشمس والقطر

[511] وقال:

نسبي لبيتك زادني شرفًا ... في البدو مذكور وفي الحضر
حسب النبات بكل ناحية ... شرفًا إذا وصفوه بالخضر

[512] وقال:

كذا أبدًا يا أرفع الناس همة ... غوادي الندى من راحتيك غزار
أقدم أطراسًا وتمنح أنعمًا ... فمني أوراق ومنك ثمار

[513] وقال:

تكشفت عن نتيف ... فقلت قومي وسيري
فما متاعك دنيا ... إلا متاع الغرور

[514] وقال:

أفدي مليحًا لي إلى ... مرآه طول الدهر فقر
من خده وجفونه ... للحسن دينار وكسر

[515] وقال:

صفت المرد لذقني ... بعد نسوان أداري
كنت زيرًا لنساء ... صرتُ كوزًا لصغار

[516] وقال:

ونجل من بني الآداب أفدي ... حلاه بالصغير وبالكبير
بودي لو نطقت له بوصفٍ ... فآتى بالمطرَّز والحريري

[517] وقال:

قلت لطائفُ شعري ... شاكل كريمًا بمصر
فعنده بيت بحرٍ ... وعندنا بيت شعر

[518] وقال:

سكنت وابني بدار قومٍ ... أوقاتنا تارةً وناره
فإنها بالخصام نارٌ ... وقودها الناسُ والحجاره

[519] وقال:

تقلدت من نعماك في حال غربتي ... قلائد شتى من نوالٍ ومن شعر
وأسكنتني بيتًا على البحر أرتجي ... مكافاته في ألف بيتٍ على بحر

[520] وقال:

يا مالك الرِّقِّ بالعطاء لقد ... ملكت رقي ورقّ أحرار
وقد رويت الثناء متصلا ... في الجود عن مالك ابن دينار

[521] وقال:

أمولاي نور الدين خادمك الذي ... تغيبت عن عينيه لم يك مسرورا
إذا غبت عنه خاف في عينه العمى ... وحسبك أن العين لا تبصر النورا

[522] وقال:

يقول لي الحاسب المنجم ما ... تريد أنبيك عنه بالخبر
عطارد الوقت أنت صاحبه ... فقلت بالله صاحب القمر

[523] وقال:

عاقبت الفخر مع نحافتها ... عودية ما تغيب عن نظره
حاشاه حاشاه أن يشاهده ... والعود في سمعه وفي بصره

[524] وقال:

ذكرت صومي في عامين قد جمعا ... لحالتي بين ذي وصل ومهجور
قد فطراني فما في ذا وذا كبد ... شتان ما بين تفطير وتفطير

[525] وقال:

يا ساكن البيت من قلبي ومن مدحي ... هذا صحيحٌ وهذا منه منكسر
إن كان إفراط حبيب فيك صير لي ... ذنبًا فأهلًا بذنب ليس يغتفر

[526] وقال[1]:

رقَّ النسيم كرقتي من بعدكم ... فكأنَّنا في حبكم نتعايرُ
ووعدت بالسلوان واش عابكم ... فكأننا في كذبنا نتخايرُ

[527] وقال:

لو أن قومي في حالٍ يساعدهم ... في الخير والشر لم أحذر من الضير
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء ولا الخير

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 382 ورد البيت الثاني. وفيه: "بالغتُ ممندحًا وبالغ واعدًا".

[528] وقال:

سألت مصاحبي عدسًا مصفى ... فأبدى لي بذا فرحًا كبيرا
ولا عدسًا رأيت له وأما ... مصفاه فصفى لي كثيرا

[529] وقال:

تهنَّ صومًا سعيدًا ... في رفعة وسرور
ولي سماء لهاة ... فهل ترى من فطور

[530] وقال:

يا غادرًا بي ولم أغدر بصحبته ... وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي إخال جفا ... فجاء ما ختله نقشًا على حجر

[531] وقال:

تناسبت فيمن تعشقته ... ثلاثة تعجب كل البشر
من مقلة سهمٌ ومن حاجب ... قوس ومن نغمة صوت وطر

[532] وقال:

محوا شعر المليح وكان مما ... يقرُّ نواظرًا ويسرّ فكره
فليت يد المزين فيه أضحت ... كما قالوا معلقة بشعره

[533] وقال:

أمولاي عندي للثناء قصائد ... تريك رياض اللفظ باسمة الزهر
وتشتاق من إحسانك الحلو رسمها ... ولا عجب شوق الرياض إلى القطر

[534] وقال:

وحقك ما أخرت عنك لجفوة ... ولكن لوحل عن حيا يتحدر
أعيد به شخصي لول خلقه ... فها أنا من طين وماء مصور

[535] وقال:

رأيت في قار رشًا فاتنًا ... فيا عنا قلبي وتذكاري
متى أراني في الدجى راكعًا ... من خلف ذاك الرشأ القاري

[536] وقال:

صاح هذي أواخر العمر قد و ... لَّى وهذي أواخر الأشعار
أنجم قلتها أوان مشيبي ... فهي لا شك أنجم الأسحار

[537] وقال:

عرج على حرم المحبوب منتصبًا ... لقبلة الحسن واعذرني على سهري
وانظر إلى الخال فوق الثغر دون لمًى ... تجد بلالا يراعي الصبح في السحر

[538] وقال:

سائلي عن شرح حالي بعد من ... خلفوني مفردًا بين الورى
لا أرى العيش يساوي حبَّةً ... بعد ما جاءت قلوبٌ في الثرى

[539] وقال:

جار الزمان عليَّ بعدكم ... فلقيت ذاك الجور بالشكر
لو طاب طاب لي الحياة إذا ... ولقيتكم بفضيحة العذر

[540] وقال:

يفيض جفني إذا ما رأى لشعر ضفيره
فيا له من غدير ويا له من عذيره

[541] وقال:

حبذا الليل وكاسات الطلا مشرقات كاللآلي الزَّاهره
يا لهم من جنح ليلٍ قد بدت فيه ساعات نهار دائره

[542] وقال:

كان لي مال ولبسٌ قبل تهيامي وسكري
فسبكت المال طاسا وصبغت اللبس خمري

[543] وقال:

يممت بابك وهي مني عادة معروفيفيض جفني إذا ما
فامدد إلى القلم اليمين فإنَّها نعم اليمينُ تكفلت بيساري

[544] وقال:

يبقى الوزير بهاء الدين ما بقيت زهر النجوم ويفنى أكثر البشر
وقد تفاءلت من طول البقاء له إذ قال عنه الورى هذا أخو الخضر

[545] وقال:

تركت المال والجاه لأهل القدر والقدره
فحسبي من حمى كسرٌ وحسبي من غنى كسره

[546] وقال:

لقد أصبحت في حالٍ يرقُّ لمثلها الحجر
مشيبٌ وافتقار يدٍ فلا عينٌ ولا أثر

[547] وقال:

قفا فاعجبا من هامل الغيث إنه لأحسن شيء يعجب العين والفكرا
يمدُّ على الآفاق بيضَ خيوطه فينسج منها للثرى حلة خضرا

[548] وقال:

لا يبرح الناس في محل وفي شظف حتى يجدد لي في وجهه سفر
هناك تلقى غوادي المزن هاطلة الحمد له سبي يستنزل المطر

[549] وقال:

دعوا شبيه الغزال يرمي في مهجتي بالنفار جمرا
تالله لا فاتني لقاه وعين كيسي عليه حمرا

[550] وقال:

بين أجفان ابن عمرو وسواد دائرٌ في كل عقل بخمر
كلما طاف على الصِّب غنَّى اسقنيها يا سواد بن عمرو

[551] وقال:

أرسلته نعم الجليس إذ تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا أبدًا ويقنع بالنظر

[552] وقال:

رأيتك صدر الدين غيث مكارم ... فعرَّضت آمالي إلى طلب القطر
وأمَّلت أن تجلي عليَّ كنافة ... وأحسن ما تجل الكنافة في صدر

[553] وقال:

سواد الشعر حول بياض جسم ... تجلى فيهما الرشأ الغرير
وقيل عُبيَّةٌ فحلفت أني ... وكل العالمين لها فقير

[554] وقال:

وأبيض شعره طويل ... والخدّ قد زانه العِذار
كالشمس طابت ربيع وقت ... واعتدل الليل والنهار

[555] وقال:

بروحي جيرة أبقوا دموعي ... وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنا للمجاورة اقتسمنا ... فقلبي جارهم والدمع جاري

[556] وقال:

سبتني صفات السكريّ الذي حكى ... بضاعته حتى عدمت قراري
مكرَّر لفظ في ثنيَّات مبسم ... وأحمر خدّ في نبات عذار

[557] وقال:

عجبت لو صاف الذي قد هويته ... وليس بمحتاج لوصف مقرر
ببدر ونور البدر واصف نفسه ... وحلو وحلو لا يقاس بسكر

[558] وقال:

وفـــحـــمـــة فـــي حـــرهـــا حـــر يـــنـــافـــي ذكـــرهـــا
إن قـــلـــت مـــا أقـــبـــحـــهـــا قـــلـــت ومـــا أحـــرَّهـــا

[559] وقال:

قـل لـلإمـام الـذي جـلـت صـــنـائـعـه عنـدي وعنـد عفـاة البـدو والحضـــر
يـا من أغـاث بـذي القرنين أضـــحيتي بقيـت للـدين والـدنيـا بقـا الخضـــر

[560] وقال:

نـاديـتـهـا ولـهـا بـيـن الســـمـان حـر مثر بحق الهوى جودي على ضـــرري
فاســـتضـــحكت ثم قـالـت وهي شـــادنـة إن الـذي هـو مـثـر لا يـجـود حـري

[561] وقال:

لا عيـب في بر مولانـا العـميم ســـوى أن لـيس يكـتم عن ســـاريـه آثـار
ولـيـس يـكـتـم والـكـانـون مـرتـفـع كـأنـه عـلـم فـي رأســـه نـار

[562] وقال:

ربّ دوح بـــاكـــرتـــه عـــزمـــتـــي ونـديـمـي بـعـد أحـبـابـي ادكـار
فـــإذا أعـــمـــلـــت فـيـــه قـــدحًـــا شـــبـب الوصـــف وغنـاني الـهزار

[563] وقال:

عـــن خـــدِّه مـــنـــع الـــرقـــيـــب وبـــعـــده داجـــي عـــذاره
واهًـــا لـــهـــا مـــن جـــنـــة حـــفـــت بـــأنـــواع الـــمـــكـــاره

[564] وقال:

وقائل لي عندما عدت إلى ... قاضي القضاة بعد طول مسرى
اهدِ له مدحًا جميلًا ودعًا ... قلت نعم كلاهما وتمرا

[565] وقال[1]:

تهن بمنزليك وجُرَّ ذَيْلَي ... سعودك فيهما خبرا وخبرا
فمن دار السعادة كل يوم ... إلى دار الهنا وهلم جرا

[566] وقال:

يا حبذا الظبي الذي ... قد كان يتعمد النفارا
عاينت صوغ صفاته ... فجعلت خاتمه سوارا

[567] وقال:

يا سيدي لا برحت ذا نعم ... كل ثنى عن وصفها قاصر
من لم تكن في الزمان ملجأه ... فما له قوة ولا ناصر

[568] وقال:

سأشكر نعماك التي من أقلها ... قطائف من قطر النبات لها بحر
أمدّ لها كفي فيهتزُّ فرحةً ... كما انتفض العصفور بلله القطر

[569] وقال:

أسرت إلى سمعي غداة ترحلت ... حديثًا إلى حفظ العهود يشير
وهيَّج عندي قرب خدِّي لخدِّها ... بكى فتلاقى روضة وغدير

([1]) التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 251/3. البيت1: "سعودك مرة من بعد أخرى".

[570] وقال:

أصبح شمس العلا فريدًا ... في صنعتيه بغير نكر
علم كلامٍ وعلم نحوٍ ... فما ابن بحر وما ابنُ بري

[570] وقال:

سيدي عش أبدًا في أنعمٍ ... أنا منها في حمى عيشٍ نضير
ليس يا ابن اليأس مما أرتجي ... بعدما قربتني يا ابن الخضير

[571] وقال:

شكرًا لعلياك التي أورثتها ... يا ابن السيادة كابرًا عن كابر
قلبي جبرت وحالتي تبغي الغنى ... حتى يقال روى صنيعي جابر

[572] وقال:

سيدي قابل سناها سنة ... بالتهاني والعلا والاقتدار
إن تكن ستا كما قد أرخوا ... فلها في أنجم السعد جوار

[573] وقال:

من مبلغ الأدباء أن يدي ... ظفرت بوافي الود موفور
ووجدت في أفق البيان هدى ... لما نزلت بجانب الطور

[574] وقال:

يا لائمي في خادم لي سيد ... قسما لقد زدت السلوّ نفورا
ولقد أردتَ على المسامع قهوة ... في الحب كان مزاجها كافورا

[575] وقال:

هنئت صومك ترتجي أو تختشي ... من قاصدٍ أو حاسدٍ مغرور
هذا تفطّره من الأفطار أو ... هذه تفطّره من التفطير

[576] وقال:

أمولاي عزّ الدين جوزيت صالحًا ... عن القوم نالوا من حباك حبورا
فلولاك في شهر الصيام لما رأوا ... سوى في سماء الاصطبار فطورا

[577] وقال:

يخفي الضنا جسمي إذا أبصرت ... غني شعور الغيد فوق الظهور
لفهمك الغفلة يا عاذلي ... عما أعاني ولفهمي الشعور

[578] وقال:

وتاجر قلتُ له إذ رنا ... رفقًا بقلب صبره حائر
ومقلة تنهب طيب الكرى ... منها على عينك يا تاجر

[579] وقال:

سال العذار بعنبر متأرّج ... وأتت محاسن وجهه في عسكر
يا عاشقين يجادلون وُشاتهم ... فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر

[580] وقال:

والى شهيّ الرشف وقتًا وفي ... وقتٍ له التحكيم والقهر
لسانه في فمه قائل ... اليوم خمر وغدًا أمر

[581] وقال:

أشـــكـــو جـــفـــا غـــادةٍ عـــرانـــي ... مـــن لـــوعـــة الصـــــدِّ مـــا عـــراهـــا
ضـــــنـــيـــت والـــدَّمـــع مـــلء جـــفـــنـــي ... فـــــلا تـــــرانـــــي ولا أراهـــــا

[582] وقال:

جرى دمع عيني فـانثنى الحـبّ مغضَـــبـا ... وقـال أراه في الهوى فـاضـــحًـا ســـرّي
وأقســـم مـا لـي فـي الـهـوى فـرجٌ ســـوى ... جفـونـي أدعـوهـا ومـهـمـا جرى يـجـري

[583] وقال:

أفـدي الـتـي فـطـرت قـلـبـي لـواحـظـهـا ... موافقًـا لمعـاني حســـنهـا النضـــر
يـا جـفـنـهـا وكـرى عـيـنـيّ فـطـرنـي ... من كـان منكم مريضًـــا أو على ســـفر

[584] وقال:

يـقـول لـــي مـــن لا درى حـــالـــتـــي ... أراك قـد غـبـتَ عـن الـعِشـــــره
لـــعـــلَّ مـــولانـــا بـــكـــسّ خـــلا ... قـلـت نـعـم كـسّ أخـت مـا أكـره

[585] وقال:

مـن شـــؤم حـظِّـي أنَّـنـي عـاشـــقٌ ... خـائـفـةً مـن أهـلـهـا نـكـرا
يـنـفـق أيـري كـلـمـا حصـــلـت ... يـداي مـــن بـــرًّا إلـــى بـــرًّا

[586] وقال:

مـاذا لـقـيـت بـمـن أعشـــت روائـهـا ... عيني وضـــاق بها صـــبري ومصـــطبري
قســـت وقـالـت ترى حســـني فقلـت لهـا ... غطـي هواكِ ومـا ألقى على بصـــري

[587] وقال:

لـقـد كـنـت فـي لـذَّات ثـغـرك هـائـمًـا ... لـيـالي لم يمنع على عـاشـــق ثغر
فـأمـا وســـرٌّ دونـهـا فـي شـــواربٍ ... فـلا خـير فـي اللـذات دونـهـا ســـتر

[588] وقال:

يـا ســـائـلـي عـن حـال عـمـ ... ـــــرٍ وقـد ســقطـت على الخبير
نـقـشُ الـفصـــوص أعـاد صـــا ... حـبـنـا عـلـى نـقـش الـحصـــيـر

[589] وقال:

أحـلـتـمـونـي بـمـعـلـومـي عـلـى أمـدٍ ... يـوم الـقـيـامـة أدنـى مـنـه لـلـفـكـر
فـلســـت أدري وقـد طـال الـزمـان بـه ... على الزَّكـاة أحلتم أم على الحشـــر

[590] وقال:

أشـــار علـيَّ الزين بـالمرد لا النســـا ... فخـالفتـه حتى انقضـــى العمر في كـدر
فـيـا لـيـت أمـي لـم تـلـدنـي ولـيـتـنـي ... رجعـت إلى القول الـذي قـالـه عمر

[591] وقال:

أتـانـي وأصـــحـابـي فـي الـفـجـل واردٌ ... فقلـت لـهم قول النصـــيح ولا نكرا
خـذوا حـذركـم مـن خـارجـيّ عـذاره ... فقـد جـاء زحفًـا في كتيبتـه الخضـــرا

[592] وقال:

إنـي لـمـن مـعشـــر لـلـمرد قـد ركضـــوا ... خـيـل الـلـقـا بـيـن زحـاف وكـرار
قـوم إذا حـاربـوا شـــدُّوا مـآزرهـم ... دون النســـاء ولـو بـاتـت بـإطـهـار

[593] وقال:

قبح الذين عن الجنوك تغافلوا ... وتشاغلوا بالكسب في الأسفار
يستيقظون إلى نهيق حميرهم ... وتنام أعينهم عن الأوتار

[594] وقال:

لله نظمك للطروس لقد ... نعمت به الألحاظ والفكر
أوراق حظ كلها ثمر ... وبحور شعر كلها درر

[595] وقال:

حظّ توعرت المسالك نحوه ... فإذا جريت وراءه أتعثَّر
ولقد يصبرني على ما ألتقي ... حال وها أنا كالقتيل مصبر

[596] وقال:

قال لي القلب عد لمالكنا ... فإنه جابر لما كسرا
سوف يرى رأيه الجميل ومن ... يكيدنا في حماه سوف يرى

[597] وقال:

أودع مولانا على نية اللقا ... سريعًا وعودي نحو إحسانه الغمر
فيمنحني بيتًا على النهر حاصلًا ... وأمنحه خمسين بيتًا على بحر

[598] وقال:

إلى الله أشكو مدتي وتباعدي ... عن المنظر البدري أجلو به الضرا
كفى من عمى لحظي وحظي إنني ... إذا فتحت عيناي لا تبصر البدرا

[599] وقال:

أفٍ لعبدِ الدينار لو رضيت ... همته بالشقاء والفكر
يا عابد الدرهم الخلاص أفق ... فإنما أنت عابد الجر

[600] وقال:

وكم دون ليلى من عقاب قطعتها ... شوامخ تضني كل سار وسائر
محاجر أسعى فوقها سعي أدمعي ... وحُقَّ لليلى السعي فوق المحاجر

[601] وقال:

هنئتمُ آل الشهيد بنجمكم ... وبوجه مولود لكم ما أزهره
من قبل ما عملت لديه عقيقة ... عملت له المدح الجواري جوهره

[602] وقال:

يقولون كرِّر وصف ما قد سمعته ... أذانًا وتسبيحًا من الفائق المصري
فهل مثله في الصبح يسمع والعشا ... فقلت: ولا والله أسمع في العصر

[603] وقال:

وأزرق العين يمضي حدّ مقلته ... مثل السنان بقلب العاشق الحذر
قالت صبابة مشغوف بزرقتها ... دعها سماويَّة تمضي على قدر

[604] وقال:

قل لمن بالغ في الفخر بما ... قد حواه من حطام قد تيسر
أنت فخَّارٌ بدنياك ولا ... بدَّ للفخَّار من أن يتكسَّر

[605] وقال:

إذا كنتم لا تذكرون قضيتي ... وتأبون مني ساعة أن أذكرا
فإني أرى حالي سيمسي لديكم ... ولكنه الحبَّال يمشي إلى ورا

[606] وقال:

تصدى إلى أيري فقلت له اتَّئد ... وحقك لو أبصرته وهو ثائر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

[607] وقال:

دارت عذار فلان ... حتى غدا وهو حائر
فيا له حسن وجهٍ ... دارت عليه الدوائر

[608] وقال:

يا من يعللني بكأس مدامة ... عن وصل من همي به يتكاثر
لون المدام كما تراه وإنما ... خدّ الذي أهواه لونٌ آخر

[609] وقال:

أفي كلّ يوم أنت حامل مدحة ... إلى المجد غادٍ بالعطا المتواتر
فيا ليت شعري والمطامع جمة ... إلامَ يراك المجد في زيّ شاعر

[610] وقال:

حمى ثغرًا بخالٍ عنبريٍّ ... يقول وقد تزايد ضوع نشر
أضاعوني وأي فتًى أضاعوا ... ليوم كريهة وسدادِ ثغر

[611] وقال:

مصـــــريــة تـبـدي الـتصـــــامـم إن روت لـفـظًـا لأن الـلـفـظ مـنـهـا ســـكَّـر
يـحـلـو إذا هــي كـررتــه وحســـبـكـم بـالسُّـــكَّـرِ الـمصـــريّ حـيـن يـكـرر

[612] وقال:

ســـقـى الـغـيـث قبرًا حلـه الـنجم والنَّـدى وفضـــــل النُّهى والعلم والفضـــــل والنثر
كـأنَّ بـنـــي الـعـلـيـاء يـوم وفـاتـه نجومُ ســـمـاء خرَّ من بينهـا البـدر

[613] وقال:

إن حـرمـت الـقـلـيـل مـن مـال بـيـرو ت عـلـى فـاقـتـي فـلـيـس كـثـيـرا
إنَّ شـــيـــخ الشـــيـــوخ أيـده الـلـــ ـــــه رأى أنـنـي أعـيـش فـقـيـرا

[614] وقال:

أفـدي صـــــحـابًـا مـذ عـرفـت ولاءهـم عـرف الـرجـاء مـطـالـع الـتيســـير
أروي الـمـروءة عـنـهـم عـن نـافـعٍ والـبـرّ أرويـه عـن ابـن كـثـيـر

[615] وقال:

دعـا ابـنـي لـمـولانـا بـقـلـبٍ ونـيَّـةٍ دعـاءَ أبـيـه صـــالـحًـا وكـثـيـرا
وألبســـتـه من فـاخـر الصـــوف جبَّـة ســـتـعـتـاض عـنـهـا جنَّـة وحـريـرا

[616] وقال:

لـعـمـري لـقـد أمـلـى ثـمـار عـلـومـه علينـا وأهـداهـا الكبير المصـــدَّر
وقـد كـان يـمـلـي مـثـلـهـا ابـن وكـيـلـهـا ولـكـنَّ هـذا الصـــدر أمـلـى وأكـبـر

[617] وقال:

بروحي بهي الوجنتين شهينها ... مروَّعٌ لإقبال العذار صبور
يخاف حواليها عوارض تلتقي ... ويعلم أن الدَّائرات تدور

[618] وقال:

وقوم يخافون مسّ الهجاء ... وقد سلكوا فيه طرق الغرر
يقولون لي لا تقع فيهمُ ... فقولوا لهم لا تكونوا حُفَر

[619] وقال:

أنظر إلى الدهر الذي ساق الورى ... خبرًا بأقطار البلاد ومخبرا
رقمت ثياب غصونه إبر الحيا ... والرَّقم أحسن ما يكون مزهرا

[620] وقال علائية:

حيَّت حمى حلب أنفاس غادية ... مشَّاءة بنميم الرَّوض غماز
كم ليلةٍ تمَّ يا ليلاي قد قنعت ... عني بمسرع خطو الطيف هماز
كأنَّ وصلت مالٌ في يمين فتًى ... ما ماله في يديه غير مجتاز
إلى العفاة سبوق قبل مسألة ... حاشا جواد عطاه ذكر مهماز
أما نوال ابن يحيى فهو صنعته ... سرًّا وجهرًا كما قد قيل خرازي
أهلًا بمقدمه العالي فحيث بدا ... فأضبعٌ منه من نيل الوفا هازي
أشتاق أهلي وأولادي ليطربهم ... من رؤيتي نظم جزار وخباز

[621] وقال يطلب إذنًا بالحضور:

ما يقول المقام أيده الله ... ولا زال للسعود يحوز
في وليّ ببابه ترك الخلـ ... ـق ووافى يجوز أم لا يجوز

[622] وقال يطلب جراية خبز:

لـجـأت إلـى بـاب الأمـيـر وظـلـه ... وفـارقـت ذلي إذ وصـلـت إلى العزِّ
وأصـبحـت من جنـد المحـامـد والغنى ... ولا بـدَّ لـلـجـنـديّ مـن طـلـب الـخـبـز

[623] وقال:

أيـا جـنَّـة الـحسـن الـتـي قـد تـبـرجـت ... متى أنـا بـالوصـل المؤمـل فـائز
ويـا شـرعـةً لـلـحسـن قـلـبـي واجـب ... عـلـيـهـا مـتـى مـمـنـوع قـربـك جـائـز
أمـا وصـفـات منـك قـد غـارت الظبـا ... فـأمسـت ومـأواهـا الـفـلا والمفـاوز
لـئـن كـمـلـك مـنـك الـمـحـاسـن إنـنـي ... إلـى عـطـفـة مـن مـعـطـفـيـك لـعـائـز

[624] وقال:

طـاب الـمـقـام الـوصـل مـع شـادنٍ ... بـرزت لـلـعـيـش بـه بـرزه
وسـاعـدتـنـي الـراح لـمـا انـثـنـى ... ولان بـعـد الـمـنـع والـعـزَّه
فـيـا لـهـا مـن ربـوة خـلـفـه ... قـد أطـلـعـتـنـي فـوقـهـا الـمـزه

[625] وقال:

بـالله ربـك يـا شـتـا ... ء تـحـوَّلـي عـنـا وجـوزي
فـلـقـد طـربـت إلـى الـمصـيـ ... ف ووقـتـه الـحسـن الـعـزيـز
ومـلـلـت مـن بـول الـحـيـا ... وقـرفـت مـن ريـح الـعـجـوز

[626] وقال:

أجـزت لـهـم روايـة مـا أشـاروا ... إلـيـه بـمـقـتـضـى الشـرط الـعـزيـز
إجـازة مـادحٍ مـثـنٍ عـلـيـهـم ... فـيـا عـجـبًـا لـمـمـتـدح مـجـيـز

[627] وقال:

أقسمت ما الملك المؤيد في الورى ... إلا الحقيقة والكرام مجاز
هو كعبة للجود ما بين الندى ... منها وبين الطالبين حجاز

[628] وقال:

يا سيِّد الأصحاب إن عيوننا ... نصب اللقاء وما له تمييز
فكأنَّنا الثغر الشنيب فذا لذا ... دانٍ ولكن اللقاء عزيز

[629] وقال:

يا كعبة الحسن الممنع لا يكن ... بين وبينك للجفاء حجاز
حاشا لها من قامةٍ ألفيَّةٍ ... يثني لقاها كاشحٌ همَّاز

[630] وقال:

قسمًا بمجدك يا إمام زماننا ... إنَّ المدائح إذ رجتك لفائزه
سميت جدوى الشعر واجبة له ... والناس سموها جميعًا جائزه

[631] وقال:

تتناسب الأوفاق في أفلاكها ... من قبل ما يتناسب الممتاز
يحيى ويحيى شاعري وقتيهما ... هذاك جزَّار وذا خبَّاز

[632] وقال:

لباب الحمى العزّي وجهت مقصدي ... وأصبحت ذا جاهٍ لديه وذا كنز
وكنت بذلّ آخذ الرزق في الورى ... فأصبحتُ فيهم آخذ المال بالعزِّ

[633] وقال:

قلا لابن مولانا العزيز ومن له ... عند الذكاء النقد والتمييز
أيرد عن عتبات بابك جيِّد ... والزِّيف يا ذا الانتقاد يجوز

[634] وقال:

لو أنها الزوجة أهديتها ... لبابك العالي فها الجوزه
لا عادة لكن مكافاتكم ... أفوز في العمر بها فوزه

[635] وقال علائية:

عينٌ حواجبها ترمي بأقواس ... منها السهام وقلبي منه قرطاسي
وفوق رأسي من شيب الأسى نطف ... ماذا جرى في الأسى منها على راسي
نعم وللعبد في باب العلا فكر ... تقول للعبد حاشا قلبه قاسي
منش على برّه عظمي ولحمي من ... دهرٍ وباني الولا من فوق آساسي
فكم بنيت بيوتًا من ولًا وثنا ... درست فيها ودامت غير إدراس
إن ينسني الهمّ منها ما أجيد فما ... قصرت برّي ولا باعدت إيناسي
الناس أنت فحقٌّ أن يقال كذا ... فليضع الناس في الدنيا مع الناس

[636] وقال في سعد الدين بن قرويتة:

وسواس حلى لا كوسواس ... سيان خنَّاسه وخنَّاسي
حبَّست أغزالي على حسنها ... فيا له ديوان أحباس
تحبيس آمالي على راحتي ... سعد التقى والجود والباس
الصَّاحب المربي على ما روى ... عن ابن عبَّاد بن مرداس
يا باسم البشر الذي فضله ... يعيده الفضل ابن عباس
إن أنس مدحي لك يومًا فما ... نسيت جدوى قدمك الناسي
قل لبني الدنيا ألا هكذا ... فليصنع الناس مع الناس

[637] وقال ملغزًا:

ومضـــــروبـة مـن غـيـر جـرم وربـمـا أقيم عليهـا الحـد من دون نفســـهـا
لـهـا مـن بـيـوت الـعـرب بـيـت مـجـدَّل أديمًـا وعنـد العجم أكثر جنســـهـا
فـتـدخـل فـيـه رأســـهـا قـبـل رجـلـهـا وتخرج منـه رجلهـا قبـل رأســـهـا
ربـاعـيـة إن بـدلـوا ثـانـيًـا لـهـا فعدُّوا ســنينًا تمض في كشـــف لبســـها

[638] وقال وكتب على كتاب جنان الجناس:

لعمري لقـد صـــنفـت مـا ليس دارسًـــا علـى أنـه فـي الـعـلـم يـتـلـى ويـدرس
تـحـيـرت الأفـكـار دون صـــفـاتـه فـيـا حـبـذا الـحـرّ الـرقـيـق الـمـجـنـس

[639] وقال في مؤذن:

فـديـت مـؤذِّنًـا تصـــبـو إلـيـه بـجـامـع جـلَّـق مـنـا الـنـفـوس
لـقـد زفّ الـزمـان بـه مـلـيـحًـا تـكـادُ بـأن تـعـانـقـه الـعـروس

[640] وقال في الياس:

أفـدي مـلـيـحًـا فـي الـبـرايـا لـم أزل طول الزَّمـان عليـه في وســواســـي
قـالـوا أتـقـطـعـه كـثـيـرًا قـلـت مـن راحـات قـلـبِ الـمـرءِ قـطـعُ الـيـاس

[641] وقال وقد أهدي إليه ديوكًا:

قـل لـلـرئـيـس جـمـال الـديـن لا بـرحـت هـبـاتـه ذات تـأســـيـس وإيـنـاس
واصـــل رجـائـي بـعـرف الـديـك مقتبلا لـن يـذهـب الـعـرف عـنـد الله والـنـاس

[642] وقال وقد أهدي له شاش:

هـنـيـئـا لـمـولانـا عـلـوًّا عـلـوتـه يـحـق لـه فـرط الـولاء مـن الـنـاس
دعـانـي نـداه حـيـن حـدت عـن الـورى فلبَّيتـه عشـــرًا وقلـتُ على راســـي

[643] وقال يداعب حسن الزغاري:

يـا غـائبًـا عن مـجلس قـد شـــاتمـت ... نـدمـاه واســـتـعلـت لـديـه الأكـوس
نـبـئّـت أنَّ الـنـار بـعـدك أوقـدت ... واســـتـبَّ بعـدك يـا كليـب المجلس

[644] وقال وأحضر كتابًا يوم خميس العدس:

كـتـابٌ مـع الـمـطـل أحضـــرتـه ... قـلـيـل الـحـلاوة إذ يـلـتـمـس
كـــأنَّ حـــلاوة إحضـــاره ... حـلاوة يـوم خـمـيـس الـعـدس

[645] وقال يهنئ القاضي جمال الدين بالعود من غزوة سيس:

بـقـيـت مـدى الـدنـيـا جـمـالًا لـدولـة ... لـهـا منـك شـــهـمٌ في اللقـا ورئيس
تســـوق لـهـا غـرّ الـفـتـوح جـنـائـبـا ... وأول هـاتـيـك الـجـنـائـب ســـيـس

[646] وقال يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعه:

تـهـنَّـى مـدى الأيـام بـالـخـلـع الـتـي ... وجـدنـا بهـا الأيـام واضـــحـة الأنس
أضـــاء بـهـا وجـه الـزَّمـان وأهـلـه ... ولم أر من أطواقهـا مطلع الشـــمس

[647] وقال في إمام مدرِّس:

أفـدي إمـامًـا حكى حســنًـا ليوســف إذ ... لـلشـــافـعـيّ حـكـى أوقـات تـدريـس
يـقـول فـي الـحـفـل رائـيـه وســـامـعـه ... هـذا ابـن يـعقوب أم هـذا ابـن إدريـس

[648] وقال مؤلفه ونقلت من خطه:

يـا أيـر لا تـركـن لـعـلـق ولا ... تـثـق بـه واتـركـه مـع نـفســـه
ولا تـــرج الـــودَّ مـــمـــن يـــرى ... أنـك مـحـتـاجٌ إلـى فـلســـه

[649] وقال:

لله ظبي كنيسةٍ لاحظته ... فكأنَّما لاحظت ظبي كناس
يجلو محاسنه ويتلو صحفه ... ناهيك من شمس ومن شماس
عجبًا له في دين عيسى كيف قد ... أضحى يعارض حكمه بقياس
هذاك أحيا الناس من موت وذا ... في الحبِّ قد وافى بموت الناس
من أجل مبسمه الشهي تفتحت ... في كفه أبدًا شفاه الكاس
وكأنَّما مدَّ اليدين صليبه ... تبغي عناق قوامه المياس

[650] وقال:

على أيمن الأوقات مقدم من لهُ ... عصا قلم أضحى بها الشام محروسا
تقول لهاتيك العاصبة لو وفت ... فراعنة الكتَّاب قد جاءكم موسى

[651] وقال:

يقبل الأرض وينهي إلى ... علم المقرّ الأشرف الشمس
أنَّ ليمنى سيدي أنملًا ... نوالها فرضٌ على الخمس
ووعد بعض الناس وعد كما ... يقال لا حسي ولا مسي
فلا يكل قصدي عليه سوى ... في البشر والترحيب والأنس
لا زلت داني الجود في القدر عن ... عدوّ وافيه على الأمس

[652] وقال:

قاضي القضاة بقيت مأثور الدعا ... وجزيت خيرًا عن صريخ الناس
الله أكبر إنما هي أمة ... مرحومة في ساعة الإبلاس
في أمسها العباس يسقيها الحيا ... واليوم يسقيها أبو العباس

[653] وقال:

قلت إذ عمَّ عليٌّ بالنَّدى ... سائر الناس لقد خصّ رئيسا
صاحب الأسرار بحر مسعف ... لوزير الشام يثني عنه بوسا
ربِّ سخِّر لي موسى مسعفًا ... يا إلهًا سخر البحر لموسى

[654] وقال:

إذا نزلت حماكم يا بني حجر ... فيا سنا أفقي يا كأس إيناسي
إنَّ الفقير الذي في أي زاوية ... آوى إلى ظلكم يا آي أحراس
أوقات أنسكما في ضوء كل دجى ... يا نور شمعي أو يا صفو جلاسي

[655] وقال:

يا من لفضلي جاهه ونواله ... تُشكى عوادي الذل والإفلاس
داوى أذى رأسي طبيب قبلها ... داوى لرجلك حظره من باس
لكن شفيت وما شقيت فحبَّذا ... أني برجلك قد وقيت براسي

[656] وقال:

باتت تسائل عن دستي فقلت لها: ... ما حال دست ضعيف ما له فرس
قالت: فإن الجناب الناصري له ... وعدٌ فكيف من الإنجاز تبتئس
أقسمت لو وعدت نعماؤه زحلًا ... ما عاد بين نجوم الليل ينتحس

[657] وقال:

قلتُ وقد أقبل في أحمر ... وشعره المسبل كالحندس
يا عجبًا للشمس شمس الضحى ... طالعة بالليل في الأطلس

[658] وقال:

أيا سيدي إن لم تكن ثم زورة ... فنظم كأمثال العقودِ النفائس
يهاب ابن قادوس اقتحام بحوره ... ويقلى لعجز دونه ابن قلاقس

[659] وقال:

ظمئت إلى تقبيل كف كريمة ... تكاد بين الأقلام تعشب باللمس
وأرمد عينيَّ التسهد والبكا ... وحسبك أني لا أرى بهجة الشمس

[660] وقال:

قام غلام الأمير يحسب في ... يوم طهور البنين طاووسا
فأنزل الحاضرون من سبق ... وعاد ذاك الطهور تنجيسا

[661] وقال:

تهنَّ بعشرٍ واضح الفضل مشرق ... كما أشرقت في أفقها طلعة الشمس
تُقبل فيه منك خمس أنامل ... فيحظى كما قد قيل بالعشر والخمس

[662] وقال:

تهنَّ بيمنها سنةً تجلَّت ... بأنواع الهنا من غير لبس
بها افترض الهنا والمدح يهدى ... لمولانا وحبك فرض خمس

[663] وقال:

يا حبذا في الحسن ناعورة ... كأنها من فلك الشمس
تحمي حمى الروضات من مائها ... وشكلها بالسيف والترس

[664] وقال:

هنيئًا لمولانا الوزير ذخائر ... من البرّ والمعروف نامية الغرس
تسير بها الأقوال في كلِّ بلدةٍ ... وتعرضها الأعمال في حضرة القدس

[665] وقال:

لا يأسنَّ من الجراية معسر ... أودى بمحضر حاله الإفلاس
موسى هو الآن العزيز وعامنا ... عالم الرَّجا فيه يغاثُ النَّاس

[666] وقال:

مولاي أرجعني لبيت المال في ... قوتي ومن مال الجهات بسي
ما دام معلومي بدار ضربها ... فبعد دار الضرب دار الحبس

[667] وقال:

هنيئًا لمولانا حصونٌ من الدعا ... يبيت بها من حادث الدهر محروسا
وذكر وأجرٌ في السيادة والتقى ... يقولون قد أوتيت سؤلك يا موسى

[668] وقال:

إليك ابن عباس سرى حامل الرَّجا ... فأغنيت من فقر وأمنت من باس
وفي بابك العالي تفسرت المنى ... ومن أين للتفسير مثل ابن عباس

[669] وقال:

إن الوزير أدام الله نعمته ... أزال بالعدل عنا الفقر والبوسا
إذا تفرعن خطبٌ أنت خائفه ... فقل أجرني من فرعون يا موسى

[670] وقال:

يا واصف الخيل بالكميت وبالـ ـــــنهد أرحني من طول وسواسي
لا نهد إلا من صدر غانية ولا كميت إلا من الكاس

[671] وقال:

تناومت فابتدرت كعثمها بطعن ذا الرمح حامي الترس
فأعلنت صرخة فقلت لها: مالك؟ قالت: طعنت في كسي

[672] وقال مجيبًا عن لغز:

يا أديبًا في نظمه لا يجارى وعلى طرق لغزه لا يماشى
ماش من شئت في طرائق شتى من علوم فإنه لا يتلاشى
واهد ما شئت لي نباتًا ولغزا قد هدى خاطري وإن قيل طاشا
في نبات قلنا جمادا فلما صحفوا ماس كالقضيب انتعاشا
كان طعمًا فأحسنوا حين زادوا ه فأضحى ذاك الطعام قماشا
ثم أبدلت حين نقصت حرفًا فوجدت القماش أصبح شاشا
بأبي أنت أطربتك معانيـ ك فقال اقتضاب نظمك باشا

[673] وقال:

خدك بالورد من حشاه ومن بمسك هذا العذار قد نقشه
يا من أغاظ الرماح معطفه فهي تخاف القدود مرتعشه

[674] وقال:

حتَّام يا روضتي ويا غصني حشاشتي من تقاطع دهشه
ووحشة بيننا يؤكدها نحو الجفا فهي هكذا وحشه

[675] وقال:

أسفت لشاشي الذي قد مضى وفاز به سارق حاشه
ووالله ما بي مما جرى سوى قولهم صفعوا شاشه

[676] وقال:

قلت ولي في هوى حبيبي قلب رقيق عليه يدهش
بالجفن والصدغ يا عنائي هذا سقيم وذا مشوش

[677] وقال:

يا سائلي في وظيفتي عن ضيعة حالي وعن معاشي
ما حال من لا يزال يطوي مسافة القصر وهو ماشي

[678] وقال:

قال الدِّمشقيّ حبّي دنا الرحيل المشوش
وحق تفاح خدِّي لا عشت بعدي مشمش

[679] وقال:

هجر الشباب ومن أحب وكنت ذا نعمى وطيش
يا هاجري لا مات من يلحي عليك وعاش عيشي

[680] وقال:

يا من زهت عن أن تماشي شخصها قمرا وعن غصن الرياض تماشي
عكس الضنى والسهد حالي فاغتدى نومي سباتي والنهار معاشي

[681] وقال:

علمتني يا دهر فضل علاقة ... مأثورة في حرفة ومعاش
إن كان حالي غير ماش إنه ... في سائر الأمثال مثل الماشي

[682] وقال وقد سئل عما يكتب على قطعة نرد:

يا لاعب النرد الذي وصفه ... بحر ترى الأفكار فيه تغوص
انظر إلى وصفي وما حزته ... من أربع للعيش فيها نصوص
خواتم اللذات محتاجة ... في هذه الدنيا لهذي الفصوص

[683] وقال:

كم نعمة تقوية أفضت بها ... سور الثنا للحمد والإخلاص
كلّ الظنون بغيره خرجية ... والظن في نعماه خاص الخاص

[684] وقال:

وأغنَّ في الفقهاء رمت تسليًا ... فأتى العذار بحسنه المخصوص
وأعدت فاتحة الهوى إذ نص في ... خدّ فلم تبطل على المنصوص

[685] وقال:

رجعت إلى مغناك والحمد والدعا ... يبثان لفظًا في المنازل لا يحصى
وفي المسجد الأقصى وفي الربع إذ دنا ... فقد شهد الأدنى بذلك والأقصى

[686] وقال:

ما قصر القصاص في فعله ... بصاحب كان به ذا خصوص
وافى يذرّ القمح يرجو له ... نفعًا فما أعطاه إلا الفصوص

[687] وقال:

أصـــبحـت يـا ســـيـدي ويـا ســـنـدي ... أقص في أمر بغلتي القصـــصـــا
بـالأمـس كـانـت لـفـرط ســـرعـتـهـا ... طيرًا وفي اليوم أصـــبحـت قفصـــا

[688] وقال:

ليهن حمى الشـــهبـاء قـاض حوت بـه ... كمـالا على تفضـــيلـه اتفق النص
فـلـو مـثـلـت كـتـب الـنـحـاة بـنـعـتـه ... لمـا جـاز أن يجري على نعتـه النقص

[689] وقال:

كـم مـدحـة قـد أجـدتـهـا غـزلا ... وقصـــة المـدح بعـد لم تقصـــص
لـولا الإمـام الـتـقـي مـا مـدحـت ... ولـم يـكـن لـي ولا لـهـا مـخـلـص

[690] وقال:

حـمّـلـت خـاتـم فـيـه فصًـــا أزرقًـا ... من كـثـرة الـلـئـم الـذي لـم أحصـــه
لـولاه مـا عـلـم الـرَّقـيـب فـيـا لـه ... من خـاتـم نـقـل الـحـديـث بفصـــه

[691] وقال في معزول:

قـل لـقـاضٍ مـن صـــنـعـه عـزلـوه ... وهـو بـالـعـود طـامـع مـتـقـاضـــي
مـت فـمـا أنـت حـاكـم أبـد الـدَّهـ ... ـر على النـاس فـاقض مـا أنـت قـاض

[692] وقال في جندي طويل:

ظـنـنـا طـولـه يـجـدي ... بـيـوم الـعـرض أو يـرضـــي
فـــلا والله مـــا أجـــدى ... وراح الـطـول فـي الـعـرض

[693] وقال في فحم أهدي له:

شـــكـرًا لـهـا يـا ســـيـدي مـنـحـة ... مـعـهـودة وانـظـر لـهـا أيضـــا
أصـــابـعًـا ســـودًا ولـكـنـهـا ... والله فـي حـالـي يـدٌ بـيضَـــا

[694] وقال:

تـهـنَّ بـهـا بـيضـــاء مـن خـلـع الـرِّضـــا ... تـخـبـر أنَّ الـعـيش يـلـقـاك أبـيضـــا
ويـا حـبـذا خضـــراء لـمـا لـمسـتـهـا ... بكفّ رأينـا الغيـث في الحـال روضـــا
ومـا الـغيـث إلا الـطيلسـان الـذي حوى ... بك الغيث هامي الجود والبدر قد أضـــا
أخا الشـمس قد أذكرتني الشـمس صـاحبا ... فـأهلًا بمن وافى وسـقيًـا لمن مضـى
لـعـمـري لـقـد أبـقـى أخـوك بـراحـتـي ... نوالًا تقضـيت السـنين ومـا انقضـى
فلا زلـت ســعـد الـدين للشـمس مسـعفًـا ... تـوفـق وفـقًـا لـلسـيـادة مـرتضـى
فـمـا مـنـكـمـا إلا رئـيـس مـاجـدٌ ... فـلا فرق بين الفرقـدين ولا انقضـا

[695] وقال:

نـادى الـهـنـا قـلـبًـا قـد كـن فـي حـذر ... إن الشـفـاء على كـل الأنـام رضـي
حـاشـا الوزير من الشـكوى ولا برحـت ... قلوب أعـدائـه تشـكو من المضـض
حـاشـا الزمـان الوزيري الـذي جمعـت ... ذكـراه اسـمـا وفـعـلًا غيـر منـتقض
يـا سـيِّـدًا سـنَّ حـدَّ العزم مفترضًـا ... شـرع الثنـا نعم مسـنون ومفترض
ولـلـمـدائـح يـا مـن شـف جـوهـره ... في المكرمـات فمـا تشـكون من العرض
لا رُدَّ سـهـمـك عـن نـحـر الـعـداة ولا ... نـالوا من السـهم مـا راموا من الغرض
صـحَّـت بصـحَّتـك الـدُّنيـا فليس بهـا ... غير الـذي في جفون الغيـد من مرض

[696] وقال:

يا مليكًا به الدهر يرضى ... وبآرائه الخطوب تراض
بالهنا والسعود مقدمك الزا ... ئد عما تمنَّت الأغراض
سبقتك الأخبار تنفح روضًا ... ثمَّ وافى غمامك الفيَّاض
ما رأينا من قبلها غيثَ عامٍ ... سبقته إلى القدوم الرِّياض

[697] وقال:

أو ما لجفنك أو لفعلك ماضي ... في سفكه لدمي وفي الأعراض
لك يا أمير الحسن حكمٌ قاضٍ بي ... ما أنت في أهل المحبة قاض
وسهام لحظك لا تردّ عن الحشا ... ووحقّ حسنك إنها أغراضي
وتلذّ أمراضي عليك وليتني ... أدري أحسنك ساخطٌ أم راضي

[698] وقال:

إذا الله كافى محسنًا عن مقصّر ... فكافى ابن يعقوب الإمام وعوَّضا
وأصبح هذا الصاحب السرّ أنعما ... وروَّى ثنا ذاك الوزير وروَّضا
لعمري قد ساد الإمام محمَّدٌ ... فأخجل من وافى وأخمد من مضى
رضيت عن الأيام منذ خدمته ... فكلُّ ثيابٍ لي به خلع الرِّضا

[699] وقال:

يا سيِّدًا حاز المعا ... لي طولها وعرضها
لي جبَّةٌ رفوت منـ ... ـها البعض إذ لم أرضها
فأعجب لها عتيقة ... دبرت منها بعضها

[700] وقال:

وزيـرَ الشـــآم فـدتـك الـنـفـوس ... فلســـت عن الفضـــل بـالمعرض
أتـيـتـك فـي وقـت غـيـظٍ فـمـا ... خـرجـت عـن الـمـكـرم الـرَّيـض
ومـن كـان فـي غـيـظـه مـحســـنًـا ... فـكـيـف يـكـون إذا مـا رضـــي

[701] وقال:

أقـلامـك الـحـمـر فـي أوراقـك الـبـيـض ... مشـــهَّرات بـتـذهـيـب وتـفضـــيـض
مســـنـونـة الـحـدّ كـم عـدت مـكـارمـهـا ... فرضًـــا فقـامـت بمســـنونٍ ومفروض
كـالـبـرق فـي يـد غـيـث مـن عـجـائـبـهـا ... فـي لـحـظـة الـعـين إســـراعٌ بـتـرويـض

[702] وقال:

قـل لـلـذي بـدّلـت مـن إقـبـالـه ... وقـبـولـه بـالصـــدِّ والإعـراض
والـبـيـت أمـراضـــي عـلـيّ ولـيـتـنـي ... أدري أحســـنـك ســـاخط أم راضـــي

[703] وقال:

ومـلـولـة الأخـلاق لـمـا أن رأت ... أثر الســـقـام بجســـمي المنهـاض
قـالـت تـغـيـرنـا فـقـلـت لـهـا نـعـم ... أنـا بـالصُّـــدود وأنـت بـالإعـراض

[704] وقال:

قـالـت الـنـاس فـلانٌ قـد غـدا ... بـعـد مـسّ الـفـقـر ذا مـالٍ عـريـض
لا وعـلـيـائـك مـا عـنـدي مـا ... يـدخـل الـوزن ســـوى نـظـم الـقـريـض

[705] وقال:

أهلا بوجه الأمير مقتبلًا ... لبشره بالسعود إيماض
قالت لظامي الرجاء أنعمه ... أبشر فغيث النوال فيَّاض

[706] وقال:

وغادة في جفونها مرضٌ ... في قربه لي الشفا من المرض
خوَّفني الناس سهم مقلتها ... وما دروا أن سهمها غرضي

[707] وقال:

أزف الرحيل عن الشآم وأهله ... غيظًا من الحال الذي لا يرتضى
قالوا الزمام فقلت تبقى ناقتي ... فزمامها بيدي وما ضاق الفضا

[708] وقال:

في كلِّ يوم خلعة ملئت بها ... دنيا الأحبة خضرة وبياضا
ما أنت إلا الغيث علمًا أو ندًى ... في كل وقت يستجدّ رياضا

[709] وقال:

يا صاحبًا نرجو به النفع في ... دنيا وفي آخرة أيضا
في السِّرِّ والجهر بأحوالنا ... كم لك يا موسى يدٌ بيضا

[710] وقال:

قيل لي كنت واصلًا لكريمٍ ... فاض حتى بأبيض الدّرج فيضا
أتراه من بعدِ ودٍّ ورفدٍ ... قطع الوصل قلت والدّرج أيضا

[711] وقال:

إذا أشـــرقـت فـي مـحـفـلٍ ظـنَّ أهـلـه ســـنـا المشـــتري من ضـــوئها متقمطا
وإن كـنـت فـيـهـا قـد تـفـردت بـالـثـنـا فـإنـك أيضـــا قـد تفردت في العطـاء

[712] وقال في عيادة شخص:

مـــولاي قـــم لـــلـــمـــعـــالـــي فـــلـــلـــعـــداةِ هـــبـــوط
حـــاشـــا رجـــا كـــل عـــاف أن يـــعـــتـــريـــه قـــنـــوط
كـــم ضـــعـــف حـــال وقـــلـــب بـــالضـــعـــف مـــنـــك مـــنـــوط
شـــهـــود عـــلـــيـــاك شـــهـــب وفـــي ســـواهـــا ســـقـــوط

[713] وقال وقد خاط له البهنسي نصفية:

شـــكـــرًا لـــهـــا فـــرجـــيـــة قـــد بـــيضـــت عيشـــي وعين الحـاســـد المتواطي
جـاءت ولـم أســـأل ولـكـن جـاءنـي خـيـاطـهـا وعـجـزت عـن قـيـراط
وأريـد جـودًا ثـانـيًـا ولـطـالـمـا قـد جـدت لـي قـدمًـا ولـلـخـيـاط

[714] وقال:

يـا وزيـر الـمصـــريـن كـلًا كـفـاه فـي مـهـمـاتـه الـكـبـار وحـاطـه
لـو تـفـاخـرت وابـن شـــكـر بـمـعـنـى جـامع زدت في المعـاني اغتبـاطـه
كـنـت تـبـدي فـخـاره بـزحـام وفـخـار ابـن شـــكـر يـبـدي بـلاطـه

[715] وقال:

وأغـيـد كـلّ شـــيء مـنـه يـعـجـبـنـي كـأنَّـمـا هو مـخلوق علـى شـــرطـي
أجفـانـه الســـود لا تـخطي إذا رشـــقـت ســـهـامهـا وســـهـام الليـل لا تخطي

[716] وقال:

نـقـطـة خـالٍ ووجـنـة فـعـلا ... فـي اللـهـو لـي بـعـد تـوبـتـي غـبـطـه
فـيـا لـهـا تـوبـة مـعـشـقـة ... صـرت عـلـيـهـا أقـول بـالـنـقـطـه

[717] وقال:

بـروحـي مشـروط عـلـى الـخـد أسـمـرٌ ... دنـا ووفـى بـعـد الـتـجـنـب والسـخـط
وقـال عـلـى الـلـثـم اشـتـراطـنـا فـلا تـزد ... فـقـبـلـتـه ألـفًـا عـلـى ذلـك الشـرط

[718] وقال:

لـم أسـعَ لـلـعـلـيـاء بـخـطـوٍ قـاصـرٍ ... لـكـن سـعـيـت لـهـا بـحـظ هـابـط
ألـف السـقـوط فـلـو أردت كـتـابـة ... لـلـظـاء مـنـه كـتـبـتـه بـالسـاقـط

[719] وقال:

دع الـخـوض فـي الـكـلـم الـجـاحـظـيّ ... ومـع مـقـرئ الشـام فـاقـرأ بضـبـط
إذا مـا غـرقـت بـمـثـل ابـن بـحـر ... وجـدت الـنـجـاة بـمـثـل ابـن شـطّ

[720] وقال:

نـظـمـت لـلـصـاحـب الـمـرجّـى ... رائـيـة كـالـحـبـاب يـلـقـط
نـروم مـن بـرّهِ نـقـوطًـا ... والـحـكـم لـلـراء أن تـنـقـط

[721] وقال:

لـي ضـنـانٌ أعـاذك الله مـنـه ... كـم أواري إبـطـي بـه وأغـطـي
فـكـأنـي فـي الـنـاس لـصٌّ مـريـب ... أتـخـفـي وعـمـلـنـي تـحـت إبـطـي

[722] وقال:

حاكيت عرقوب الوعود وبتّ دون الخلّ لاقط
فسقطت من عيني ندا ك ومن تعرقب فهو ساقط

[723] وقال:

يلوم العذول على أعين خطائية حسنها في سطا
عذولي خذ لك عين الصواب ودع في الهوى لي عين الخطا

[724] وقال:

وبروحي المشروط في الخدِّ يقرا منه لحظ الكئيب أحسن خطّ
أعلن الشرط داعيًا لهواه فغدت مهجتي جوابًا لشرط

[725] وقال:

بروحي كحلا الطرف لا بتكحّل مخطَّطة لكن بغير خطوط
تخير طرفي قدّها العدل شاهدًا فألفيته أيضًا أجلّ شروطي

[726] وقال:

لقد جددت يا خجلي ذكري لشبعٍ أو لريٍّ زاد غبطه
كأنَّك لم تكن من ذا وهذا أكلت أوزَّةً وشربت بطه

[727] وقال:

أفنى جفاكم كثير دمعي لكن بقى في القليل نشطه
قد كنت أروي عن ابن بحر فصرت أروي عن ابن نقطه

[728] وقال:

متعوني عنكم بمسموع وعدٍ ... إن بخلتم عليَّ بالملحوظ
وأغيثوا قلبًا رقيقًا يقاسي ... من ذوي اللوم كل فظٍّ غليظ
لفظت أذني الملام عليكم ... فهو فيها من أكره الملفوظ
حفظ عهدٍ يضوع في الحب نشرا ... وعجيبٌ لضائعٍ محفوظ

[729] وقال:

رعى الله أوقاتًا تقضَّت بصاحبٍ ... موازين لفظي في الولاء بحفظه
إذا لم تُدر كاس المدامة بيننا ... أديرت كؤوس بين لفظي ولفظه

[730] وقال:

مسموع لفظك في القلوب ممكَّن ... في الحب فوق تمكّن الملحوظ
حفظت فوائده وضاع نسيمه ... فاعجب له من ضائع محفوظ

[731] وقال:

أحبك يا فريدَ الوقت حبًّا ... تقسم بين معتقدي ولفظي
وليس بنافعٍ هذا ولا ذا ... إذا كان المحبّ قليلَ حظّ

[732] وقال في السبعة السيارة:

تسلسلت في خدِّي الأدمع ... معربةً فاعجب لما يسمع
قد رجع الدَّمع إلى غربه ... وعن غزال الشرق لا أرجع
حبي له حبّ عليَّ العلا ... وفيهما المخلص والمقطع
في ذا وذا وصفي ومدحي فما ... للغير في شعري مستمتع
يا من يهنى العيد والعلم والز ... مان والناس به أجمع
زد كل يوم في العلا رفعة ... وليصنع الحساد ما يصنعوا
عيشك والقدر كما تشتهي ... تخفض هذا وذا ترفع

[733] وقال في سيدنا الحسين رضي الله عنه:

أصـــبحت لم أخش للزمان أذى ... وشـــافعيّ الزمان لي شـــافع
حيَّتك قاضـــي القضـــاة من مدح ... نجوم حمدٍ ســـعيدة الطالع
وجاء قبر الإمام ســـيدنا الحـ ... ـسين صـــوبٌ من الرِّضـــا هامع
ذاك الحســـين الذي مضـــى فأنا ... لا هو ظامٍ إلى اللقا جائع
ذاك الذي كنت من عوارفه ... أسند عن عاصمٍ وعن المنى نافع
مباشـــروا الجامع الذين همُ ... صـــحبي ولكن على المنى مانع
لولا نداك العميم يشـــملنا ... ما كان بيني وبينهم جامع

[734] وقال علائية وقد أطلق له راتبه من الغلة:

جاء البشـــير بها فقلت لدرّه ... لفظًا وفضـــلًا شـــنف الأســـماعا
ســـمراء إلا أنَّها حنطيَّة ... تروي عطاشًـــا للقا وجياعا
وكريمة الأنســـاب أصـــدقها الندى ... كفؤًا إذ أمر القريض أضـــاعا
يا آل فضـــل الله دمتم في الثنا ... والأجر كنزًا للعفاةِ مشـــاعا
يســـقى نداكم من نباتيّ الثنا ... زرعًا يغاث فيعجب الزُّرَّاعا
وتؤمرون قصـــائدي من بعد ما ... كابدت من حالي الضـــعيف ضـــياعا
كم ضـــيعةٍ للحال كانت قاطعة ... فغدت بضـــيعة غلة أقطاعا

[735] وقال تاجية سبكية:

نعم لي وقفة لا للدموع ... على تلك المنازل والرُّبوع
لجيران العقيق أفضت دمعي ... مناسبة بمحمرّ النَّجيع
وفي تاج الزمان نظمت درًّا ... فيا لله من عقدٍ بديع
كريم الوصـــف والأنســـاب قالت ... أضـــف لسنا الأصـــول سنا الفروع
كذا قاضـــي القضـــاة مدى الليالي ... محلَّى التاجِ بالنظم الرَّفيع
لقد طلعت علياه من سناه ... نجوم اليمن بالخصـــب المريع
نداه وفصـــلنا والشـــهر فيه ... ربيعٌ في ربيعٍ في ربيع

[736] وقال نورية يهنئ بالقدوم من الحجاز الشَّريف:

على اليمن والنعمى قدوم أحبَّة ... تخبّ بهم عيس الركاب وتوضع
لركبهم المصريّ قلبي هدية ... على أن دمعي بالمسرَّة ينبع
أمولاي نور الدين هنئت حجة ... زكا لكمُ فيها مسيرٌ ومرجع
أتمت مساعيك الزكية نسكها ... وما فاننا من جود كفك منجع
فإن فاز مولانا بحجٍ أتمه ... فها نحن في نعمائه نتمتَّع
وإن لم يكن في وقفةٍ جمعيَّة ... فها نحن فيكم بالهنا نتجمَّع
مدائحنا فيكم وفي مثل بيتكم ... فروضٌ وفي بعض الأنام تطوُّع

[737] وقال يرثي صغيرًا ولد له ومات:

برغمي أن شرعت له رثاءً ... ولم ألزم بتهنئة شروعا
وليدٌ كان يا أسفي حبيبًا ... أبى تسيارُ كوكبه رجوعا
وما قلبي إذًا حجرٌ فيسلو ... هلالًا قبل ما اكتمل الطلوعا
فيا ولدي تولد حزن قلب ... فعمَّ أصول بيتك والفروعا
ومسَّ عيون من فارقت شرٌّ ... فأصبح كلّ إنسانٍ جزوعا
أما والجاريات بصحن خدٍّ ... بكت والموريات ورت ضلوعا
لقد أطفا شميعة نور بيت ... ردًى كم مثلها أطفا شموعا

[738] وقال ملغزًا:

يا إمامًا لم يزل في الفضـ ... ـل ذا كف صناعي
باهر قولا وفعلا ... في عيان وسماع
ما اسم ذي حجم لطيف ... بين أيدي القوم ساعي
ناحل أصفر من ... غير سقام وارتياع
وهو مصري ومطبـ ... ـوع لذيذ الاجتماع
وهو في الخط خما ... سي وفي اللفظ رباعي

[739] وقال ومن خطها نقلتها:

يقولون تبكي والديار قريبة ... إذا بعدت أوطانهم كيف تصنع
دعوا مقلتي العبرى تجود بمائها ... عسى أن حزن من الجفن يوضع
وثقت بتنكيد الفراق فأسبلت ... جفوني وعجلت الذي أتوقع
وما هي إلا مهجة ذاب شطرها ... فسالت بها من فوق خدي أدمع
وعما قليل ينفذ البين سهمه ... فلا مهجة تبقى ولا دمع يهمع

[740] وقال فيما يكتب على النرد:

عملت للمولى الذي ذاته ... على فنون الفضل مجموعه
روضة نرد كم هزار بها ... نغمته في الطاس مسموعه
إن كان للشطرنج منصوبة ... فرتبتي في الحسن مرفوعه

[741] وقال لمن وقع من فوق بغلته:

للبغلة الشهباء عذر بين ... إذ قيل قد وقعت ووصف جامع
هي كوكب حملت مطالع نير ... بين التقى والفضل نعم الطالع
فمن المسرة فهي نسر طائر ... ومن المهابة فهي نسر واقع

[742] وقال يصف بستانًا:

يا منزل ابن عليّ حيتك الصبا ... وسقى مرابعك الغمام الهامع
صفت بك الأغصان صف جماعة ... والغصن إما قائم أو راكع
ورقى لديك الطير منبر أيكة ... فعلمت أنك للمسرة جامع

[743] وقال وهو نوع من البديع لم يسبق إليه سماه ربح المقايضة[1]:

سـل عن مقامي والرؤوس حوائمُ ... تحت العجاجةِ والنسورُ وقُوعُ
والمرهفاتُ على الجُسومِ شوابكٌ ... حتى كأنَّ المرهفاتِ دُروعُ
هل أكشف الغمى ووجهي مسفرٌ ... فأروق عادية الوغى وأروع

[744] وقال ملغزًا:

تفترس الناس في هواها ... مالكة للقلوب تدعو
مليحة حجبت وشاعت ... فخاب طرسٌ وفاز شمع
عجيبة الاسم قيل خمسٌ ... وقيل ستٌّ وقيل سبع

[745] وقال وقد أنشد لرئيس بيتين من نظمه فادعى الصفدي أنهما لغيره:

وصديق أنشدته لي بيـ ... ـتين حوت في الصداع معنًى بديعا
فادَّعاها لأجنبيّ ولو كا ... ن ادَّعاها لخاف أمرًا شنيعا
فقلت ليسا له ولا لي تعزى ... واسترحنا من الصداع جميعا

[746] وقال وقد باع صديق له يسمى شفيعًا واشترى غيره، فشكا أخلاقه وكان يسمى بديعًا:

دع من شفيع صحبة ما أذنبت ... واهنأ بمحبوب الجمال بديع
وإذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ ... جاءت محاسنه بألف شفيع

[747] وقال فيما يكتب على مرملة:

عملت لمن جود أقلامه ... ربيع ومنطقه بارع
إذا طلع الخطّ رمَّلته ... فيا حبذا الرّمل والطالع

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 280. وأورد البيتين الأول والثاني. البيت1: "لله درُّك والرؤوس حوائمُ"

[748] وقال:

كتم الحبّ جهده فأزاعه ... مدمع زاد قسمه فأشاعه
ليس لي من ذوي الملاحة إلا الد ... مع قمت به عليَّ الشناعه
أمرتني الأشجان أمر الندى لا بـ ... ن عليّ فقلت سمعًا وطاعه
دام قاضي القضاة بحر علوم ... وندى عمَّ سنَّة وجماعه
من هبات الوهاب في الخلق تبقى ... طول دهر وفي العدا سم ساعه
ليس فيه عيب سوى فرط جود ... قد نهانا عن مستحب القناعه
علمتنا نعماه وصف علاه ... فلها الفضل بالغنى والبراعه

[749] وقال:

لله طرف غداة البين قد همعا ... وحملته الليالي فوق ما وسعا
بين السهاد وبين الدمع مقتسم ... فيكم فما جف من شوق ولا هجعا
يخادع الشوق طرفي عن مدامعه ... أن الكريم إذا خادعته انخدعا
ويقتضي الهم تسهادي فيا حربًا ... من قاتلين على إنسانيَ اجتمعا
سحقًا ليوم النوى ماذا رمى بصري ... حتى استهلّ وماذا بالحشا صنعا
وقائل ما الذي أبكاك قلت له ... شخص رمى بالنوى طريفي فقد دمعا

[750] وقال:

قل للإمام محمد ... ذي الفضل والكرم المذاع
يا صاحب القصد الجميـ ... ـل يحف بالأمر المطاع
حاشاك أن تنسى له الـ ... ـكتاب ذا حال مضاع
في الطرس من فرجيَّتي ال ... بيضاء أكتب بالرّقاع

[751] وقال:

ألا ربّ ذي ظلم كمنت لحربه ... فأوقعه المقدار أيّ وقوع
وما كان لي إلا سلاح تهجد ... وأدعية لا تتَّقى بدروع
وهيهات أن ينجو الظلوم وخلفه ... سهامُ دعاء من قسيٍّ ركوع
مريشة بالهدب من جفن ساهر ... منصَّلة أطرافها بدموع

[752] وقال:

يفوت عياني مشهد من جمالكم ... فيجمع طرفي والمدامع جامع
هوى مطمعٌ إنسان عيني وإنما ... تقطَّع أعناق الرجال المطامع
بروحي من نظمت في خصرها الثنا ... فرحت وفي لا شيء نظمي ضائع
وأودعتها قلبي وصبري والكرى ... وحكم الهوى أن لا تردّ الودائع

[753] وقال:

أيا تاج دين الله شكرًا لأنعمٍ ... أجبت بها راجيك من قبل ما دعا
وأبقيتها تستنطق الخلق بالثنا ... وتشهد بالأجر الملائك أجمعا
وإن قصرت عن بارع الحمد قدرتي ... فو الله ما قصرَّت عن نافع الدُّعا

[754] وقال:

لقد قنعت رجواي من قبل ما رأت ... شهاب العلا في الشام يطلع
فلما رأتك الآن أسفر وجهها ... وأقسم لا والله لا تتقنَّع
فما الغيث إلا من بنانك قطرة ... وما الغيث إلا من يمينك أصبع

[755] وقل:

قل لوزير الملك يا من به ... تروي بلاد الشام عن نافع
حاشاك أن تروي النبات الذي ... كم ارتوى من غيثك الهامع
وحقّ إنعامك يا مالكي ... ما لي سوى عطفك من شافع

[756] وقال:

هنّئت بالأعوام تلبس بردها ... متجدِّدا ويماط عنك خليع
في نعمةٍ جزمت بأنك خافضٌ ... قدر الحسود وقدرك المرفوع
قد أعجبت فيها الشهور وأعشبت ... للقاصدين فكلهن ربيع

[757] وقال: [الكامل]

ناعورة نشأت على عهد الأسى ... مثلي فما تنفكّ ذات توجع
كانت قضيبًا قبل ذلك يانعًا ... في أيكة نبتت بإثرة موضع
ناح الحمام بها وأبكاني الأسى ... فتعلمت نوح الحمام وأدمعي

[758] وقال: [الطويل]

وناعورة كانت قضيبًا فأصبحت ... إلى القضب شوقًا كالحمامة تسجع
شكوت لها ضرّ الغرام وحالها ... كحالي بكاءً أو حنينًا يرجع
ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءة ... يواسيك أو يسليك أو يتوجَّع

[759] وقال:

أمين العلا والعلم هنئت حجة ... وعودًا لديه الأجر والذكر أجمع
وقصدًا سعيدًا لم تضع فيه ثروة ... وما ضاع إلا نشرها المتضوّع
تمتّع مولانا بعمرة حجةٍ ... وها نحن في نعمائه نتمتَّع

[760] وقال:

في كُلِّ يومٍ خلعة بدريَّة ... طلعت بها الآمال أشرف مطلع
قالت للابسها سعادة نطقه ... قل يا محمد في الممالك أودع
الفضل إرثك والمهابة والنهى ... فافخر وأوقع بالعداة ووقع

[761] وقال:

يا تاج دين الله كم نعمة ... لنعمةٍ بين الورى تتبع
عش لعفاة طوَّقوا بالندى ... فالكل في دوح الثنا يسجع
عيشك والقدر كما ترتضي ... يخفض هذاك وذا يرفع

[762] وقال:

هنئت بالعيد السعيد وحبذا ... لبقاء شملك بالهنا مجموع
في رفعة وسعادة ما برّها ... في الخلق مقطوع ولا ممنوع
ولحالنا المكسور يدعو برك الـ ... منصوب يا من قدره مرفوع

[763] وقال:

قاضي قضاة الدين دم في علًا ... لا تلحن الأيام في رفعها
وانظر نعماك إلى حال ذي ... ضرورة يعجز عن دفعها
قد أدبر الصوم ولي مقلة ... ما نظرت قطُّ سوى دمعها

[764] وقال:

عش مهنًا بألف عامٍ وعيدٍ ... بين حزم من الأمور ورفع
يا إمامًا إن هان قدري فلي من ... خمس بمناك عائدات بنفع
حبذا عشرنا ويا حبذا الخمـ ... س ولو أنها بنفع وصفع

[765] وقال:

تتوارد المدّاح في أوصافكم ... يا آل فضل الله نظمًا مبدعا
مسكية الّلام في أطراسها ... بين القصائد سجدا أو ركَّعا
إن قصرت في مدحةٍ مع بذلها ... جهدًا فلا والله ما قصَّر الدُّعا

[766] وقال:

أيا ملكًا فاق الكرام وفاتهم ... أما آن أن تحظي لديك ذرائعي
أيحسن بعدي عن بلادك بعدما ... عرفت بقول في صفاتك بارع
وما أسفي أنَّ الثواء يفوتني ... ولكن لقدر عند غيرك ضائع

[767] وقال:

أيا ملك الشجاعة والمعالي ... ونشر العلم والحسب الرفيع
قدومك هذه الأيام فيه ... جناس مذكر كتب البديع
كريمٌ ثم فصلٌ ثم شهرٌ ... ربيع في ربيع في ربيع

[768] وقال:

يا من تبينت السيادة أنه ... في الناس ملء عيونها وسماعها
ما بالوسائل فضل رأيك يقتضي ... أن الشموس منيرة بطباعها

[769] وقال:

قدمت أميرًا في بني الدهر آمرًا ... على الدهر يصغي سامعًا ويطيع
ولا عجب للشهر وافق مقدمًا ... فكل زمان في حماك ربيع

[770] وقال:

وعيشك لولا سقم جسمي والبكى ... لما كان سري في هواك بذائع
لئن لم يسر في بحر شعري فقد سرى ... بأشعار سقمي في بحور مدامعي

[771] وقال:

يا ناصب القد عالي الحسن مرتفع ... فالحب ما بين منصوب ومرفوع
جوارحي وكتابي قد نهبتهما ... ففي يديك على الحالين مجموعي

[772] وقال:

سـلت مهجة قد كان صـدعها الأسـى ... فلا آخذ الله الأسـى بصـدوعها
وعينًا على حالي بعاد وجفوة ... عفا الله عما قد جرى من دموعها

[773] وقال:

وقائلة لي بعدما شاب مفرقي ... وفكري في تيه الشبيبة يرتع
أترجع عن لهو الصبا بملامة ... فقلت: ولا والله بالشيب أرجع

[774] وقال:

وناعورة قسمت حسنها ... على ناظر وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت ... تدور وتبكي على الضائع

[775] وقال:

أحسن بها ناعورة في روضة ... عن جعفر يروي الهناء ربيعا
هذا وليس يعد موج دموعها ... وتعد من فرط السقام ضلوعها

[776] وقال:

نعتوك حقًّا بالإمام لما حوت ... عليك من نسك وعلم بارع
وأعنت أرباب المقاصد شافعًا ... لهم فأهلا بالإمام الشافعي

[777] وقال:

وزير التقى هل أنت في العشر عاطف ... على فاقتي بين الورى وخضوعي
وما العشر إلا العسر في كل حالة ... ولكنني نقطته بدموعي

[778] وقال:

يا سائلي عن حظ خطي وقد ... أهملت في كتاب هذي البقاع
معلومي الثلث ويا ليته ... ورسمي النسخ وثوبي الرقاع

[779] وقال:

قد أفقرتني غيداء واصلة ... فدمع عينيّ غير مقطوع
وكنت أبكي من الغرام بها ... فصرت أبكي منها من الجوع

[780] وقال:

يا إمام التقى مضى ربع عامٍ ... من وصولي ولم يصلي لي ربع
سنة إن غفلت عني فيها ... كسرتني وكيف لا وهي سبع

[781] وقال:

يا مديد النوال دعوة راجٍ ... حثَّه جودك البسيطُ السريع
لا نبالي إن قيل شهر جمادى ... كل شهرٍ براحتيك ربيع

[782] وقال:

صحاب قصدنا عن لقاهم منافعًا ... فلم نر شيئًا من وجوه المنافع
رجا شافع نسج المودّة بيننا ... ولا خير في ودّ يكون بشافع

[783] وقال:

أصبروا للرقاع أكتب فيها ... كل يومٍ حوائجي وصداعي
واحسبوا أنَّها كما حكم الدَّهـ ... ـر عراة تسمى بذات الرقاع

[784] وقال:

سيدي إن الذي أوصل لي ... فقده من ظنه أن يمنعا
سلم المعلوم شهرًا واحدًا ... ثمَّ ما سلَّم حتَّى ودَّعا

[785] وقال:

يا جاعل الجامع المنصور منتظرًا ... محاسنًا منه في الأوصاف مبتدعه
تركت للشوق حرًّا في جوانحنا ... فلا خلا منك لا صف ولا جمعه

[786] وقال:

صف مكرمات وزير مصر عزيزها ... فالفخر ثم الفخر حيث يشاع
فإذا حسبت فعنده القلم الذي ... شهد الحساب بأنه نفَّاع

[787] وقال:

أكرم بأوقات لنا شمسيَّة ... ما ضرَّ وفق زمانها تربيع
عدلت وعدّلت الزمان فكلها ... في المكرمات وفي الشهور ربيع

[788] وقال:

بروحي مهاة تفضل الشمس مطلعًا ... وتسكنُ أحشاء الأديب المروَّع
وقد صرعت قلبي وشقَّته فاعجبوا ... لبيت لها في الحالتين مصرّع

[789] وقال:

ما نقطع المملوك عن ترداده ... وأنت تدري أن ذاك ممتنع
فالحمد لله على علمك يا ... مولاي إني بشرٌ لا ينقطع

[790] وقال:

تـرى هـل يـبـلـغ الـمـخـدوم أنـي ... لـدى الـكـتَّـاب فـي حـالٍ مضـــاع
أرجِّ درهـم الـمـعـلـوم ثـلـثًـا ... واكـتـب فـي ثـيـابـي بـالـرِّقـاع

[791] وقال:

أشـــكـــو لـفـضـــلـــك حـــرفـــة ... مـــا لـــي بـــهـــا مســـتـمـتـع
أحـــوال مـــعـــلـــومـــي تســـو ... ء وصـــاحـــب لا يـــنـــفـــع

[792] وقال:

جـــوابٌ اتـــانـــي فـــي ســـاعـــة ... يـدلّ عـلـى نـفـث أصـــل الـيـراعـه
ومـــن عـــجـــب الـــدَّهـــر أنِّـــي بـــه ... تـلـذَّذت مـع أنـه ســـمّ ســـاعـه

[793] وقال:

بـكـيـت عـلـى لـقـيـا أنـاسٍ وددتـهـم ... وإن كـان لا ضـــري يعـدّ ولا نـفـعـي
وإن قـيـل دون الـقـلـتـيـن مـكـانـه ... فـمـا فـيّ دون الـقـلـتـيـن ولا دمـعـي

[794] وقال:

يـا شـــيـــخ عـلـم وشـــيـــخ عـلـم ... فـمـن عـيـان ومـن ســـمـاع
رفـعـت قـدري عـطًـا ولـفـظًـا ... يـا ســـيـدي أحـمـد الـرفـاعـي

[795] وقال:

نـوالـك الســـعـديّ يـا ســـيـدي		**أرجـو عـلـى عـاداتـه مـربـعـه**
لـــي أشـــهـــر أربـــعـــة أخـــرت		**فـحـظـي الـمشـــؤوم بـالأربـعـه**

[796] وقال:

أفدي صديقًا كنت وهو بغيظه ... متطارحين من الكلام بديعه
ما زالت الحساد تسعى بيننا ... حتى تناكرنا الكلام جميعه

[797] وقال:

أفدي سطورًا من كتابك أقبلت ... بعد الجفاء وآذنت برجوع
قبَّلتها فاحمرّ نقش حروفها ... فكأنَّني رمَّلتها بدموعي

[798] وقال:

ولمّا رنت لي ألحاظه ... رفعت بتكبيري الصوت رفعا
فيا لك في الحسن من أغيد ... تبدَّى غزالًا فكبَّرت تسعا

[799] وقال:

بعثت به واثقًا أن لي ... شفاعة ذي أمل نافع
ولا شيء أحسن من مالك ... تجود يداه على شافع

[800] وقال[1]:

جبين سلطاننا المرجَّى ... مبارك المطلع البديع
يا بهجة الدَّهر إن تبدَّى ... هلال شعبان في ربيع

[801] وقال:

تأخرت عنكم يا بنيَّ ويا أبي ... وما أنا إلا البعض ماضٍ جميعه
وعود نباتيّ متى يرتجي بقا ... وقد مات منه أصله وفروعه

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 80/3. البيت1: "إذ".

[802] وقال:

ألا يـــا رُبّ خـــلٍّ أرتـــجـــيـــه ... كـمـا يـرجـى مـن الـوثـن انـتـفـاع
رمـيـت بـودِّه وصـــدفـت عـنـه ... فـــلا ودّ لـــديّ ولا ســـــواع

[803] وقال:

لـهـفـي لشـــعـرٍ بـارعٍ نـظـمـتـه ... تـحـتـاج بـهـجـتـه لـرفـدٍ بـارعِ
درٌّ يـتـيـمٌ قـد تضـــوَّع نشـــرهُ ... يـا من يرقّ على اليتيم الضَّـــائع

[804] وقال:

أبـثـك يـا أخـا الـعـلـيـاء أنـي ... ســـئـمـت مـن الـلـيـالـي كـم تـروع
أمـا يـنـفـك قـدر فـي نـزول ... بـبـلـدتـكـم وفـي جسـمـي طـلـوع

[805] وقال:

رشـــأ رشـــفـت رضـــابـه أو ثـعـلـب ... مـا لـلـمـحـبِّ إلـى رضـــاه بـلـوغ
حـلـو الـلـمـى مـتـمـنِّـع يـعـطـيـك مـن ... طـرف الـلـســـان حـلاوة ويـروغ
لا مـثـل أقـلام بـيـمـنـى ســـعـدهـا ... لـفـظًـا وفضـــلًا كـلـهـنّ بـلـيـغ
لســـطـورهـا صـــبـغ يـردّ شـــبـيـبـة ... مـنًّـا ولـلـنُّـعـمـى لـديـه ســـبـوغ
نـبـغـت فضـــائـلـه وجـدوى كـفّـه ... نـاهـيـك نـابـغـة لـه ونـبـوغ
فـلـيـهـنـه الـعـيـد الســـعـيـد لـمـثـلـه ... مـدح تســـاغ لـوارِدٍ وتســـوغ
مـن جـوده ذهـبٌ ومـن ألـفـاظـه ... دُررٌ تـبـاحُ لـنـا ونـحـن نصـــوغ

[806] وقال:

هـنـئـت يـا أعـلـى الـورى رتـبـة ... مـدائـحًـا حـكـمـتـهـا بـالـغـه
شـــقـيـقـهـا فـي الـحـب يـا ســـيـدي ... مـا كـان فـي الـنـعـمـان لـلـنـابـغـه
كـم نـعـمـة أســـبـغـتـهـا لـلـورى ... فـهـي عـلـى عـرض الـورى ســـابـغـه

يشير في البيت الثاني إلى أمداح النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر

[807] وقال:

ولائـــط ألـــثـــغ قـــلـــنـــا لـــه ... أفلســـت قـال اســـتمعوا الفـدغـا
أنـــا امـــرؤ درهـــم تـــحصـــيـــلـــه ... يـخـرج مـن بـغَّـا إلـى بـغَّـا

[808] وقال:

مـلـئـت إنســـان عـيـنـي عســـجـدًا ... من خـدودٍ قـد ملاهـا الحســن صـبغا
قـلـت والـرِّدف أريـنـي فـانـثـنـت ... ثـم قـالـت هكـذا الإنســان يـطـغـى

[809] وقال:

شـــكـرًا لـهـا مـن أنـعـمٍ ســـعـديـة ... غنـى بـهـا المثنـى غنـاءً ســـائغـا
مـنـديـل بـعـض الـنـاس كـأس مـكـارم ... يـعـطـيـك مـلآنًـا ويـأخـذ فـارغـا

[810] وقال[1]:

رادت شـــجـونـي فـيـه عـن حـد الســـرف ... وجـرى عـلـيـه مـدمـعـي حـتـى وقـف
مـتـمـنـع تـلـقـاه فـي حـال الـرِّضـــا ... وكـأنَّـه غضـــبـانُ من فَرْطِ الصَّـــلفْ
أَلِـفَ الصُّـــدودَ تـجـنُّـبًـا وتـجُّـبًـا ... فـلـو انَّـهُ رام الـتَّـواصُـــلَ مـا عَـرَفْ
ومـن الشـــاق أن الـجـفـا وتشـــوقـي ... لا يـنـتـهـي هـذا وذاك إلـى طـرف
مـا مـال غصـــن قـوامـه عـن فـكـرتـي ... يـومًـا ولا دينـار وجـنـتـه انصـــرف

[811] وقال يداعب صديقا له:

ســـكـنـت بـالـنـيـل لـو لـم تـكـن ... جـيـرانـه لـم تـك بـالشـــافـي
كـفـاك جـيـران نـيـل الأذى ... فـحـبـذا الـنـيـل بـالـكـاف

---

[1] التخريج: مطلع الفوائد 324 وأورد البيتين الثاني والثالث. البيت2: "صعبُ اللقاء تراهُ عينك راضيًا"

[812] وقال ملغزًا لرئيس:

أحاجيك ما حلو اللسان وأنه ... لأخرس لا تعزى إليه المعارف
يرى جالسًا في الصدر ما دام كاملًا ... فإن نقصوه فهو في الأرض طائف

[813] وقال:

بستان حسن لا عدمت قطافه ... لثما يسلفني السرور سلافه
يختال في مرح الشباب كأنَّما ... هزت حمائم حليه أعطافه
في وصفه الأغزال خص مديحها ... ملك البسيطة لا تريد خلافه
الناصر بن الناصر بن قلاون المـ ... نصور جانس نصره أسلافه
خضعت لعزته الملوك وأذعنت ... لأعزّ أمَّله الزمان وخافه
خدمته حتى أنجم مربّخها ... لو عاد كسرى ظنه سيَّافه
ولو أن ذا الأكتاف سابورًا عصى ... أمرًا لقطّعت العصا أكتافه

[814] وقال:

متع لواحظنا بحسنك ساعةً ... ودع النفوس تروح وهي توالف
واجعل وعودك لي صدودًا قابلًا ... فلقد أراك إذا وعدت تخالف
ويلاه من ساجي اللواحظ أهيف ... ما لي عليه سوى البكاء مساعف
يوم الغنى يهواه عامًا كله ... بالدمع شاتٍ والصبابة صائف
سل خصره عن طول ليلة شعره ... إن السقيم بطول ليل عارف

[815] وقال:

أسفي للدراهم الحلبيَّا ... ت فقد فرَّحت حشاي وطرفي
أكلتني كفي عليها مرارًا ... وعليها أصبحت آكل كفي
يا لها حالة تكدر عيشي ... وزمان في وجه قصدي يصفي

[816] وقال:

أقول لمن يتشكى الخطوب ... ويحذر من موبقات الصروف
عليك بأبواب سيف العلا ... ملاذ الفقير وأمن المخوف
تجد ظله جنَّة والجنان ... بلا شك تحت ظلال السيوف

[817] وقال:

هنئتها خلع السيادة والتقى ... والبر والبركات والألطاف
وبقيت ممدوح العلا عينًا لها ... ألف الندى ولكل ملك كافي
يا صاحب القلم الذي في بابه ... عُرف وعَرف ندى بغير خلاف

[818] وقال:

خليل كفَّا عنِّي الشغل بالهوى ... فعندي من فقد الصبا شاغل كافي
صفا لون شيبي ثم كدر عيشتي ... فيا عجبًا للشيب من كدر صافي
ومرخي على الأكتاف يضحك من يرى ... فأوَّاه من شيب يقطّع أكتافي

[819] وقال:

جاء بالخصب إلينا كافل ... آمن في عدله مخوف
فدمشق اليوم والدنيا معًا ... في فنون للتهاني وصنوف
جنة في ظل سيف قادم ... وكذا الجنات في ظل السيوف

[820] وقال:

قل للذي قد كنت معترفًا ... من بحر أنعمه ومغترفا
عجز اجتهاد الشكر عن منن ... قدمتها عندي فيا أسفا
إن كنت لا تسدي إليَّ يدًا ... حتى أقوم بشكر ما سلفا

[821] وقال:

وكنت إذا جفوتم أو كدرتم ... أحن إليكمُ أبدًا وأصفو
إلى أن زرتمُ فثنيت طرفي ... وعلمني جفاكم كيف أجفو
فما دمعي على العادات جارٍ ... ولا قلبي على التبريح وقف

[822] وقال:

بالجنك من مغنى دمشق حمائم ... في دفّ أشجا تشوق بلطفها
فإذا أشار لها الشجي بكأسه ... غنت عليه بجنكها وبدفها

[823] وقال:

أتى الملبس الصوف الذي قد بعثته ... لجبري يا أندى الأنام وتشريفي
فقابله الشكران شكر قصائدي ... وسجعي والشكران من واجب الصوفي

[824] وقال[1]:

تغيَّر بدر الدين بعد مودّة ... وحالت به الأيام عن ذلك الوفا
ودلّ على أنَّ الوداد مكلف ... ولا عجبٌ للبدر أن يتكلفا

[825] وقال:

عندي غلام بعلم الحرف مشتغل ... وأيّ حرف إلى الفحشاء منحرف
أحكى الأنام لدالٍ في تفاجعه ... وأنفق الناس من ميم على ألف

[826] وقال:

خليليّ كيف الصبر عن حبّ شادنٍ ... شهيّ اللمى ساجي للواحظ أهيف

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 30/3. البيت2: "الودَّ"

يحاول بدر التم تشبيه وجهه فيحسنُ إلا أنه يتكلَّف

[827] وقال:

هنئت بالعيد يا من يستضيء به في الناس حالي ومن بالحمد أعطفه
الناس تعرف عيدًا بالهلال إذا وافى ولكنني بالبدر أعرفه

[828] وقال:

فديت رئيسا عندنا من نواله ألوف وصدٌّ بعد ذاك خفيف
فإن يكن العقل الذي ساء واحدًا فأفعاله اللائي سررن ألوف

[829] وقال:

يا رب فاتنة الجمال غريرة تحمي وراء أسنة وسيوف
صغت الوعود لها صياغة ماهرٍ وجمعت بين خلاخل وشنوف

[830] وقال:

قاضي القضاة لك اتصال سلامة ولحاسديك مساءة وتلاف
ما كان في رجفان كفك منكر فالبحر من أسمائه الرجاف

[831] وقال:

مملوكة عندي رومية كم نشَّفت رأسي وما من شفه
بعثتها مع بعض شعري وقد خلصت في الحالين من منشفه

[832] وقال:

يـا صـــاحـبًـا أســـعـى إلـى بـابـه ... وأشـــتـكـي الـفـاقـة والـكـلـفـه
شـــهـرك ذو الـقـعـدة فـاهـنـأ بـه ... وارحـم مـن الـمـمـلـوك ذي الـوقـفـه

[833] وقال:

أمـزِّق قـلـبـي فـي هـواك تـحـرُّقًـا ... وجـفـنـي تســـهـيـدًا ولـيـتـك تـعـرف
ولـي أســـف بـادٍ مـن الـحـزن وإنـمـا ... على مثـل لقيـاك ابن يعقوب يوســف

[834] وقال:

يـا قـريـرًا بـالـمـنـى يـا ســـيـدي ... يـا صـــديـقًـا لـلـتـهـانـي ألـفـا
أن أيـري يـا لـعـقـبـى أيـركـم ... كـان يـاءً ثـم أمســـى ألـفـا

[835] وقال:

أرادت تضـــاهـي حســـنـه وصـــفـاتـه ... بـدورٌ وغـزلان فـقـلـت لـهـا قـفـي
بـعـيشـــك يـا غـزلان لا تـتـعـبـي ... عـلـيـه ويـا أقـمـار لا تـتـكـلـفـي

[836] وقال:

ولـي صـــديـق أرجـفـتـه مـدحـتـي ... وكـان ظـنـي أنـه لا يـرتـجـف
فـقـل لـه يـا بـحـر عـلـم ونـدى ... أنـا الـذي لـو جـاء لـلـبحـر نشـــف

[837] وقال:

خـف خصـــر الـحـبـيـب ثـم ابـتـلانـي ... بـعـذول يـزيـدنـي تـعـنـيـفـا
لـيـت لـو كـان فـي الـمـلاح كـمـثـلـي ... في هوى الخصـــر يؤثر التخفيفا

[838] وقال:

لـنـون صـــدغـك آيـة فـتـنـت ... بـحســـنـهـا كـل طـامـح الـطـرف
يســـبـح الله حـيـن يـبصـــرهـا ... فـيـا لـه عـابـدًا عـلـى حـرف

[839] وقال:

أفـنـى الـتـي تـاجـهـا وقـامـتـهـا ... كـأنَّـه هـمـزة عـلـى ألـف
أذكـر ثـغـرًا لـهـا فـأســكـر مـن ... ورود خـدٍّ لـهـا فـأرتـع فـي

[840] وقال:

قـولا لـنـور الـديـن عـن خـلـه ... خـلِّ الـجـفـا وارجـع لـذاك الـوفـا
يـا حـجـريّ الـوصـف مـن نسـبـة ... حقًّا لـقـد عـاملـتـني بـالصـفـا

[841] وقال:

شـكـرًا لأنـعـم مـولانـا الـتـي فضـلـت ... جـهـد الـثـنـاء فـأبـدى وجـه مـعـترف
لـو لـم أكـن لـلـغـنـى أبـغـي تـطـلـبـهـا ... طلبتهـا كونهـا نوعًـا من الشـرف

[842] وقال:

يـا سـيـدي دعـوة مـن قـولـه ... يـا سـيـدي يـوجـب تشـريـفـه
حـمـلـت بـالإحسـان تـثـقـيـلـه ... فـاحـمـل بـإحسـانـك تـخـفـيـفـه

[843] وقال:

صـيـرت أيـري واقـفًـا مـن شـرطـه ... وإثـبـات عشـقـي واطِّـراح مـخـالـفـي
فـلـيـدر حسـنـك أن قـلـبـي فـيـه قـد ... ثبتـت صـبـابتـه بشـرط الـواقف

[844] وقال:

بات أنفي يشكو زكامًا وقد كا ... ن التشكي من الحوادث يكفي
أحمد الله لا أزال معنًّى ... بأمورٍ تأتي على رغم أنفي

[845] وقال:

ودف أشجار سمعنا به ... ناعورة مطربة الوصف
لا غرو إن شبب نظم الورى ... فيها فقد غنَّت على الدّفّ

[846] وقال:

شافعي قل لمالكي أن في نـ ... ثرة سطرين منه للفقر صرفه
أترى هل يحجّ في وفي قـ ... لبي جمار وعند حالي وقفه

[847] وقال:

صرفت لجود تاج الدين قصدي ... ولم أر بعد ذا عنه انصرافه
فقيل لي القرافة أشغلته ... وكم بنداه قيل لي الق رافه

[849] وقال:

يا سيدي إن طاب وقت ولائنا ... لفظًا ففي معناه منك تعسف
أنا في المديح أشبب الوصف الذي ... أهدى وأنت على الجريح تذفف

[850] وقال:

قاضي القضاة حبذا تكرمة ... تنزه المملوك في صنوفها
دراهم عن كلمات عدَّدت ... فأقبلت تجري على حروفها

[851] وقال:

أتــرى يــا ســـــادةً لــي كــلــمــا زدتــهــم فــي الــود زادوا فــي الــجــفــا
هــل كــفــى مــن فــرط هــجــري مــا جــرى وجــرى مــن دمــع عــيــنــي مــا كــفــى

[852] وقال:

رجــلــي وحــالــي لــغــيــر نــافــع أصـــــبــح هــذا لــذا يــخــالــف
الــرجــل طــول الــنــهــار تــمشـــــي والــحــال طــول الــنــهــار واقــف

[853] وقال:

قــل لــيــراع الإمــام شـــيــخ الشـــيــوخ الــو قــت مــاحــي الإعســـــار والــحــيــف
يــا قــلــم الــعــلــم والــبــلاغــة كــن شـــفــيــع آمــالــنــا إلــى الســـيــف

[854] وقال:

عــلــقــتــه ســـــاجــي الــلــواحــظ أهــيــفــا وبــلــيَّــتــي ســـــاجــي الــلــواحــظ أهــيــف
قــلــبــي الــجــريــح مشـــبّــب بصـــفــاتــه فــي الــحســـــن وهــو الــجــريــح يــذفــف

[855] وقال:

يــقــول لــي امــرؤ كــتَّــاب مصـــــر بــأخــبــار لــهــا وقــت مــنــيــف
فــهــل عــجــز احــتــيــالــك أن تــهــيّــئ لــهــم خــبــزًا فــقــلــت ولا رغــيــف
ألا رُبّ أحــبــاب شـــغــلــت بــحــبــهــم زمــان إلى أن غيروا بيننا الصـــفــهْ
فســـلــيــت قــلــبــي مــن يــديــهــم وعــنــهــمُ ونشـــفــت دمعي من هواهم بمنشـــفــه

[856] وقال:

حملت إلى شخصي الحباب وكاد من ... أذى البرد لا من زهرة يتقصَّف
وكنت بفقري لا بعتقي أشتكي ... وأعجز عن حمل القميص وأضعف

[857] وقال في السبعة السيارة تقوية سبكية:

تشبيب مدحك مطرب لكنه ... حق لإطراب المديح سباق
قاضي القضاة ويا أبا الحسن الذي ... شرفت أصول علاه والأعراق
يا ابن الذين إذا تحدث مادحٌ ... فإليهم ذاك الحديث يساق
يا خير من لولائنا وثنائنا ... في بابه التقييد والإطلاق
أعداك والأنعام في حال سوا ... حق لمثلهما دم مهراق
فانحرهما في يوم عيدك وابق ذا ... جدٍ تضيء بذكره الآفاق
لرقاب جزرك والعدا حد المُدى ... ورقابنا من جودك الأطواق

[858] وقال في ولده تاج الدين السبكي:

ماذا عن الشوق جناي والأرق ... برق على حمص كقلب خفق
يا جاعلًا في حمص قلبي لقد ... حمَّصت مشتاقك حتى احترق
حتى إذا عاد إمام الهدى ... تساعد السعد فرق الفرق
أعظم به تاجًا لعلیائه ... يعطف ردّ المديح عطف النسق
من نعم الوهاب سبحان من ... جمَّل من أخلاقه ما خلق
إذا كتبت السطر من مدحه ... أضاء في الطرس ضياء الفق
فلم يزد إلا بما زاد من ... بياضه فوق بياض الورق

[859] وقال صاحبية في ورقة شفاعة:

جيوش حسنك يا ذا الحسن متفقه ... لها من السقم عرضٌ والبكا نفقه
إذا رأوا حلقات الصّدغ دائرةً ... فكلهم جند أشجان من الحلقه
ألحاظك النبل في أهل الغرام كما ... مال ابن يعقوب في أهل الرجا درقه
تردّ عن عرضه الأنقى فتبصرها ... محمرَّة من دما التبر الذي هرقه
شيخ الشيوخ طريقًا أو مباحثة ... وصاحب الستر من شغل ومن صدقه
مولادي دعوة مطويّ على شجنٍ ... لا يشتكي لسوى إحسانكم حرقه
لا تسألوا كيف حال منه ممحلة ... ما حال فرع نبات يشتكي ورقه

[860] وقال مجيبًا مضمنًا:

ونظم يجاري الناظمين جواده ... إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق
أتى من إمام منطقي فيه للثنا ... وللحب ما لم يبق مني وما بقي
أبا الفتح لو فاتحت بحرًا أو ابنه ... لقام مقام المجتدي المتملق
ويا من له في العقل والنقل خاطر ... لعادله من قال للفلك ارفق
لقد جدت حتى جدت في كل ناقل ... وحتى أتاك الحمد من كل منطق
وقلدتني شرف من النظم نعمةً ... أنرت بها ما بين غرب ومشرق
أقول لها إذ صحفت نعت حاسد ... بعينيك ما يلقى الحسود وما لقي

[861] وقال مضمنًا للثالث:

يا تاركين للمحب أدمعا ... قد وقع الحزن له إطلاقها
والذاريات من دموعي خلفةً ... ما نقضت أيدي النوى ميثاقها
لو حنَّت الورق حنيني نحوكم ... لمزقت من أسفٍ أطواقها
ولو غدت تملي على الأغصان ما ... في كبدي لأحرقت أوراقها

[862] وقال ملغزًا:

مولاي يا متعب يلوح على الـ ... سمت والحيّ صنعة الفائق
كأنَّه عاشق تهيج له الأوتـ ... ـار شجوًا وليس بالعاشق
لسانه صامت على أكثر الأوقـ ... ـات لكن قلبه ناطق

[863] وقال وقد تأخرت عنه جراية الدَّقيق:

حوى فلكي عند الوزير وطالما ... أزيحت بجدوى راحتيه عوائقي
وقد كان قدري عنده متدرِّجا ... وبيتي عميرًا بالندى المتلاحق
فللدرج اللاتي حوت بتّ باكيًا ... وعائلتي تبكي لمنع الدقائق

[864] وقال في المجون:

يا ربَّ ظبي على ظبيٍ ظفرت به ... فقام أيري مقام الطاعن اللبق
وكاد يخترق الإثنين ذاك كذا ... كالفعل ينصب مفعولين في نسق

[865] وقد مات صدقة الكتبي بمصر:

نأى بك الشام يا خلي فقلت عسى ... خلّ بمصر إذا بالموت قد طرقه
يا دهر أعدمتني خلين رمت فدا ... صلاح صدق لآمالي وذا صدقه

[866] وقال وأهدى ورقًا:

غرس أياديك في هديته ... يطلب عذرًا من جودك الغدق
إن لم يكن قد أتاك ذا ثمر ... فإنه قد أتاك ذا ورق

[867] وقال وكتب بها على سقط الزند:

يا من يطالع سقط الزند دونك من ... ألفاظه ما يباهي الزهر في الأفق
لا تحسب العقد في الأعناق يشبهه ... فإنَّ للزند حليًا ليس للعنق

[868] وقال:

تقول بنيّ الجائعون أما ترى ... من الجوع شكوانا لكل فريق
وقد كنت ذا نظمٍ وسعي ببرّنا ... فلم جئت من هذا وذا بدقيق
عليك بأبواب الإمام محمد ... تجد فرجًا منها لكل مضيق
وما هي إلا بيت مال لطالب ... ونصرة آمال ونجح طريق

[869] وقال:

أتاركة بالحزن قلبي مقيدا ... ودمعي على الخدين وهو طليق
يقولون قد أخلقت جفنك بالبكا ... نعم إن جفني بالبكاء خليق
دعوا الدمع للجفن القريح مواخيًا ... فإني فقدت الخد وهو شقيق
وساحرة الألحاظ حتى رضابها ... رحيقٌ وفي قلب المحبِّ حريق

[870] وقال:

هددني بالدين في جلق ... مطالب يفضّ لي خلقا
قلت له قاضي قضاة الورى ... لا زال يرعاني فما صدقا
وقال فكِّر في حديث الوفا ... وخلني من لفظك المتقى
ويلك إن يفتح باب القضا ... فقلت بل ويلي أن يغلقا

[871] وقال:

كـذا أبـدًا يـا آل أيـوب مـلـكـكـم ... لـه بـالنـدى في الشـرق والغرب إطلاق
إذا مـا سـقيتم بـالعطـايـا نـبـاتكم ... تـوالـت ثـمـار مـن نـداه وأوراق
وإنـي وإن عـيقـت عـن السـعـي حـجَّـتـي ... إلى وقفـة في ذلـك البـاب مشـتـاق

[872] وقال:

فـي دعـة الله سـر سـعـيـدًا ... مـمـدّح الـحـلـق والـخـلائـق
مـفـارق الـطـرف فـيـك غـيـري ... حـيـث سـرت خـيـلـك السـوابـق
مـن أعـلـم الـطـرف حـيـن تسـري ... انـك تـاج عـلـى الـمـفـارق

[873] وقال:

لا تـعـاتـب مـن غـيـر جـرم ولا تـجـ ... ـعـل عـقـاب الأنـام فـي الأرزاق
وتـعـلـم بـأنَّ حـظَّـك أوفـى ... فـي اتصـال الإرفـاد والإرفـاق
لـك مـنـا صـفـو الـمـحـامـد والأجـ ... ـر وأرزاقـنـا عـلـى الـخـلاَّق

[874] وقال:

إنـي إذا آنسـت هـمًـا طـارقًـا ... عـاجلـت بـاللـذات قـطـع طـريـقـه
وذكـرت ألـفـاظ الـحـبـيـب وكـأسـه ... فـنـعـمـتُ بـيـن حـديـثـه وعـتـيـقـه

[875] وقال:

وصـارمٍ كـعـبـاب الـمـوج مـلـتـمـع ... يـكـاد يـغـرق رائـيـه ويـحـتـرق
لـمـا غـدا جـدولًا تسـقـى الـمـنـون بـه ... أضـحى يشـفّ على حـافـاتـه العلق

[876] وقال:

سيدي قد كلفتني زوجتي ... حلقًا فانظر إلى حالي الأشق
كنت في الشعر أكدِّي برهة ... وأنا اليوم أكدِّي من الحلق

[877] وقال:

هنِّئتها خلعًا تذكَّر من رأى ... نعماك للخضراء والعرض النقي
كنت الأحق بأن تنهى لبسها ... فملابس التقوى أحق بها انتقي

[878] وقال:

أدهي لبابك أوراقًا ملفقةً ... من حظه منك إرفادٌ وإرفاق
غرس لبابك سامح جهد قدرته ... إن لم يكن ثمر منه فأرواق

[879] وقال:

كانت لنظمي رقةٌ ... ضنَّ الزَّمان بما استحقَّت
فصرفتها عن فكرتي ... وقطعتها من حيث رقَّت

[880] وقال:

وكنت أظنُّ العشق يترك مهجتي ... إذا زحم الشيب الشباب بمفرقي
فلما بدا مع أسود الشعر أبيضٌ ... أتى العشق يغزوني على ألف أبلق

[881] وقال:

أقبلت يا ملك الشجاعة والندى ... والجيش محمرّ الأهاب شريق
فكأنما الدنيا بجودك روضة ... وكأن جبينك للشقيق شقيق

[882] وقال:

فديت من الأتراك سرب جآذر تعلم زهاد الورى كيف تعشق
لم منظرٌ في الحسن يفتح خاطرًا ولكنّ سهم اللحظ في القلب يغلق

[883] وقال:

بروحي من أهوى العذيب لريقه وأعشق من أعطافه البان والنَّقا
رمى لحظه قلبي وماس قوامه فلم أر من هذا ولا ذاك أوثقا

[884] وقال:

مليك التقى هنئت بالجامع الذي وجدت إلى مبناه سعدًا موافقا
دعا حسنه أهل الصلاة لقصده فلا غرو إن جاء المصلي سابقا

[885] وقال:

لنا من وزير الشام برّ يحثّه مكارم شمس الدين حيث تليق
وأقسم لا نشكو عدوّ زماننا وذا صاحبٌ يُدعى وذاك صديق

[886] وقال:

يا ويح من أصبح محتاجًا لنوع الصَّدقه
يثقل منه عند من يرجوه حتَّى الورقه

[887] وقال:

إن دام حالي وإسهالي استحلت خرًا ما بين مندفع يجري ومندفق
وما عجيب لشخص ذاب أكثره وإنما عجبي للبعض كيف بقي

[888] وقال:

يا قارعًا باب هجراني ولا سببٌ ... يحلّ من جهتي أسباب ميثاقي
لتقرعنّ عليَّ السنّ من ندمٍ ... إذا تذكرت يومًا بعض أخلاقي

[889] وقال:

كفاني المؤيّد عتب الزمان ... وأنقذني من إسار الشَّقا
فكان ولائي له مخلصًا ... لأنَّ الولاء لمن أعتقا

[890] وقال:

لا تسل عن حديث دمعي لمّا ... ظعن الرَّكب واستقلّ الفريق
لوَّنته وأمطرته جفونٌ ... جُرّ منها الوادي وسال العقيق

[891] وقال:

إذا كان أوفى سادتي وأبرّهم ... ملاذي فلا زال الزَّمان موافقي
ولا يوم الشعر عني هوى له ... ولا قطعت يوم الشعير علائقي

[892] وقال:

أفدي الذي أرسل نحوي طبقًا ... مع البدور حسنه في نسق
يا طرق الشكر عليه قسما ... لتركبن طبقًا عن طبق

[893] وقال:

خلّني بالطّلا أمدّ حياتي ... يا عذولي وكن عليها صديق
إنما ماؤها هو الدم في العنقو ... د يجري من عرقه وعروقي

[894] وقال:

رُبّ بكرٍ في طريق جليت ... لي بالشام أمورًا لم ترق
هكذا كل جموحٍ سائرٍ ... لم يدع عنه بُنيَّات الطرق

[895] وقال:

يا حبَّذا خدّ الحبيب ... فقد أضاء شريقه
إن لم يكن في الحسن نفـ ... ـس الروض فهو شقيقه

[896] وقال:

أمستنقذي باللطف من قبضة الرَّدى ... لئن حثَّني فيك الرَّجا فلي الحق
على يد مولانا نشا العمر ثانيًا ... فلا غرو أن يُنْشَا على يده الرزق

[897] وقال:

يا رُبّ أمرد قد سبرت غويره ... حتى أزال الشعر ذاك الرَّونقا
وتنكرت صفة الغوير فلم يكن ... ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا

[898] وقال:

يا سيدي يا جمال الدين قد عرضت ... ضرورة ولك الموزون والصدقه
إن أحوج الفقر حالي أن يحاربه ... فالعرض مني ومن إحسانك النفقه

[899] وقال:

شكرًا لها كنافة من بعدها ... قطائقٌ جاء بقطرٍ مغدق
يا جود مهديها إذا قلنا انتهى ... ركبت فيها طبقًا عن طبق

[900] وقال:

يـفـديـك عـبـدٌ كـم دعـاك مسـطـرًا رق الـمـديـح فـحـاز أوفـر حـقّـه
ووعـدتـه وعـدًا سـتـمـلـكـه بـه وتـكـون فـي الـحـالـيـن مـالـك رقّـه

[901] وقال:

إلـى حـلـبٍ رمـت السـرى بـعـد بُـعـدكـم فعـارضـنـي أيضًـا زمـان بـعـائـق
فـيـا لـيـتـنـي لـلـمـرج دبـقًـا لـزمـتـكـم وإن حـلـبٌ فـاتـت فـقـل مـرج دابـق

[902] وقال:

يـا شـيـخ أهـل الـعـلـم والـزهـد فـي سـادات أهـل الـرفـق والـرفـقـه
لـي خـرقـة ضـاعـت وأنـت الـذي نـلـبـس مـن عـرفـانـه الـخـرقـه

[903] وقال:

سـيـدي إن يـعـق حـجـاب لـقـانـا مـا لـطـيـقـانـنـا الـقـريـبـة عـاقـه
عـجـبًـا لـلـصـدود مـنـك ومـنـي ولـكـلٍّ مـنـا عـلـى الـوصـل طـاقـه

[904] وقال:

يـا مـن أعـاد ودادَ وا لـده فـجـاء عـلـى وفـاقـي
حـاشـاك تـبـطـي يـا جـواد وأنـت أسـرع مـن بـراق

[905] وقال:

لـك يـا مـلـيـحـة مـقـلـةٌ مـع حـاجـبٍ لـلسـهـم عن قوس لقلبي يرشـق
وحـبـال شـعـرٍ قـد شـقـيـت بـحـبـهـا إنَّ الشَّـقـيّ بـكـلِّ حـبـلٍ يـخـتـنـق

[906] وقال:

يـــا مـــاجـــدًا لا يـــزال مـــن كـــرمٍ ... فـي بـابـه الـقـاصـــــدون تســـتـبـق
هـل لـك فـي مـنـةٍ تـغـيـث عـلـى ... جـور عـزيـز فـي قـلـبـه حـمـق

[907] وقال:

قـف بـبـاب الـعـلا وقـل يـا كـتـابـي ... عـن لســـانـي قـول الـخـويـدم حـقًّـا
أنـا عـبـدٌ مـكـاتـبٌ غـيـر أنِّـي ... لســـت أخشـــى من مـالـك الرِّقِّ عتقا

[908] وقال:

غـار أخـوك الـغـيـث يـا ســـيـدي ... فصـــدّ عن رؤيـاك طرفـا شـــقيق
فـهـا أنـا الـيـوم لـفـرط الأســـى ... والـوحـل لا أعـرف أيـن الـطـريـق

[909] وقال:

تـقـول لـي الـغـيـداء تـحـتـاج رافـقًـا ... من الـدَّمع والتَّبريح قلـت لـهـا رفقـا
شـــجـونـي لا تُـرقـى كـمـلســـوع خـاطـئٍ ... ودمعي كحظّي ســـاقط وهو لا يرقـا

[910] وقال:

ألا قـل لـقـاضـــي قضـــاة الأنـام ... أمـام الـتـقـى ذي الـفـخـار الـعـريـق
لـقـد حـار عـبـدك يـا ســـيـدي ... وحـقّ الـجـلـيـل بـحـقّ الـدَّقـيـق

[911] وقال:

لـزهـر الشـــقـائـق والـبـدر مـن ... جـلا وجـنـتـيـك انـتســـاب عـريـق
فـهـذا أخـوهـا بـمـعـنـى الشـــبـيـه ... وفـي الـلـون هـذا أخـوهـا الشـــقـيـق

[912] وقال:

بأبي نقي الردف يصعب تارة ... ويعيده سعد يهون الملتقى
ويحثني داعي الهوى فبحقه ... يا سعد عرّج بي على وادي النقا

[913] وقال:

أفدي خليلا ما كان يجمع لي ... بين الثمينين من خلائقه
إن ضنَّ بالوصل من لقاه فما ... يضنّ بالوصل من مهارقه

[914] وقال:

كذا أبدًا يا أجلَّ الورى ... نوالك بين الورى يُرتزق
تقدّم طرسًا وتسدي ندًى ... فمنك الثمار ومنا الورق

[915] وقال:

أعتقت رقي من الخطوب فما ... أطيب فيك الثنا وما أعبق
لك الولاء الجميل أخلصته ... يا معتقي والولاء لمن أعتق

[916] وقال:

طوَّق جود الوزير جيدي ... فلست عن مدحه أعوّق
أسجع بالمدح في علاه ... لا غروَ أن يسجع المطوَّق

[917] وقال:

بدا وفي خاله توارٍ ... فيا لها طلعة شريقه
جوهرة ما علمت إلا ... دموع عيني لها عقيقه

[918] وقال:

لـك الله قـد خـفـفـت عـنـي مـؤونـتـي فمـا لي إذا عن راحـة السـر عـائق
وعـمـرت بـيـتـي بـالـدقـيـق فـلـم أسـل وكـم لـك فـي فـعـل الـجـمـيـل دقـائـق

[919] وقال:

يـا مـن لـلـحـيـتـه دجًـى قـد رد نـوم الـعـاشـق
عـجـل بـمـوسـى قـاطـعٍ واقـذف بـهـا مـن حـالـق

[920] وقال:

لا آخـذ الله غـزال الـنـقـا أي عـنـا أبـقـى عـلـى الـعـاشـق
مـا بـيـن حـجـلٍ أو وسـاح بـدا وراح بـالصـامـت والـنـاطـق

[921] وقال:

لا تـنـس يـا مـولاي قـمـحـيّـة لـمـعشـرٍ حـامـوا عـلـى أفـقـهـا
كـيـلان لا يـقـنـع مـن جـودكـم لـو أنـهـا كـيـلان فـي شـرقـهـا

[922] وقال:

شـربـت مـدامـة الـنـدمـان يـومًـا فـلامـونـي عـلـى تـرك الـطـريـق
ثـكـلـتـهـم أمـا عـلـمـوا بـأنـي خـلـيـعٌ أشـتـهـي شـرب الـعـتـيـق

[923] وقال:

آه كـم قـد شـقـيـت مـن جـرب الـجـسـ م وكـم ذا حـالـي بـه مـفـروق
خـلـق الـنـاس كـلـهـم مـن تـراب وكـأنـي مـن الـحـصـى مـخـلـوق

[924] وقال:

أجيرانا حيى دياركم الحيا ... وطاف عليها للغمائم ساقي
فقد أنفذ التوديع حاصل أدمعي ... ولم يبق منه للمنازل باقي

[925] وقال:

على أنَّكم آنستموني بذكركم ... فقد كدت لا أشكو زمان فراق
وإني لمجنون الفؤاد بحبكم ... فهلا ولو في الحين دمعي راقي

[926] وقال:

رُبّ ليل ترى المجرة فيه ... ذات خطٍّ ينضي العيون دقيق
حسبته الجوزا طريقًا إلى الصُّ ... بح فباتت وعينها للطريق

[927] وقال:

حدثتني يوم اللقا فتصا ... ممت ازديادًا من لفظها المعشوق
أدفع الهمّ بالحديث إذ عا ... د كما يدفع الورى بالعتيق

[928] وقال:

استنشدوني لطيف شعري ... والقلب بالجوع في حريق
وقيل هل من دقيق معنى ... فقال لهفي على الدقيق

[929] وقال:

طوقت جيدي بالعطاء ومدحتي ... فأنا المطوّق ساجع لك في الورق
من فعلك اشتق المقال فمن يقل ... هذا تصدّق قيل إذ هذا صدق

[930] وقال:

يئست من الصداقة منك لما ... تمادى منك إعراض وثيق
ومن عجب الزمان إذا اعتبرنا ... خليل ما يجي منه صديق

[931] وقال:

كيف الهناء بعيد النحر عندكم ... يا سادة ملكوا الدنيا بتحقيق
وكل أيامكم مما تريق دمًا ... في البأس أو في الندى أيام تشريق

[932] وقال:

يا رُبَّ كلب في راحتي حجر ... يذوده والحمام ينطلق
امسكت عن رميه وأعجبني ... تعذيبه بالنباح والقلق

[933] وقال:

تسلَّى فؤادي بعد الهوى ... ونامت جفوني بعد الأرق
وردتم شجوني إلى أن عفت ... كما أنضج الشيء حتَّى احترق

[934] وقال:

يا أزرق العين والتَّعدِّي ... أجرمت في العاشقين حقًّا
طليبك الله يوم يدعو ... وتحشر المجرمين زرقا

[935] وقال:

لك مقلة إنسانها ... يجني عليَّ وأعشق
فاعجب لمن أحببتهُ ... وهو العدوّ الأزرق

[936] وقال في أمير علي النائب:

قالوا أمير فقال العدل بل ملك ... قالت مخافته لله بل ملك
نعم عليّ العلا دنيا وآخرة ... والعقل يشهد والآثار والفلك
لو تسأل البدر أنبا عن سناه بلا ... تكلفٍ وتجلّى باسمه الحلك
فليهن شامق لهُ من دأبه حلبٌ ... حماه بأسًا فلا بأس ولا درك
كم آمن من فيه أمن الطير في حرمٍ ... وكان مثل قطاةٍ غرَّها شرك
لا تذكرنّ بحارًا عند أنعمه ... إنَّ البحار لدى نعمائه برك
واسمع مدائح كالأسلاك من درر ... غنى بها مادحوه أيَّة سلكوا

[937] وقال:

نقلوا أني سلوت هواك ... آه من نقل آثمٍ أفَّاك
حاش لله لو سليت عن النا ... ر فؤادي ما كنت ممن سلاك
سائلي سائل الدموع بخدّي ... عن جوى القلب وانظري مغناك
ولقد لام في ضنا الجسم لاهٍ ... ما قضى ما قضيته في حماك
لائمي إن في الضنا لي عذرًا ... كلما اشتقت أهل وادي الأراك
فسقى الغيث بالأراك حبيبًا ... صار جسمي عليه كالمسواك
ومليكًا قد مات بعد مليك ... بحماة يا حرّ قلبي لذاك

[938] وقال:

تصول بأسياف الجفون وتسفك ... فيا لدمٍ من جفن عينيَّ يسفك
حلت لي منها نسبة قاهرية ... على أنَّ قلبي في هواها مشبك
إن استعبدت قلبي فنظمي على الورى ... بمدح الإمام المالكيّ مملك
أقاضي القضاة العلم فردًا وسؤددًا ... أيا فرد ودّي إنه فيك يشرك
ملكت ولائي بالندى وشرطت لي ... فكان الندى بالجاه والشرط أملك
فهنئت بالأعياد سالكة الهنا ... إليك بمنظوم الثناء يسلك
ولا برح العافي بذلك أو شذا ... مديحك ما بين الورى يتمسك

[939] وقال:

إذا وصـــف الإنســـان بـالـبـر والـتـقـى ... يـقـولـون هـذا مـن عـديـد الـمـلائـكـه
وأقســـم يـا جـبـريـل مـا لـك فـي الـورى ... مـثـيـلٌ فـأيِّـد يـا إلـهـي مســـالـكـه
وبـالـنـاصـــر الســـلـطـان زده مـكـانـةً ... وعـمِّـر بـه أمـلاكـه ومـمـالـكـه
وعـجِّـل لـراجـي بـابـه كـلّ ســـاعـة ... مـطـالـبـه أو لـلشَّـــقـيّ مـهـالـكـه

[940] وقال:

هـنـئـت يـا أكـرم الـعـبـاد بـه ... عـامًـا ســـعـيـدًا عـلـى مـعـالـيـكـا
يـخـدم عـلـيـاك بـالـهـلال أمـا ... تـراه كـيـف انـحـنـى يـحـيـيـكـا
كـأنَّـه مـنـجـلٌ حـبـا كـبـه ... يـحـصـــد أعـمـار مـن يـعـاديـكـا

[941] وقال[1]:

ومـــولـــع بـــفـــخـــاخٍ ... يـــمـــدّهـــا وشـــبـــاك
قـــالـــت لـــي الـــعـــيـــن مـــذا ... يصـــيـــد قـــلـــت كـــراكـــي

[942] وقال:

لـي صـــديـق ســـيـد ســـنـدٌ ... بـيـنـنـا الآداب مشـــتـركـه
كـلـمـا قـابـلـت طـلـعـتـه ... قـيـل لـي يـا ســـعـدهـا بـركـه

[943] وقال:

كـان لـي عـبـدٌ يســـمـى فـرجـا ... نصـــب الـغـيـر عـلـيـه الشَّـــبـكـا
وأنـا الـيـوم كـمـا تـبصـــرنـي ... لـيـس عـنـدي فـرجٌ إلا الـبُـكـا

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 306/1.

[944] وقال:

قالت خزائن علمٍ إن شكا ألمًا ... وزيرنا فلنعم الأخوة الشركه
هذا أخوه الذي بالسعد أنعته ... الله يبقي لنا في عمره البركه

[945] وقال:

حبذا للدين والدنيا فتًى ... حيثما كان سعيد الحركه
كلّ أفق سار فيه ذكره ... يا له سعدٌ ثنته بركه

[946] وقال:

أنا في خيرس وميرٍ بحمى ... صاحب سلك قصدي مسلكه
أصل ذا سعد من الله أتى ... ولعمري كلّ هذا بركه

[947] وقال:

يا معتق المذنبين ممَّا ... خافوا من النَّار والمهالك
أعتق من المهلكات رقّي ... ولا تحكّم عليَّ ملك

[948] وقال:

ملاوي رفقًا بقلبٍ ... صدَّعته بجفائك
لا تكسرنَّ إناءً ... ملآنةً بولائك

[949] وقال:

عش يا محمدُ سالمًا بين العلا ... إذ كلّ بيتٍ في الورى منهوك
وفدًى لك المملوك بالأمس انقضى ... يا صيدي وفد لك المملوك

[950] وقال:

أقول للشاهد إذ ينثني ... عطف رشا قلبي به قد هلك
يا معطف الشاهد سبحان من ... سوَّاك في الحسن ومن عدَّلك

[951] وقال:

رُبَّ ذي شرطٍ على الخدِّ وذي ... خالٍ ممسَّك
ملكا قلبي في الحبِّ ... وكان الشَّرط أملك

[952] وقال:

سلبت محاسنك الغزال وصفاته ... حتى تحّير كل ظبي فيكا
لك جيده ولحاظه ونفاره ... وغدًا تصير قرونه لأبيكا

[953] وقال:

لوالدك الممدوح مرأى مباركٌ ... ولولاك في علیائه لم يشارك
فإن ترو أخبار التقى عنك والعلا ... فإنك عبد الله وابن المبارك

[954] وقال:

إن عشت فيكم بغير قوتٍ ... فلست مستنكرًا لذلك
ما كنت فيكم بآدميّ ... فصرت من جملة الملائك

[955] وقال:

يا جفوني دعي الكرى بعد مرأى ... فاتن الحسن ناصبٍ لشراكِ
فهو إما بحرفه أو بحسن ... ليس ينفكّ صائدًا لكراكي

[956] وقال:

ومـــلـــيـــح إذا نـــظـــرت إلـــيـــه ... نـــظـــرة خـــفـــفـــت ألـــيـــم عـــذابـــك
قـــال لـــي جـــفـــنـــه اســـتـــعـــدّ لـــحـــربـــي ... قـــلـــت يـــا خـــدّهُ دمـــي فـــي ثـــيـــابـــك

[957] وقال:

جـــدتـــم بـــمـــا قـــلَّ عـــن ظـــنـــونـــي ... فـــزاد فـــي لـــوعـــتـــي وهـــلـــكـــي
لا لـــذَّة الـــيســـــر فـــي حـــمـــاكـــم ... نـــلـــت ولا لـــذة الـــتَّشـــــكِّـــي

[958] وقال في السبعة السيارة:

مـــعـــاطـــف أو مـــراشـــــف دُبـــل ... أحـــلـــى لـــمـــمـــتـــارهـــا مـــن الـــعســـــل
يـــا فـــوز مـــن مـــات فـــي وقـــائـــعـــهـــا ... مـــا بـــيـــن تـــلـــك الـــعســـــالـــة الـــدبـــل
ويـــا هـــنـــا مـــن يضـــــم مـــهـــجـــتـــه ... عـــلـــى ولاء فـــي ابـــن الإمـــام عـــلـــي
قـــاضـــــي الـــقضـــــاة الـــذي مـــواهـــبـــه ... قـــد خـــلـــقـــت لـــلـــرجـــاء مـــن عـــجـــل
لا عـــيـــب فـــي جـــوده ســـــوى نـــعـــمٍ ... تـــحـــرم بـــالســـــبـــق لـــذة الأمـــل
كـــم وقـــعـــة لـــي مـــع الـــزمـــان وقـــد ... دفـــعـــت عـــنـــي كـــوقـــعـــة الـــجـــمـــل
فســـــر بـــإيضـــــاح مـــعـــربـــات ســـــنـــا ... وعـــد لـــبـــذل الصـــــلات بـــالـــجـــمـــل

[959] وقال في الدوادار:

ســـرت لحســـنـــك في العشـــــاق أمثـــال ... ومـــا لحســـنـــك يـــا معشـــوق أمثـــال
حـــوالـــة الصـــــب قـــد أعـــيـــت وحـــيـــلـــتـــه ... عـــلـــى لـــقـــاك فـــقـــل لـــي كـــيـــف أحـــتـــال
تـــقســـمـــت فـــيـــك يـــا جـــيـــد الـــغـــزال وفـــي ... مـــدح الـــدوادار أمـــداح وأغـــزال
رســـم بـــبـــاب الـــحـــمـــى الـــعـــزّيّ مـــكـــتـــتـــب ... قـــابـــل حـــمـــاه وقـــل عـــزّ وإقـــبـــال
قـــد عـــلَّـــم الله فـــي أقـــلام راحـــتـــه ... وبـــالســـــيـــوف فـــأرزاقٌ وآجـــال
يـــا ســـــائـــد الـــمـــلـــك بـــالآراء يـــعـــلـــمـــهـــا ... لا جيش يســـعى مســـــاعيها ولا مـــال
هـــنـــئـــت فـــوزك دنـــيـــا ثـــم آخـــرة ... فـــقـــد زكـــت فـــي الـــداريـــن أعـــمـــال

[960] وقال في الأفضل:

ونشـــيـطـــة الأعـطـــاف إلا أنـــهـــا ... بـجـفـونـهـا لـثـيـاب ســـقـمـي تـغـزل
بـيـتـان مـن قـلـبـي ونـظـمـي ذالـهـا ... مـتـغـزل ســـكـنـت وذا مـتـغـزّل
ودمـوع قـيـس قـيـس دمـعـي بـعـدهـا ... كـالـبـحـر عـنـد نـدى مـحـمـد جـدول
مـلـك ســـمـا ونـمـا وجـاد عـلـى الـورى ... فـلـيـجـتـنـوا ولـيـجـتـدوا ولـيـجـتـلـوا
يـا أيـهـا الـمـلـك الـبـســـيـطـة أبـحـرًا ... أهـل الـنـدى وهـو الـبـســـيـط الأول
أهـلا بـمـقـدمـك الســـعـيـد وحـبـذا ... عـيـش عـلـى رغـم الأعـادي مـقـبـل
طـلـع الـهـلال ويـمـن وجـهـك لـلـورى ... يتفـاضـــلان وأنـت أنـت الأفضـــل

[961] وقال علائية:

قلـت وفي صـــدر نـار القلـب منزلهـا ... يـا لـيـت أنـك لـم تـكـرم بـه نُـزُلـي
مليحـة إن تكن في حســنهـا صــنمًـا ... فـيـا عـذولـي لا بـوركـت مـن هُـبَـلـي
فيـهـا وفـي مـدح أوفـى الســـائـديـن عـلًا ... تقســـم الشـــعر في مـدح وفـي غزل
دم لـلـعـلا يـا ابـن فضـــل الله مـرتـقـيًـا ... أفـق الـمـعـالـي وقـد أربـى عـلـى الأول
يـا من عرفـت بـه كســـب الألوف ومن ... تـمـامـهـا أنـهـا جـاءت ولـم أســـل
لـم يـبـق جـودك لـي شـــيـئـا أُؤمِّـلـه ... تركتني أصـــحـب الـدنيـا بلا أمـل
كـل الـكـفـاة ذوي الآراء مـاثـلـة ... مثـل الســـيوف ولكن ذو الفقـار علي

[962] وقال يتقاضى رسم مشمش:

مـبـلـبـل أصـــداغٍ أثـارت بـلابـلـي ... وجرَّت هو عشـــاقهـا بـالســـلاســـل
ومشـــمـش بســـتـانٍ ثـريَّـاه أشـــرقـت ... وأيـن الـثـريَّـا مـن يـد الـمـتـنـاول
بـلـى أن تصـــافـح بـالـرجـا يـد أحـمـدٍ ... تصـــافـح ثـريَّـاهـا يـد الـمـتـطـاول
كريمٌ شـــكـت يمنى الغيوث شـــمـالـه ... فيـا لـك من غيـث كريم الشـــمـائـل
مـقـســـمـة جـدواه بـيـن فـواضـــل ... لـمـدَّاحـه تـهـدى وبـيـن فضـــائـل
تـعـلـمـهـم نـظـم الـثـنـا مـبـدعـاتـه ... فـيـا لـعـقـول حـثـهـا بـعـقـائـل
على الســـبعـة الســـيـارة امتـاز فضـــلـه ... فـلا زال ذا طـول عـلـيـهـا وطـائـل

[963] وقال يرثي المؤيد وأهله:

يـــا آل أيـــوب ســـــقـــتـــكـــمُ ســـحب الرِّضـــا تحت الضّـــرائح وبلها
لـهـفـي عـلـى أوقـات مـلـك أسـبـغـت نـعـمـاكـم فـوق الـبـريـة ظـلّـهـا
مـا كـان أقـوى مـن الـعـداة أشـدهـا بـأسًـا وأعلى في النجوم محلّها
وفـدًى لـكـم مـتسـرّع أنـحـى عـلـى أمـوالـكـم فـأزالـهـا وأذلَّـهـا
كـم أنشـدت مـن بـعـدهـا أيـديـكُـمُ مـا كـان أكـثـرهـا لـنـا وأقـلّـهـا
نـاديـت سـاحتكم وقلـت لصـاحبي مـا كـان أسـرع للمنـادى فضـلها
فـدنـا وقـال لـعـلَّـهـا مـعـذورة مـن بـعـد أهـلـيـهـا فـقـلـت لـعلَّـهـا

[964] وقال مما عنى به:

أتـرى يـقضـى بـكـم أمـلـي قـبـل مـا يـقضـى بـكـم أجـلـي
أيـهـا الـغـيـاب بـعـد جـفـا مـا عـلـى هـجـريـن مـن قـبـل
فـي سـبـيـل الله دمـع فـتًـى مسـرح الأجـفـان مـن هـمـل
لا تـلـم إنسـان مـقـلـتـه خـلـق الإنسـان مـن عـجـل

[965] وقال وقد أهدى لصديق عدسًا:

خـذ الـعـدس الـمشـتـهـى مـأكـلًا وكـن يـا أخـا الـجـود نـعـم الأكـيـل
فـلـو لـم تـكـن عـنـدي الـمـعـتـلـى لـمـا جـدت مـنـه بـهـذا الـجـلـيـل
وأقسـم لـولاك يـا سـيـدي عـدمـت الصـديـق وحـق الـخـلـيـل

[966] وقال وجاءته صلة على يد كمال الدين:

بـعـيـن الله يسـري ثـم شـكـري لـبـرك وابـتـهـاجـي وابـتـهـالـي
قـبضـت مـن الـكـمـال نـداك صـفـوًا بـريـئًـا مـن سـؤال أو مـطـال
فـيـا لله مـن عـادات بـرٍّ أتـتـنـي بـالـتَّـمـام وبـالـكـمـال

[967] وكتب على ظهر قصيدة أهديت إليه من ماردين:

لقد كنت أرجو في صباي وصبوتي مغازلة الغرّ القوافي التي تحلو
فلما انقضى عصر الشباب وشارفت منية مثلي ما لها في الورى مثل
فجاءت بدرج عند ما أنا دارج وجاءت بوصلٍ حيث لا ينفع الوصل

[968] وقال لغزًا في لغز:

رُبَّ صدي كلغز سيدنا بخالص الودّ ثم ينتقل
كدرهم وجهه يشف عن النَّقـ د خلاصًا وقلبه زغل

[969] وقال في خياط جميل الصورة وقد خاط له فرجيَّة:

ألا يا حسنها فرجية من فراجي الفخر كانت مِن الطوال
رأى الخياط صافية شمولا صفاء بياضها فأدراها لي

[970] وقال وكتب بهما على شرح الحاجبية:

تركت للفظ الحاجبية رونقا له لا لألفاظ الأوائل تقبل
إذا كتب النحو استمالت عيوننا أبينا وقلنا الحاجبية أول

[971] وقال ملغزًا في علي:

أمولاي ما اسمٌ جليٌ إذا تعوَّض عن حرفه الأوَّل
لك الوصف من شخصه سالمًا فإن قلعت عينه فهو لي

[972] وقال وكتب للصلاح الصفدي:

فقدت أخلائي الذي سألتهم دوام الوفا إنَّ الوفاء قليل
وإن افتقادي واحدًا بعد واحد دلل على أن لا يدوم خليل

[973] وقال في ابن هلال:

هنئت ما أوتيته من دولة ... حملتك في العينين من إجلالها
في مقلة الأجفان أنت فقل لنا ... أنت ابن مقلتها أم ابن هلالها

[974] وقال وأرسل إليه قاضي القضاة تقي الدين السبكي وابن فضل الله صلتين متقاربتين:

إن الإمامين مدَّ الله ظلهما ... توارد في الندى والعلم والعمل
كلاهما قد علا في العالمين فلا ... عدمتُ من ذا وذا جاه الإمام علي

[975] وقال:

نقِّب على ودِّي الجميل ... وقِنِّع الصَّب بالقليل
كليم قلبي عليك يكوى ... بنار حبيك يا خليلي
يا مصر أما بشمس حسنٍ ... أو شمس علم لي استميلي
شمس هدى لا تزال منه ... تظهر في طالع جميل
بسيط بحرى الندى مديد ... كامل بحر الثنا طويل
رجاي في برِّه سمين ... كالفيل لا كالرَّجا النَّحيل
يضمن لي رفده المهنَّى ... يا لك من ضامن كفيل

[976] وقال:

بروحي ممنوع اللقا غير أنَّني ... أواصل بالتنجيم والفكر شكله
وأقسم من خدَّيه والثغر بالضّحى ... وبالفجر ما أبصرت في العصر مثله
وما أبصرت عيناي من وارث العلا ... كناصر دين الله يبسط فضله
أميرًا إذا قابلت وصفًا ونسبة ... ترى الفضل مأثور الصفات ونجله
ترى عمري المنتمى عدويه ... ففيه المعالي تتبع الفروع أصله
أمولاي إنَّ أهلَّتي لعنايةٍ ... فما زلت بالمعروف والشكر أهله
فديناك من أصلٍ ببطحاء مكةٍ ... وفرعًا على الأقطار قد مدّ ظلّه

[977] وقال:

بيت امتداحي ثم بيت ممدّحي ... يا بيت عاتكة الذي أتغزَّل
هذا وذاك وذا أحاول صدّه ... حذر العدا وبه الفؤاد موكَّل
ويميل عنِّي من يصدّ وأنَّني ... قسمًا إليه مع الصُّدود لأميل
فليهنه الشَّهر الأصمّ عرفته ... عند المدائح مصغيًا يتهلَّل
بالرَّغم أن يصغى لشكوى اليوم من ... حظّ تقول به الهموم وتفعل
ويردني عن باب ساداتي امرؤ ... مفتاح بابهمُ لمثليَ أمثل
وأبيك يا ابن عليّ أنَّ تشوُّقي ... من تحت قلبي المستهام ومن علُ

[978] وقال:

ليهن بدر الحسن في حلة ... تعذيب قلبي وهو في حل
وليهن سمعي عند حلو اسمه ... ما كرَّر العذَّال من عذلي
وليهن شهر الصوم أتقى الورى ... وليبق ما شاء بلا مثل
إمام أعلام الهدى والنَّدى ... قاضي قضاة الفضل والفصل
أقسم في الأنفال من برِّهِ ... وكثرة الطلاب كالنمل
في العلم والنسبة ما مثله ... في ردِّه الفرع إلى الأصل

[979] وقال:

خليليّ والأشواق تروي حديثها ... دموع الأسى من مرسل ومسلسل
على نازل بالقلب مرتحل به ... قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وإلاَّ انظرا من خاله فوق خده ... إلى خير نار عندها غير مصطل
سبكت بها ودِّي فصحَّ كأنَّه ... سجايا بني السبكي للمتأمِّل
أولئك ساداتي الذين هم همُ ... غياث المرجّى عصمة المتوسل
لقاضي قضاة المسلمين عليِّها ... ندى ويدٍ كالبارق المتهلِّلِ
إمام لنا من اسمه وسماته ... سيول من الأرزاق تنحطّ من عل

[980] وقال:

فتانة الصبّ تجلى في حماه فيا ... لها غزالة أفقٍ في منازله
حتى إذا سحبت مثنى ذوائبها ... فيا لها من غزالٍ في حبائله
من لحظها وتثني غصن قامتها ... لا تسألوا من فؤادي عن بلابله
إن أقبل الوجه أشكو جور ناظره ... أو أقبل القدّ أشكو جور عادله

[981] وقال:

قاضي القضاة عليّها وتقيّها ... ما لي على خلق سواك معوّل
سبق اعتناؤك في نوالك لي فما ... أنفكّ في هذا وذا أتأمَّل
فمن الحوالة لي ربيع آخر ... ومن المواهب لي ربيع أول
لا زلت ذا فضلٍ يطلّ على الورى ... وعلى الكواكب من عليّ ومن علُ

[982] وقال:

يا أيها العالم الفرد الوزير ومن ... أرجو نداه إذا جافاني الأمل
وعاقني عن نداك الصَّاحبي وعن ... رسمي من العيد وحلٌ ليس يحتمل
وفاتني صحن حلو والشواء فلا ... شمس لمطلع آمالي ولا حمل
عش للمفضّل من حمدٍ يقال إذا ... بدا على مثل هذا تنفق الجمل

[983] وقال:

يا إمامًا صفاته ... ذات فضلٍ مكمل
دم جمالًا لمخبر ... وحياة لمجتلي
يرجم الفقر من ندا ... ك برفد معجّل
حجرٌ من دراهمٍ ... حطَّه السيل من عل

[984] وقال:

هنئت بالنعم الجميلهْ ... يا صاحب النعم الجزيلهْ
ست تخبرنا النقا ... أنها ست جليله
وكذاك ألف مثلها ... فاهنأ بعقباها الكفيلهْ
وديار ضدك ذمته ... وسيوف حيلته كليله

[985] وقال:

وأزهر وضَّاح الصفات عليِّها ... مدحته به المدح الذي أنا قائله
يقولون ماذا من أياديه ترتضي ... فقلت التي ترضى لمثلي نوافله
أقدم اسمي مصدرا في مديحه ... ويفعل صوب الغيث ما هو فاعله
وما البر إلا ما نوته هباته ... لعافٍ ولكن أهنأ البرّ عاجله

[986] وقال:

أسعد الدين والدنيا بقطف ... على من كنت تغمر بالنوال
رجوت على الليالي منك عونًا ... بعيشك لا تكن غوث الليالي
ولا تسعف ولا تعسف بأمرٍ ... ولكن لا عليّ إذا ولا لي

[987] وقال:

بقيت يا ابن فضل الله في الفضل مفردا ... كشهرك أو شعري الذي لك قائله
فلو أنني ضمَّنت بيتًا لمبدعٍ ... قديمًا لقال الناس إني قائله
أقول لفقري مرحبًا لتيقني ... بأنَّ عليًّا بالمكارم قاتله

[988] وقال:

يا أيها الملك المربي برؤيته ... عن كلِّ فضل سمعناه من الأول
كم جملة وصلت لي من نداك وكم ... تفصيلة ألبستني أجمل الحلل
لقد غدت فكر الأمداح جائزة ... بين التفاصيل من نعماك والجمل

[989] وقال:

شـــكـرًا تـقـيّ الـديـن لـلـمـنـن الـتـي ... رفعـت على حـامي حمـاك ظلالـهـا
لله أنـت فـقـد وصـــلـت إلـى مـدى ... في الفضـــل أعيا الســـائدين مثالها
وغـدوت وجـهًـا مـثـل خـالـك فـي الـورى ... يـا حـبـذا وجـه الأنـام وخـالـهـا

[990] وقال:

يـا ســـيّـد الـوزراء لا مســـتـثـنـيًـا ... فـي فضـــلـه أحـدًا ولا إفضـــالـه
قـد كـنـت تـرحـم قـبـلـهـا حـال امـرئ ... مـتـغـرّبٍ تـدري حـقـيـقـة حـالـه
حـاشـــا لشـــمســـك أن تـرد مـؤمـلا ... عن أفقهـا يشـــكو انقطـاع حبالـه

[991] وقال:

مـاذا أقـول الـيـوم إن أكـثـر الـعـ ... الـم عـن جـودك تسـآلـي
وقـيـل هـل أجـدى الـمـديـح الـذي ... حـبـرتـه فـي مـجـده الـعـالـي
إن قـلـت لا كـذَّبـنـي الـنـاس أو ... قـلـت نـعـم كـذبـنـي حـالـي

[992] وقال:

يـا إمـامًـا قـال الـمـقـلـد والـعـا ... لـم فـيـه بـواجـب الـتـفضـيـل
مـا عـلـى عـاشـــقٍ يـقـول عـلـى حـكـ ... ـــم الـتـداوي بـالضَّـمِ والتَّقبيـل
لا كـمـن تـنـتـحـي بـمـعشـــوقـه الـنـحـ ... ـــو فـمـن فـاعـل ومـن مـفـعـول

[993] وقال:

مولاي كم من شذرة نظَّمت في ... معنًى وليس لها إليك وصول
قسمًا ببيتك في المعالي إنني ... أولى ببيت سواي حيث يقول
يا بدر حسادي عليك كثيرة ... والمسعدون على هواك قليل

[994] وقال:

الحمد لله إذ زمانٌ ... حلا لنا بالهنا جلاله
بكافل للرجا وزير ... يرضع أبناءنا نواله
فحبذا برّه رضاعًا ... وحبذا رأيه كفاله

[995] وقال[1]:

سقيًا لِلَحْدِكَ يا عليُّ فإنَّهُ ... لَحْدُ الرئاسة والثناء العالي
ما لي ونظم القول بعدك في الورى ... ذهب المقالُ فلاتَ حين مَقَالي
لا زال قلبي رافضيَّ تَصَبُّرٍ ... أسفًا عليك ومدمعي متوالي

[996] وقال:

شكوت وبالشكوى إلى غير راحمٍ ... تعذَّر مني للمراد حصول
وصولات قوم بالكثير تقسَّمت ... لديكم وما لي وصول
خضبت مشيبي بالدموع فإنَّه ... ولكن بقلبي للهموم نصول

[997] وقال:

يا سيدي يا صلاح الدين لا صلحت ... أن أنس برك أفكاري ولا حالي
يا من جفاني فلفظي بعد جفوته ... وجيد قصدي لا حلو ولا حالي
إن لم يعد لي فلا صاد الحروف ولا ... لام معانقة فيها ولا حا لي

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 352. البيت1: "السناء". البيت2: "مقال"، البيت3: "سلوِه"، "متوال".

[998] وقال:

خذ من عبيدك مقتضى نياتها ... في الحمد واعذر مقتضى أقوالها
قسمًا لو استطاعت إليك جسومهم ... بعثت دروج المدح من أوصالها

[999] وقال:

تأملت من بعد الصبا خال وجنة ... لغيداء لم أطمع بعود وصالها
وكنت أخا سعدى فأصبحت عمها ... فهيهات لي جدّ بتقبيل خالها

[1000] وقال:

ولي رقيبٌ إذا ما الحب واصلني ... قرينه قلت ليت الحبّ لم يصل
يقول تنقيل مرآه وسرعته ... سبحان من خلق الإنسان من عجل

[1001] وقال:

يا حبذا يومي بوادي جلَّقٍ ... وفرجتي مع الغزال الحالي
من أول الجبهة قد قبلته ... مرتشفًا لآخر الخلخال

[1002] وقال:

آهًا لحاذق ذهن ... يقول في العشق من لي
قال العذار لحدقي ... ما أنت من خل بقل ي

[1003] وقال:

تجلدت كتب التاريخ ثم شكت ... من خجلةٍ خير تاريخ لخير ولي
تكاد إن نظرت هذي المحاسن أن ... تموت في جلدها من شدَّة الخجل

[1004] وقال:

سبحان من وكل بيم شفعًا ... تاجًا على رأسي عطاه الجميل
وكلته في كلِّ ما أرتجي ... وحسبي الله ونعم الوكيل

[1005] وقال:

سعيت في حبِّ هيفا ... تحلو وتكوي طفيله
وقيل عين لها اسمًا ... فقلت ستي بخيله

[1006] وقال:

وغادة أنحل جسمي خصرها ... وكان جسمي قبل مرآها نحيل
وطولت همل بطول شعرها ... فقلت ذا يا شعرها همّ طويل

[1007] وقال:

أفدي مليحًا أسودًا فاح شذا ... مسكٍ لنا فقَّاعه وشكله
كأنَّه نادى على حليته ... فقال فقاعي مسك كله

[1008] وقال:

أقول لعثمان الأديب وقد صبا ... لأرداف من يهواه بعد اعتزالها
وقد ساقها من بعد ما قد تغيَّرت ... وقد هزلت حتى بدا من هزالها

[1009] وقال:

إمام دين الله سمعًا لمن ... أبعدتموه وهو باقي الوله
لو سرت ميلًا عنك لم تتخذ ... عيني سوى إحسانكم مكحله

[1010] وقال:

من أدب النفس أن يوقر مو ... لانا بتدبيره الجليل علا
وإنما المفترون قد حفظوا ... تلجي الضرورات في الأمور إلى

[1011] وقال:

يا عاتبين ولا والله أذكرهم ... إلا بخير وإن مالوا عليَّ ولي
شويت يا مهجتي إن كنت عاتبهم ... وإن وجدت لسانًا قائلًا فقلي

[1012] وقال:

عمامتي كبرتها غالطًا ... فقيل لي باردة جزله
كبيرة فاضت على جبهةٍ ... قلت نعم مع أنها سهله

[1013] وقال:

تصدّق برفدٍ على السائلي ... ن ما كان يمكن رفد جميل
ولا تأمننَّ عروض الزمان ... فإن الزمان فعول فعول

[1014] وقال:

عرِّج على قبر الكمال وقل له ... سحبت عليك السحب من أذيالها
قسمًا لقد نقصت وأعوزت العلا ... يا شوقها لتمامها وكمالها

[1015] وقال[1]: [مخلع البسيط]

وا حـربًـا مـن هـوى رشـيـق ... مـعـذَّر كـالـقـضـيـب مـائـل
عـذاره لا يـغـيـث دمـعـي ... وسـائـل لا يـجـيـب سـائـل

[1016] وقال:

مـن كـان فـي هـفـواتـه مـتـنـصـلًا ... فـي بـاب عـزكـم فـمـا أتـنـصَّـل
أظـهـرت إذ أذنـبـت فضـل حـلـومـكـم ... فـأنـا امـرؤ بـذنـوبـه يـتـوسـل

[1017] وقال:

يـا ربّ إنَّ ابـنـي وشـعـري كـمـا ... تـراهـمـا فـي حـالـة حـائـلـه
الشـعـر مـحـتـاج إلـى قـابـل ... والابـن مـحـتـاج إلـى قـابـلـه

[1018] وقال:

يـقـول بـيـت الـمـال لـمـا رأى ... تـدبـيـر مـولانـا الـجـلـيّ الـجـلـيـل
الله أعـطـانـي وكـيـلًا رضًـى ... فـحـسـبـي الله ونـعـم الـوكـيـل

[1019] وقال:

يـا ربّ لـيـل بـتـه مـتـنـعـمـا ... بـرشـيـقـة تـغـنـي بـردفٍ مـثـقـل
أيـري بـجـانـب كسـهـا فـي حـجـرهـا ... عـرف الـمـحـل فـبـات دون الـمـنـزل

---

[1] **التخريج:** رياض الألباب (ق48/ظ)، ومراتع الغزلان 119–120، وأنوار الربيع 47/5، وخزانة الأدب 136/2، والزين في العين (ق150)، وخلع العذار 207 رقم (435). البيت1: "وا حَرَبِي"، والسيوطي، جنى الجناس 101 وأورد البيت الثاني .

[1020] وقال:

يـا عـاذلي لســـت مثلي في هوى وجوى ... فـخـلّ بـالله عـن لـومـي وعـن عـذلـي
أضـــحـــى لـريـان ردفٍ قـد عـلا وربـا ... يـا حـبـذا جـبـل الـريـان مـن جـبـل

[1021] وقال:

لا تـخـف عـيـلـة ولا تـخـش فـقـرًا ... يـا كـثـيـر الـمـحـاســن الـمـخـتـالـه
لـك عـيـن وقـامـة كـل يـوم ... تـلـك غـزَّالـة وذي فـتَّـالـه

[1021] وقال:

قـاضـي القضـاة جمعـت للزهـد النـدى ... فغـدوت في الحـالين تبعـث بـالولي
تـأتـي هـبـاتـك كـالسـيـول لـنـا ولا ... عجـبٌ لسـيـلٍ حين يـأتي من عـل ي

[1022] وقال:

صـدق الـذي قـد ســار في أمثـالـه ... بـيـت بـديـع الـنـظـم فـي أقـوالـه
وإذا امـرؤ أســدى إلـيـك صـنـيـعـة ... مـن جـاهـه فـكـأنَّـهـا مـن مـالـه

[1023] وقال:

يـا كـاتـب الـخـاص ويـا شـاعـرًا ... أصـبـح بـالآداب يـخـتـال
حـوالـتـي قـد أعـجـزت حـيـلـتـي ... فـانـهـض عسـى بـنـجـح مـحـتـال

[1024] وقال:

أمـيـن الـعـلا والـعـلـم دعـوة نـاشـئ ... ببيتـك تلقى حيثمـا كـان فضـلـه
أبـوك بـأرض الشـام أصـل إقـامـتـي ... فـأكرم مقـامًـا كـان أصـلـك أصـلـه

[1025] وقال[1]:

حلّوا بعقد الحسن أجيادهم ... وحاولوا صبري حتى استحال
فآه من عاطلِ صبرٍ مضى ... والحمد لله على كلّ حال

[1026] وقال:

أيا حسنًا قد هوى شائبًا ... لقد بتما والهوى مشكل
فلو بتما عند قدريكما ... لبت وأعلاكما الأسفل

[1027] وقال:

بروحي خليلًا لم أجد من صدوده ... إلى القلب عنه سلوة تتخلل
ويعلم بأسي من جميل وفائه ... فما ضرَّه بالقول لو يتجمَّل

[1028] وقال:

أتاني عليّ البالسي بشعره ... فيا لك من شعرٍ ثقيلٍ مطوّل
مكر مفر مدبر مقبل معًا ... كجلمود صخر حطَّه السيل من عل ي

[1029] وقال:

يداوي أسى العشاق من نحو أرضكم ... نسيم صبًا أضحى عليه قبول
بروحي من ذاك النسيم إذا سرى ... طبيبًا يداوي الناس وهو عليل

[1030] وقال:

مبقل الخد قالوا ... فقلت ما ذاك يسلي
هذا الزّمرّد حقًا ... ماذي حوائج بقلي

---

[1] التخريج: السيوطي، جنى الجناس 262.

[1031] وقال:

لا رأي لـي فـي الشـام بـعـدمـا دعـا ... أحـبـتـي وسـادتـي الـرحـيـل
وكـيـف أخـتـار الـمـقـام فـي حـمًـى ... لا صـاحـبٌ فـيـه ولا خـلـيـل

[1032] وقال:

سـألـت الـحـلال فـأعـطـى وقـد ... سـألـنـاك يـا مـن عـلـيـه يـدل
وأنـت فـي الـدولـة ابـن الـمـعـزّ ... فـلا تـقصـرن عـن ابـن الأجـل

[1033] وقال:

شـهـاب الـديـن يـا غـوث الـمـوالـي ... ومـن حـاز الـثـنـا والـفضـل كـلـه
أغـث قـومًـا إلـى الـبـطـيـخ أمسـوا ... قـيـامًـا يسـألـون عـن الأهـلَّـه

[1034] وقال:

يـفـديـك عـبـدُ مـودَّةٍ ... أسـلـيـتـه عـن أهـلـه
وكـتـبـت عـهـدةَ رقِّـه ... بـالـمـكـرمـات فـحـلـه

[1035] وقال:

عـلـيّ ديـون مـن ثًـا لـم أقـم بـهـا ... فيـا عجبًـا لي في ازديـادٍ من الفضـل
وأعجـب من ذا أنـك الشـمس أشـرقـت ... وهـا أنـا منهـا حيثمـا كنـت في ظـل

[1036] وقال:

أرسـلـت بـعـدكـم بـجـهـد نـحـوكـم ... جـبـنًـا فـيـا خـجـلـي ويـا جـهـلـي
وبـخـلـت عـن مـفـروض حـقـكـم ... فـجـمـعـت بـيـن الـجـبـن والـخـل

[1037] وقال:

يا متقنًا علم الشريعة والندى ... أنت الأحق بما يقول الأول
تجب الزكاة على الذين وعدتهم ... وعدًا فإنهم بذاك تموَّلوا

[1038] وقال:

يا دهرُ رفقًا فما أبقيت لي أملًا ... في ثروةٍ أتمناها ولا جذل
قطعت باليأس آمالي لديك فقد ... تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

[1039] وقال[1]:

أهلًا بسائرة الصبا من نحوكم ... وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الزهر المقطب ذكركم ... حتى تبسم ضاحكًا من قولها

[1040] وقال:

غاب الوزير وكان العطف شيمته ... وجئت نعم أمير بالرجاء ملي
فشيبة الحمد عندي والولاء معًا ... حقان بين أبي بكر وبين علي

[1041] وقال:

بقَّلت وجنة المليح وقد ولّـ ... ـى زمان الضَّنا الذي كنت أملك
يا عذار المليح دعني فإنِّي ... لست في ذا الزمان من خل بقلك

[1042] وقال:

يا ابن النبوة والفتوة والتقى ... عذرًا لمعلوم الولا لا يجهل
كم بيت مدح قلت فيك لنظمه ... يا بيت عاتكة الذي أتغزَّل

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 307/1. البيت1: "بزائرة"، "في أرضكم".

[1043] وقال:

دامت صلاة الحمى الزيني واصلة ... كأن إحسانها نصبًا على الحال
ولا برحنا وإن شطَّ المزار بنا ... من هالة البدر معنًى في ابن منهال

[1044] وقال:

يا فتى العليا وصاحبها ... ما ترى في واثق الأمل
تاليًا إنسان مقلته ... خلق الإنسان من عجل

[1045] وقال:

رأينا تواقيع تاج العلوم ... على قصص ذات وصف جلي
بنسك وجودٍ وخطٍّ أجاد ... فقلت الثلاثة خطّ الولي

[1046] وقال:

يا صاحبي لك من سقمٍ ومن كبرٍ ... عنق متين وفي الخدِّين تسهيل
وطلعة شمل الخيلان وجنتها ... فعمها خالها قوداء شمليل

[1047] وقال:

سار الأمير عليٌّ في كفالته ... لمأمن الدَّهر سير الأنزع البطل
فنحن في الفضل ماضيه وحاضره ... نروي الثنا عن أمير المؤمنين علي

[1048] وقال[1]: [الطويل]

وضـــعت ســـلاح الصـــبر عنـه فمـا لـه ... يـقـاتـل بـاللـحـاظ مـن لا يـقـاتـلـه
وســـــال عـذار حـول خـديـه جـائـر ... عـلـى مـهـجـتـي فـلـيـتـق الله ســـائـلـه

[1049] وقال:

أحـمـد الله كـم أجـوّد فـي الـخـلـ ... ـق مـقـالا ومـا يـفـيـد الـمـقـال
كـلـمـي فـي الأنـام ســـحـر ولـكـن ... أنـا والســـحـر بـاطـل بـطَّـال

[1050] وقال:

أهـلًا بـمـقـدمـك الســـعـيـد وحـبـذا ... عـيـش عـلـى رغـم الأعـادي مـقـبـل
طـلـع الـهـلال ويـمـن وجـهـك لـلـورى ... يتفـاضـــلان وأنـت أنـت الأفضـــل

[1051] وقال:

عـش يـا إمـام الـعـلا والـعـلـم ذا نـعـمٍ ... لقـاصـــر الســـعي مثلي طـامح الأمـل
أقســـمـت مـا عـثرت بـالـفـقـر لـي قـدمٌ ... إلا وصـــاح رجـائـي فـيـك يـا عـلـي

[1052] وقال:

وســـمـيّ بـرّك يـا ولـيّ الـوقـت قـد ... أربـت بـوادره عـلـى الأمـل الـمـلـي
لا يـعـدم الشـــام اقـتـتـال وزارة ... يســـعى بهـا الوســـميّ من حول الولي

---

[1] **التخريج:** سوق الرقيق (ق83)، وثمرات الأوراق (الذيل) 125. البيت1: "يغزل بالألحاظ من لا يغازله"، ورياض الألباب (ق48/ظ)، ومجموع ظريف ق 19، وأنوار الربيع 47/5، وخلع العذار 208 رقم (437).

[1053] وقال:

أما حمى قاضي القضاة فإنَّني ... عن جاهه أروي الصحيح ومالِه
مهما سألت عن اختلاف مقاصدي ... قالت حلاه أجزته بسؤاله

[1054] وقال:

رسمت عوادي السحر من ألحاظه ... سطر الضنا من فوق جسمي البالي
فإذا تأمله الخبير به رأى ... رسم ابن مقلة من يد ابن هلال

[1055] وقال:

حضرت صلاة العصر خلف مبلِّغٍ ... بهيّ المحيَّا يعشق الجمع شكله
فأقسم من خديه والثغر بالضحى ... وبالصبح ما أبصرت في العصر مثله

[1056] وقال:

ألا رُبَّ ليلٍ واعدت فيه بالجفا ... ويا ويح روحي إن جفتها وويلها
فبتُّ كأنِّي شعرها وهو مسبل ... أقبل رجليها وأمسك ذيلها

[1057] وقال:

أفدي التي ساق إليها مهجتي ... فرعٌ طويلٌ فوق حسن طائل
قلبي بصدغيها إلى طلعتها ... يساق للجنَّة بالسلاسل

[1058] وقال:

يا باعث الجبن قد سالت مطاعمه ... وتخلف الوعد في الشهد الذي يصل
بخلت بالشهد لا بالجبن تبعثه ... لبئست الخلتان الجبن والبخل

[1059] وقال:

دنـوت إلـيـهـا وهـو كـالـفـرخ عـاجـز ... فـيـا خـجـلـي لـمـا دنـوت وإذلالـي
وقـلـت امـعـكـيـه بـالأنـامـل فـالـتـقـى ... لـدى وكرهـا العنَّـاب والحشـف البـالي

[1060] وقال:

سـأسـعـى إلـى أبـوابـكـم ولـو أننـي ... على الرأس أسـعى راضـيًا لا على الرجل
وأمشـي لـكـم مـا بـيـن مصـرة وغـزَّةٍ ... وإن كنت لا أسـتحسـن المشـي في الرمل

[1061] وقال:

إذا جـاء عـثـمـان مسـتـخـبـرًا ... عـن الـمـتـقـارب بـحـرًا فـقـولـوا
ثـقـيـلٌ ثـقـيـلٌ ثـقـيـل ثـقـيـلٌ ... ثـقـيـلٌ ثـقـيـلٌ ثـقـيـل ثـقـيـلٌ

[1062] وقال:

أقـوَّادتـي إنـي فـرغـت عـن الـنسـا ... وأضـحـى على ميـل العلوق معوّلي
فـإن كـنـت قـد أزمـعـت بـظـرًا فـلا ولا ... وإن كنـت قـد أزمعـت صـرمًـا فـأجملي

[1063] وقال:

يـا ربَّ نـاعـورة غـنـت لـنـا وبـكـت ... كحـالـة الصـبِّ بين اليـأس والأمـل
قـالـت ودمـع أخـي الـعشـاق يـتـبـعـهـا ... أنـا الـغـريـق فـمـا خـوفـي مـن البـلـل

[1064] وقال:

مـنـع اتِّضـاعـك أن تـقـبـل مـبسـمـي ... قـدمًـا سـموت بهـا إلى التفضـيـل
فـلـذاك أهـديـت الـرّكـاب تـخـيـلًا ... لأكـون قـد قـبـلـتـهـا بـرسـول

[1065] وقال:

ألا قل لمولانا الإمام أخي التقى ... أغثني فعندي للعلاء غليل
فقدت دقيقًا من معانٍ ومأكلٍ ... ورأيك في استرجاع ذين جميل

[1066] وقال:

صحبنا أناسًا عاطفين فغيروا ... ومالوا مع الأيام حيث تميل
فصرنا نرى أن المتارك محسن ... وأن خليلًا لا يضر وصول

[1067] وقال:

حمى اللهُ من ريب الحوادث سادةً ... لشوقي بهم حالٌ وللصبر ترحال
كحلت جفوني بالسُّهاد لبعدهم ... فيا حبَّذا للسّهد والبعد أميال

[1068] وقال:

أقول إذا استكتبت صدر رسالةٍ ... إلى آل فضل مأوى الفضائل
أنا العبد يدعو الله في صدره لكم ... نعم ثم يدعو في صدور الرَّسائل

[1069] وقال:

وصلت إلى قصدي وسطَّر لي بما ... أحلَّت وصولٌ واستقرَّ حصول
ولولا الندى الفخريّ في كلِّ حالة ... لما كان لي في الحالتين وصول

[1070] وقال:

أفدي رئيسين قد أطلاَّ ... على ذرى المجد والمعالي
لاق بذا قرب ذا فقلنا ... ما أليق البدر بالكمال

[1071] وقال:

أوقفني وِدّي مع هاجرٍ ... يبخل بالدّرج وبالوصل
والله لا غررت من بعدها ... ولا جعلت الودّ في حلي

[1072] وقال:

قلي لخليلي الذي رجوت به ... تقدّمي في الورى وإجلالي
كدّر لي دهري الحياة ومذ ... رجوت منه الصفاء صفًّا لي

[1073] وقال:

قضيت العمر مدَّاحًا ... وهذا يا أخي الحالُ
فقير الوجه والكفّ ... فلا جاهٌ ولا مال

[1074] وقال:

عش يا وليّ الوقت تنعش في الورى ... حالي الضَّعيف وكلّ حال مؤمّل
وفديت خطك في الرقاع مجاوبًا ... بالجود فهو حقيقة خط الولي

[1075] وقال:

قاضي القضاة لقد حويت من العلا ... خطًّا يطلّ على الكواكب من عل
وفتاويًا وفتوَّة شاهدتها ... فحلفت ما في الكون أفنى من علي

[1076] وقال:

إن لم تكن لأخي السؤال فمن له ... يا من صرفت له الرجاء فمله
وأعيذه من أن يراني مقسمًا ... أن لست أفتح بالسؤال فمًا له

[1077] وقال:

جمال الدين قد أتقنت خطًّا حوت أوضاعه معنى الجمال
يقول ابن العديم لو اختلاه وقاك الله من عين الكمال

[1078] وقال:

كذا كل عامٍ في وفور سيادةٍ وقدرٍ له عند النجوم حصول
وعليا تنادي لا وصول لحاسدٍ ولكن لمختار الصّلات وصول

[1079] وقال:

أقاضي القضاة الذي قد علا بأسمى السمات وأزكى الفعال
بجودٍ وزهدٍ وخطٍّ بهر ت فأنت الوليّ على كلِّ حال

[1080] وقال:

ربَّ غيثٍ رام أن يحكي ندًى لك فينا ثم ولَّى واستحال
عاقنا عنك وما حاكى فما هو إلا باردٌ في كلِّ حال

[1081] وقال:

لو كان غيرك مخدومًا ألوذ به لكان حالي على ما أشتهي حالي
ولا هجيت فلا أمسيت مفتقرًا وبارك الله في عرضي وفي مالي

[1082] وقال:

يا نسبة الشمس في المعالي ملت لرجوايَ كلّ ميل
فحبذا في جوار خير أفاد قصدي جراد خيل

[1083] وقال:

أيـــا ســـــيـــدي أن ذاك الـــذي ... أمـرت بـبـرّي ســـهـا عـن خـلـيـلـي
وقـــال أنـــاس أتـــاك الـــدقـــيـــق ... فـقـلـت لـهـم لا وحـقّ الـجـلـيـل

[1084] وقال:

يســـائـلـنـي عـن حـال أيـري مـن رأى ... عـلـى رأس أيـري كـتـلـة حـين أكـتـال
فـقـلـت لـه أنـت الـذي بـأذاك مـا ... تركـت لـه رأسًـــا مع النـاس تنشـــال

[1085] وقال:

قـالـوا وصـــولات الـورى حصـــلـت لـهـم ... ونـراك لـم تـظـفـر لـهـا بـحصـــول
أطلـب وصـــولـك قلـت إن لـم يقض لـي ... قـاضـــي القضـــاة فـأين أين وصـــولي

[1086] وقال:

ســـلَّ أســـيـــاف لـحـظـه ... فـالـتـقـتـهـا مـقـاتـلـي
بـــاخـــل لا يـــرقّ مـــن ... دمـــع عـــيـــنـــي لســـائـــل
أنـــا مـــجـــنـــون حـــبّـــه ... ودمـــوعـــي ســـلاســـلـــي
يـــا هـــلالًا يـــحـــلّ مـــن ... كـــبـــدي فـــي مـــنـــازل
ذكـــر الله بـــالـــنَّـــعـــ ... يـم لـيـالـي الـتَّـواصـل
وســـقـــى عـــهـــدهـــا وإن ... عـــهـــدت بـــالشَّـــقـــاء لـــي

[1087] وقال في السبعة السيارة:

ســقـى زمـان الصـــبـا يـا منـزل الـهـرم ... دمٌ مـن الـدمـع أو دمـع مـن الـديـم
يـا نيـل مصـــر ودمعي لا يحـل بكمـا ... عهـد الوفـاءين من جـار ومنســـجم
كـراحـتـي عـلـم الـديـن الأمـيـر إذا ... لاقى الرَّجـا بمضـــيّ البشـــر مبتسـم
ذو الـرأي والـعـزم والـهـيـجـاء مســـبـعـة ... والـعـلـم والـحـلـم والـمـعـروف والـكـرم

وفارس الجيش كالعنوان تقدمه ... والصف كالسطر والخطي كالعلم
أكرم به وأبيه قبله فلقد ... توارثا شيمًا ناهيك من شيم
نصرتُ في حرب أيامي بهم فأنا ... في جنة تحت ظل السيف والقلم

[1088] وقال لزومية:

بانت سعاد حقيقة ... مني وما رعت العصم
وشقيت بالأولاد بعـ ... ـضهم لكلي قد قصم
لولا ندى قاضي القضا ... ة لواثق القصد انفصم
هنئت شهرًا بامتدا ... حك فيه قد سمع الأصم
يا من به لاز الفقـ ... ـر من الفواقر واعتصم
يا ذا الرغائب من نوا ... لك لا أصوم ولم أصم
خصمي من الأولاد جا ... ر وأنت أولى من خصم

[1089] وقال وقد أقام بمصر في أول قدومها في يسرة وأولاده بدمشق في عسرة:

أصبحت بعد تطاول الأيام ... قلبي بموضع قالبي بالشام
إن مت من حزن فإن بنيّ قد ... ماتوا بشامهم من الإعدام
يا للوزيرين اللذان هما هما ... لا ترحماني وارحما أيتامي
من لي بحملهم على عيني فما ... لي نحو حملهم على أقدامي
فيكون جبركما لقلبي جبرهم ... فهم على كل الوجوه عظامي
يا عصمةً لأرامل وثمال أيـ ... ـتام بقيتم عصمة الإسلام
أقسمت لولا جاهكم ونوالكم ... أصبحت لا خلفي ولا قدَّامي

[1090] قال وكتب بها لعماد الدين ابن القيسراني عند قدومه من حلب إلى دمشق:

أهلا وسهلا بك من قادم ... له المعالي والأيادي الجسام
قد ساقك الله إلى جلّق ... لما درى حاجتها للغمام
يا من به تسقى غوادي الحيا ... ويدرأ البأس ويشفي السقام
لا تلم الدهر على نقلة ... فقد تنقلت لأشهى مقام
وحيثما يممت من منزل ... فإنه الدنيا وأنت الأنام

[1091] وقال يعزي بصغير:

تصبَّر فإنَّ الأجر أسنى وأعظم ... ورأيك أهدى للتي هي أقوم
وكم جاز فرط الحزن للمرء لم يفد ... فما بالنا لا نستفيد ونأثم
وإني عن ندب الأحبة ساكت ... وإن كان قلبي بالأسى يتكلم
أعزيك في غصن ذوى قبل ما ارتوى ... وقامت به وُرق الثنا تترنَّم
على مثل هذا عاهد الدهر أهله ... وصال وتفريق يسرّ ويؤلم
وإن منع الغيَّاب أن يقدموا لنا ... فإنا على غيابنا سوف نقدم

[1092] وقال ملغزًا:

أبن لي بيضاء حلت لواطئ ... بغير نكاح تستحل به الحما
على أنَّها ذات العبادة والتقى ... تروّق للدنيا وللدين كل ما
واتنمى بلا ثانٍ لها عن فخارها ... إلى سادةٍ يا طيب فخر ومنعما
وأحرفها خمس فإن أسقطوا لها ... ثلاثًا غدت عشرًا إذا المرء أعجما
إذا عرضت أعمالها كل ليلة ... على ربها صلَّى عليها وسلما

[1093] وقال لزومية:

نعم الإمام الذي بالخصب شملها ... مما لكًا وأناسيًّا وإنعاما
يا واحد العصر إن علمًا وإن كرمًا ... هنئت بالدهر إن شهرًا وإن عاما
وبالأهلَّة أمثال الشفاه دنت ... للثم كفّ تعمّ الخلق إنعاما
تهدي السعود إلى بحر العلوم فما ... يلام زورقها في البحر إن عاما
لا زلت بالحال أهنأ ما أكون به ... وقبلها كنت للأحوال أنعى ما

[1094] وقال ملغزًا:

يا فاضلًا قد عنى لرتبته ... جالب در الثنا وناظمهُ
ما اسم نحيف بال كأنَّ على ... أحشائه صبوة تلازمهُ
يبكي على الوصل وهو واجده ... وليس يبكيه وهو عادمهُ
قل فيه ما شئت إن حذفت وإن ... حرَّفت يا من لسنا نقاومهُ

[1095] وقال في رثاء الشيخ جمال الدين هشام النحوي رحمه الله تعالى:

يا وليًّا رجوته لولاه ... عند دار الدنا ودار السلام
حبذا كوثر الجنان ورضوا ... ن أناديه يا مضيف الكرام
اسقني شربة ألذّ عليها ... واسق بالله مثلها ابن هشام

[1096] وقال وقد جعله الصاحب أمين الدين أمينًا على متحصل قمامه وأرسل له أضحية:

أمولانا الوزير تهنَّ عيدًا ... سعيدًا وابق ذا عز وعزم
ولا زالت هباتك بالضحايا ... وبالأشغال قائمة برسمي
تبلغني قمامة كل يوم ... وتجعل فيه بيتي بيت لحم

[1097] وقال لزومية:

يا سيِّدًا صرَّف عنِّي العنا ... بفعله المعرب أو باسمه
شكرًا لجودٍ لازم للثنا ... كدوم روح المرء مع جسمه
لولاه أصبحت فتًى شاعرًا ... يبكي من الجود على رسمه

[1098] وقال يتقاضى قاضي القضاة أبي البقاء بيتًا:

أبا البقاء أطال الله في نعم ... لك البقاء وفضلًا ليس نعدمه
يا من له نسبٌ عالي السَّنا وحمًى ... رحبٌ ومدح كوشي الرَّوض نرقمه
ما أحسن البيت من علياك متَّسقًا ... أثني عليه وآويه وأنظمه

[1099] وقال لزوميَّة أيضًا:

سادتي كم أتشكَّى ... لحالِّي يتغمَّم
صرت من وهمي تيسًا ... للمراعي يتشمَّم
ما له في الشَّام مرعًى ... فدعوه يتقمَّم

[1100] وقال وقد سافر ابن الشهاب محمود وقد ابن مشكور في حلب:

كم تمسكت بممدوحين في ... حلبٍ رفد هما لي ما عُدم
فبمشكورين محمود مضى ... وبمحمودين مشكور قُدم

[1101] وقال وقد أهدى شيئًا من شعر الفاضل وابن سناء الملك:

فضلت السعيد وأستاذه ... بنظميهما وبنثريهما
وكانا عتيقي فخارٍ حويت ... فكنت الأحقّ بإرثيهما

[1102] وقال يرثي جمال الدين بن هشام[1]:

سقي ابن هشام في الثَّرى نوء رحمةٍ ... تجرّ على مثواه ذيل غمام
سأروي له من سيرة المدح سيرةً ... فما زلت أروي سيرة ابن هشام

[1103] وقال وقد أهدي أبلوج سكر:

أيا سيدي إنَّني قد عييت ... عن أن أشابه أهل الكرم
فأرسلته مثل نهد الشباب ... ووِدّي لو كان مثل الهرم

[1104] وقال مما ينقش على طشت مطعم:

تشبهت بالغدران والروض حولها ... فأصبحت ملهى الناظر المتوسم
وأنبتّ بالتطعيم أشجار فضة ... ومن أحسن الأشجار كلّ مطعَّم

[1105] وقال ملغزًا:

مولاي ما اسمٌ لناحلٍ دنف ... وما به لا أذىً ولا سقم
لسان قومٍ فإن حذفت وإن ... صحَّفت بعض الحروف فهو فم

[1106] وقال وأهدي حزامًا:

نشرت لك الأعراب فيما طويته ... من الودِّ يا أوفى الأنام ذماما
وأمسكت من ودي لعلياك عروةً ... وأهديت للطرف الكريم حزاما

[1107] وقال في ملقب بالقرد:

أمولاي شمس العلا قد ظهر ... ت لآل الفلان بمجد صميم
وصفرت تصفير تجيبهم ... فكنت شميسهمُ من قديم

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق91.

[1108] وقال وأهدي إليه مشمش:

أتـانـي بـأمـثـال الـنـجـوم زواهـرا ... نـدًى من عليّ مـا نكرت سـجومـه
فلله مـا أنـدى بـجـودٍ سـمـاءه ... وأسـعـد فـي كـلِّ الأمـور نـجـومـه

[1109] وقال وأهدي له أبلوج سكر:

شـكـرًا لإحسـانـك الـبـهـيّ فـمـا ... أبـدعـه فـي صـنـائـع الـكـرم
مـعـنـاه مـعـنـى الشـبـاب مـقـتـبـلًا ... وشـكـلـه المسـتـطـيـل كـالـهـرم

[1110] وقال وقد سئل ذلك:

عـجـبـت من الـدنـيـا الـتـي جـلّ خـطـبـهـا ... وحـارت قـلـوبٌ عـنـدهـا وفـهـوم
فـيـا لـيـتـهـا إذ لا تـدوم تـطـيـب أو ... فـيـا لـيـتـهـا إذ لا تـطـيـبُ تـدوم

[1111] وقال وأهدى إليه علم الدين شواء:

أشـبـعـت أكـبـاد أولادي وأعـيـنـهـم ... مـن الشـوا ولـقـد كـانـوا ذوي قـرم
حـتَّـى لـقـد حسـدوا جـيـران بـابـكـمُ ... وقـيـل بشـراكـم يـا جـيـرة الـعـلـم

[1112] وقال وقد عملوا تقدير مصروف الجامع الأموي:

يـا حـاكـمـي الـجـامـع مـهـلًا فـمـا ... نـيـأس مـن ألـطـاف ربٍّ رحـيـم
بـحـولـه نـرفـع أقـداركـم ... ذلـك تـقـديـر الـعـزيـز الـعـلـيـم

[1113] وقال في سنة الطاعون بدمشق:

عـج عـن الـعـجـب فـهـذي جـلّـق ... أصـبـحـت منـه علـى حـال ذميم
لـم تـزل بـالـعـجـب حـتـى ضـربـت ... نـفسـهـا مـنـه بـطـاعـونٍ عـظـيـم

[1114] وقال يهنِّئ برجب:

تهنَّ بشهرك الميمون واعلم ... بأنَّ نصيب حالي فيه هم
إذا قال الحلاوة قال عذرًا ... إليك فإنَّني شهرٌ أصمّ

[1115] وقال:

أحبتنا لا عين سلوان عنكم ... بأرض ولكن كلّ وادٍ جهنم
وما في شهور العام بعدكم هنًا ... فذا صفرٌ يدعى وهذا محرَّم
فعودوا كما عاد الوزير لظامئ ... دعا برّه المعود فانهلَّ يسجم
سلوني عن جود الوزيرين إنَّ لي ... ثنًا يبدئ الذكر الجميل ويختم
فهذا وزيرٌ عظَّمته ممالكٌ ... وهذا شهير الفخر قد قيل أعظم
رعيت بيعي مصر والشام في حمى ... وزيرين كلٌّ في السيادة مسلم
واذكرني القدر الشَّريف قمامةً ... فقلت ودعني بعد ذا أتقمَّم

[1116] وقال:

تهنَّ بالأعياد يا عيدها ... في أفق فضلٍ ومقامٍ كريم
فطرًا لمن والاك نحرًا لمن ... عاداك ذا عدنٌ وهذا جحيم
أهدي لك المدح وأرجو به ... من قرب أولادي درًّا يتيم
أيتمهم بعدي وإني على ... بابك لاهٍ في جنان النَّعيم
يقول شعري كلما حفه ... نداك في أوقات حالي الرَّميم
يا نجل محيي الدين سبحان من ... أحياه بنعماك نباتي الهشيم
لا سمع للائم في حبكم ... أعوذ بالله السميع العليم

[1117] وقال:

قالوا وقد ملكت رقي غلام ... عاشق هذا ما عليه ملام
يا غصن يا أهيف يا طفل يا ... قاتل هذا الشيخ يا والسلام

يا جنة الخال على خدِّه ... ما أنت إلا شامة في الشآم
وأنت يا مادح سعد التقى ... ما أنتما إلا فريدا الأنام
لشعر هذا فضل أيام ذا ... يقول يا بشراي هذا غلام
لولاك سعد الدين لم يمح من ... ظلم ذوي الأقلام عنا ظلام
لا زال مثل السرج في نصره ... وسعده في فم باغٍ لجام

[1118] وقال:

من لي بها حسناء معرب حسنها ... زاهٍ على الأعراب والأعجام
من يافث في حسنها أو فرعها ... تلقاك في سام يصول وحام
كسطور شمس الدين طيّ طروسه ... تسطو على الأعداء بالإعدام
تجني على الألحاد أو تجني الهدى ... ثمرًا على قضبٍ من الأقلام
ذو الملك في علمٍ يسرّ وأسرة ... منقوشة بفوائد النظَّام
قال الرجا سلم على أبوابه ... تسلم وعيشك من أذى الأيام
فقضيت فرضًا كالصلاة مسلمًا ... ودخلت جنات الهنا بسلام

[1119] وقال:

كفى سرد المشيب عليَّ لامه ... فردّي نبل لحظك يا أمامه
وكفي يا كريمة كيد حسن ... فلا كيد العذول ولا كرامه
محا ظلم الهوى رشدي كما قد ... محا قاضي الورى ظلم الظلامه
رفيع التاج أزهر خزرجي ... زكيّ الحلم مبرور الشَّهامه
لئن سجعت بمدح لهاه خلقٌ ... لقد لبسوا بها سجع الحمامه
مضى ابن دقيق عيد والعلايا ... ولكن جاءنا نجل الإمامه
كحشو الخشكنان له صفات ... فما وصفي دقيقًا أو علامه

[1120] وقال:

حيتك غادية الحيا يا دار من ... أهوى وحوَّامٌ عليك المرزم
ما أنسى إذ لحظ الأحبة ساحرٌ ... والحبّ في طلب الوصال معزَّم
عيش يضيءُ كما أضاء بتاجه ... وجه القضايا فالمظالم تهزم
أنحى بني العلياء في حالاتهم ... فالقدر يرفع والأوامر تجزم
يا حاكمًا كم في العفاة لماله ... كيسٌ يحل وكيس عدل يحزم
للجامع المعمور خمسة أشهر ... ما لي وصول في الجرائد يخزم
فنظمتها وأخاف قولك مازجًا ... هذي القصيد لزوم ما لا يلزم

[1121] وقال:

بجفونها وبفرعها يا مغرم ... وافى بنصرتها السواد الأعظم
حتَّام تشكو كسرة من جفنها ... وإلى متى من فرعها تتظلم
وأجل المديح فذاك أفلح مجتلى ... مدحٍ وإن شئت العلوم فأعلم
يا حاكم الحكَّام عرسي أزمعت ... في النصف أن تشكو وأن تتحكم
قالت أما في نصف شعبان لنا ... شيء يذاق على مذاقته الفم
فأجبتها روحي فلا نصفٌ لكم ... إن لم يداركنا ولا لي درهم

[1121] وقال:

لمولودكم يا آل يعقوب أنجم ... من اليمن لم تحتج لحدس منجّم
يسابقه قبل العقيقة مادحٌ ... بجوهرة من كل عقدٍ منظم
فهنئتم بدرًا أنار وإنما ... بخفي حنينٍ عاد شانيكم العمي
لعمري لقد ضاءت نجابة طفلكم ... فأكرم بكم أكرم بكم ثم أكرم
تبارك من آل يعقوب باركت ... إرادته ما بين آتٍ وأقدم
ففي أول إرث النبوة يوسف ... على آخر إرث الوزارة ينتمي
تيممت أجوادًا وفاضت بحوركم ... فلم يبق عندي رخصة في التيمم

[1122] وقال:

ولقد عرفت تجنِّيها كما عرفت ... يدُ الجواد ابن قطب الدين بالكرم
يا من تقلدت من إحسانه مننا ... أحيت رجائي كما يرجو ذوو نعم
إن كان برّك أضحى ملء كل يدٍ ... فإنَّ شكرك أضحى ملء كلّ فم
جادت أياديك حتى اشتطَّ سائلنا ... فلم أياديك والسؤال لا تلم
كذا تكون الكفاة السائدون فلا ... منعٌ ولا جانب للحق مهتضم
جند العساكر في جند يجهزه ... ونعم جند الدُّعا في حندس الظلم

[1123] وقال:

سقت بجواري الدمع مني جواريا ... على تركها مني السلام وروموها
أو أنس أن ينعم حشانا بقربها ... لقد شقيت من بعدها بكلومها
ولقد لقيت في الحب ما لقيت عدى ... لآلاء سيف الملك عاشت لشومها
تشاريف سيف الملك شاقت لناظر ... فلله مرأى روضها وغيومها
رأى الناصر السلطان علياك تجتلى ... فتحسن في زركاشها ورقومها
فواصل نعماها بملكٍ وواصلت ... يداك على العافين فيض سجومها
فكم من عراةٍ جُوَّعٍ يا أخا العطا ... تحانت على أكبادها وجسومها

[1124] وقال:

يا فاتكًا خدّه لي شامتًا بدمي ... في ألف حلّ من الشكوى وفي حرم
خصَّصت فيك بسهدي والدموع كما ... خصّ ابن جاديك بالتقوى وبالكرم
وبالجميلين من خلق ومن خُلقٍ ... وبالجليلين من حكمٍ ومن حِكَمِ
وبالسعادة في دنيا وآخرة ... وبالسِّيادة في عُربٍ وفي عجم
ويا أخا الفضل في الدارين يجمعها ... حمدًا وأجرًا ففز في ذا وذا ودم
يا ظاهر القول والأفعال علّمه ... بالخير من علم الإنسان بالقلم
جاورت مدحك بالمدح احتوى علمًا ... فحبذا أنتم يا جيرة العلم

[1125] وقال:

بأبي حالية إذ وصلت ... ذكرها أعطف من مرّ النسيم
اسمها مع فعلها مع وصفها ... لي ريحانٌ وروحٌ ونعيم
مثل أقلام علاء الدين إذ ... قلدت من نفسها عقدًا نظيم
صاحب الأسرار في تدبيره ... للعلا سر من الله عظيم
كرمٌ يرجى وبأس يختشى ... وثنًا يسري وإحسان يقيم
سيدي أذكر أطفالي إذا ... قيل في الأغزال ذا درٌّ يتيم
أنا في نعماك لكن مهجتي ... مثلهم في حال بعدٍ في جحيم

[1126] وقال:

قلبٌ بمصرَ وقالب بالشام ... من مبلغ قلبي ومصر سلامي
أخفي بكمِّي الدموع تلوَّنت ... فكأنَّها الأزهار في الأكمام
شوقًا أجدت عليه نثر مدامعي ... وعلا علا قاضي القضاة نظامي
قاضي القضاة عليه يعقد خنصر ... ويضيء وجه العلم من إبهام
يا وارث الأنصار عودة وفده ... نصرًا على الأعداء والإعدام
العيد قد حمل الهنا أعلامه ... فتهنَّ يا علامة الأعلام
وانحر بصحبته الضحايا والعدا ... فالكلُّ معدودٌ من الأنعام

[1127] وقال:

بلغت في الحبّ سن الطاعن الهرم ... وما بلغت بسهدي مبلغ الحلم
لا وصل سعدى ولا الطيف الملم فيا ... للقلب من ألم باقٍ على ألم
أصبحت في الحب فرد الانتساب وفي ... مدح الوزير فقل في المفرد العلم
أزكى الأكارم في خُبْرٍ وفي خَبَرٍ ... وأرأس القوم من عرب ومن عجم
يا مذكري بكرتمٍ قد فقدتهمُ ... فكان أكرم وجدان على عدم
يا من يسائل عن مالي ويطلبني ... وكلها حيلة منه على الكرم
جد لي بشيء يحاكيني فإني قد ... أصبحت لولاكمُ لحمًا على وضم

[1128] وقال:

لـمصـــــر مـفـاخـر تـقـديـم تـاجٍ ... عـلـى مـيّ الإشـــارة فـي الـكـرام
حـكـاك اســـمًـا ومـعـنًـى وانـتسـابًـا ... وعـلامـي أوفـى مـن عـلامـي
ومـا ســـمـاك هـذا الاســـم إلا ... ولـيٌّ عـارفٌ ســـر الأســـامـي
أبـوك ســـقـى الـغـمـام أبـاك حـتـى ... دعـيـت إذا عـلـيًّـا فـي الـغـمـام
لـقـد ظـهـرت كـرامـة مـا رآه ... إمـام عـن إمـام عـن إمـام
وهـذا أنـت لـلـمصـــريـن تـاجٌ ... فـريـدُ فـي فـريـدٍ مـن نـظـام
جـعـلـت الســبـعـة الأبـيـات ســتًّـا ... تـنـادي كـل يـوم يـا غـلامـي

[1129] وقال:

مشـــاهـــد الـــقـــدس حـــيًّـــا ... حـمـاك صـــوبُ الـغـمـامـه
حـتـى أرانـي مـن مصـــــ ... ـر قـد فـتـحـت قـمـامـه
قـامـت قـيـامـة قـوم ... رأوا لـقـدري عـلامـه
وظـيـفـة قـبـل مـا ذي ... فـقـلـت قـول السَّـلامـه
قـيـامـة عـنـد قـومٍ ... وعـنـد قـومٍ قـيـامـه

[1130] وقال[1]:

أفـدي حـبـيـبًـا لـيـس لـي ... فـي حسـنـه الـفـتَّـان لائـمْ
مـتـنـبـهًـا وكـأنَّـه ... لـفـتـور ذاك الـلـحـظ نـائـمْ
أشـكـو ذوائـب شـعـره ... شـكـوى السَّـلـيـمِ إلـى الأراقـمْ
سـبـحـان مـالـئ خـدِّهِ ... تـبـرًا وصـائِـغ فـيـه خـاتـمْ

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 325. البيت1: "أبدًا على حُبيّه لائمْ". البيت 3: "ضفائر".

[1131] وقال:

نـهـنـيـك بـل أنـا نـهـنـي مـنـاصـبًـا ... لشـمسـك يمحو عـدلهـا كـلّ مظلم
شـكـا حزنهـا قومٌ وفضـلـك منشـدٌ ... إذا طلعـت شـمس النهـار فسـلّم
ومـا هـي إلا طـلـعـة قـرشـيَّـة ... سـيشـتـد من أخبارهـا كـلّ مسـلم
وأقسـم لـولا أنـت تـردع مـعشـرًا ... تـهـون عـلـيـهـم حـالـة الـمـتـألـم
لـمـا نـال كـفـي مـنـهـم نصـف درهـم ... بلـى نـال قلبـي منـهـم نصـف درهم

[1132] وقال:

يـا طـرس قـبِّـل راحـةً شـمسـيَّـةً ... تـزهـو بـهـا وبـمـدحـهـا الأيـام
ذلـت الصـحـابـة والصـحـابـة لم تزل ... بـحـرا لـهـا مـتـدفـق وغـمـام
واعـلـم بـأنـك قـد وصـلـت لـمـوردٍ ... مـا بـعـده لـلـواردين أوام
قـد كـلَّـلـتـه شـفـاهُ لـثـمٍ دائـرٍ ... حـتـى كـأنَّ الـلـثـم فـيـه لـثـام
واذكـر ضـرورة قـائـل فـي شـعـره ... قـولا مضـى عـامٌ عـلـيـه وعـام
عـرج عـلـى حـرم الـجـرايـة مـنشـدًا ... يـا دار مـا صـنـعـت بـك الأيـام
إن لـم تـعـجـل غـوث عـائـلـتـي بـهـا ... فـكـأنـهـا وكـأنـهـم أحـلام

[1133] وقال:

هـنـئـتـهـا خـلـعًـا مـجـددةً عـلـى ... عـلـيـاك بـالإجـلال والإعـظـام
بـيـض تـخـبـر أن عـيشًـا أبـيضًـا ... منـهـا وأخضـر كـالـرَّبـيـع النَّـامي
يـتمسـك الـروض الـنضـيـر بـذيـلـهـا ... مـتـأرِّجًـا والـزَّهـر بـالأكـمـام
وتـقـيّ طـرحـتـهـا عـلـيـك فـحـبَّـذا ... غـيـث خـلال الـرَّوض تـحـت غـمـام

[1134] وقال:

لـنـا مـلـك إن يـمـمـتـه ركـابـنـا ... وإن نـتـيـمَّـم عـاجـلـتـنـا الـمـكـارم
أفـاض الـعـطـايـا فـي مـقـيـم وراحـلٍ ... كـمـا هطلـت في الجـانبين الغـمـائم
فسـار إلى النعمـاء يـدرك مـا اشـتهى ... وآخـر يـأتـي رزقـه وهـو نـائـم

[1135] وقال:

يـا أيـهـا الـمـلـك الـذي كـل الـرجـا ... والـرّوع بـيـن يـراعـه وحسـامـه
هـنـئـت شـهـرًا مـثـل طـرف سـاكـت ... يسـعـى بـه المـخـدوم نـحـو مـرامـه
جـمـع الـثـريـا والـهـلال وإنـمـا ... وافـى إلـيـك بسـرجـه ولـجـامـه

[1136] وقال:

هـنـئـت بـالـعـيـد السـعـيـد ودمـت ذا ... نـعمٍ لـهـا فـي القـاصـديـن غـمـائم
لله مـا أشـهـى بـك الـدنـيـا ومـا ... أزكـى زمـانًـا أنـت فـيـه سـالـم
الشـام مـنـزلـنـا وأنـت مـلاذنـا ... دارٌ مـبـاركـةٌ وعـزّ دائـم

[1137] وقال:

شـكرًا لقـاضـي القضـاة مـا طلعـت ... شـمـسٌ ومـدّ سـجـوفـهـا ظـلـم
يـبـلـغـهـا شـاكـر الـجـمـيـل كـمـا ... تـبـلـغـنـا فـي جـنـابـه الـنَّـعـم
لـفـظ وفضـل كـلاهـمـا ذهـب ... فـكـل أوقـاتـه لـنـا كـرم

[1138] وقال:

لجأت إلى الباب الجمالي قاصدًا ... فقابل آمالي من السعد خادم
وفي العلمين الجائزين بخاطري ... أوامر للقصد الجميل تلازم
فهذا بديوان الرّسائل منتشٍ ... وهذا بديوان المدائح ناظم
كم قائلٍ إذ رآني ... مفكِّرًا في ملمِّه
تسير في أيّ وادٍ ... فقلت والغيث يمّه
في المزيريب أسري ... أريد وادي فحمه

[1139] وقال:

يا سيدي نفحات جو ... دك لا يطاق لها اكتتام
لكن دراهم في يد ... ي بدت فقال لي الأنام
ما هذه فأجبتهم ... صدقات سرٍّ والسَّلام

[1140] وقال:

رأت بناتي حبّ جسمي الذي ... في طرزه عندي أذًى مؤلم
فقلتُ ما تطريز هذا الأذى ... فقلن هذا الخلط والبلغم
يا ربّ رحماك فمنك الشفا ... من كلّ ما يخفى وما يعلم

[1141] وقال:

إلى مدح ابن فضل الله أفضت ... بي الأفكار واتَّسق النِّظام
هي السحر الحلال له وأما ... على حساده فهي الحرام

[1142] وقال:

لله ترخيم بجامع جلّق ... متجانس الترصيع والتعظيم
نظّمت يا كهف العفاة عقوده ... فغدا المكان به كمثل رقيم
وازداد تحسينًا يخالف قول من ... قد قال إن النَّقص في التَّرخيم

[1143] وقال:

هنئت بالعيد السعيد وهنئت ببقائك الأعياد والأعوام
عيد يعود حماك ألف مثله والبيض طوع يديك والأقلام
فانعم به واسق الضحايا والعدا نحرًا فإنَّ جميعهم أنعام

[1144] وقال:

سيدي دعوة شاكٍ من عيال جور حكم
يطلبون اللحم في العيـ ـد وما يدرون همِّي
وأخاف العيد يأتي وأنا قطعة لحم

[1145] وقال:

يا سيد الوزراء دعوة لائذٍ حاشاه في أيام جودك يحرم
طلب الورى متأخر عن قبضهم فغدوت أنشد والمدامع تسجم
وقف الأسى بي حيث أنت فليس لي متأخّر عنه ولا متقدّم

[1146] وقال:

جمال دين الإله أنقذني من عثرتي وانتقى ثنا كلمي
يسأل عزّي ويقتضي طلبي وكل ذا حيلة على الكرم
علّمه الفضل في مناصبه من علَّم الكاتبين بالقلم

[1147] وقال:

شكرًا لنجم العلاء كم منٍ قلدني عقدها وكم نعم
قلت وقد نوعت يداه على حالي بأنواعها من الكرم
أفدي إمامًا حلَّت صنائعه بيتي وجيدي وشدتي وفمي

[1148] وقال:

قالت أفي شعباننا ما لنا ... نصف يحلينا كما تعلم
قلت لها موسى وزير التقى ... يعلم أني رجلٌ معدم
إن لم يغثنا فاعلمي أنه ... والله لا نصف ولا درهم

[1149] وقال:

يا سيدًا لا زال ممتحنًا ... بحادثات الزمان من قدمه
من سلّمٍ قد وقعت وقعة من ... زاد مقال الحاكمين في ألمه
رأس ورجل والضلع فهو كما ... يقال من قرنه إلى قدمه

[1150] وقال:

لا تقيسوا ابن سنانا في الندى ... ما ابن أيوب قياس منخرم
فرق ما بينهما متضحٌ ... أين من جود فتى جود هرم

[1151] وقال:

أيا صاحب النعم الباهرات ... إليك بعثت مقالي النظمي
وأهديت منه يتيم العقود ... وحاشاك تكسر قلب اليتيم

[1152] وقال:

لي صديق يسوءني ... ما يقاسي من الألم
كيف يخفي شجونه ... وهي نار على علم

[1153] وقال:

وأصهار سوء ذو الدراسة بينهم ... وذو الفقر مذموم فإياك عنهمُ
فإن كنت تشكو الفقر فهي مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

[1154] وقال:

يـا ربَّ ضـــيـفـا قـوم جـلـد هـامـتـه جلـد على الطـارق الطـاري من الأدم
إذا رأى الـدلـو فـوق الـرأس أنشـــده ضـــيف ألمَّ برأســـي غير محتشـــم

[1155] وقال:

لـــقـــد رحـــمـــنـــا بـــقـــومٍ زهـــر الـــوجـــوه أثـــمَّـــه
جـــمـــاعـــة نســـبـــة يـــا لـــهـــا جـــمـــاعـــة رحـــمـــه

[1156] وقال:

شـــكـــى بـــفـــحـــمـــة شـــيـــخ ضـــعْـــفًـــا يـــحـــرك وهـــمـــه
فـــقـــلـــت لا مـــوت فـــيـــهـــا مـــا ذي حـــوائـــج فـــحـــمـــه

[1157] وقال:

الله ســـخـــر لـــي وعـــائـــلـــتـــي مـــن حـــفّ بـــي الإكـــرام والـــكـــرمـــا
حـــتـــى تـــلـــوت قـــبـــل رؤيـــتـــهـــم يـــا لـــيـــت قـــومـــي يـــعـــلـــمـــون بـــمـــا
لـــم أدر فـــي الـــمـــدَّاح أن قـــد أتـــى عـــلاء ديـــن الله نـــجـــل كـــريـــم
حـــتـــى رأيـــت الـــوفـــد طـــافـــوا بـــه وبشـــــروه بـــغـــلام حـــلـــيـــم

[1158] وقال:

وغـــانـــيـــة يـــوافـــقـــنـــي إذا صـــبوتُ لـهـا ذوو الـعـقـل الســـليم
وأعـــذر إن بـــكـــيـــت عـــلـــى ريـــاض بـكـاء الـبـحـتـريّ عـلـى نســـيـم

[1159] وقال:

لـلصـــــاحـب الـعـلـمـيّ الـذكـر نـور ثـا ... أشـــهى وأشـــهر من نـار على علم
قـالـت تـواقـيـعـه أوقـات جـلســـتـه ... ســـبحـان من علم الإنســـان بـالقلم

[1160] وقال:

قـالـت جـرايـة خـبـزٍ لـي ســـأنـقـلـهـا ... فـي مصـــر مـن حـرم وافٍ إلـى حـرم
هـل يـعـلـم الـلـحـم أنـي بـعـد نـقـلـتـه ... مـا ســـرت مـن عـلـمٍ إلا إلـى عـلـم

[1161] وقال:

إن مـت مـن جـوعٍ بـمصـــر فـحســـرة ... إن مـات أولادي بـجـوع الشـــام
قـل لـلـوزيـر الـرفـيـع ســـنـاهـمـا ... لا تـرحـمـانـي وارحـمـا أيـتـامـي

[1162] وقال:

أعـمـال بـرّك فـي حـلـى امـتـداحـك يـا ... عـلـيّ ســـيَّـارةٌ بـيـن الأقـالـيـم
في خنصـــر العـدّ أو جيـد الرجـاء بهـا ... خـيـر الـقـلائـد أو خـيـر الـخـواتـيـم

[1163] وقال:

إذا الله كـافـى مـنـعـمًـا عـن مـقصـــر ... فكـافى شـــهـاب الـدين أحســـن منعم
فكم طوق ســـنجـاب ســـجعـت بمـدحـه ... فيـا حســـن طوق الســـاجع المترنم

[1164] وقال:

إن أخـرتـنـي عـن مـديـحـك فـتـرة ... فـعـلـى رجـائـي فـيـك أن أتـقـدمـا
أوقـات ســـبـقـي أن أكـون مصـــلـيـا ... فـعـلـيّ أن أقضـــي صـــلاتـي كـلـمـا

[1165] وقال[1]:

وأغيد ينهب أرواحنا ... وجهه كالرَّوض بسَّام
تنمَّ خدّاه بقتل الورى ... فخدّه وردٌ ونمَّام

[1166] وقال[2]: [الكامل]

قلم العِذارِ بوجنتيك جرى ... وبسيف لحظك صان كلّ دم
فاحكم على كلِّ الأنامِ فقد ... أصبحت ربّ السَّيف والقلم

[1167] وقال[3]:

يا لحظه الفتَّاك رفقًا بامرئٍ ... يقضي عليه تيقّظ ومنام
فإذا تنبه رعته وإذا غفا ... سلّت عليه سيوفك الأحلام

ديوان ابن نباتة 477.

[1168] وقال:

تمتعت يا أيري بغانية لها ... أمام وخلف طيب ملقاهما
حللت بهذا حلة ثم حلة ... بهذا فطاب الواديان كلاهما

[1169] وقال:

قالت البيض حين شبت تغزل ... وترحَّل عن وِدّنا بسلام
ما رأينا المشيب إلا كبلح ... أبيض بارد قليل المقام

[1170] وقال:

كسوتني خضراء ما نالها ... من منعم غيري ولا سامها
يقبل الروض لديها الثرى ... ويلثم الأزهار أكمامها

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق91

[2] **التخريج:** سوق الرقيق (ق93)، وروض الآداب 227. البيت1: "قال العذار"، ومراتع الغزلان 106. في الروض والمراتع: البيت2: "الأنام"، وخلع العذار 106 رقم (151)، وسوق الفاضل ق91.

[3] التخريج: سوق الفاضل ق91

[1171] وقال:

يا من بأمداحه اشترينا أموال كفيه في الأنام
هانت عليك اللها فأضحت تباع في الناس بالكلام

[1172] وقال:

قفا زيدٍ لقد جرَّبت مني أنامل كالسياط ذوات حوم
كأنك سيف زيد الخيل عندي أحادثه يصقّل كلّ يوم

[1173] وقال:

عمري لقد زهت الأمصار حين محا عليّ عنها دياجي الظلم والظلم
إذا برى قلمًا قالت ممالكها يا بارئ النسم احرس باري القلم

[1174] وقال:

يا كريمًا قد طابق الاسم بالفعـ ل وأنسى في الفضل كل قديم
لا تخف نبوة الحوادث فالـ ـه كريمٌ يحبُّ كلّ كريم

[1175] وقال:

إذا نظرت كتابًا فاضت دموعي الهوامي
نعم فما الكتب عندي إلا قبور الكرام

[1176] وقال:

أمولاي لا زالت مساعيك للعلا وكفك للجدوى ورأيك للحزم
مضى السلف الأزكى وأبقاك للندى فلله ما أبقى الولي من الوسم

[1177] وقال:

يـا ســـائـلـي عـن رتـبـة الـحـلـيّ فـي ... نـظـم الـقـريـض وراضـــيًـا بـي أحـكـم
لـلـشـــعـــر حـلـبـان وذلـك راجـح ... ولَّـــى الـزمـان بـــه وهـذا قـيـم

[1178] وقال:

زادنـا فـي صـــيـامـنـا الشـــاهـد الـمـيـ ... ـت حـتـــى تـغـيَّـظ الإســـلام
جـرحـــوه مـــا تـــألـــم جـــرحًـــا ... مـــا لـــجـــرح بـمـيـت إيـلام

[1179] وقال:

لـجـود قـاضـــي الـقـضـــاة أشـــكـو ... عـجـزي عـن الـحـلـو فـي صـــيـامـي
فـالـقـطـر أرجـو ولا عـجـيـبٌ ... الـقـطـر يـرجـى مـن الـغـمـام

[1180] وقال:

أهـان وزيـر الشـــام قصـــدي عـنـدمـا ... طـلـبـت مـن الـمـيـراث بـعـض الـدراهـم
وقـال اصـــرفـوهـا لابـن آدم كـلـهـا ... فـأيـقـنـت أنـي عـده غـيـر آدمـي

[1181] وقال:

دعـانـي صـــديـقٌ لـحـمَّـامـه ... فـأوقـعـنـي فـي الـعـذاب الأليـم
كـــلامٌ يـــزيـــد ومـــاء يـــقـــلّ ... فـبـئـس الصـــديـق وبـئـس الـحـمـيـم

[1182] وقال:

لـي قـلـمٌ بـيـن دجـى خـطّـه ... يـبـيـت ذا رقـص وذا زحـمـه
يـقـول مـن يـبـصـــر أحـوالـه ... هـذا هـو الـراقـص فـي الـظـلـمـه

[1183] وقال[1]:

لا تـنـكـر الـمـعشـــوق فـي خـدِّه ... دم الشَّـــهـيـد الصَّـــابـر الـمـغـرم
فـالـرِّيـح ريـح الـمســـك مـن خـدِّه ... كـمـا تـرى والـلَّـون لـون الـدَّم

[1184] وقال:

أفـدي الـذي عـدمـت لـه عـيـنٌ فـلـم ... تســحر وعينٌ ســحرهـا لا يعـدم
أصـــف الـعـيـون مـن الـظـبـاء لأجـلـه ... ولـفـرد عـيـنٍ ألـف عـيـنٍ تـكـرم

[1185] وقال[2]:

فـديـنـاك يـا ابـن الـواســطـي مـمـجـدًا ... بـأقـلامـه أو جـائـدًا بـمـكـارمـه
فـخـاتـم أهـل الـجـود فـي بـطـن كـفِّـه ... ويـاقوت أهـل الخطِّ في فصِّ خـاتمـه

ديوان ابن نباتة 479.

[1186] وقال:

إن صـــار ســفري كـالســعيـد الـذي ... يســمـى فـمـدحـي كـعـبـيـد الـرحـيـم
يـا ســيـن مـن حـول رجـائـي فـقـل ... ســبحـان من يحيي العظـام وهي رميم

[1187] وقال[3]:

أهـواه مـعســول الـرُّضـــابِ مـنـعـمـا ... ولـقـد يـعـذبـنـي الـهـوى بـمـنـعَّـم
يـا قـلـب هـذا شـــعـرهُ وجـفـونـه ... صـــبرًا علـى هـذا السَّـــواد الأعظم

ديوان ابن نباتة 479.

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق91 البيت1. "الكأس".

[2] التخريج: سوق الفاضل ق91.

[3] التخريج: سوق الفاضل ق91.

[1188] وقال:

عـيـد تـعـودك بـالـهـنـاء ســـعـوده ... فـتـهـنَّـه فـي غـبـطـة ودوام
وانـحـر بصـــبـحـتـه الضـــحـايـا والـعـدا ... فـالـكـلُّ مـعـدود مـن الأنـعـام

[1189] وقال:

مـولاي هـنـئـت فـردًا فـي الشـــهـور كـمـا ... فـي الـنـاس فـردًا دعـاك الـعـلـم والـكـرم
إصـــغِ إلـى مـدح لـي فـيـك ســـائـرة ... قـد أســمعـت كلمـاتي من بـه صـــمم

[1190] وقال[1]:

تنسَّـــك في شـــهر الصِّـــيـام مُعـذِّبي ... وفي جفنـه ســيف على النَّـاس عـازم
فـيـا حـربًـا مـن فـاتـر الـطَّـرف فـاتـكٍ ... يـفـطِّـر أكـبـاد الـورى وهـو صـــائـم

ديوان ابن نباتة 480.

[1191] وقال[2]:

بـأبـي غـزالًا جـال فـي وجـنـاتـه ... مـاء الـنَّـعـيـم ولـونـه مـتـعـنـدم
لا غـروَ أن أهـوى بـوجـنـتـه إلـى ... زهـر الشَّـــقـيـق فـطـالـمـا حـنَّ لـدم

ديوان ابن نباتة 480.

[1192] وقال[3]:

بـروحـي مـقـلـة لـك فـي فـؤادي ... وفـي جســـدي لـهـا جـرحٌ وســـقـمُ
تـوفَّـر لـوعـتـي وتصـــيـب قـلـبـي ... فـلـي مـنـهـا عـلـى الـحـالـيـن ســـهـمُ

ديوان ابن نباتة 480.

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق91 اللبيت1: "صارم"

[2] التخريج: سوق الفاضل ق91

[3] التخريج: سوق الفاضل ق91

[1193] وقال:

سـروا لـلشـآم وغـرب الـجـفـون تـفـطـر مـنـا بـنـار الـهـمـوم
فـفـي الشـرق أحـبـابـنـا كـالـبـدور وفـي الـغـرب أدمـعـنـا كـالـنـجـوم

[1194] وقال:

بـروحـي تـيَّـاه يـحـلِّـل أدمـعـي وكـيـف يـحـلّ الـمـاء أكـثـره دم
بكـت مقلتي العبرى وأسـياف جفنه من التيه في أغمادها تتبسم

[1195] وقال[1]:

عـذولٌ لسـتُ أسـمـعُ مـنـهُ عـذلًا عـلـى غـيـداء مـثـل الـبـدر نـمَّـا
لـه طـرفٌ ضـريـرٌ عـن سـنـاهـا ولـي أذنٌ عـن الـفـحشـاءِ صـمَّـا

ديوان ابن نباتة 480.

[1196] وقال[2]:

آهًـا لشـمـلٍ وقـد وهـى سـلـكـهُ وكـان ذا دُرٍ بـعـبـد الـرَّحـيـم
فـلـيـتـنـي لاقـيـتُ مـنـه الـرَّدى وعـاش ذاك الـدُّرُّ دُرًّا يـتـيـم

ديوان ابن نباتة 480.

[1197] وقال[3]:

وقـالـع مـن جـنّـتـي خـدِّه نـبـتًـا بـه الـعُشَّـاق قـد هـامُـوا
يـقـولُ مـحـتـجًّـا إذا لـمـتُـهُ لا يـدخـل الـجـنَّـة نـمَّـامُ

ديوان ابن نباتة 480.

[1198] وقال:

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق91

[2] التخريج: سوق الفاضل ق91

[3] التخريج: سوق الفاضل ق91

محبوبتي دنيا جفت بعدما ... جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الأيـر زمان الصبا ... وهكذا الدنيا مع القائم

[1199] وقال:

يا رُبّ كأس صاغها لي شادنٌ ... نعم الصياغة في الزَّمان المعلم
فأخذتها كالتَّاج وهو مكلَّل ... ورددتها مثل السّوار بمعصم

[1200] وقال:

خليليَّ إن العام مبارك ... فلا الفقر تخشاه ولا الفكر حائم
إذا نقط الغيث استدارت وأخصبت ... فما هي في التحقيق إلا دراهم

[1201] وقال:

باع صديقي لجام بغلته ... ليشتري الخبز منه والأدما
فآهًا عليه راحت وظيفته ... فهو على الحالين يأكل اللّجما

[1202] وقال:

لاح الإمام لطلاَّب اللّها علمًا ... وماس بانًا على أدراجه القلم
فقل لمن سار للآمال يقصدها ... يا ساري القصد هذا البان والعلم

[1203] وقال:

لئن جرحت خدِّي فلانة مقلتي ... لقد جرحاها بالدموع السواجم
شكا خدّها لحظي ولحظي خدّها ... ولا ظالم إلا يبلى بظالم

[1204] وقال:

عش يا محمد في الدارين متصلا حمدًا وأجرًا وفز في ذا وذا ودم
جاورت مدحك بالمدح احتوى علما فحبذا أنتم يا جيرة العلم

[1205] وقال:

هنئت قاعة أنعمٍ وفضائل مسعودة بك يا إمام متممه
قد رخمت فسطت بعنق حسودها يا حبذا في الصيغتين مرخمه

[1206] وقال:

قلت لإحسان وزير التقى في مطلب الميراث لي مغنم
من بركة القطن لكتانها فقال هذا طلب ملجم

[1207] وقال:

يا سيدي فلان الدين لا برحت سوائم القصد ترعى تحت ظلكم
كانت أياديكم قدمًا تواصلنا والآن أحوج ما كنا لوصلكم

[1208] وقال:

قالت وأيري قد تراخى أما يطبخ في منزلنا لحم
فقلت والمقصود قد بان لي كفي ولا لحم ولا عظم

[1209] وقال:

شـــكـرًا لأيـري الـذي يـبـلـغـنـي ... مـا أتـمـنـى مـن ســـاعـة الـحـلـم
قـام دجـى الـلـيـل طـالـبًـا غـرضـــي ... ونـمـت عـن حـاجـتـي ولـم يـنـم

[1210] وقال:

يـا إمـام الـتـقـى كـذا كـلّ عـيـدٍ ... تـتـلـقـى هـنًـا وتـمـنـح نـعـمـى
ونـرى مـجـدك الـحـلـيّ وجـدوا ... ك فتملا العيون شـحمًا ولحما

[1211] وقال:

مـذ أضـامـتـنـي الـلـيـالـي جـفـانـي ... كـرم الافـتـخـار والإكـرام
فـتـذكـرت قـول أحـمـد قـدمًـا ... لا افـخـتـارًا إلا لـمـن لا يضـام

[1212] وقال:

قـد سـرّت الأمَّـة والـديـن إذ ... قـالـوا أتـى السُّـلـطـان نـجـلٌ كـريم
فـبشَّـروهـا بـمـلـيـك رضًـا ... وبشَّـروه بـغـلام حـلـيـم

[1213] وقال:

تـؤخِّـرنـي ســادات دهـري وقـد دروا ... صـفـاتي وأنسـابي التي هي أكرم
كـأنَّـهـم قـد خـالـفـوا قـول أحـمـدٍ ... فـمـا عـنـدهم إلا النسـيـب المقـدم

[1214] وقال:

يـا سـيِّـدي أهـلـتـنـي وأمـرتـنـي ... بـلـزوم بـابـك فـي كـتـابٍ أرقـم
فـلـزمـت مـع نسـب الـولاء فـلا تـقـل ... هـذا كـتـاب لـزوم مـا لا يـلـزم

[1215] وقال:

قد أسرج الشيب في فودي وألجمني ... عما أعانيه من نقضٍ وإبرام
فما التغافل عن شأن الرحيل إلى ... دار البلى بعد إسراجٍ وإلجام

[1216] وقال[1]:

بروحيَ مَنْ في وجنتيه إذا بدا ... محاسن تشقي ناظري وتنعم
يحدث بالجفنِ الذي يجرح الحشا ... فأجفانه في الحالتين تكلم

ديوان ابن نباتة 482.

[1217] وقال:

يا سقيم الجفن أسقمتني ... وحلا في حبه ألمي
إن حكت عيناك لي جسدًا ... فلقد حاكت على السقم

[1218] وقال:

يا مالكًا لا يخيب زائره ... دعوة ضيف منقَّح النَّظم
يبكي على رسمه ولا عجبٌ ... لشاعرٍ إن بكى على رسم

[1219] وقال:

ولم أنس في رسم الأحبَّة موقفًا ... أضفت به للجسم سقمًا على سقم
وقد رفعت عيناي قصة دمعها ... فوقّع فيها الوجد يجري على الرسم

[1220] وقال:

سكندريٌ قلت لما بدا ... في صحبه كالبدر في الأنجم
يا مانع الثغر وحقّ الهوى ... إني لمشتاقٌ إلى اللَّثم

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق91.

[1221] وقال:

ظفرت على رغم الرَّقيب بطيفها ... وقد طردت خلف الثريا النعائم
فيا لرقيبٍ ليس يرزق نظرة ... وآخر يأتي رزقه وهو نائم

[1222] وقال[1]:

وقفت على سفح الثَّنيَّةِ باكيًا ... فكلّ مكانٍ بالثَّنيَّة عندمُ
وأودعتُ قلبي في ثراها مُقَبِّلًا ... كأنِّي لهاتيكَ الودائعِ أخْتِمُ

[1223] وقال في السبعة السيارة:

فتور على أجفانها وفتون ... تريك معاني الحسن كيف تكون
محجبة ما خلت قبل جفونها ... على كبدي أن السيوف جفون
أخاف فأبكي بعدها قبل وقته ... فيا لعيون دمعهنَّ عيون
ويا عاذلًا يقسو عليّ وما رأى ... ثرى لمحة في وجهها وتلين
لقد كنت ذا قلب كقلبك عاقل ... فجنَّ لليلى والجنون فنون
وطال حديث الناس عن شجني بها ... فقد صحَّ لي أن الحديث شجون
ألا من لصبٍّ من جفاه وشجوه ... شكا السقم حتى ما يكاد يبين

[1224] وقال في الناصر حسن وقد أمر أن ينسخ له ديوانه:

أأحبابنا داركم والعيش نعمان ... والسفح دمعي ودار القلب حران
أشكو اشتياقًا وما بالوصل من قدم ... كأنَّ وصلي لفرط الحب هجران
وربما رمت أن أشكو السهاد إلى ... عدل المنام وقلت النوم سلطان
يا أيها الناصر السلطان لا غمضت ... عين لها من سنا مرآك سلوان
كم في ملوك الورى فضل ومعرفة ... كانوا ومثلك في ذا النحو ما كانوا
إن يمض كسرى فكم إيوان معدلة ... لديك قد زانه يمن وإيمان

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 323. البيت1: "فكل نبات". البيت2: "الوديعة".

أمَّرت شـــعري يـا خيـر المـلوك علـى أشـــعـار قـومٍ فـلـي أمـرٌ وديـوان

[1225] وقال علائيَّة:

بي من بني الترك ســـاجي الطرف وســـنان ما الصـــبُّ منـه معـاذٌ وهو فتـان
بـي ضـــيق العين صـــانوه فقلـت لـهم ســـمّ الخيـاط مع المحبوب ميـدان
لـه مـن الـحســـن فـنٌّ لا نـظـيـر لـه وللـعـلا فـي الـعـلا فـنّ وأفـنـان
البحر علمًـا وجودًا جـانســـا صـــفـة فحبذا منـه ســـيحـان وجيحـان
والـوارث الـفضـــل مـمـنـوعٌ لســـؤدده مع العلوّ على السَّـــادات رجحـان
يـا ســـيِّدًا جـمـعـت لـي مـن عـوارفـه نـعـمـى وعـلـيـا فـأســـرارٌ وإعـلان
غـلام بـيـتـك فـي بـيـتـي ثـنًـا وولًا كـمـا يســـرك حســـان وســـلـمـان

[1226] وقال فيه:

تـنـاســـبـت الـمـحـاســـن يـا لـبـيـنـا فـخـلـنـا مـن بـيـاض يـدٍ جـيـنـا
رنـيـدة وقـتـهـا ســـمـنـت بـلـطـف فـمـا أشـــهـى رنـيـدا أو ســـمـيـنـا
يـطـالـب صـــدغـهـا والـخـال قـلـبـي كـأنَّ عـلـيّ لـلـحـبشـــان ديـنـا
كـمـا طـالـبـت جـودك يـا ابـن يـحـيـى وكـم أجـدى وكـم أســـدى ألـيـنـا
عـلاء الـديـن دمـت لـنـا مـلاذًا وغـوثًـا إن أقـمـنـا أو نـأيـنـا
لـبســـت مـن الســـيـادة ثـوب فضـــل تـعـوّد ذيـلـه عـطـفًـا عـلـيـنـا
رديـــن يـــقـــول ثـــنًـــا وأجـــرٌ ألا حـيـيـت عـنـا يـا رديـنـا

[1227] وقال وزيرية:

ظـبـيٌ تـبسَّـــم عـن درٍّ ومـرجـان وكـان يكفي على الخـدَّين مرجـاني
آسٌ وورْدٌ دعـا خـدَّام دمـعـي إذ لـبـاهـمـا لـؤلـؤي قـدمًـا ومـرجـانـي
كـمـا دعـا جـود مـولانـا الـوزيـر رجـا لـبـاه ذو فضـــة تـجـري وعـقـيـان
وزير مصـــر الـتـي قـالـت ومـا كـذبـت أنـت الـعـزيـز رفـيـعًـا فـوق أجـفـانـي
وذو الـخصـــيـبـيـن مـن ذكـر ومـن قـلـمٍ وذو الفخـارين من اســـم ومن شـــان

فليهنه العيد إذ هنى بطلعته عيدًا وهنى جميع الناس عيدان
في رفعةٍ تحسن الأعراب أن تره يرفع له الشأن أو يكسر له الشَّاني

[1228] وقال في برهان الدين بن جماعة خطيب القدس قبل أن يلي القضاء:

من لي بها في الترك ينسب خدّها فيقال في الأوصاف خدٌّ قاني
يا نار مالك قلبي العاني لقد أحرقت شقائق النعمان
في وصفها أو في ثنا ابن جماعة أضحى فريدًا في القريض مباني
برهان دين الله قد أثبته وجدان معنى الجود في الأزمان
قل للذي أفتى الورى أن لا فتى ظهر الدَّليل عليه بالبرهان
كثرت معاني الفضل منك وجددت نعماك للأجوادِ معنى ثاني
فخذ الثنا باقٍ بقاء فتًى يرى إن الثراء وكل شيء فان

[1229] وقال في دار:

بنوا وسكنَّا نبني ويسكنوا وحرّكنا هذا الزمان ويسكن
وما البيت إلا قبر حيّ فحقّه يحسّن في أوضاعه ويزيّن
يذكره الجنَّات طيب مقامه فيدأب في تحصيلها كيف يمكن
فيا لك من دنيا لآخرةٍ دعت ويا لك بيتًا يمنه متبين
معجّل نعمى حيث شكو مؤمل وأنَّى يوفي دينه المتدين
إلهي كما حسَّنت للحيّ منزلًا فمنزلة الثاني بعفوك أحسن
وما أنا من عفو الكريم بآيسٍ وحسبي إني واثق الظَّنِّ مؤمن

[1230] وقال في الناصر حسن:

لها من جبين البدر او قامة الغصن محاسن قد تجني علينا ولا نجني
فإن يك غصنًا ثاني العطف مثنيًا فتلك كما نثني وفوق الذي نثني
وإن يجر شعر الأقدمين بمدحةٍ لغيرك سلطانًا فأنت الذي تغني
وإن نحسن الأمداح نظمًا فإنَّها على حسن السلطان مقبلة الحسن

لـــه دولـــة فـــاقـــت عـــلـــى كـــلِّ دولـــة وخـــدَّام ملـــكٍ من بشـــير ومن يمن
فـبشـــــرى لـهـم والـعـالـمـيـن عـواقـبًـا لأهـل الهنـا تبقي وأهـل الشَّـــقـا تفني
وحســـــب الـهـنـا مـنـا طـبـيـب ومـادح ومن مثـل هـذين الحليمين في الفنّ

[1231] وقال وقد أهدى جاحظًا فملئ صحنه حلواء:

الـعـبـد يـهـدي عـلـى مـقـداره وعـلـى مقـدار ســـاداتهـا تســـدي يـد المنن
قـالـت صـــــحـون حـلاوات لـجـاحـقـه هـذي الـمـكـارم لا قـعـبـان مـن لـبـن
يـا صـــــاحـب الســـيف من ذهنٍ تزان بـه لقـد فخرت على ســـيف ابن ذي يزن

[1232] وقال ملغزًا:

أيّ شـــــيء يـا ســـيِّـدي يـبـلـغ الـنـا س ويصـــــطـادهـم بـكـلِّ مـكـان
وهـو ذو حـافـرٍ يســـيـر ويســـري كـلّ وقـت ولـيـس كـالـحـيـوان
مـلـحـد لا يـزال فـي شـــرعـة الـديـ ن وإن كـان لـيـس بـالإنســـان

[1233] وقال كمالية:

كـمـال الـديـن عشـــن لـنـا مـلاذًا تُصـــوَّغ عن شـــمـائلـه الـمـعـانـي
وقـعـت عـلـى الـجـواد وأنـت غـيـث وقمـت مسـلمًـا خصـــب الجنـان
فـأيـقـنـت الـورى خصـــبًـا وقـالـوا وقوع الـغـيـث من خصـــب الزمـان

[1234] وقال ملغزًا:

يـا ســـيـدي قـل لـي مـا اســـمٌ وإنْ تشـــأ فقـل كيف ومـا شـــئـت كـان
يشـــيـب فـي أوَّل أوقـاتـه وهـو عـلـى هـذا شـــهـيّ الـعـيـان
يـخـفـى عـن الـعـاقـل لـكـنـه إن رامـه الـذَّاكـر فـي الـحـال بـان

[1235] وقال وقد قبض رفيقاه النفقة دونه من يعقوب الصيرفي:

قل للرفيقين اللذين كلاهما ... في طيب وقت قد علاني يمنه
شتان ما بيني وبين صفاتكم ... يعقوب عندكم وعندي حزنه

[1236] وكتب إلى ابن حجلة مضمنًا:

وفارقني من طار بي قبل فرخه ... وكنت لديه في أعز مكان
تغطيت عن دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني

[1237] وقال ولاموه في جلوسه دون ابن براق:

قسمًا بفضلك إنه الفضل الذي ... أبدًا أعيش بيمنه وبمنِّه
إنِّي لأذكر من براق مودّة ... أرضى الجلوس بها لدى نعل ابنه

[1238] وقال وكان يلتقي مع قطب الدين في موضع في الجامع يسمى السفينة:

وقالوا أتهجر قطب العلا ... حلا يوم جمعتك المستبينه
فقلت هو البحر في فضله ... فما ألتقيه سوى في السفينه

[1239] وقال مجونًا:

تغيَّب مملوكي الذي قد هويته ... وخلَّف أيري للهموم يعاني
وما نافعي تحت الدجى نصب فيئتي ... وقد حيل بين العير والنزوان

[1240] وقال جوابًا عن لغزٍ في أنف:

لأنف حاسدك الرغم الطويل فقد ... ظهرت يا ابن عليّ مظهرًا حسنا
ما ذلك اللغز إلا روضة أنف ... تفاءل القلب فيه للحسود فنا

[1241] وقال وأهدى عصافيرًا وصحنًا:

هنئت مقدمك الذي هنئته ... مع أنَّ عيشي بالجفا غير الهني
بالرَّغم ني أن أعدّ هدية ... أتقاصها شيء وليس تعدني

[1242] وكتب لفخر الدين شيخ السلامية وقد ولي الحسبة:

هنأ الله حسبة بك حلَّتْ ... وسرى برّها لقاصٍ ودانـي
وتعالت إلى السماء إلى أن ... نظرت في الذِّراع والميزان

[1243] وقال في أمين الدين بن عبد الحق:

يا من تحكم في المصالح رأيه ... فتوضَّحت فيها مطالع يمنه
قسمًا لقد تبعت بيمن ضجيعها ... أحكام عبد الحقّ أحكام ابنه

[1244] وقال في سليمان:

أوتيت يا أرجح الأنام نهى ... فضائلًا في الورى لها شان
فصل خطابٍ وحكمةٍ بهرت ... فأنت داود أم سليمان

[1245] وقال:

تعجب الناس من صمتي وقد ذكرت ... سلمى وقالوا تسلَّى قلب هيمان
وحار دمعي في عيني فقال فتًى ... أقسمت بالقدس يا ذي عين سلوان
إن أفقرتني من صبري المهى فندى ... قاضي القضاء عن السادات أغناني
للعلم والجود تاج إن أصغ مدحًا ... فكم هداني إلى درٍّ وهاداني
وفي الولا والثنا كم قلت في مدحي ... ما بيت سلمان هذا بيت حسَّان
فليهنه العيد في عزٍّ وفي نعم ... وللأنام به والعيد عيدان
لا فرق بين ضحايا أو عدى نحرت ... فإن أعداه والأنعام سيّان

[1246] وقال:

أشـــعـت حبي في القـاصـــي وفي الـدَّاني ... وفـي عـذولـي قـد أطـلـقـت فـدَّانـي
ثـار إلـيَّ بـلـوم لا يـلائـمـنـي ... فصـــحَّ لـي أنمـا فـي العقـل ثوران
أزداد في حســـن حبي إن عـذلـت جوى ... كـأنـنـي مـن عـلـيّ يـوم إحســـان
قـاضٍ لـه شـــاهـد إرث ومـكـتسـبٍ ... في الفضـــل يـا حبذا قـاضٍ وعـدلان
يـا قـادمًـا وبـلـيـغ الـجـود يـقـدمـه ... فضـــلٌ وشـــهرهمـا أيضـــا ربيعـان
فـي الـكسـوة الـيوم إن لـم ألـق مـقـدمـه ... فكم بـأمثـالـهـا فـي الـجود لاقـانـي
إن كـان يـحـكـيـك إنســـان بـه مـلـئـت ... عيني فلا ملئت عيني بـإنســـاني

[1247] وقال:

بـأبـي عـلـى عـيـن الـحـبـيـبـة حـاجـب ... لـكـنـه بصـــبـابـتـي مـقـرون
لـو شـــامـه حـتـى الـجـنـدي لـراقـه ... مـن حـرفـهـا بـجـبـيـنـهـا ذا الـنـون
حـبـي لـهـا حـب الـعـلا لـتـقـيـهـا ... لـم يـدر لاح أيـنـا الـمـفـتـون
ذو الـنســـك والـخـلـع الـتـي قـرت بـهـا ... وتـقـرّ جـنـات لـنـا وعـيـون
يـا ســـيـد الـوزراء لا مســـتـثـنـيًـا ... مـن كـان مـن أمـثـالـهـم ويـكـون
شـــرفـت صـــفـاتـك عن مثيـل منهمُ ... وإذا بـجـعـفـر عـنـد بـحـرك دون
إن كـان لـلـخـلـفـاء مـثـلٌ يـلـتـقـى ... فـي الشـــام أيـن مـراحـل الـمـأمـون

[1248] وقال:

يـا طـائـرًا بـالـحـمـى يشـــدو عـلـى فـنـن ... طـوَّقـت أنـت رقـاب الـنـاس بـالـمـنـن
كـأنَّـهـا عـن وزيـر الـمـلـك مـخـبـرة ... عن جابر عن عطا عن ســعد عن حســن
يـهـوى الـمـعـالـي ولا يـهـوى ثـراء يـد ... كـأنـه الـنَّـبـع طـلاَّعًـا عـلـى الـفـنـن
يـا خـاتـم الـوزراء الأكـرمـيـن ويـا ... عزيز مصـــرٍ ويا ســـارٍ على الســـنن
حـجـبـت عـزًّا وتـوقـيـرًا ومـا حـجـبـت ... عـنَّـا أيـاديـك فـي ســـرٍّ ولا عـلـن
إن خـاننـي الزَّمن المعروف في ســـبـب ... وخـانـنـي زمـنٌ فـي الـحـلّ والـقـطـن
فـقـد شـــفـانـي دوا نـعـمـاك مـنشـــدة ... هـذا بـذاك ولا عـتـبٌ عـلـى الـزمـن

[1249] وقال:

الحب مفروضٌ عليَّ لغادةٍ ... من لحظها أصبو إلى المسنون
فيها التغزُّل والمديح أصوغه ... لأخي الوزير بلؤلؤ مكنون
أهلا بأيام الوزير وصنوه ... فكلاهما للملك خير أمين
بيت الوزراة لبشره ولعرضه ... عجّ بالنقا يا سعد سعد الدين
ما كلّ من هنَّى بعيدٍ بابه ... بالسعد من بلقائه حيُّوني
بمعجّل المكيول من إنعامه ... ومن المدائح فيه بالموزون

[1250] وقال:

جنَّ الدّثجى واشتقت حسنك ... وقرعت يا ذا العذل سنّك
يا عاذلي في الحب أو ... يا ليل سهدي ما أجنَّك
عشقي كجود ابن العد ... يم فخلِّ في السلوان ظنك
قاضي القضاة أخا التقى ... لا يعد الطلاب منَّك
أكدت فني في الثنا ... وفي النَّدى والعلم فنَّك
فالناس تعلم أنَّني ... في النَّظم أو في الفضل أنَّك
فلأشكرنَّك ما حييتُ ... وإن أمت فلتشكرنَّك

[1251] وقال:

وآنسة قد فرَّق الدهر بيننا ... فلله قلبي ما أحنّ وما أحنى
إلى حاجبيها صار قلبي صبابة ... وقلبي منها قاب قوسين أو أدنى
وأكّد طول النأي والعسر حيرتي ... بتسع شهور قد خلت كلها حزنا
فهل لي إلى الباب العلائي قصة ... تملك لفظي أو يدي أملي وزنا
من النظم لولا جود معنٍ رأيته ... هنالك ما لاقيت لفظًا ولا معنى
وأنست ما قد قال غيري شاكيًا ... ومثلي من غنَّى ومثلك من أغنى
وذو صنعةٍ فاستخدموني لصنعتي ... برزقي فأرزقوني مع الزمنى

[1252] وقال:

سألتني مثيلة القمرين ... كيف حالي فقلت يا مثل عيني
زمن الليل والنهار تلاه ... زمنٌ في اللسان والركبتين
غير أنّ الدعاء والمدح للسلطـ ... ـان مني على كلا الحالين
ذاك مرمى وذاك رفعًا إلى اللـ ... ـه وللملك نصب عين اليدين
ولأقلام صاحب السِّرِّ والأنظـ ... ـار والاحتجاب في الخافقين
من يكن ذا صناعة عرفت أو ... زمن خيف لم يضع بين ذين
دام رأي العلا متى برّ رأيًا ... يؤته الله أجره مرتين

[1253] وقال:

حاشا لوعدك أن يلويه نسيان ... وحسن وجهك أن يعدوه إحسان
يا من وقفت عليه العين ساهرة ... أقسمت لا صدَّ عيني عنك إنسان
فيك التغزّل والمدح المنظم في ... محمد فلشعري في الورى شان
كافي المناصب في سرٍّ ومشتهرٍ ... فحبَّذا منه إسرار وإعلان
تهنَّ بالعيد يا عيد العفاة ولا ... زالت بسؤددك الأمداح تزدان
عمرت بيت ولاء فيك أو مدح ... حتى كأني سلمانٌ وحسان
يجل ديوان مدحٍ أنت صاحبه ... كما يجلّ بمدحي فيك ديوان

[1254] وقال:

في خدِّه وعذاره الفتَّان ... عوّذ سناه بزخرف ودخان
واستجل وجنته ربيعًا أوّلًا ... جاء العذار لها ربيعًا ثاني
ومعاطفًا تحكي يراع محمدٍ ... غصنًا عليه جوامع البستان
شيخ الشيوخ إمامها وبليغها ... في عنفوان شبيبة الشيبان
يا من مباديه نهاية معشرٍ ... في العلم والحسنات كالأحسان
هنئت عيد النحر تنحر شائنًا ... وتعيش ممتدحا رفيع الشان
في رفعة وسيادةٍ وسعادةٍ ... وزهاوةٍ وإفادةٍ وتهاني

[1255] وقال:

أفدي التي كلما حلَّيتها صفة ... كادت مراشف ذكراها تحليِّيني
تقلي محبًا وتشوي قلبه وندى ... تاج الشَّريعة يدنيني وينشيني
لا يعدم المدح من قاضي القضاة لهًى ... لا يدَّعي حصرها نظم الدواوين
بقية القوم مع قرب النجوم لهم ... همّ بمال اليتامى والمساكين
في رتبتي علمهم والجود ثم لهم ... فرط العلومّ ورجحان الموازين
ناسبت في كل عامٍ من عوارفه ... مواسم الفضل أرويها وترويني
العصر أقرأ تعويذًا لحاسده ... من شر حاسدها والعصر تقريني

[1256] وقال:

قل للإمام الذي لولا عواطفه ... ما كان في الشام لي عن مصر سلوان
أيَّام طمويه لي مستنزهٌ أنقٌ ... وللمبشر قلب الصبّ حلوان
فإن يكن بدمشق اليوم لي وطنٌ ... فكل أرض لمدحي فيك أوطان
وإن يكن قد بكى جفن السحاب فقد ... بكى من البرد لي أنفٌ وأجفان
فهل ببعض الفراجي اليوم تعتق لي ... عتيقة لي بها في العمر أزمان
أميل خوف ازدحام الناس تحطمها ... كأنَّني مثل بعض الناس سكران
لا زلت يا كعبة المعروف تمنحني ... من كسوةٍ لي بها في المدح أركان

[1257] وقال:

دع هلالا لاح أو غصنًا تثنَّى ... وامتدح مفرد وقت ما تثنَّى
في حمى الشام وفي الدنيا له ... نعم زائدةٌ تخجل معنى
حبَّذا تجنيس ألفاظ الثنا ... حسنًا عنكم وإحسانا حسنى
يا أميرًا ناصر المنتمي ... حبذا بيت العلا والمدح معنى
ونعم شكرًا لها من نعمٍ ... بوركت حتى أكلنا ولبسنا
قلت للجوع وللعري معًا ... آل فضل الله يمحو السوء عنا
ربَّ أيدٍ من علا أيديهم ... أصلح الباطن والظاهر منا

[1258] وقال:

يا سيد الوزراء العادلين لقد ... صيرت في منزلي للجوع إحسانا
لكن بنيَّ وإن كانوا ذوي عذر ... ليسوا من الصبر في شيء وإن هانا
كأنَّ ربك لم يخلق لمسغبة ... سواهمُ من جميع الناس إنسانا
قد طيروني وإن أخرت مطلبهم ... طاروا إليك زرافاتٍ ووحدانا
فأمر بما طلبوا لا شان بابكم ... بنوا للقيطة من ذهل ابن شيبانا

[1259] وقال:

سقى صوب الغمام زمان وصلٍ ... قضينا فيه للأشواق دينا
وقابلنا بدور في غصونٍ ... طوالع فاجتلينا واجتنينا
فما أصغت لداعي القرب أذنٌ ... إلى أن مدَّ داعي البين عينا
فأمسينا كأنا ما افترقنا ... وأصبحنا كأنا ما التقينا

[1260] وقال[1]: [الوافر]

شدا شدو الحمام وماس غصنًا ... غني الحسن يطرب إن تغنَّى
فريدٌ وهو فتَّان التَّثنِّي ... فيا لله من فردٍ تثنَّى
بعطفٍ مثل منطقه رشيق ... ولفظ يعجب الأسماع لحنا
وشكل معرب عن كلِّ حسنٍ ... وخصرٍ مثل جسمي فيه مضنى
فما أشهى محيَّا منه زاهٍ ... ولحظًا ما رمى قلبًا فأسنا
وما أشهى عذارًا قد سباني ... بحرفٍ جاء في حسنٍ لمعنى

---

[1] **التخريج:** دبسط الأعذار 136. ورد البيتان 5+6.

[1261] وقال:

فريد حسنٍ تجافى هلاَّ شفعتَ بحسنى
يا ليت شعري لمعنًى جفوت أم لا لمعنى
أسهرتني وعذلي على هواك معنى
ليلي وعاذل مثلي هذا وذا ما أجنى

[1261] وقال:

قاضي القضاة بعثت لي شبه السما ونجومها وأردت رفعة شاني
بالخلعة الزرقاء تتلو الفضة ال بيضاء ذات الحسن والإحسان
أما برفع سهيل أمسى طالعي قدرًا وإما طالع الميزان
يا نائبًا للشرع في أحكامه أنا غائب في الشكر عن حسَّان

[1262] وقال:

لا يعدم العافون يمنك في كلّ مقصدهم ومنّك
فالشهب تعلم أنك ال عالي سنا والسحب أنَّك
صيرت فني في المدا ئح إذ جعلت الجود فنَّك
فلأشكرنك ما حييـ ت وإن أمت فلتشكرنَّك

[1263] وقال:

ما ذا على ذي الحسن لو أفضى إلى إحسانه
ملك الملاح كما ترى والكلُّ من غلمانه
يرنو ويشرق حسنه في ناظري ولهانه
فهو الغزالة والغزا ل بعينه وعيانه

[1264] وقال:

يا فاضل الدنيا دع المصريّ قد ... أخملت ذكر الفاضل النيساني
قسما لأنت أحقّ بالقول الذي ... قال السعيد لعظم ذاك الشَّاني
أخذت بمجلسك المهابة حقّها ... فبرى البريء لديه مثل الجاني
فلو استطعت نقلت من ديوانه ... هذا الثنا فرضًا على ديواني

[1265] وقال:

على اليمن والنُّعمى قدومك إنه ... قدوم الحيا الساري إلى كلِّ ظمآن
وعودك للأوطان من مصر فائزًا ... بملك ومن أرض الحجاز بغفران
حلفت بدهرٍ أنت غوث عفاته ... لقد نفذت فيه العفاة بسلطان

[1266] وقال:

فديتك من كلِّ ما تختشي ... وعشت وصنوك كالفرقدين
عن الحال يا سيدي لا تسل ... ولا عن طبيبي المقلّ اليدين
بطبّ أبقراط وافى إليّ ... وراح ولكن بخفي حنين

[1267] وقال:

يا خير من يبني على جوده ... كفٌّ ومن يثني عليه لسان
قد طال إصغائي إلى مخبر ... عن راتبي فامنن جزيت الجنان
إن الثمانين وبلّغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

[1268] وقال:

وحقك لولا دلقي الصوف مكرما ... وشاشي لما اخترت التحرك من هنا
ولكنني قاسيت بينهما أذًى ... تنوّع في مكروهه وتفنّنا
وقد كنت عصفورًا بشاشيّ مالحًا ... فأصبحت عصفورًا بدلقي مطجنا

[1269] وقال:

عـذّبـونـي فـي هـواهـا عـذّلـي ... ونـهـونـي زائـدًا والـقـلـب مـفـتـون
ثـمّ قـالـوا أنـت مـجـنـون بـهـا ... قـلـت مـجـنـون ومـجـنـون ومـجـنـون
إن يـك عشـقـي مـفـروضًـا عـلـى ... مـهـجـتـي إن لـذاك الـلـحـظ مسـنـون

[1270] وقال:

إن الـبـراغـيـث قـد بـاتـت تشـيـبـنـي ... فبـتّ أحيي الـدُّجى نسـكًـا وإيمـانـا
فـلـو رأيـتـهـم يسـتـخـرجـون دمـي ... رأيـت أكـثـر خـلـق الله عـدوانـا
ضـحوا بـأشـمط عنوان السـجود بـه ... يـقـطّـع الـلـيـل تسـبـيـحًـا وقـرآنـا

[1271] وقال:

مـن مـنـصـفـي مـن أنـاسٍ ... فـيـهـم تـحـيـر ذهـنـي
لا درهـمًـا وزنـوه ... وحـاولـوا الشّـرّ مـنـي
وهـل سـمـعـتـم بشـعـرٍ ... يـأتـي عـلـى غـيـر وزن

[1272] وقال[1]: [البسيط]

لـو آذنـتـنـي عُـذَّالِـي بـحـربـهـم ... إذ في النّكاريش قـد أصـبحت هيمـانـا
(إذا لـقـام بـنصـري مـعشـرٌ خشـن ... عنـد الحفيظـة إنْ ذو لوثـةٍ لانـا) [2]

[1273] وقال:

([1])**التخريج:** ديوانه 530. البيت1: "التكاريش"، وهو خطأ. البيت2: "بمصري"، "حشن"، ومراتع الغزلان 123، وخزانة الأدب 306/1+110/2. البيت1: "حيرانا".

([2])البيت لقريط بن أنيف، وقد أورده المرزوقي في شرح ديوان الحماسة 25/1.

يثني عليك لسان حالي في الورى ... أضعاف ما يثني عليك لساني
قسمًا لقد أخجلت معنى في الندى ... بعوارفٍ لك قد أتت بمعان
ورفعت في أفق العلا أزماننا ... يا تاجه رأسًا على الأزمان

[1274] وقال:

يا من به ارتوت الآمال بعد ظما ... ومرَّ تحت صفيح اللَّحد ريَّان
لله يمن بلادٍ أنت ناظرها ... فحبَّذا ناظرٌ فيها وإنسان
أحييت موتى الأماني بعدما دفنت ... فقل لنا أنت عيسى أم سليمان

[1275] وقال:

عتبت ابن الوكيل وشك ظنِّي ... فاعتبني وعاد إلى اليقين
وقال نواله هيهات يشكو ... ذوو الإقتار من عهدي المتين
وماذا يبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزت حدَّ الأربعين

[1276] وقال:

بروحي سيِّدا ما كا ... ن للسَّادات يحوجني
بلطف النَّظم أبهجه ... وبالإحسان يبهجني
ففي بيتٍ أفرِّجه ... وبستان يفرّجني

[1277] وقال:

عش يا رفيع الذكر والشان ... في خلعٍ مجمَّلة التباني
ما فتحتُ يومًا على مثلكم ... في مثلها مقالة ذي شان
تكسي فتكسوني تبعًا لها ... فكلّ من هنَّاك هنَّاني

[1278] وقال:

يـــا مـــلاذ الأنـــام هـــنَّـــاك الـلـــ ـــــــه بـعـيـدٍ مـبـارك مـيـمـون
لا تســـلـنـي عـن حـال عـائـلـتـي فـيـ ـــــــه فـإنّـي من أمرهم في جنون
لـيـس غـيـري فـي الـبـيـت قـطـعـة لـحـمٍ فـتـفـضَّـــل مـن قـبـل أن يـأكـلـونـي

[1278] وقال:

لا تـنـس رســـم الـعـيـد فـي الـعـيـ د الـــذي يـــخـــتـــال حســـنـــا
واهـــنـــأ بـــه وعـــلـــى الـــحـــقـــيـ قـــة فـــهـــو أولـــى أن يـــهـــنـــى
وانـــحـــر عـــداتـــك والضـــحـــا يـــا وافـــنـــهـــم قـــرنًـــا فـــقـــرنـــا

[1279] وقال:

حـبســـوه لا بـجـريـمـة لـكـنـهـم بخلوا على لحظ العيون بحســـنـه
رشـــأ يـجـور مـع اعـتـدال قـوامـه فـيـنـا ويـفـتـك مـع حـداثـة ســـنـه
يـا ســـائلي عن يوســـفٍ وهو يوســـفٌ كـلّ القلوب بـأســـرهـا في ســـجنـه

[1280] وقال:

ســـر عـلـى الـيـمـن والســـعـادة يـا مـن شـــيَّـد الله فـي الـمـعـالـي مـكـانـه
أنـت ســـهـــمٌ لله مـا كـان يـخـلـى مـنـه أوطـان مصـــر وهـي كـنـانـه

[1281] وقال:

الله يـــنـصـــر مـــن وقـــى الإســـ ـــلام مـــن خـــوف وأمَّـــن
والله يـــرحـــم مـــن درى هـــذا الـــدعـــا فـــيـــمـــن فـــأمَّـــن

[1282] وقال:

لعمري لقد جردت في القدس عزمة ... معربة الأوصاف عالية المبنى
يشيّد بعد المسجد المطهر سوقه ... فقد شمل الأقصى نوالك والأدنى

[1283] وقال:

فديت صيَّادة في البحر لاهيةً ... بحسنها وعن السلوان تلهيني
تصيدني مثل صيد الحوت محرقة ... لي بالقلا فهي تقليني وتشويني

[1284] وقال[1]:

لمَّا تبدَّى في الحنين ... وتحاربت كبدي وعيني
فاعجب لها من غزوةٍ ... جاءت ببدرٍ في حنيني

[1285] وقال:

يا هاجرين ترفقوا بمتيم ... ذي مدمعٍ سارٍ ووجدٍ قاطن
لسع الجفاء حشاه وهو يرومكم ... حقًّا لقد أمسى سليم الباطن

[1286] وقال:

رأيت في جلَّقٍ غزالًا ... تحار في حسنه العيون
فقلتُ ما الاسم؟ قال: موسى ... قلت: هنا تحلق الذُّقون

ديوان ابن نباتة 531-532.

[1287] وقال:

قالت ووفرة شعري ... شابت وسائر ذقني
قدّام عينك هذا ... فقلت من خلف أذني

---

[1] التخريج: ابن حبيب، تذكرة النبيه 306/3. البيت3: "غزيرة"، "تبدي".

[1288] وقال:

زادت محاسن سلطان الورى حسن ... اسمًا وفعلًا وفاق السّرّ والعلن
وقيل أحسنها مذا فقلت لهم ... وما محاسن شيء كله حسن

[1289] وقال:

عذرًا لجاجتي المهدي لأنعمكم ... يا خجلتي منه في سرٍّ وفي علن
لكلّ قاصر علم منه لمحته ... رأي يفرق بين الماء واللَّبن

[1290] وقال:

سعيت لباب سلطان البرايا ... ودمع الشوق ملء المقلتين
فإن يك قد حظى مني حضورًا ... فما دمعي بدون المقلتين

[1291] وقال:

قال لي الصَّحب ما نباتك يا ... منتسبًا قلت لا تغمُّوني
بوعدٍ محمود إذ أعيش به ... علمت أني نبات كمُّون

[1292] وقال[1]:

ومفرد الحُسنِ تعشَّقته ... فكان حتَّى مفرد العين
تقول للعُشَّاق ألحاظه ... ما يضرب الله بسيفين

ديوان ابن نباتة 532.

[1293] وقال:

لذ بشيخ الشيوخ يوم رجاء ... والتجئ واهنأ ميامن منَّه
والق منه الصَّفا فما هو ممَّن ... يتولَّى عن مادحيه بركنه

([1]) التخريج: سوق الفاضل ق92.

[1294] وقال:

أيري يحاربني وعبدي منشدٌ ... الرأي قبل شجاعة الشجعان
قدام تلك وخلف هذا دأبه ... هي أوَّلٌ وهي المحلّ الثاني

[1295] وقال:

أجاب مدحي مليحٌ ... قفايَ بالصَّفع يعني
فما تكلمت لكن ... سكتّ من خلف أذني

[1296] وقال:

لبست من المدائح ثوب مجدٍ ... قد انقطعت عوارفه علينا
لها ردنان من نظمٍ ونثرٍ ... ألا حييت عنا يا رُدينا

[1297] وقال:

مولاي نور الدين لي نسوة ... في مالح الأكل لها محنه
يصمن عن قصدي ولكن إذا ... سألت عن قصدٍ لها صحنه

[1298] وقال:

إن السراج رفيقنا مع خيره ... تعساه شرّ مبينًا متبين
صدق الذي قد قال في أمثاله ... إنَّ السراج على سناه يدخّنُ

[1299] وقال:

لعمري لقد أفحمت بالفضل منطقي ... وقد كنت ذا نطقٍ وفضل بيان
وحركت ميزاني فأثنى لسانه ... فما زلت مشكورًا بكلِّ لسان

[1300] وقال:

أشـــكـــو إلـــى الله مـــا أقـــاســـــي ... مـــن شـــــدَّة الـــفـــقـــر والـــهـــوان
أصـــــبـــحـــت مـــن ذلـــة وعـــري ... مـــا فـــيَّ دافٍ ســـــوى لســـــانـــي

[1301] وقال[1]:

أهـــواه لـــدن الـــقـــوام مـــنـــعـــطـــفًـــا ... يســـــلّ مـن مـقـلـتـيـه ســـــيـفـيـن
وهـــبـــتُ قـــلـــبـــي لـــه فـــقـــالَ: عســـــى ... نـومُـكَ أيضًـــــا، فَقُلْـتُ: من عَيْنِي

[1302] وقال:

ســـــيـدي شـــــكـرًا لـنـعـمـاك الـتـي ... داركـــنـــا حـــيـــن أعـــيـــا أمـــرنـــا
كـــم تـــدلـــلـــنـــا لـــمـــن نـــقـصـــــده ... وبـــنـــعـــمـــاك تـــهـــذّب قـــدرنـــا

[1303] وقال:

أمـــولانـــا الـــوزيـــر دعـــاء عـــبـــدٍ ... تـــبـــدَّل فـــي بـــلادكـــم فصـــــنـــه
ولا تـــعـــطـــي الـــعـــطـــا إلا هـــنـــيـــئـــا ... إذا كـــان الـــعـــطـــا لا بـــدَّ مـــنـــه

[1304] وقال:

جـــفـــانـــي الـــدرهـــم مـــن بـــعـــدكـــم ... فـــبـــيـــنـــكـــم يـــفـضـــــي إلـــى بـــيـــنـــه
والـــذهـــب الـــمـــذكـــور لـــي مـــدّة ... مـــا وقـــعـــت عـــيـــنـــي عـــلـــى عـــيـــنـــه

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 326. ورد البيت2. وفيه: "وهبت نومي"، وسوق الفاضل ق92، وتذكرة النبيه 307/3 .

[1305] وقال:

ومصـــــاحـب تـلـقـاه عـنـد عـيـوبـه خُـلـدًا بـلا بصـــــرٍ بـه يـتـبـيـن
فـإذا بـدا عـيـب الصـــــديـق وجـدتـه فـهـدًا جـمـيـع الـجسـم مـنـه أعـيـن

[1306] وقال[1]:

يـا رُبَّ لـصٍّ ســـــالـبٍ نـاهـبٍ وهـو مـن الـحُســـنِ مـلء عـيـنـي
يـرنـو إلـى ســـرب الـظِّـبـا لـحـظـه فـيســـرق الـكـحـل مـن الـعـيـن

ديوان ابن نباتة 533.

[1307] وقال[2]:

لـقـد عـدنـاكـم لـمـا ضـــعـفـتـم ولا والله مـا وافـيـتـمـونـا
أقـيـمـوا فـي ضـــنـاكـم أو أفـيـقـوا فـإن عـدنـا فـإنَّـا ظـالـمـونـا

ديوان ابن نباتة 534.

[1308] وقال:

ظـلـم الـزمـان فـمـا ألـمـت بـظـلـمـه شـــيـئـا وصـــادف طـائـرًا متوطنـا
وغـدا يـهـدِّدنـي بـمـحـزن خـطـبـه هيهـات يـدري الحزن من عرف الهنـا

[1309] وقال:

نـأت عـن مـحـبـيـه أعـطـافـه وأمســـوا إلـى الـطـيف يســـتطلعون
فـهـا هـم قـيـامٌ لـفـرط الأســـى قـلـيـلًا مـن الـلـيـل مـا يـهـجـعـون

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92.

[2] التخريج: سوق الفاضل ق92.

[1310] وقال[1]:

لـهـفـي عـلـى فـرسـي الـذي أضـحـى قـريـح الـمـقـلـتـيـن
يـكـبـو وأمـلـك رقَّـه فـمـعـثَّـرٌ فـي الـحـالـتـيـن

ديوان ابن نباتة 534.

[1310] وقال:

سـيـدي أصـبـحـت مـقـروح الـحشـا وبشـيّ الـلـحـم فـي ذا الـيـوم عـان
زخـرف الألـفـاظ قـد أرسـلـتـه فـعسـى تـمـلأ بـيـتـي بـالـدّخـان

[1311] وقال:

حـمـلـت قـلـبـي فـيـك مـا لـم يـكـن يـحـمـلـه قـلـب وجـثـمـان
وعـدت تـعـبـانًـا لـحـمـلـي لـه وحـامـل الـحـامـل تـعـبـان

[1312] وقال[2]: [الطويل]

وقـالـوا أحـاطـت ذقـنـه بـخـدوده ووجـدك لا يـنـفـكُّ يـذكـر حسـنـه
فـقـلـت: نـعـم ضـيـف بـقـلـبـيَ نـازل أعـظّـم مـثـواه وأكـرم ذقـنـه

[1313] وقال[3]:

يـا مشـتـكـي الـهـمّ دعـه وانـتـظـر فرجًـا ودار وقـتـك مـن حـيـن إلـى حـيـن
ولا تُـعَـانِـدْ إذا أصْـبَـحْـتَ فـي كَـدَرٍ فـإنَّـمَـا أنْـتَ مِـنْ مـاءٍ ومِـنْ طِـيْـنِ

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92.

[2] **التخريج:** التقنيع 189. البيت2: "نعم ضيفي"، وخزانة الأدب 149/2. البيت2: "ضيفي"، وخلع العذار 220 رقم (474)، وسوق الفاضل ق92.

[3] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 381. ورد البيت الثاني.

[1314] وقال[1]:

وأغـيـدَ جـارتْ فـي الـقـلـوبِ فـعـالُـهُ ... وأســـهرتِ الأجْفَـانَ أجفـانُـهُ الوَسْـــنَى
أجِـلْ نـظـرًا فـي حـاجـبـيـهِ ولـحْـظِـهِ ... ترى السِّـــحر مِنْهُ قَابَ قَوْسَـــيْنِ أو أَدْنَى

ديوان ابن نباتة 534.

[1315] وقال:

يـقـولـون لـي رفقًـا بـجـفـنـك فـي الـبـكـا ... فقلـت لـهـم هيـهـات يـتـركـنـي حـزنـي
ســـأبـذل جـفـنـي بـعـد ســـيفٍ فـقـدتـه ... إذا الســـيف أودى فـالعفـاء على الجفن

[1316] وقال:

كـل فـعـال الـعـلاء يـعـجـبـنـي ... كـأنَّـنـي بـالـعـلاء مـفـتـون
يـحـمـضّ بـالـمـطـل حـلـو مـوعـده ... فـوعـده ســـكـرٌ ولـيـمـون

[1317] وقال[2]:

فـدًا لابـن ريـان الـكـرام فـإنـه ... أخـو مـنـن يـروي بـهـا كـلّ ظـمـآن
إذا جـال فـكـري فـي تســـرّع جـوده ... تـقـول الـقـوافـي إنـه من ســـلـيـمـان
تـبسَّـــم الشَّـــيـب بـذقـنِ الـفـتـى ... يـوجـب ســـحَّ الـدَّمـع مـن جـفـنـه
حســـب الـفـتـى بـعـد الصِّـــبـا ذلَّـة ... أن يضـــحـك الشَّـــيـب على ذقنـه

ديوان ابن نباتة 535.

[1318] وقال:

قـال لـي خـلِّـي تـزوَّج تســـتـرح ... من أذى الـفـقـر وتســـتـغـني يـقـيـنـا
قـلـت دع نصـــحـك واعـلـم أنـنـي ... لم أضـــع بين ظهور المســـلمينا

---

[1] التخريج: ابن نباتة، مطلع الفوائد 323–324، وسوق الفاضل ق92.

[2] التخريج: البيتان بالأسوق سوق الفاضل ق92.

[1319] وقال:

رُبَّ نحويٍّ بدا في خدِّه ... عارض كاللَّام ما أعلى وأسنى
قلت ما هذا السَّواد المنتحي ... قال: حرف جاء في الحُسنِ لمعنى

ديوان ابن نباتة 535.

[1320] وقال:

يا سادتي ما كان أجمع شملي ... فأصاب ذلك الشمل عين
يا لها عين رقيبٍ أصابت ... فمتى أبصرها وهي عين

[1321] وقال:

يقولون من وطئ النساء خف العمى ... فقلت دعوا قصدي فما فيه من شين
إذا كان شفر العين دون محلها ... فعندي أنا الأشفار خير من العين

[1322] وقال:

بشرى شمائلكم بطلعة كوكبٍ ... يومي إليه بالسعود بنانها
إن المنابر أورقت بأكفكم ... فتكاثرت من نسلكم أغصانها

[1323] وقال:

كل شهرٍ لنا هلالٌ جديدٌ ... مبرز للفناء كلّ مصون
يقرا الناظر المفكر فيه ... فوق طرس السماء نون المنون

[1324] وقال:

وصاحبي ساءني تعشقته ... لشاحب الوجنتين حوران
لو كنت في الليل ناظرًا لهما ... قلت شهاب في ظهر شيطان

[1325] وقال:

كذا أبدًا نزهى العلا بجلالها ... فلله ما أسرى فخارًا وما أسنى
رأى فضله أن يجعل الحال بيننا ... فوضع الندى ووضع الدعا منا

[1326] وقال:

مولاي دعوة من رمته عداته ... بملاءة وهو الشقي بدينه
إن كان يملك من نضار حبة ... فالله يسبك عينها في عينه

[1327] وقال:

ليت شعري كم أشكو الأذى من ... فلان عن فلان عن فلان
كنت أرجو سندًا لي فإذا ... هو عن فقري صحيح وهواني

[1328] وقال:

شكرت لابن المحسني الندى ... والحمد لله على أنني
عوضت في بابك يا سيدي ... بالنعم المربي على المحسن

[1329] وقال[1]:

لهفي على فاتر الأجفان منعطف ... أضحى يكابد غزلانا وأغصانا
قاست ذوائبه بالليل حسَّده ... حتى نضى فإذا بالفرقد قد بانا

ديوان ابن نباتة 536.

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92.

[1330] وقال:

طحانكم قد زها جمالًا ... فلا يطاق السلو عنه
ودقَّ خصرًا فليت شعري ... بكم يباع الدقيق منه

[1331] وقال:

قل عوني على الزمان فأصبحـ ... ـت صبورًا على مراد الزمان
حابس اللفظ واليراع عن النا ... س فلا من يديّ ولا من لساني

[1332] وقال[1]:

لنا ملك قد قاسمتنا هباتُه ... فنثر العطا منه ونثر الثَّنا منَّا
يذكرنا أخبار معنٍ بجوده ... فننشي له لفظًا وينشي لنا معنى

ديوان ابن نباتة 536.

[1333] وقال:

سقى الجدث العزيّ صوب غمامة ... ويا ليت تأويه الغداة يعاين
فيبصر وجهًا في الورى زان خاله ... وعيدي بأن الخال للوجه زائن

[1334] وقال:

أمستخبرًا بالشام عن كنه حالتي ... ألم ترني مستبشرًا بعد أحزاني
وقد كنت أرعى النجم همًّا وخيفةً ... فها أنا قد أمسيت والنجم يرعاني

[1335] وقال:

شكرًا وأجرًا لما أوليت من نعم ... في عسرة أظلمت فيها مطالعنا
أقسمت لولا نداك المستهلّ لما ... كانت عقيقتنا إلا مدامعنا

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92.

[1336] وقال[1]:

يـا مَنْ يقولُ البـدر أو شـمس الضُّـحى كـمـعـذِّبـي لأكـيـد لـلـقـمـريـن
أبـوجـه ذاك ووجـه تـلـك تُـقِـيسـه قسـمًـا لـقـد أخـطـأتَ مـن وجـهـين

ديوان ابن نباتة 536.

[1337] وقال[2]:

نسـبـوه حسـنُـا لـلـهـلالِ وعـيـنـه لـلظَّبي تنسـب لا رميـت بعينـه
فـإذا بـدا فـإلـى هـلالٍ أصـلـه وإذا رنـا فـهـو الـغـزال بـعـيـنـه

ديوان ابن نباتة 537.

[1338] وقال:

تـبـدت وقـد أخـفـانـي السـقـم وانـبـرت عـلـى حكـمـهـا عـيـنـاي مـنـهـمـلان
يـحـجـبـهـا دمـعـي وحـجـبـنـي الضـنـا فـلسـت أرى لـيـلـى ولـيـس تـرانـي

[1339] وقال:

وصـافي الولا والجسـم مقتبـل الرضـا عـريَّـيـن قـد أمَّـنـت بـيـنـي وبـيـنـه
توثق شـخصـي في العناق بشـخصـه فـمـا تـدخـل الأثـواب بـيـنـي وبـيـنـه

[1340] وقال:

مـن مـعـيـنـي عـلـى دقـيـقـة خصـرٍ فـاحتيـالي مضـاعفٌ أشـجـانـي
أحسـنـت كـي تـزيـد فـي الصـدِّ همـي فـهـي مـذمـومـة عـلـى الإحسـان

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[2] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1341] وقال[1]:

لا حبَّذا شيبٌ بشعري ولا ... شيب بقلبي أفد يا عيني
ما كنت بالتَّائب عن صبوتي ... طوعًا فقد تبت بشيبين

ديوان ابن نباتة 537.

[1342] وقال:

هام بالركن هائم ... عدَّلوا فرط حزنه
فعصى كل عاذل ... وتولَّى بركنه

[1343] وقال:

تغيَّب مملوكي الذي قد هويته ... وخلَّف أيري للهموم يعاني
وما نافعي تحت الدجى فمنيتي ... وقد حيل بين العير والنزوان

[1344] وقال:

لك يا نديمي في التألف خطوة ... فاعهد لها أن أعوز الإمكان
واصطد بها العنقاء فهي حبالة ... واقتد بها الجوزاء فهي عنان

[1345] وقال:

أجران حمَّا الشآ ... م تسمَّعي لي لفظتين
لا تذكري أحواض مصـ ... ـر فأنت دون المقلتين

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1346] وقال:

إمـــنـــع وصـــــالـــك يـــا فـــلا ... ن فـلســـت مـنـك ولســـت مـنـي
قـــد كـــان وجـــهـــك فـــي الـــورى ... لـمـعًـا فـقـد صـــار ابـن جـنـي

[1347] وقال:

تـعـوَّدت مـن نـعـمـاك أحســـن عـادة ... فـأقبلـت أرجو منـك عـادة إحســـان
وجئـت ومـا عنـدي ســوى نصـف درهم ... ولكنــه يـا ســيـدي نصــفـه الثـاني

[1348] وقال[1]:

أحـبـب بـهـا نـاعـورة كـم حـدَّثـت ... بلســـان مـاءٍ والـحـديـث شـــجـون
حـنَّـت فـبـاطـنـهـا قـلـوبٌ كـلّـه ... وبـكـت فـظـاهـرهـا الـجـمـيـع عـيـون

ديوان ابن نباتة 538

[1349] وقال:

بروحي من أضـــحى لـه الحســـن عســـكرا ... حـوى كـلَّ قـاصٍ فـي الـجـمـال ودانـي
فـيـا لـحـظـه الـمـاضـــي وأحـمـر خـده ... رفـيـقـك قـيســـيّ وأنـت يـمـانـي

[1350] وقال:

أحـنـت مـعـاطـفـي الســـنـون وغـيـرت ... عـنـد الـغـوانـي مـا بـهـا الـمـتـبـيـنـا
إيـهٍ لـعـهـدك يـا زمـان الـبـان مـن ... عـطـفـي وآهًـا يـا زمـان الـمـنـحـنـى

[1351] وقال:

كم صـــار مثـل دبيـب النمـل لي كلمٌ ... مـن الـهـوان صـــغـيـرًا بـيـن أقـرانـي
حتى وفى لي صـــديق قـال حـاســـده ... كبرت يـا نمـل أو صـــرت الســـليمـاني

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1352] وقال[1]:

وقفت على ورديّ لفظٍ منشرٍ ... بما سوف من أنواعه الزَّهر يلقاني
فيا حبَّذا في شهرنا من رياضه ... أوائل وردٍ في أواخر شعبان

ديوان ابن نباتة 538.

[1353] وقال:

فداك من الأسوأ كل مؤمَّل ... ملأت يديه بالنوال وعينه
وذي فكرٍ أودعتها مبدع الثنا ... ولو لم يكن فيك الثنا ما وعينه

[1354] وقال[2]:

قصدتُ حماك أرجِّي الغنى ... وأشكو من العسر داءً دفينا
فما كان بيني وبين اليسار ... سوى أن مددتُ إليك اليمينا

ديوان ابن نباتة 538

[1355] وقال:

إذا البلغاء نحوا غايةً ... فهم بضيائك يسترشدون
فأحسن بهم في دياجي السطور ... قيامًا وبالنجم هم يهتدون

[1356] وقال:

أصمّ حديث القرن يا روق مسمعي ... بتأخيره يا حابسين الندى عني
فلا تجعلوني في العفاة نعامة ... غدت تبتغي قرنًا فعادت بلا أذن

[1357] وقال:

نزَّهت وعدك أن اذكّرك الوفا ... يا من نداه لمن رجاه ضمين
يا من إذا مزج الدعاء له الولا ... قال الرجا في الحالتين أمين

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[2] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1358] وقال:

ألا يا وزير الملوك البليغ ... ويا من له قلم الصَّنعتين
أحاشيك تنسى وصول المحال ... فيغدو محلا على الصيغتين

[1359] وقال:

إن في نائب الشم اعتبارًا ... للبرايا ما بين عالٍ ودون
كان أرغون شاه فاجأ الذبـ ... ـح فأمسى شاه بلا أرغون

[1360] وقال:

يمنى إمام الوقت قد أنشأت ... من يمنك لي عادات إحسان
فإن أكن بالعشر هنأته ... فإنه بالخمس هناني

[1361] وقال:

جلوسنا ما بين أيديكم ... منصب إعزازٍ وإمكان
والعزل في العام له روعة ... فكيف في اليوم وفي الثاني

[1362] وقال:

يا فاضلًا حمدت منه مودته ... وحسن إصغائه للمادح اللَّسن
عندي عقود ثنًا لم ترج جائزة ... فهل لجيدك في عقدٍ بلا ثمن

[1363] وقال[1]:

ربَّ مليحٍ حسن صورته ... قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيته قد قطَّعت ذقنه ... قلت من الأذن إلى الأذن

ديوان ابن نباتة 539.

[1364] وقال:

ينسى الفتى إحسانه فيما مضى ... خوف امتنان لا يليق بمحسن
وأراك زدت معي على هذا الثنا ... فنسيت إحسانًا مضى ونسيتني

[1365] وقال:

شغل الكبار من الرعية فكرهم ... في شأنهم فكبارنا كصغارنا
الرفق يا موسى الزمان بنا فقد ... حلقت ذقون صغارنا وكبارنا

[1366] وقال:

قل للوزير ابن تاج يا سندا ... وفي ببرّي باديه وباطنه
شعري وقلبي بيتا مدحةٍ وولًا ... حاشاك تهدم بيتًا أنت ساكنه

[1367] وقال:

يا كريم الأب والصّهـ ... ـر نسا في حرمين
حجّ في المملوك يا من ... عاش بين العلمين

[1368] وقال:

راموا سلوِّي حيث لاحت نقطة ... في عين ظبي لا رُميت ببينه
هيهات أصرف عن هواه بنقطةٍ ... هذا الصغار بعينه وبغينه

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1369] وقال:

إنَّ الـلَّـديـغ هـو الســـلـيـم كـمـا رَوَوْا ... ولـكـم بـقـلـبـي أيّ لـدغٍ كـامـن
ولـعـاذلـي طـمـعٌ بصـــبـري عـنـكـم ... أنـا والـعـذول إذًا ســـلـيمًـا الـبـاطـن

[1370] وقال:

شـــكرًا لـقـاضـــي الـقضـــاة نـجـم عـلا ... هـــدى رجـــائـــي لـــه وهـــادانـــي
عـــددت أوصـــافـــه وأطـــعـــمـــنـــي ... حـــلـــوى فـــحـــلَّـــيـــتـــه وحـــلاَّنـــي

[1371] وقال[1]:

أقـول وقـد جـاء الـغـلام بصـــحـنـه ... عقيـب طعـامِ الفطرِ يـا غـايـة المُنى
بعيشـــك قـل لي جـاء صـــحن قطـايفٍ ... وبحْ بـاســـمِ من تهوى ودعني من الكُنَى

ديوان ابن نباتة 540.

[1372] وقال:

نـفـثـت بـنـو الشـــام الـدمـا وتـتـابـعـوا ... لـلـموت مـن طـاغٍ ومـن مســـكـيـن
حـلَّ الـقضـــاء بـهـم ووالـى قـهـرهـم ... فـالـكـلّ مـذبـوح بـلا ســـكِّـيـن

[1373] وقال:

ويـحـي مـن الـحـظِّ كـم أحـاولـه ... فـي دهـرنـا وهـو حـائـدٌ عـنِّـي
يـظـنـنـي عـاقـلًا كـمـا زعـمـوا ... فـهـو عـلـى الـظَّـنِّ نـافـرٌ عـنِّـي

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1374] وقال:

لعمري لقد أحييت للشعر خاطري وقد كان ما بين الأنام كفاني
وأصبح لي ذكرٌ بمدحك سائر فلو لم تجد لي بالنوال كفاني

[1375] وقال:

أشكو إليك حالة قد أوقعت محسوب هذا العمر في طول العنا
يتطلب المال ولا يناله لا راحة الفقر ولا عيش الغنى

[1376] وقال:

لوى صدغه كالنون من فوق وجنة تسعَّر نارًا في حشى كلّ مفتون
ونادیته ما اسم الفتى قال يونس فآمنت في عشقي بيونس ذي النون

[1377] وقال في الأفضل:

أقول لنظَّام المحامد يمّموا مقام ابن شادٍ في دمشق ومغناه
معالي المقام الأفضليّ مقيمة وأمداحه سيَّارة وعطاياه
لئن نزلت عن بلدةٍ يدُ ملكه فما نزلت من بلدةٍ الأفق علياه

[1378] وقال مضمِّنًا فقرة من موشح مجونًا:

يا مليحًا كلما زدت خضـ وعا زاد تيهها
ضرطة باستك قصدي فأدرها واسقنيها

[1379] وقال[1]:

يا مولعًا بملامي حسبك الله ... كم ذا تهيج مغرى القلب مضناه
هذا الحبيب وذا فكري وذا جلدي ... في راحتيه فقل لي كيف أنساه
إنّي لأعلم أنَّ الرّشد أجمعه ... في تركه غير أنَّ النَّفس تهواه
ساجي اللَّواحظ خمريّ مقبله ... داجي الذَّوائب بدريّ محيَّاه
إن كان للحبِّ شخص فهو مهجته ... أو كان للحُسنِ لفظٌ فهو معناه
أفديه بدرًا بقلب الصَّبِّ غزوته ... وفي السَّماء برغم الصَّبِّ لقياه
لو لم يكنْ ريقُهُ خمرًا ومرشفه ... ما عربدت عينه واهتزَّ عطفاه

ديوان ابن نباتة 544.

[1380] وقال:

عذار خدَّيه راق مرآها ... فحبذا ماؤها ومرعاها
أخضر نفس الفتى به ألفت ... والنفس خضراء قد عرفناها
أجني بها الحسن من تفضل محيي الد ... ين أنشا العلا وأحياها
ذو البيت علياه خير شاهدة ... أفلح من بالمديح زكَّاها
آخر أمجاده كأوَّلهم ... كحلقة بدؤها كعقباها
شكرًا لجدواه إنها سحبٌ ... أحيت نبات الربا بسقياها
إذا وصفنا مذاق أنعمه ... حلَّته أمداحنا وحلاَّها

[1381] وقال[2]:

يا طرس قبّل امرئ فطن ... بالفضل لا غافل ولا لاهي
تفديه قوم تشبَّهوا حسدًا ... به وليسوا له بأشباه
إن نطقوا بالجميل أو فعلوا ... فللرَّيَّا والكمال لله

ديوان ابن نباتة 544.

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[2] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1382] وقال:

بروحي صـــديق حجَّب الترب شـــخصـــه وأذكـرنـي مـعـنـى حـيـاتـي مـعـنـاه
مضـــى معـه اســـم قـد لقينـا بـه الورى ولا بـدَّ من أن يتبع اســمًـا مســمَّـاه
فـمـا لـي إلا الـدمـع يـخـرج مـاؤه على الترب حتى يخرج الترب مرعـاه

[1383] وقال:

أيـا واحـدًا بـالـمـن مـنـه وبـالـثـنـا تـحـلـت رقـاب لـلـورى وشـــفـاه
تهنَّ بشـــهر واضـــح الفضـــل مشـــرق تنـاســـب فيـمـا تشـــتـهي طرفـاه
فـإمـا أخـو كـيـد تـفـطّـر قـلـبـه وإمـا أخـو قـلـبٍ تـفـطـر فـاه

[1384] وقال:

ولـي صـــاحـب قـد غـيـرتـه ســـعـادة فمـا كـدت من بعـد التواصـــل ألقـاه
أرى الشـــهـب في الـدنيـا يؤثر ســـعـدهـا وهـذا شـــهـابٌ أثـرت فـيـه دنـيـاه

[1385] وقال:

أشـــكـو جـفـا غـادة عـرانـي مـن لـوعـة الـحـبِّ مـا عـراهـا
ضـــنـيـت والـدمـع مـلء جـفـنـي فـمـا تـرانـي ولا أراهـا

[1386] وقال:

ومـلـيـح يـقـول حســـن حـلاه لـي جبين بـالشـــعر حف ســـنـاه
إن رآنـي هـذا وذاك مـمـن أنـعـم الله صـــبـحـه ومســـاه

[1387] وقال:

يا سيدي عطفًا على حالة ... قد زاد مسّ العسر في صدغها
وقد مضى الصوم ولي مقلة ... ما نظرت قطرًا سوى دمعها

[1388] وقال[1]:

بهت العذول وقد رأت ألحاظها ... تركيَّة تدع الحليم سفيها
فثنى الغلامُ وقال دونك والأسى ... هذي مضايق لست أدخل فيها

ديوان ابن نباتة 545.

[1389] وقال:

يا مذكري بندى يديه وبابه ... شهوات مصر لنا وطيب حماها
إن يحل عندي مشتهى أبوابه ... فلقد حلا من سكَّر هرماها

[1390] وقال:

شرعت يدا قاضي القضاة محمد ... شرع الندى في كل حالٍ واهي
فإذا بغى فقري عليَّ حملته ... بيدي إلى شرع ابن عبد الله

[1391] وقال:

أيا سيِّدي ما لفظ شعري بروضة ... ولا بحره للواردين بمشتهى
ولكنه بحر الندى حيث جاءكم ... يكون أجاجًا دونكم فإذا انتهى

[1392] وقال:

يا ماجدًا ما ظننت همته ... تفعل ما المكرمات تأباه
إن لم تكن مدحتي موافقة ... فهاتها قد أقالك الله

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1393] وقال يرثي ولدًا له مات قبل أن يبلغ عامًا[1]:

يا راحلًا من بعد ما أقبلت ... مخايل للخير مرجوَّه
لم تكتمل حولًا وأورثتني ... ضعفًا فلا حول ولا قوَّه

ديوان ابن نباتة 546.

[1394] وقال في شارب دواء :

أمط بالدَّواء ثياب الأذى ... وطب في الرَّواح به والغدوّ
وكرِّر أحاديث بيت الخلا ... ولكن على رغم أنف العدوّ

[1395] وقال[2]:

نقل الضَّنا عن مهجتي ... خبر الصَّبابة والجوى
وحياتكم ما ضلَّ في ... نقل الحديث ولا غوى
آهًا على العيش الذي ... بيد الفراق قد انطوى
ما كان أسرع ما انقضى ... وحصلت منه على الهوى
عجبًا لمثلي ما على ... نأي الحبيب له قوى

ديوان ابن نباتة 546.

[1396] وقال:

لو ساعدتني حالة كان لي ... ببعض من لاقكم أسوه
حتَّى ترى عيني مقام العلى ... وكعبة المعروف في الكُسوه

ديوان ابن نباتة 546.

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[2] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1397] وقال:

قبَّلته عند النوى فتمرَّرت ... تلك الحلاوة بالتَّفرّق والجوى
ولثمته عند القدوم فحبذا ... رطب الشفاه السكريّ بلا نوى

[1398] وقال:

بعثت إليك الشكر عما بعثته ... وما لي بغير الشكر يا سيدي قوى
ولما انقضى عهد النوى جئت بالندى ... هنيئًا فيا لله تمرٌ بلا نوى

[1399] وقال:

أهلًا بمقدم صاحب العلم الذي ... فضل السيوف بجوده وبسطوه
ودّ الملاح خدودهم وعيونهم ... عوض الأزاهر والمروج لخطوه

[1400] وقال:

يا عاليًا للنجم لا يهوى به ... أفقٌ إذا ما النجم من أفق هوى
يفديك كلّ مؤمّل لك قائل ... حاشا لجسمك أو لنفسك من هوى

[1401] وقال[1]:

افتح دواة فضائلٍ وفواضلٍ ... نعم العيان لم رأى ولمن روى
تشفي ضعيف الحال منها مدَّة ... فهي الدَّواة لمن تأمَّل والدَّوا

ديوان ابن نباتة 547.

[1402] وقال:

يا دار بطيخ بمصر عهدتها ... مأوى لمن أهوى ونعم الآوي
أنا إن لوى عني عذارًا أخضرًا ... في جنة المعهود عبد لا وي

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق92

[1403] وقال:

كان لابن الوكيل بالشعر علمٌ ... مستجادٌ لكن قليل الطلاوه
وأرى صدر وقتنا قائلًا ما ... كلّ صدرٍ يهدى لهذي الحلاوه

[1404] وقال:

تهنَّ يا مجزل العطايا ... قدوم شهر له طلاوه
حلا وانثنى عليك صدقا ... فهو إذًا صادق الحلاوه

[1405] وقال مؤيَّديَّة:

يا صاحبيّ أرانا الدهر شوَّالا ... فبادرا وانصبا للذة الحالا
لا تحذرا مع عفو الله موبقة ... تحصى ولا مع ندى السلطان إقلالا
جاد المؤيد حتى كدت أحسبه ... مع فضل فطنته لا يعرف المالا
ولا كحلت بمرأى مثله بصري ... هذا وقد وجبت ظهر الأرض أميالا
فليهنه من هلال العيد مقترف ... يدنو فيركع إعظامًا وإجلالا
حتى ترى نونه من فرط خدمتها ... تودُّ لو صيرت في أفقها دالا

[1406] وقال يتقاضى خشكنانًا:

ملوّز الطَّرف أهلا ... كل الحلا إن تحلى
وحاكم العقل يقضي ... إن الملوَّز أحلى
وخشكنانًا أتاني ... في مثل عيديَ فتلا
من أفضل الناس نفسًا ... وأنفس الناس فضلا
وفي انتساب وعلم ... أجلّ فرعًا وأصلا
عليّ هنئت عيدًا ... في الصيغتين محلَّى
أنهيت عالي قصدي ... فيه ورأيك أعلى

[1407] وقال في مليحة اسمها ماما:

طلبت ريّ الغليل منها ... وعاذلي يطلب المحالا
عنفني ثم قال تسلَّى ... عن حبِّ ماما فقلت لا لا

متّع لواحظنا التي أضنيتها ... لما اتخذت إلى العباد سبيلا
وأعد بعودك للعيون منامها ... فلقد ترحَّل يوم رمت رحيلا
أولا فنظرتها إليك ألذ من ... عود المنام ولو جفته طويلا
يا قادمًا أقسمت لو قسم الورى ... حُرّ الخدود له لكان قليلا
أهلا بقربك فهو كحل نواظر ... كم راقبت من نحو أرضك ميلا
صحَّت بك الأيَّام حتى ما يرى ... متأمّل إلا النسيم عليلا

[1408] وقال:

دم يا علاء الدين في رفعة ... رأيك فيما يقتضي أعلى
كتاب مولانا بإشفاقه ... لا يختشي من سفر ثقلا
يصطاد في المشتى مهماتكم ... ونحن نصطاد من المقلى
لكنَّ لي في الشام يا سيدي ... قرائن من همِّها حبلى

[1409] وقال:

بأبي غصن كبدر ... قد تثنَّى وتجلَّى
قلت إذ أضمر قصدي ... قبلة يا بدر هلاَّ
قال من خدِّي خذها ... قلتُ بل من فيك أحلى

[1410] وقال:

يا مهديًا من خطِّه قاعدًا ... على سواد العين محمولا
لفظك فينا نطرب كله ... ولم يبق للسامع معقولا
يرتدّ عن إدراكه مسلم ... ويصبح الفاضل مفضولا

[1411] وقال:

كم أقاسي من الغرام وأخفي ... عن وشاتي صبابة وغليلا
آه يا ويلتي ويا ليت أني ... كنت لم أتَّخذ فلانًا خليلا

[1412] وقال:

لي سيد رقى إلى ... أفق المعالي فعلا
أقسم لا ينسى الندى ... إلا إذا ما فعلا

[1413] وقال:

شهدنا بأن إله السماء ... يحبك يا أكرم الناس حالا
يقول نبيّ الهدى إنه ... تعالى جميل يحبّ الجمالا

[1414] وقال:

لم أزل منذ غاب شخصك عني ... أرتجي وصل كتبه والوصالا
أرقب الغرب حين أذكر مولا ... ي كأنَّ الشهاب صار هلالا

[1415] وقال:

سقى وواعدني وصلًا ألذّ به ... عند الرّقاد ولا والله ما فعلا
فيا لله من ساق مواعده ... كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

[1416] وقال في السبعة السيارة:

لو أن شـــكوى الأســـى يـا عزّ يغنيـه ... لـكـان بـثَّ لســـان الـدمـع يكـفيـه
فـيـا لـه دمـع عـيـن كـل غـاديـة ... لا تـأخـذ الـمـاء إلا مـن مـجـاريـه
كـأن جـود عـلاء الـديـن صـــار لـه ... روايـة فـهـو يـرويـهـا وتـرويـه
ذو اللفظ والفضـــل لو قـال البحـار طمـت ... قـال فواضـــلـه من غير تشـبيـه
يـا مـن أطـارح مـنـك البيـت أسـكـنـه ... آوي إلـيـه كـمـا أرضـــى وأنشـــيـه
مـا أحســن البيـت من نعمـاك أســكنـه ... بـكـل بـيـت مـن الأمـداح يـعـنـيـه
مـثـلـي ومـثـلـك يـدري فضـــل ذاك وذا ... وصـــاحـب البيـت أدرى بـالـذي فيـه

[1417] وقال يعزي بطفلة:

إمـام الـمســـلـمـيـن تـعـزَّ عـمَّـن ... فـقـد وعـش تـفَّـى بـالـبـرايـا
ودم لـمـدائـح وصـــفـا أجـور ... لـك الـمـربـاع مـنـهـا والصـــفـايـا
فـقـيـدتـك الـتـي صـــغـرت كـبـيـر ... فضـــاء عـزائـهـا بـيـن الـقـضـــايـا
فـيـا لـك طـفـلـة مـن بـيـت عـلـم ... عـلـيـهـا قـد تـطـفَّـلـت الـمـنـايـا
ويـا لـك زهـرة مـن دوح قـوم ... ســرت بجـدودهـا مســرى البجـايـا
لـقـد وضـــع الأســـى دمـعًـا عـلـيـهـا ... وقـد طـلـعـت شـــجـون من ثـنـايـا
ولـم أعـرف لـهـا اســـمًـا ولـكـن ... أقـول الآن فـاطـمـة الـرزايـا

[1418] وقال لزوميّة:

أعـربـت يـا مـقـلـتـي الـغـافـيـه ... عـن زورة كـافـيـة شـــافـيـه
طـيـف كـرى مـا زال ألا غـدت ... مـا الشـــرط لـلأحـزان مـا الـنـافـيـه
كـمـا نـفـت وافـر خـوف الـورى ... عـافـيـة مـن ســيـدي وافـيـه
قـاضـــي قضـــاة الـدين مـا شـبـهـه ... خـائـفـة الـقـطـع ولا خـافـيـه
ذو الـعـلـم والـجـدوى الـتـي شـــردت ... مـحـلًا وجـهـلًا عـيـنـهـا الصـــافـيـه
مـا ذا جـرى لـلـخـلـق خـوفًـا عـلـى ... مـهـجـتـه مـن أدمـع طـافـيـه
فـالآن أحـزان الـورى قـد عـفـت ... فـالـحـمـد لله عـلـى الـعـافـيـه

[1419] وقال تاجيَّه:

لســـت أنســـى ابتســـامها اللؤلؤيَّا ... مـلـبسًـــا خـدي الـدمـوع حـلـيـا
وخـدودًا حـمـريـة الـلـون أشـــكـو ... مـن جـفـاهـا ونـاظـرًا مسـتـحـيـا
لشـــذور الأغـزال مـع مـدح تـاج الـد ... ين أصـــبحـت صـــائغـا جوهريَّـا
إن عبـد الوهـاب قـاضـــي قضـــاة الـد ... يـن أوفـى الـورى نـدوى أو نـديَّـا
هـبـة لـلـعـلـى مـن الله مـازا ... ل لـدى الـنسـك والـعـطـاء وليَّـا
يـا إمـامًـا تـهـوي الـغـمـائـم مـن خـلـ ... ـف عـطـايـاه ســجـدًا وبـكـيَّـا
مـا فـقـدنـا أمـا خـلـفـت جـنـايـا ... كـان لـلـمـعـتـفـي وكـان تـقـيَّـا

[1420] وقال ملغزًا:

يـا إمـامًـا لـه مـقـام ســنـيّ ... وثـنـاء فـي الـخـافـقـيـن وفـيّ
مـا اســم شـــيء فـيـه لـقـوم طـعـام ... ولـكـل الـورى بـخـمـســيـه ريّ
وهـو مســتضــعـف الـعـيـان ولـكـن ... فـيـه لـلـســامـعـيـن بـأس قـويّ
لا تـقـل لـي فـي الـلـغـز بـالـفـتـح ريـب ... فـهـو لـغـزٌ إذا نـظـرت جـلـيّ
ســائر الـذكر إن عكســت وإن أســـ ... ـــقطت حرفًا كـذاك منـه السَّـريّ

[1421] وقال لزومية:

يـا مـحـســنًـا إن أســاء الـزَّمـان وإن ... مـزَّق حـال الـفـتـى فـمـر فـيـه
يـنشـــد مـن ودك الـجـمـيـل ومـن ... مـدحـك فـي صـــدره وفـي فـيـه
أرضـــى لـمـن غـاب عـنـك غـيـبـتـه ... فـذاك ذنـبٌ عـقـابـه فـيـه

[1422] وقال وكتب به على حياصة:

تـعـشـــقـتـه غصـــنًـا نـاضـــرًا ... يـمـيـل بـه الســكـر مـن نـاظـريـه
تـحـجـب دون الـقـنـا شـــخـصـــه ... فصـــفـرة لـونـي شـــوقًـا إلـيـه
وكـــم ذا أدور عـــلـــى خصـــره ... ومـا وقـعـت لـي عـيـنٌ عـلـيـه

[1423] وقال في الاقتباس بديهًا:

سألت قلبي عن ذوي العشق ومن ... ما أوتيته من فنون الحسن مي
فقال لي إني وجدت امرأة ... تملكهم وأوتيت من كل شي

[1424] وقال في صغير صلَّى التراويح:

لقد ادَّى تلاوته ووفى ... قراءته لمولانا بنيّ
صغير وهو إذ يتلو كبيرٌ ... فما أدري نبيٌّ أو أبيّ

[1425] وقال في شاعر أحضر إليه قصيدة:

عجبت لها مدحة ضاع لي ... شذاها وإن لم يكن في وفي
فضاعت ولكن على أوجهٍ ... ثلاث لديّ ومني وفي

[1426] وقال مع قصيدة نبويَّة وأخرى علوية:

ومخدومة أتبعت مدح نبيها ... بخادمة أتبعتها بوليِّها
لعلك يا جاه الشفيع محمد ... توصِّي بها عطف الوصيّ عليِّها

[1427] وقال:

يا وزيرًا شمل الآفا ... قف بالنعمى الحفيَّه
قال تنويرك في الجا ... مع للشهب كحيه
أنجمي عندك سعد ... وقناديل مضيه
كيف لا وهي بنور اللـ ... ـه أعمال زكيَّه

[1428] وقال:

ليس يخشى من نجم سعد سقوطا ... من رأى قاضي القضاة عليا
سار قاضي القضاة للشام غيثا ... فله الله ساريًا وسريا
إن وجدنا وسمي جدواه في الدنـ ... ـيا وجدنا في الدين منه وليا
قال إحسانه تهنوا نوالًا ... وزكاة منه وكان تقيًّا

[1429] وقال:

يا مليكًا يجبر قصَّاده ... جبرًا له الله مكافٍ عليه
شكرًا لها في الجود مخفية ... يبسط ضيف الباب فيها يديه
إذا أتته وهو في صحبه ... صار مضافًا ومضافًا إليه

[1430] وقال:

الحمد لله كل وقت ... بقرت مخدومنا هنيّ
هنى دمشق وساكنيها ال ... غيث والقادم الوفيّ
إن جاء وسميّها سريعًا ... فالآن قد جاءها الوليّ

[1431] وقال:

بأيمن طالع مسرى وزير ... نوال يداه للآمال محيا
فيا ليت البرامك عاينوه ... وأنعمه تعم الخلق سقيا
فينضب جعفر ويعوز فضل ... ويبلى خالد ويموت يحيى

[1432] وقال:

يا سراة الأنصار تاج بينكم ... لرؤوس الأنساب أدنى حليّ
ما أراه إلا أبا نصر وقت ... مالك ناصر لقصدي الجليّ
فهو قاض ومالك وأبو نصـ ... ـر وعبد الوهاب وابن عليّ

[1433] وقال:

تقول المعالي لابن يحيى عليِّها ... ومن كعليّ في معاليه أو يحيى
إذا كنت يومًا ذا نبات غرسته ... فعاهد ولا تهمل نباتك بالسقيا
يفح لك ريحان الثنا من نسيمه ... ويدعو فيرضي زهرة الدين والدنيا

[1434] وقال:

ومليح إذا نظرت إليه ... قلت أملك له الملاح رعايا
فيه للناظرين حسن وملح ... فهو يشوي به كبود البرايا

[1435] وقال:

لامني الفتح إذ عزمت على النأ ... ي فقالت ضروراتي إيه
أنت ذقت النوى كما زعموا ... فها أنا عن دمشق أنويه

[1436] وقال:

يا علوي الذكر كم نعمة ... إليّ من بابك مهديَّه
إن لم يكن في الدست حظي فلي ... من جودك الراتب زبديه

[1437] وقال:

فديت فتى يده بالحيا ... وجبهته من حياء نديَّه
يسافر قصدي إلى بابه ... فمنه المكان ومنه الهديَّه

[1438] وقال[1]:

شـــكـوت صـــديـقـا ونـافـقـتـه ... بشـــكوى فيـا خســـر عمري لـديـه
نـــهـــاري الـــجـــمـــيـــع دعـــاء لـــه ... ولـيـلـي الـجـمـيـع دعـاء عـلـيـه

[1439] وقال:

بـأبـي فـاتـر الـلـوحـظ ألـمـى ... جـاء فـيـه الـعـذول شـــيـئًـا فـريًّـا
غـلـب الصـــبـر فـي هـوى نـاظـريـه ... وضـــعـيـفـان يـغـلـبـان قـويًّـا
يـا وزيـر الـعـلـيـا دعـاء مـحـب ... راح لـلـعشـــر إذا أشـــرت إلـيـه
مـا يـبـالـي إذا بـكـى مـن هـوان ... وافـتـقـار إذا ضـــحـكـت عـلـيـه

[1440] وقال:

ومـبـادلـيـن بـدمـعـتـيـن حـلاهـمـا ... هـــذا لـــهـــذا قـــائـــم بـــولائـــه
كـالـبـحـر تـمـطـره الســـحـاب ومـا لـهـا ... مـنٌّ عـلـيـه لأنـهـا مـن مـائـه

[1441] وقال:

شـــكـرًا لـهـا يـا ســـيِّـدي من نـعـمـة ... بلـغـت من التـأمـيـل فوق المنتهى
لا زال مـدحـك كـل شـــهـر روضـــة ... يعزى لمصـــر وكـل شـــيء منتهى

[1442] وقال:

وصـــلـــت الـــمـــدام وذات الـــلـــمـــى ... زمـان الصـــبـا والليـالي الشـــهيَّـه
فـيـا لـك مـن طـيـب عـيـش قـطـعـ ... ت بشـــرب العجوز ورشـــف الصـــبيه

([1]) التخريج: سوق الفاضل ق93

[1443] وقال:

أتيت لمصر في كتاب شفاعة ... إلى ولد من والد مورث العليا
فيا لكتاب جاء من عند ميت ... لحيّ فقال السعد لبيك يا يحيى

[1444] وقال[1]:

وبمهجتي رشأ يميس قوامه ... فكأنَّه نشوان من شفتيهِ
شغف العِذار بخدِّه ورآه قد ... نعست نواظره فدبَّ عليهِ

[1445] وقال:

رأيت فتى في باب دارك طالعًا ... فأذكرني بيتًا قديمًا شجانيا
خليلي لا والله لا نترك البكا ... إذا علمٌ من أرض نجد بدا ليا

[1446] وقال:

بهت العذول وقد رأى ألحاظها ... تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والأسى ... هذي مضايق لست أدخل فيها

[1447] وقال:

كم قائل إذ رآني ... أسعى لأندى البريَّه
عطية منه تبغي ... فقلت ألف عطيَّه

[1448] وقال:

فوض الجامع السعيد لمن يد ... عى له فيه بالضحى والعشيّ
لا عجيب أن خصَّه دون قوم ... أمويّ يعزى إلى قرشيّ

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق93

[1449] وقال:

لـلـعـبـد عـنـدكـم رسـوم مـكـارم إن أقصـيـت فـنـداكـم يـدنـيـهـا
وكـفـاكـم أن الـغـيـوث إذا هـمـت تمحو الرسـوم وغيثكم ينسـيـهـا

[1450] وقال:

مـرآتـك الـعـقـل كـل وقـت تـريـك مـن نـفسـك الـخـفـايـا
فـلا تـحـكـم هـواك فـيـهـا إن الـهـوى يصـدئ الـمـرايـا

[1451] وقال:

يـا سـيـدي عـطـفـا عـلـى عصـبـة أفـكـارهـم لـلـقـمـح مـحـمـيَّـه
قـد طـبـخـت بـالشـوق أكـبـادهـم فـيـا لـهـا طـبـخـة قـمـحـيَّـه

[1452] وقال:

يـا رسـولـي لصـبـي مـائـس مـثـل صـبـيـه
خـذ مـتـى شـئـت ثـيـابـي وارمِ فـي حـلـقـي عشـيَّـه

[1453] وقال:

عـلـوت اسـمـا ومـقـدارًا ومـعـنـى فـيـا لله مـن حسـن حـلـيّ
كـأنَّـكـم الـثـلاثـة ضـرب خـيـط عـلـيٌّ فـي عـلـيٍّ فـي عـلـيّ

[1454] وقال:

يـا سـيـدي دعـوة مـن نـفسـه محصـورة في بـيـدق الـحـاشـيـه
يـنـهـي إلـى هـمـتـك الـمشـتـكـى وإنـمـا يشـكـو إلـى الـعـالـيـه

[1455] وقال[1]:

أصـــبحت من بعد خمولي الذي ... قد كان مســـمومًا ومرئيًّا
أعمل في الأيَّام ما أشـــتهي ... لأنَّني أصـــبحتُ بدريًّا

[1456] وقال:

رأينا تواقيع تاج الزمان ... وفيها من الفضـــل معنى جليّ
بنســـك وجود وحفظ أجاد ... فقلت الثلاثة حظ الوليّ

[1457] وقال:

تهنَّ بعوده عيدًا سـعيدًا ... وعش ما شـئت يا كهف البرايا
نحرت به جميع عداك فانحر ... قرونًا آخرين من الضَّحايا

[1458] وقال:

رُبَّ مولًى مال عني بعدما ... كان بالإحسـان ميَّالًا إليَّ
فاضـل سـلمت في الدهر له ... ليته سـلم في الحين عليّ

[1459] وقال:

برغمي أن أهاديكم بمعنى ... دقيق في مقابلة العطايا
فيا خجلي ويا عتبي لدهرٍ ... إذا وصـل الدقيق إلى الهدايا

[1460] وقال:

بأبي أنت حلوة الريق لكن ... أنا من لسـعة الجفا في بليَّه
فيك شـهد وفيك لسـع فرفقا ... بشـجيّ أمسـى وأنت خليَّه

---

[1] التخريج: سوق الفاضل ق93

[1461] وقال[1]:

فـديـتُـك أيُّـهـا الـرَّامـي بـقـوسٍ ... ولحظٍ يـا ضـنـا جسـدي عليـه
لـقـوسـك نـحـو حـاجـبـك انـجـذاب ... وشـبـه الشَّـيء مـنـجـذب إلـيـه

[1462] وقال:

أخـا الـخصـر الـدقـيـق فـدتـك روحـي ... نـعـم وفـدت مـلاحـتـك الـبـرايـا
عسـى تـهـديـه لـي ضـمـا ومـن لـي ... بـأن يصـل الـدقيـق إلـى الـهـدايـا

[1463] وقال:

قـالـوا وقـد زدتـنـي بـرًّا وتـكـرمـة ... يـا خـيـر مـن لـنـدى كـفّ أنـاديـه
مـاذا قبضـت نهـار العشـر قلـت لهم ... قبضـت ميقـات موسـى من أيـاديـه

[1464] وقال:

بـمـقـدمـك السـعـيـد قـد اسـتـنـارت ... دمشـق وبشـرت بسـنـا عـلـيّ
وقـد كـانـت إلـى الـوسـمـيّ تـهـفـو ... فـأغـنـاهـا الـولـيّ عـن الـولـيّ

[1] التخريج: سوق الفاضل ق93

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ضـياء الدين، **المثل السـائر في أدب الكاتب والشـاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر.
- الأحوص، عبد الله بن ثابت الأنصـــاري، **الديوان**، تحقيق: عادل ســـليمان جمال، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1411هـ، 1990م.
- الأطرش، ايمان صـدقي يونس، شـعر ابن نباتة المصـري دراسـة أسـلوبية، جامعة الخليل، رسـالة ماجستير غير منشورة، 2016-2017.
- الألباني، محمد ناصـــر الدين، **صـــحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، ط 4، المملكة العربية السعودية: مكتبة الدليل، 1418 هـ، 1997م.
- أنس، وئام محمد سـيد أحمد، **الشـكوى في شـعر ابن نباته**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، عدد 1، محرر 1430 يناير 2009.
- البادي، محمود خلف وأحمد، محمود أنس، **الفكاهة في شـــعر علي بن ســـودون**، مجلة جامعة المديمة العالمية، ع 21، 2017م.
- باشـا، عمر موسـى، **الأدب في بلاد الشـام عصـور الزنكيين والأيوبيين والمماليك**، ط 1، دمشـق: دار الفكر، 1409 هـ، 1989م.
- باشا، عمر موسى، **أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري**، القاهرة: دار المعارف، 1963م.
- الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، مصر: دار المعارف.

- بنات، محمد يوســـف، وعبد الهادي، حســـن محمد، **التقاريظ على "نزول الغيث" لبدر الدين الدياميني**، بحث منشور، مجلة الدراسات الإنسانية، ع 25، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017م.
- التبريزي، البلطيوي، الخوارزمي، **شروح سقط الزند**، قسم 1، تحقيق: مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد الســـلام هارون، إبراهيم الأبياري، ط 3، الهيئة المصـــرية العامة للكتب، 1406هـ، 1986م.
- التلمســاني، أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من عصــن الأندلس الرطيب**، شــرح وتقديم مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، ج 4، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الثعالبي، أبي منصور عبد الملك البنسابوري، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ، 1983م.
- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد الســـلام محمد هارون، ط 7، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ، 1998م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شـــاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن جعفر، أبي الفرج قدامة، **نقد الشعر**، ط 1، قسطنطينية: مطبعة الجوائب، 1302هـ.
- الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدّة: دار المدني.
- الجندي، علي، **تاريخ الأدب الجاهلي**، ط 1، مكتبة دار التراث، ط 1، 1412 هـ، 1991م.
- ابن حبيب الحلبي، الحســـن ابن عمر، **تذكرة النبيه في أيام المنصـــور وبنيه**، تحقيق: د. محمد محمد أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
- الحجازي، شهاب الدين، **جنة الولدان في الحسان من الغلمان**، ط 1، مطبعة السعادة، 1326هـ، 1908م.

- ابن حجة، أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق كوكب دياب، بيروت: دار صادر، 1421هـ، 2001م.
- أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، ج 5، دار الفكر، 1399 هـ، 1979 م.
- أبو الحسين، مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري، **الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ، 1991م.
- الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
- ذهني، محمود، **تذوق الأدب طرقه ووسائله**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السوّد، ج 2، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ، 1998م.
- ابن رشيد أبو الوليد، محمد بن أحمد، **تلخيص كتاب الشعر**، تحقيق: تشارلس بترورث وأحمد هريدي، مركز تحقيق التراث، 1986م
- السبكي، بهاء الدين، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط 1، بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ، 2003م.
- سلام محمد زغلول، **الأدب في العصر المملوكي**، ج 2، مصر: دار المعارف، 1971م.
- سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، مكتبة الآداب المطبعة النموذجية، 1952م.
- سوق الفاضل في تراجم الأفاضل (مخطوط)
- السيوطي، جلال الدين، **جنى الجناس**، تحقيق ودراسة وشرح: د. محمد علي رزق الخفاجي، القاهرة: الدار الفنية للطباعة والنشر، 1986.

- السـيوطي، جلال الدين، **همع الهوامع في شـرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد العال سـالم مكرم، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ، 1992م.
- شرف، عبد العزيز، **الأدب الفكاهي**، ط 1، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1992م.
- الشـوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، راجعه وعلق عليه: هشـام البخاري وخضـر عكاري، صيدا: المكتبة العصرية، 1427هـ، 2006م.
- الصـفدي، صـلاح الدين خليل بن آيبك، **الوافي بالوفيات**، ج 1، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى، ط 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، 2000م.
- الصـفدي، صـلاح الدين، **جنان الجناس في علم البديع**، ط 1، قسـطنطينية: مطبعة الجوائب، 1299هـ.
- عبد الكريم، زينب، **ديوان ابن نباتة المصري الفاروقي– دراسة فنية**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع 22، جامعة بابل، 2015م.
- العسـقلاني، ابن حجر، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، 1349.
- العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **كتاب الصناعيين**، تحقيق: علي محمد البحاوي محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، 1371 هـ، 1952م.
- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي، **الطراز**، مصر: دار الكتب الخديوية، 1322هـ، 1914م.
- العمري، شهاب الدين بن فضل الله، **الشتويات**، تحقيق: حسن محمد عبد الهادي، ط 1، القاهرة: عالم الكتب، 2017م.
- عيسى، حسن محمد عبد الهادي، **دراسة شعر شمس الدين النواجي مع تحقيق ديوانه**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1980م.

- ابن فارس، أحمد، **الصـاحبي في فقه اللغة وسـنن العرب في كلامها**، تصـحيح ونشـر المكتبة السلفية، القاهرة، 1328هـ، 1910م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، مؤسسة الرسالة، 2005 م.
- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد شاكر، ج 1، القاهرة: دار المعارف.
- القرطاجنّي، أبي الحسن حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي.
- القطبي، محمد ابن شـاكر، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق احسـان عباس، بيروت: دار صادر.
- القيرواني، أبي علي الحسـن بن رشـيق، **العمدة في صـناعة الشـعر ونقده**، ج 1، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتب الخانجي، ط 1، القاهرة، 1420 هـ، 2000م.
- كرم، أنطون غطاس، **الرمزية والأدب العربي الحديث**، بيروت: دار الكشـاف للنشـر والطباعة، 1949م.
- المتنبي، أحمد بن الحسين، **الديوان**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.
- مجمع اللغة العربية، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مؤلفون، القاهرة، 1409هـ، 1988م.
- مجموعة المؤلفين، **المعجم الوسيط**، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.
- محمد، بدران عبد الحميد، **المقطعات الشـعرية أُصـولها وسـماتها الفنية**، بحث منشـور، مجلة حوليات التراث، عدد 11، 2011م.
- المرادي، الحسـن بن قاسـم، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م.

- مناصـرة، رنا أحمد عيسـى، اللون ودلالاته في شـعر ابن نباتة المصـري، (ت 768هـ)، رسـالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، 2014-2015.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.
- ابن نباتة، جمال الدين، **مطلع الفوائد ومجمع الفرائد**، تحقيق: د. عمر موسـى باشـا، دمشـق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1392 – 1972.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **سنن النسائي**، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط 2، 1436 – 2015.
- ابن هشـام، جمال الدين الأنصـاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق صـالح الشـاعر، القاهرة: مكتبة الآداب، 1430هـ، 2009م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر، **الديوان**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط 1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 1427هـ، 2006م.
- يوسف، خالد إبراهيم، **الشعر العربي أيّام المماليك**، ط 1، بيروت: دار النهضة العربية، 2003م.

فهرس المحتويات

الإهداء .....

إقرار ..... أ

الشّكر والتّقدير .....ب

الملخّص باللغة العربية ..... ج

الملخص باللغة الإنجليزية .....د

المقدّمة..... هـ

التمهيد 1

ترجمة الشاعر 1

المقطّعات: تعريفها ونشأتها..... 4

الدلالة المعجمية: 4

الدلالة الاصطلاحية 5

نشأة المصطلح: 7

الفصل الأوّل: الدراسة الموضوعية..... 10

أولًا: المديح 12

ثانيًا: الإخوانيات.....24

التهاني.....25

التعازي.....27

العتاب 29

التَّهادي 30

مجالس الأصدقاء والندماء.....32

ثالثًا: الغزل.....34

رابعًا: الشكوى 41

خامسًا: المجون 55

سادسًا: الوصف 59
سابعًا: الأغراض الشعرية المُستحدثة 68
الألغاز 69
الغزل بأرباب المهن والصنائع 71
ما يُنظم للنقش على الأواني والأدوات 73
ثامنًا: الشعر الاجتماعي 76
طلب الطعام 81
وصف اللباس 83
السخرية 85
تقريظ الكتب 88
تاسعًا: الرثاء 92
عاشرًا: الفخر 98

الفصل الثاني: الدِّراسة الفنِّيَّة 102
أولاً: بناء المُقطَّعات 103
ثانياً: اللغة 109
ثانياً: الاقتباس والتضمين 121
الاقتباس: 122
التضمين 123
رابعاً: التورية 127
التوجيه 129
الاستخدام 133
خامساً: الجناس 133
الجناس التام 134
الجناس الناقص 135
جناس التصحيف 135
الجناس المذيل 136

الجناس المطمع 137
الجناس المركب 138
الجناس المخالف 139
سادساً: الطباق 139
سابعاً: التقسيم 140
ثامناً: مراعاة النظير 140
تاسعاً: اللَّفُّ والنَّشر 141
عاشراً: الأسلوب 142
ظاهرة التكرار 142
الاستفهام 145
النداء 149
التمني والترجي 153
حادي عشر: الصورة الفنية 155
ثاني عشر: الأوزان والقوافي 159

الخاتمة 161
ملحق رقم (1) 163
ملحق رقم (2) 164
المصادر والمراجع 462